

سماواتها



# يا ممالك الشام

<http://abuabdoalbaql.blogspot.com>



أبو عبدو اليرغل



# أبو حيدو البغل

## من الفلج

بكثير كثير من الفرح الحقيقي ، تلقيت فيض المشاعر الصادقة من أغدق عليّ من نبع محبته وكرم نفسه وحرارة تقديره وتشجيعه لقلمي ، فشد علي يدي ووقف الي جانبي وساعدني ومهد لي الطريق الصعبة لاعادة طبع « يامال الشام » ليخرج الي عشاقه علي هذه الصورة المفرحة .

بدأ الطبع في مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ، ادارتي الغالية التي مر علي بها موظفة احد وعشرون ربيعاً في ربيع هذا العام الدمشقي الذي بدأ يتفتح فيه بجنون زهر الشمس وزهر الفانرج والليمون ، وانتهى الطبع في الخريف .

ومازلت في الادارة السياسية أربط قدرتي بالقلم ، بالكلمة ، بالحقبة ، أحقق ذاتي ككاتبة تهوى الوطن والانسان والحرية والادب والفن والتراث والحضارة .

الادارة هي بيتي واهلها هم اهلي .

ونهر من مشاعر المحبة والتقدير وعبارات الامتنان ، ينبع من قلبي ويصب في بحيرة كل من أحب كتابتي وكتابي ، وكل من طالبني باعادة طبع « يامال الشام » وكل من ساعدني على اعادة الطبع ، أيام اصبح الطبع صعباً جداً وغالياً جداً .

نهر من المحبة الاخوية الانسانية الكبيرة ينبع من قلبي ويصب في بحيرة السيد رئيس الجمهورية العربية السورية ، القائد العام للجيش والقوات المسلحة الفريق حافظ الاسد . ابن الوطن البار ، والقائد الحكيم ،

ابن الجبال الشم ، وابن اللاذقية عروس الساحل السوري وحفيدة أوغاريت  
مبدعة الابدعية الاولى . المحبة لهذا الرجل الانسان حافظ الاسد الذي أحب  
دمشق الشام وأحب أهلها . وسكن فيها وأعطاهم وأعطي أهلها من  
حبات قلبه ، فسجل له عطاؤه في سجل تاريخها الذهبي بخط عربي  
مذهب الحواشي والمعاني .

أهل الشام ، وأنا واحدة منهم ، نحمل لهذا الرجل في ذواتنا دنيا  
من المحبة والتقدير لما فعله ويفعله ، لوقف تيار مدم معالم حضارة دمشق  
وتمزيق هويتها العربية ، وللوقوف في وجه الحريق الكبير الذي ما انفك يلتهم  
بغناء تاريخي ، البيوت العربية الدمشقية ، وأشجار الغوطة وبساتين  
الشام ، فيجول واحة الشام الى صحراء بتوقعات علمية حتمية .

أوامر الرجل الحازمة صدرت لتنقذ ماتبقى من جمال وسحر هذه  
المدينة العربية الاصلية جسدا وروحا ، ولترد الكرامة والطمأنينة وشعور  
الاستقرار وطيب العيش لاهل الشام الطيبين الشعبين البسطاء الذين  
تعرضت بيوتهم العربية القديمة الجميلة للهدم بحجة التنظيم .

وفي تاريخ ١٦ أيار عام ١٩٧٢ وفي مجلة « جيش الشعب » الصادرة  
عن الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ، كتبت مقالا جريئا محموما  
في صيغة كتاب مفتوح الى رئيس الجمهورية العربية السورية السيد  
الرئيس حافظ الاسد بعنوان :

### « نوح جديد في طوفان الشام »

كان له دوي كبير وأثر فعال في تحويل مجرى الطوفان ، لصالح الشام  
وأهل الشام ، وأشعر بفخر كبير ، كنفرد في هذا الوطن ، وصوت من هذه  
المدينة العاصمة ، وابنة محبة للشام وأهل الشام ، أن يلقي مقالتي  
«الصدى» في صدر الرجل الكبير والاب العطوف ورب الاسرة المثالي ،  
ويكون « الامر » التاريخي ، بوقف طوفان الهدم وطوفان الدموع عن  
الشام وأهل الشام ، الامر الذي يسعدني أن اثبته للاجيال وأضيفه للتاريخ،  
وأعلقه وساما على صدري مكافأة على محبتي للشام .

قلت في كتابي المفتوح المرفوع الى السيد رئيس الجمهورية الفريق  
حافظ الاسد :

« دمشق القديمة الغالية على قلوب أهل الشام وعشاق الشام ، بكل حاراتها وبيوتها وأسواقها وسكانها بحاجة الى « نوح جديد » كي ينقذها من طوفان يأكل الأخضر واليابس في حياتها . هذا الطوفان الخطير ينبع من « جبال محافظة مدينة دمشق » ، ومن أرصدة تجار البناء في البنوك ، ومن أزمة السكن المدمرة ومن الانفجار السكاني الهائل .

دمشق القديمة تهدم كلها ، ليعمر مكانها دمشق جديدة من الاسمنت والحديد والزفت .

وكتبت أخطب الرئيس مباشرة :

وسمعت أن الاسر الدمشقية في الاحياء الشعبية ، الشيوخ والنساء ، النساء الارامل والاطفال ، يبكون على أعتاب المسؤولين والمهندسين في محافظة مدينة دمشق ، يبكون يقبلون الايادي يتوسلون أن يمهلم من في قلبه رحمة حتى يجدوا مأوى ، ولا من يرد لان النظام نظام والامر أمر !

وسمعت من سكان البيوت والعمارات الانيقة العالية في « المالكى » ، ان فلاحي بساتين الشام وخاصة بساتين الربوة الشهيرة التي خلدتها الشعراء باشعارهم ، قرب شارع المالكى المزروع بالاسمنت الملون وعلب الكبريت ، سمعت من السكان الاغنياء ، أن الفلاحين في بساتين الربوة يبكون ، لا يريدون أن يتركوا بيوت الطين وبساتينهم وأنهار بردى السبعة ولا أحد يسمع البكاء . الارض تصادر ، يعطى لاصحابها ثمن رمزي ، تباع للاثرياء ولتجار البناء بطريق المزادة بمبالغ خيالية ، ولا أعرف من يقبض الفائض ؟ !

للجان الوقورة تتصرف بكل حزم ، لا بد من الرحيل عن الارض ، لا بد من الهدم ، هدم الاشجار الخضراء ، لنعمر اشجارا من حجارة يسكنها عصفير الجنة .

ويتناول شارع المالكى ، ويسير نحو الربوة بخيلاء الطاووس ، وترتجف دواوين الشعر والتاريخ رعبا .

هذا الطوفان لا يأخذ بطريقه الا بيوت الفقراء ، ليعمر مكانها عمارات عالية الطوابق أنيقة الشرفات ، تعيش بالطول لا بالعرض ، بعضها يباع على الخريطة وبعضها على « العظم » وبعضها على « اللحم » . عمارات تصعد بشموخ على دمشق القديمة مخلقة وراءها « بكاء تاريخيا » وأسرا بكاملها تبكي وتولول وتنوح لانها لاتجد المأوى . . ولانها تلفتت أمرا بالنزوح .

لم يفكر أصحاب « التنظيم » بأن يهيئوا لهذه الاسر الشعبية الطيبة الفقيرة ، مدينة نموذجية تسترهم ، وتحميهم من التشرذم داخل وطنهم . قالوا لهم وعن طريق التلفزيون جملة سمعتها بنفسي :

المواطن يجب أن « يدبر نفسه » .. هذه مشكلته .. نحن نعطيهِ ثمن منزله ونطلب منه أن يبحث عن بيت آخر ويرحل .. ويجب أن يبحث عن حل لمشكلته بنفسه ، وليس كل شيء على عاتق المسؤولين ! ! .

وتساءلت بغضب يومها وأنا جالسة فوق « كنبه » مريحة ، وفي بيت ليس مهددا بالاخلاء :

- ما هذا الذي يحدث لاهل مدينتي ولدينتي ! ! ولماذا ! ! وأحسست بأن الكنبه تحولت الى شوكة ، وبيتي أصبح بلا سقف ولا جدران ، وأغراضي وأمتعتي مرمية في الشارع .. !!

تساءلت : ولكن من الذي خلق المشكلة ! ! أعرف الجواب : الانفجار السكاني ! !

ولكن هل على فقراء دمشق وحدهم ان يدفعوا ثمن الضغط السكاني في العاصمة المتنامية نحو الملايين ؟ ؟

وهل ستدفع أقدام مدينة في التاريخ ، ثمن هذا الانفجار السكاني المعاصر ؟ ؟

انني مربوطة اليدين ، ولكن انسانا واحدا في هذا الوطن الصغير الذي أعيش فيه قد ظهر فجأة بيننا ليفك أسري ويطلق لنا حرية الكلمة البناءة ، ومن هذا المنطلق أكتب كلمة للتاريخ لا للنشر .

انني مربوطة اليدين ، حرة الضمير واللسان ، حريتي لها نبعان : ذاتي والانسان الكبير الذي أرجو أن يسمح لي بأن أقول له بأنه بالنسبة لنا «كنوح جديد» مع احترامي وتقديسي للنبي نوح عليه السلام .

من يدري ، ربما هذا الانسان غير الدمشقي ابن اللاذقية ، قد أرسلته لنا العناية الالهية لينقذ دمشق من براثن غولها المرعب ، ومن أنياب تجارها القساة الجهلة ! ! لا بل أنا واثقة أنه هو وحده الذي سينقذ الشام من تجارها وجهلهم التاريخي بقيمة حضارة مدينتهم .

انني أنادي بأعلى صوتي ، أنا مع الفلاحين الفقراء في بساتين الشام والربوة ودمر والهامة وقرى الغوطة ، أنا مع الفقراء في أحياء وحارات الشام الضيقة القديمة .

أنا أعتز بأنني ابنة تلك الجوهرة النادرة ابنة الشام العتيقة الفقيرة ،  
أنا لا أنسى أصلي ، أنا لا أنسى أهلي .

في التاريخ العربي امرأة مجهولة أصابها ضيم فنادت بصورة عفوية  
باسم أمير المؤمنين « وامعتصماه » ، وسمع الرجل الكبير صرختها واهتز  
من أعماقه ، ووقعت حرب عظيمة انتصر فيها المؤمنون ، وردت الى المرأة  
العربية كرامتها .

فان ارتفع صوتي أطلب النجدة من القائد الذي بايعه الشعب ، لضيم  
وقع على مدينتي الشام ، فهل سيصل صوتي الى الرجل الكبير  
فبهزه من الاعماق ويأمر فوراً ببناء الصحراء حول دمشق لحل أزمة السكن  
وبحفر الانفاق تحت دمشق لحل أزمة المواصلات وبمنع أي معول يضرب  
ماتبقى من حضارة دمشق وجمال غوطة دمشق . !!

أطلقت صرختي الانسانية الحضارية لا الفردية الاقليمية ، وأنا انتظر  
بأمل عظيم رجوع الصدى .

أرفع رأسي الى جبل قاسيون ، الى الانسان الكبير الذي بايعه  
الشعب ، الى رئيس الجمهورية في القصر الجمهوري المثل على بساتين  
الربوة ، الى السيد الفريق حافظ الاسد ، أتكلم باسم الشام وأهلها ،  
أطلب منه أن يحول هموم الشعب الى أفراح .

انك أنت وحدك المنقذ ياسيادة الرئيس حافظ الاسد .  
أنت « نوح الجديد » الذي سينقذ الشام من طوفان التنظيم  
وطوفان الدموع .

ان الاشجار تبكي على صفتي بردي تودع بعضها لأول مرة في تاريخ  
الشام ، وتنحدر دموعها على خدود بردي .

دعنا ياسيدي الرئيس ، نحن أهل الشام نعيش في الشام .  
انقذنا من أنفسنا .

أنت قلب كبير وأب عظيم وإنسان حقيقي واسمح لي أن أنقل اليك  
عبر قلبي صوت شعبك الفقير في العاصمة المتهمة بالبورجوازية ، فربما  
لم يصلك هذا الصوت من قبل وأنا أعرف أن في ذهنك مسؤوليات مصيرية  
أكبر ، أكبر من مشكلة أزمة السكن ، أو مشكلة هدم الاحياء الشعبية .

ياسيادة الرئيس ، الصحراء حول دمشق حول الغوطة واسعة تنتظر  
الملايين فلماذا لانعمرها ولماذا يصير التجار على أن يهدموا الشام الحقيقية  
باسم أزمة السكن وأزمة المواصلات ! ؟ ؟

الشام ياسيادة الرئيس بكل بيوتها العربية الاصلية بكل ياسمينها  
وكبادها ، وليمونها ووردها وعنبها بكل أهلها البسطاء الطيبين ، الشام  
• بحاجة اليك •

الغوطة الزهرة المعطرة المثمرة أيها الانسان الكبير تحتمي بك ممن  
اعدائها أعداء الشجرة والانسان والحياة والحضارة فهل ستمسح دموع أهل  
الشام وشجر الغوطة !

الطوفان يلتهم دمشق التاريخ ، وأنا المح مركبك قادما ، لينقذ مدينة  
التاريخ ، وليسجل التاريخ بعد مئات السنين هذه الجملة الذهبية عنك :  
« ان العناية الالهية قد أرسلت لدمشق منقذا منذ ألف سنة فحماها  
من الدمار ورحمها وحفظها من الاندثار ، وكان حاكما محبوبا من شعبه  
عادلا لاينام على ضيم ، خرج من صفوف شعبه لينقذ شعبه من مؤامرات  
عديدة • اسمه حافظ الاسد وهو من أبناء منطقة الساحل السوري  
لا من أبناء دمشق » •

ان هولاءكو قد ترك أثرا سيئا على الحضارة والتاريخ ••  
وليكن اسمك ياسيادة الرئيس الفريق حافظ الاسد أبيض ناصعا  
في سجل الحضارة والتاريخ •  
اقتل هولاءكو العصر ياسيادة الرئيس حافظ الاسد قبل أن يقتل  
دمشق •

اطلقت صرختي لانقاذ ماتبقى من حضارة الشام وهوية الشام وروح  
الشام وأهل الشام •

واهتز ضمير الرئيس حافظ الاسد وأمر فوراً بمنع خروج أية أسرة  
دمشقية من بيتها المعرض للهدم والتنظيم في المدينة القديمة قبل أن تستلم  
مفتاح البيت الجديد في المدينة الجديدة •

ويشرفني أن أسجل في كتابي « يامال الشام » للتاريخ نص  
التوجيه الخاص الصادر عن رئيس الجمهورية بالحرف وقد التزمت به أمانة  
العاصمة والدوائر المختصة وعلى رأسها وزارة الادارة المحلية :

« صدر عن السيد رئيس الجمهورية حافظ الاسد توجيه خاص الى  
الجهات المعنية في الدولة ، يتضمن مايلي :

يحظر هدم ، منزل أي مواطن ، دخل في مخطط تنظيبي اشروع عام  
الا بعد تأمين السكن اللائق له • على أن يؤخذ بعين الاعتبار ، عدد أفراد  
العائلة ، ومكان المنزل الجديد » •

وطارت برقيات الفرح للرئيس من الاحياء الشعبية الاصيلة واهلها  
الطيبين ، وتحولت هموم الشعب الى أفراح .

ودق باب بيت أهلي في حي السبكي أكثر من مرة ليسلم فيها موزع  
البريد لامي وأبي في غياي برقيات الشكر من سكان الاحياء الشعبية  
المجهولين ، لابنة دمشق البارة .

ورن الهاتف في بيتنا أكثر من مرة ينقل الي أصواتا شعبية طيبة تلهج  
بالشكر وتدعو لي بالحظ وبالستر والصحة ، بكلمات عامية شامية عفوية  
محببة الى قلبي ، وهزت دموعي فرحا ، لانني قدمت جزءا صغيرا مما علي  
من ديون نحو مدينتي الشام ونحو أهل الشام في الاحياء الشعبية العتيقة ،  
فمسحت دموعهم وأسهمت في اعادة الطمأنينة الى قلوبهم ، والسكينة الى  
نفوسهم .

والشكر لاهل الشام الطيبين من الاعماق على ماغمروني به من متعة  
البكاء فرحا بهم وبأفراحهم .

ونهر من المحبة ينبع من قلبي ويصب في بحيرة الاسد على ما فعله  
وسوف يفعله من أجل دمشق وأهل دمشق .

ونهر من المحبة الاخوية العميقة لاول من شجع قلبي وأسلوبني الادبي  
منذ عام ١٩٦٣ ، ولاول من وافق علي طبع كتابي « يامال الشام » عام  
١٩٦٩ في مطابع الادارة السياسية ، ثم تفضل علي في مطلع عام ١٩٧٨  
وكتب علي طلبي :

« نعم مع الموافقة على اعادة الطبع في مطابع الجيش والقوات  
المسلحة . »

انه نهر من المحبة الاخوية الخالصة ينبع من قلبي ويصب في  
بحيرة « العماد مصطفى طلاس » نائب القائد العام للجيش والقوات  
المسلحة وزير الدفاع في الجيش العربي السوري ، الاخ الكبير والرجل الدمث  
والعسكري المثقف والقلب الطيب والانسان الفنان ، ابن الرستن قرب حمص  
الجميلة ، الذي عشق دمشق وأحبها وسكن فيها منذ مطلع شبابه ، وتفوق  
على أهلها في حبه لها ودفاعه عن تراثها ، فخدمها وخدم تراثها وأهلها بعمق  
وعفوية وصدق وكرم وأصالة عربية بدوية عريضة المشاعر عرض الصحراء  
العربية ، بفضل لا ينسى ، يسجل له بماء الذهب في سجلها الذهبي .



نهر من المحبة الاخوية الصادقة ينبع من قلبي للسيد العميد الركن ناصر الدين محمد ناصر مدير الادارة السياسية ، ابن مدينة حلب التاريخية العظيمة الجميلة ، الذي سكن دمشق وأحبها مدينة ، حبا متميزا يعادل حب أهل حلب للعاصمة دمشق ذات التراث والانهار والخضرة والرقعة والجمال منذ فجر التاريخ .

والشكر له من الاعماق على موافقته لطباعة « يامال الشام » في مطابع الادارة السياسية رغم ضغط العمل السياسي والعسكري والاعلامي والثقافي والفني ، وكبر حجم المسؤوليات ، والتزام المطابع بانتاج القطاعين العام والخاص من مجلات وصحف وكتب . والشكر له على كل ماغمرني به ، وبموضوعية كاملة ، من مساعدة معنوية وفنية كي يطلع الكتاب الذي يحمل روح التراث الشعبي الدمشقي ، والذي يطلق الدعوة للاجيال الحاضرة والمقبلة ، للحفاظ على الحضارة العربية للمدينة العربية ، وكي يخرج الكتاب للناس ثانياً في قمة كماله ، وكي يسافر «يامال الشام» الى عشاقه وقرائه في سورية وفي العواصم العربية والعالمية ، وهو صورة أقرب الى الكمال ، تعبر عن مدى تطور فن الطباعة في وطننا الحبيب سورية العربية .

نهر من المحبة الاخوية الكلية لأخي الكبير صلاح الدين الترجمان ، لاول من علمني عشق الحرف ، لاول من زرع في أرضي الخصبة الحمراء نبتة العلم والمعرفة ، وسار بي على درب الحياة الثقافية يؤهلني ويأخذ بيدي ماديا ومعنويا لنيل الشهادات العلمية العالية . يغذيني بالكتب الادبية العربية والاجنبية العالية ، ككتب طه حسين والمنتجبى والمعري ومصطفى صادق الرافعي وفولتير وشكسبير وأندريه جيد ، ويأخذني من يدي وأنا طفلة صغيرة يتوقع لها مستقبلا مغايرا ، الى حفلات الموسيقى العالمية في نوادي دمشق ، والى المحاضرات العلمية والادبية كمحاضرات الاستاذ زكي الارسوزي ، والى معاهد اللغات الاجنبية في دمشق ، والى دور السينما لاحضر اعظم أفلام السينما العالمية في الاربعينات والمأخوذة عن أشهر روايات الادب العالمي ، كمرتفعات وذرنيغ ، وكاري ، ولن تفرح الاجراس ، وذهب مع الريح ، وصراع تحت الشمس ، وصورة جيني ، ولاتعرف بدهشة على اعظم ممثلي الاربعينات كشارلي شابلن وانغريد برغمان وجريير جارسون ، وفيفيان لي ، وجنيفر جونز ، وتيرون باور ، واستر وليامز ، وأنا غاردينر ، وكاري كوبر ، ولوريل وهاردي وجريغوري بيك ولورانس اوليفيه وريتا هايوارث وجلين فورد وبيتي ديفز وكاري غرانت وكلاك جيبيل وفرنانديل وميشيل مورغان ، ومورين أوهارا ، وهيدي لامار ، وآلان لاد ، وستيوارت جرانجر .

ولاتعلم منهم مبادئ الحب الانساني الروحية والفكرية العالية .  
فكبرت وأنا أحمل المعاني المضيئة الخلقية والروحية عن الحب والحياة  
والجمال .

وكبرت النبتة وغدت شجرة تتغذى أوراقها من جذور الماضي الاصيل  
تمتص مستقبليها من نسغ الحضارة العريق للانسانية ، فيصعد الى عروقها  
والى وجدانها بلمسة يد ساحرة لآخ متقد الذهن متأجج الروح  
متطور النظرة ، ثابت القيم ، لمسة يد على روح وعقل أخت صغيرة أعدت بذكاء  
خارق لقدر متميز مرتبط بالحرف المضيء في زمن كانت الفتيات فيه محجبات  
وبالملايا السود .

انه نهر من المحبة الكلية لآخي المثالي العصامي وصديق عمري الذي  
شجعني على اعادة طبع يامال الشام وملؤه الفخر والحماسة .

انه حب من العمق لمن أصبح لي بعد أمي وأبي هو أمي وأبي .

المحبة لعميد أسرتنا ومثلنا الاعلى أخي صلاح الدين الترجمان ، المدير  
لعدة بنوك ومصارف سابقا ، والممثل حاليا للبنك الفرنسي - العربي في  
الكويت والخليج العربي «فراب بانك» .

المحبة لآخي صلاح أبو « الهدى » الجميلة الغالية التي جعلتني  
« عمه » سعيدة . أخي الكبير معلمي الاول في الحياة ، والروح القوية الهادئة  
التي تدفعني كالريح الالهية نحو قدري ككاتبة ، وتطير بي الى مواطن العطاء  
الادبي الانساني الرفيع .

أخي الانسان والشاب المثقف والمحب النقي المتفجر خلقا ونقاء وتواضعا  
وايمانا بالله ، وسعادة بالعطاء والعمل والمثل الدينية والاخلاقية والعلمية  
العربية ، الذي كان يعطي دائما وابدأ ولا يطلب الا رضى الله والوالدين ،  
وكانت سهام في بيتنا من صنع صلاح ككل اخوتها وأخواتها . انه عمود  
أسرنتنا الرخامي وعميدها حاضرا ومستقبلا . وكتاب يامال الشام منه  
واليه . . . والى جميع اخوتي وأخواتي وأولادهم . وكتاب يامال الشام  
من أمي وأبي وأرفعه الى روح أمي وأبي في الجنة .

نهر من المحبة اللانهائية لاستاذتي الكبيرة في الفلسفة والحياة والمحبة،  
لصديقتي الكبيرة صديقة الروح والعقل ، لامي الروحية منذ أيام مقاعد  
المدرسة ودروس المنطق وعلم النفس واللغة الانكليزية ، وحتى اليوم والى  
الغد ، السيدة جولييت عويشق الخوري ، استاذة الفلسفة باللغة الانكليزية  
في كلية الاداب في جامعة دمشق ، وزوجة رجل المال الراحل ووزير المالية

والاقتصاد السابق وعضو مجلس الشعب جورج الخوري . هي ابنة دمشق العريقة التي ولدت في حي باب توما القديم قدم دمشق ، النائم بسلام داخل سور دمشق ، الذي فتح على يد خالد بن الوليد . هي حفيذة اخوتنا المسيحيين الدمشقيين العرب وأبناء عمومنا الذين فتحوا الابواب لابناء عمومهم قادة الفتح العربي الاسلامي وأعطوهم مفاتيح دمشق بيد المحبة والفرح ، فرح العربي بالعربي .

هي بالنسبة لي العقل الام والذبح الحي الصافي الذي شربت منه وما زلت أشرب حتى الارتواء ، نسخ الشعور العربي الاصل والكبرياء العظيم في الانتماء الى الارض العربية والقومية العربية واللسان العربي ، والمصير العربي الموحد ، بعيدا عن تقليد الغرب والعربيين . هي استاذتي وصديقتي الدمشقية العربية المثقفة الكبيرة التي عشقت دمشق الحضارة وسوريية الحضارة عشقا صوفيا ، وأحبت وشجعت كل من عمل على تكريس التراث والشخصية العربية للانسان العربي وللمدن العربية ، وللاثار الحضارية في الارض العربية السورية عبر العصور .

المحبة لها استاذتي التي تتغنى بكتابي كانشودة عذبة كلما التقت عربيا أو أجنبيا ، تتباهى بكتابه « يامال الشام » وبطالبتها التي كبرت ودخلت دائرة العطاء الادبي .

نهر من المحبة الاخوية الغامرة لاستاذي الكبير واستاذ الجيل ، المثقف الحقيقي المتواضع بحر اللغة والفكر والادب وتيار الحس العربي المتدفق ، الاستاذ والمربي الكبير نخلة كلاس رئيس تحرير « المجلة العسكرية » العلمية الرصينة والاستاذ لمادة التاريخ في الكلية العسكرية سابقا ، ابن مدينة حماه المتفجر كبرياء بانتمائه للعشائر العربية البدوية في بلاد الشام قبل الفتح الاسلامي ، المتدفق اعتدادا باصالة الحرف العربي والمدن العربية .

العربي الذي اعتمد القرآن العربي الكريم حجة للغة العربية واللسان العربي ، الانسان الحموي المتيم عشقا بالشام عاصمة عربية الجوهر والشكل والقلب واللسان ، الواقف معي ومع من يعمل على تكريس الحضارة العربية وخلودها وانبعاتها .

ونهر من المحبة الاخوية الصافية الصادقة يصب في بحيرة الزميلين الصديقين الفنانين ، العقيد محمد سليم صهيوني والنقيب محمد شريح طيارة على كل ما قدماه من عناية فائقة وما بذلاه من جهد وصبر واشراف

على فن الطباعة الرفيع الذي حظي به كتاب « يامال الشام » حتى تفوق على نفسه في الطبعة الاولى . والشكر لهما من أعماق دمشق .

ونهر من المحبة يصب في بحيرة كل عامل من أسرة عمال مطابع الادارة السياسية ، أصدقائي وأخوتي العمال الذين أحبوا « يامال الشام » واحتضنوه وطبعوا حروفه وهم يبتسمون له بسعادة ومحبة وتقدير وفخر . الذين عانقوه ودللوه وكأنه ابنهم الوحيد . وهو بالفعل ابنهم البار الذي أخذ ملامحه الجميلة من قلوبهم البيضاء ، ابنهم الذي لا ينسى لهم الفضل وكرم النفس وصفاء السريرة والقدرة على تحمل التعب والسهر ، والحرص على تجاوز الخطأ أصغر خطأ مطبعي . ومن اخلاصهم في الماضي والحاضر أخذ « يامال الشام » صيته وشهرته ، وحظه ونجاحه .

من القلب ينبع نهر من المحبة ليصب في بحر القراء الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، « الطرفاء » منهم خاصة ، الذين استعاروا الكتاب من أصدقائهم ولم يعيدوه . « اللصوص الاشراف » منهم الذين سرقوا كتابي « يامال الشام » من مكتبات أصحابهم وأقاربهم أثناء غيابهم لاعداد القهوة ، ثم اعترفوا بعملية « السرقة القانونية » والوحيدة التي لا يعاقب عليها القانون ، اللصوص الذين اضطروا للسرقة بسبب فقدان كتابهم المفضل من الاسواق ، ثم أعلنوا استعدادهم للتعويض المادي لأصحابه مع الاصرار على رفض اعادته .

الحب كل الحب للقراء الاعزاء الذين دفعوا عشرات الاضعاف ثمنا لنسخة يتيمة في احدى المكتبات .

انهم كلهم في قلبي كالبلسم . ومن أجلهم أعيد طبع الكتاب ، ومن أجل من لم يمل السؤال ومن لم يتعب في السؤال عن « يامال الشام » في المكتبات ، وفي بيتي ومكتبي رغم مرور تسع سنوات على نفاذ الطبعة الاولى .

هذا البحر من قرائي هو سعادتي الكلية ، لانه يحب الشام مثلي وأكثر . ونهر من المحبة بحجم الفرات ودجلة والعاصي وبردى والنييل والاردن والليطاني ، وبانياس ، ينبع من أعلى قمة في قلبي الابيض المغطى بالثلج والشمس ليصب في هذا البحر العظيم .

# رشة مازهر

إذا كان كتابي « يامال الشام » الذي غمره الناس من أهل الشام وعشاق الشام ، بحب ماكنت أحلم به ، كأساً منعشاً من « مية الفيحة » الباردة الطيبة الصافية العذبة في ليلة صيف مقمرة من ليالي الشام الحارة ، تبرد الروح الى الصدر ، فان ماكتبه الصديق الدكتور صباح قباني ابن دمشق العريق عن كتابي « يامال الشام » هو « رشة المازهر » التي عطرت وتعطر الكأس بعطر زهر النارنج والليمون في بيوتنا الشامية العربية العتيقة المعتقة كدن من النبيذ العربي في أقبية الكنائس العربية القديمة .

بيوتنا . . . سقى الله أيامها ، بيوتنا العربية الدمشقية التي انهدمت أمس وما تزال تنهدم اليوم .

« قمقم المازهر » في يد صباح قباني الدمشقي الفنان المصور الانسان الاديب الديپلوماسي ، يعطر أعمال الاصدقاء الادبية والفنية بالمحبة . « يرشرش » المازهر على الناس بسخاء كأنه في « مولد النبي » أو في « عرس شامي » . قد عطر كتابي وعطرنى بالمازهر ، ورد الروح الى صدري .

« ومية الشام » هي اطيب ماء في العالم ، الا انني تعودت ان اشربها احياناً مع المازهر كأمي وخالتي وعمتي . وهو تقليد دمشقي أحب أن يظل حياً في بيتي وبيوت أهل الشام ، وأتمنى لو يمتد عبر الدمشقيين القدامى من الدمشقيين المعاصرين الى الدمشقيين المقبلين .

لاذكر اني قدمت فنجان القهوة لضيوفي في صينية الا ومعه كأس الماء البارد ، وقمقم المازهر وفنجان قهوة آخر فيه ماء بلا بن وفيه فلة أو زنبقة أو زهرات ياسمين لو أتاني ضيوفي صيفاً ، أو « وردة دمشقية » حمراء بلون شمس العصر ، أو قرنفلة بيضاء أو بضع بنفسجات مع اوراقها الطرية لو أتاني ضيوفي شتاء تحت المطر . وكم يحترار ضيوفي هل يشرب القهوة ؟ أم يشرب البنفسجة ؟ أم يشرب المازهر ؟ أم يشرب الشام !! ؟



مؤلفة يا مال الشام سهام ترجمان

الفنان عبد القادر النائب - أريحا - حلب



وخالة أمي ، « أم جعفر » أخت ستي « أم عزيزة » . كانت تصلي صلاة الصبح حاضر ، ثم تشرب قهوة الصبح في مشرقة بيتها مع « شقف » زريعته المدللة ، وتجلس « لتقطف » على « فلاتها » مع طلوع الضو .  
وأنا اشرب قهوتي مع فلة واحدة . وبين زمني وزمن خالتي الف فلة وفلة .

في مشرقة خالتي وديارها الف تنكة فل وفي ديار بيتنا العربي العتيق ومشرفته الف تنكة فل وفي شرفة بيتنا الاسمنتي الحديث تنكة فل واحدة بقيت لي من « ريحة أمي » ، هي فلة أمي ، أسقيها وأدلها وأخاف عليها .

وأحاول في هذا الزمن أن أعوض عن تنكات الفل التي كان يعنني بها أبي بيديه ، « ويقصصها » ويرببها كما يرببنا على العز والدلال ، والتي كانت تسقيها أمي الشاي البارد بلا سكر ، « والاجاز » تأتي به من عند « برو العطار » وتطعمها من حبات قلبها كما تطعمنا وتسقيننا ، أحاول إعادة الزمن الى الوراء ، بان أسقي فلة أمي بماء القلب ، بان ارش « دمعة المي » بالمزهر فترتد روحي الى صدري وأتذكر أني مازلت بالشام ، أعوض مافات بأن أنفخ في صدور الدمشقيين الشباب الروح الدمشقية العظيمة التي تقدر وتحب الله والانسان والحياة والحب والارض والحيوان والنبات والماء والشمس والقمر والجبل والنهر .

لم اجد تشبيها لكلمات صباح قباني عن كتابي « يامال الشام » ، أحلى من المازهر . حبي للشام ، ولكل من يحب الشام ، لاحدود له يعادل حبي للانسان للانسانية للعالم للحياة .

وإذا كان للمدن روح ، فانا أحس احساسا صوفيا وفطريا حقيقيا عميقا بأني « روح الشام » منذ خمسة آلاف سنة مرت وحتى خمسة آلاف سنة آتية .

وكأني ما أتيت الى هذه الدنيا الا لاكون دمشقية ، افهم دمشق واحبها واكتب عنها وارسمها وأحملها داخلي وأمشي ، وأرسم لوحات حارة الالوان عن حاراتها وعن اهلها وحياتها وماضيها .

وإذا كان قدر المرأة أن تحب رجلا واحدا كاملا يسيطر على خط حياتها ، فانا أعترف أمام التاريخ ، امام الكل ، بان عشقي الكبير هو عشقي « لمدينة » وأية مدينة ؟ هي دمشق أقدم مدينة في التاريخ . مدينة لها سر الهي قدسي ، لها سحر تاريخي روحاني صوفي حضاري عربي ، لها علاقة صميمية بخط



اللانهاية النابع من الصحراء العربية وقبة السماء العربية ، بالقوس العربي  
بقباب الجوامع والكنائس .

الشام تشد المؤمنين والمتصوفة ، لانها كما تؤكد العجائز المؤمنات من  
نسائها :

« الشام سرها مقدس والله حامياها » ، ولانها « شام شريف »  
كما يعتقد الحجاج المارون بها الى الاراضي المقدسة والى « القدس » والى  
« مكة المكرمة » لاداء فريضة الحج . ولانها المدينة الفاضلة كما يؤكد  
المهاجرون من سكانها اللاجئين اليها عبر التاريخ، الذين اختاروها وطنا ثانيا  
لهم يضمهم بحنان وحب وكرم . فالشام قلب ما تعود الا أن يجب ويضم .  
ولانها المدينة التي مر بها ووصل اليها الانبياء والرسل والقديسون . جنوبها  
تماما عند « القدم » وصل النبي العربي محمد عليه السلام . وعلى طريقها  
على طريق «دمشق» وعلى الشارع المستقيم مشى «القديس بولس» ومر من  
الباب الشرقي للمدينة لينشر الدين المسيحي في العالم . ولانها المدينة  
الجميلة ذات الطبيعة الاخاذة التي تشد السياح والشعراء والفنانين والعلماء  
والباحثين والمؤرخين والملوك وأبطال التاريخ ، يعيون من سحر « اللوحة »  
التي تتعانق وتلتحم فيها بيوت المدينة العربية القديمة واحياؤها وحاتها  
واسواقها وجوامعها وكنائسها ببساتين الغوطة موطن «فصل الربيع» في  
الدنيا ، بنهر بردى بفروعه السبعة : بجبل قاسيون الاجرد ببادية الشام  
تحيط بالغوطة ، بالسماء الزرقاء تضم المدينة بفرح بصفاء بحنان ، بالشمس  
تبعث فيها دفء الحياة وحرارة الحب . دمشق الشام هي « الحب » . ان  
قدري كامرأة هو دمشق قلب سورية الحبيبة وقلب العروبة ، وعاصمة  
الابطال والحرية والياسمين .

ان حبي لمدينتي قد سيطر على الازمنة الثلاثة في خط عمري . «فالشام»  
هي ماضي وحاضري ومستقبلي . وأما الزمن الرابع الذي يلي خط عمري ،  
فهو زمن متحد بالشام حتى درجة الديمومة والخلود . هو زمن «حي»  
سيتعشق الشام كازمنتي الثلاثة ، كما يتعشق « الصدف والعظم وعروق  
القصدير» خزانة أمي المتوجة بتاج عال كتب عليه بالخط العربي كلمة أناحبها  
هي كلمة «ياقاضي الحاجات» . كما تتعشق حبات الصدف البهر كألماس جهاز  
عرس أمي « عزيزة » « وبيرو » ستي « أم عزيزة » وكما تتعشق الايات  
القرآنية الكريمة والاشعار العربية والحكم الشعبية ، الخشب «المحفوظ»  
الحفور المزخرف الملون في « كتابي وخراستين » حيطان « القصر » تلك  
الغرفة العالية التي كان ينام فيها « أبي فهمي » ، وكما يتعشق النحاس

عروق الفضة في «صدر ومنفل» ستي «أم فيمي» • وكما تتعشق الاساور الذهبية وخواتم اللؤلؤ والماس والعقيق والزمرد والفيروز أصابع الصبايا الشاميات وزنودهن •

الشام ، المدينة القديمة تتعشق عمري كما تتعشق «عروق الياسمين» خشبات الدرايزين المسوس على درج بيتنا العالي الذي تخيم عليه دالية العنب الزيني ، وكما تتعشق أوراق «الخميسة» حيطان وسقوف وشبابيك وبيوت حارتنا ، وكما تتعشق «حشيشة المي» وازهار «الاضاليا» «والنوليا» ، وأشجار الاكيدنيا والليمون الحامض والكباد والليمون الحلو والنارنج ودوالي العنب الزيني والاسود ، تراب أحواض ديارات بيوت جيران العمر الطيبين الاعزاء الاحباء الاقرباء كالاهل وأكثر : بيت عمي «أبو ماجد» عبد العزيز الكيلارجي ، الطلبة بالطلبة ، والقلب على القلب • وبيت الصباغ وبيت المرتضى وبيت عوض وبيت الليموني وبيت الفني وبيت العشا وبيت الطرابزونلي وبيت ظريف أفندي ، وبيت الدالاتية وبيت السقا أميني وبيت القحف وبيت الباش امام وبيت الديرى وبيت النحاس وبيت فوزي صبري بك وبيت غلا الحليب وبيت عصاصة وبيت ظاذا ، وبيت الترك ، وبيوت كثيرة أذكرها أذكر أبوابها ، ولا أذكر عائلاتها •

تبدأ بنزلة القره ماني من سوق ساروجة «مواجه» حارة «قولي» •

حارتنا ، حارة القره ماني لها قوس • على كتفها الايمن دكانة عمي «أبو راشد» البقال كامل الاحمدي واخيه مظهر الاحمدي •

حارتنا ، تنتهي بحمام القره ماني وبدكانة مجيد الفوال وسوق العتيق على «أيدك اليمين» وتنتهي من «ناح» بيت المرتضى وبيت ظريف أفندي على أيدك الشمال بخان الزيت والقطران من «ناح» بيت الدالاتية • ومن خان الزيت «بتنفد» على سوق العتيق وسوق التبن والزرايلية وسوق الهال عند السكة • وحارتنا «بتنفد» قبل خان الزيت على أيدك الشمال على سوق ساروجة عند حمام الخانجي وقصر العظم وطلعة سوق الهال وحارة السمانة •

في حارة القره ماني ، في قلبها تماما ، وبين المفارق الثلاثة كان يقع المركز الاستراتيجي لشحاد حارتنا الطيب العجوز الشهير «أبو دعاس» ، الذي كان يتنافس عليه مع الشحاد أبو عبسو ، والذي يتبادل فيه الشجون حول الحياة والزوجة والاولاد مع أبو انور بياع القرمس والبليلة أبو المسلة • وكان أبو دعاس يتسابق على احتلال «مصلبة» القره ماني مع

شهادة حارتنا وحاترات الشام «المجدوبة» «أكرام» وأمها • وأحياناً  
يتزاوّل من مرور الشهاد المجنون الذي يطلب الحسنة شعرا ، في يده عصفور  
من الشمع مزين بالورود الشمعية ، مغنيا :

« عصفوري يا عصفور » مارا تائها بالحاترات طالعا نازلا من التراموايات  
المسافرة من المرجة الى الشيخ محيي الدين في الصالحية والمهاجرين والعمارة  
وباب توما والقصاع والميدان ودوما •

وما زالت الشهادة « اكرام » تتفتل بملايتها السوداء المتسخة المرقعة  
في حارات دمشق الشعبية القديمة ، وفي شوارعها البورجوازية الحديثة حتى  
اليوم ، وما زالت أعطيها « حسنة من مال الله » وتدعو لي « بالرزقة » وأنا  
ابتسم لها بعين دامعة ، وارتفع سعر الحسنة من قرش سوري من خرجيتي  
الى ليرة سورية من راتبي ، بين زمنين يفصلهما ثلاثة وثلاثون عاما ، وبين  
حين قديم شعبي اسمه «سوق ساروجة» وحديث أرسنقراطي أسمه «أبو  
رماننة» •

وعلى هذا الفرق في حارة القره ماني الذي جف قربه «السبيل» ، وكانت  
وما تزال تطل على الحارة « أخصاص » شبابيك « فرنكات » بيوت خمسة  
متجاورة بيت الترجمان وبيت الكيلارجي وبيت المرتضى وبيت عوض وبيت  
الصباغ ، تمتد وتحنفي وراءها رؤوس البنات والصبايا والزوجات في هذه  
البيوت ، ترى المارة وتسمع حواراتهم وترى من يدق سقاطات الابواب  
النحاسية ، دون ان يميزها أحد وكأنها أشباح لكائنات شرقية حبيبة جميلة  
تدق لها القلوب ، وظلال لنساء محجبات وجنيات عربية عاشقة ، تجن  
بعاشقها ويجن بها •

خط عمري من أوله الى مالانهاية يتعشق هذه المدينة العتيقة « الشام »  
كما تتعشق « السناتني » قمريات ومندلونات قاعات وصاليات ومربعات  
أهلياتي في حارات : البحصة والشالة وقولي والمفتي والورد والعبيد وبنق  
والسمانة « محل ماضوع القرد ابنه » ، والعمارة، ومادنة الشحم والشاغور  
وباب بريد والقنوات والبريدي والسويقة وعسقلان وباب مصلى ومز  
القصب •

تماما كما نتعشق « كشة الحمام » «أسطوح» حيماتي حارتنا ، وكما  
نتعشق المطر مزاريب اساطيحنا المطينة بالطين الاحمر والقش ، وكما نتعشق  
صغار قظتنا المدللة « شامة » النوم والنفخ « والقراءة » في أعبابنا تحت  
الحف في ليالي الشتاء المطرة وتحت الدلف وكما نتعشق الخرمشة والنط  
واللعب بكرأكرنا وبين ايدينا وبين زريعات أحواضنا ، والنوم والكسل

والمطمطة والرضاعة على فروة جلد الخروف الابيض ، المدودة على قواطعنا أو طرايحنا أو فوق سجادتنا أو بساطنا أو حصرتنا ، أو كما تتعشق أكل « الشخت » في مطابخنا ، أو سرقة اللحم و السمك من مطبخ جيراننا ، عندما تكبر وتبدأ قفز الطبلات الى بيوت الجيران .

روحي تتعشق الشام كما تتعشق الدبابير والزلاقط عناقيد عنب دالية مشرقتنا ، وكما يتعشق الحطب النار المجنونة الهادرة داخل « الحربة » تلك الصوبا العريضة التي تشوى « الكستنا » في الرماد تحت بابها المشقوق في عز كوانين في « أوضة » قعدتنا وسهرتنا ، وكما تتعشق روائح قلي « البيتنجان المقطوف المقلي بالزيت » أجواء بساتين « المزرعة » حول مياه « عين الكرش » الصافية ، على بابور الكاز وفي مقلاة بيتنا ونحن برفقة منا وأبيننا أيام الجمع وفي عظة مدارسنا .

الشام تتعشق عمري تماما كما تتعشق أمسيات الشام الغابرة وليالي الصيف الساحرة انغام أوتار آلة « العود » ، الآلة الموسيقية الدمشقية ألحان « البشارف » كيشرف « طايطوس » وبشرف « حجاز كار كرد » وبشرف « عثمان بك » وبشرف « سماعي » ، وألحان الدولاب والتقاسيم والموال والاغاني ، المنتشرة كالسحر من عود « النحات » وريشة الملحن والموسيقي الدمشقي « صبحي سعيد » من ليوان بيتنا .

الشام تتعشق عمري ، تتعشقه قبل ولادتي وعلى طول خط العمر وبعد الموت .

• الشام هي ربيعي وصيفي وخريفي وشتائي .

والشام هي أمي وابي واختي واخي وزوجي وحببي وابني وابنتي وحفيدي وحفيدتي وجدي وجدتي وصديقي وصديقتي وجاري وجارتي .

الشام هي كل أهل الشام ، كل الذين عاشوا فيها وماتوا فيها وكل الذين يعيشون فيها وكل الذين سيعيشون فيها .

• الشام هي اقربائي ، هي أخوالي وأعمامي وخالاتي وعماتي .

الشام هي العائلات الشامية العريقة « المشرقية » التي انتمي اليها من أهل أبي : بيت الترجمان وبيت البصراوي وبيت السادات وبيت الحلبي وبيت شاهيني وبيت القطان وبيت الادلبي وبيت الشريف وبيت طالو آغا وبيت الصافي وبيت الطحان وبيت بركات وبيت المحتشم وبيت العابي وبيت الاسناذ وبيت الناظر وبيت جليلاتي ، وبيت شعبان وبيت جبيري وبيت العجة وبيت الاسطواني وبيت عودة وبيت مراد .

والشام هي العائلات الشامية « المغربية » الجزائرية الاصل التي أنتمي اليها من أهل أمي في حي الميدان وحي السوقية : بيت الحبال وبيت الينيوي الجزائري وبيت البهلول وبيت الشريف وبيت خليفاي وبيت اليحيوي وبيت اليعقوبي وبيت ظبيان وبيت دبا وبيت الطويل وبيت الهاشمي وبيت المجد وبيت بركات وبيت جمعه وبيت ساريح وبيت الطيب المغربي وبيت الطيب المبارك وبيت عمار وبيت شيخ مشرقة .

دمشق الشام هي الاسر الدمشقية العريقة من جبراني وأهلي والعائلات الدمشقية الكثيرة من المعارف والاقارب والاصدقاء ، فعائلات دمشق كلها تربط بينها صلة القرابة بسبب تزاوجها من بعضها اذكر منها : بيت القبانى وبيت سكر وبيت جبري وبيت النوري وبيت المهامني وبيت حباب وبيت المحلجي وبيت الاشمر وبيت البيطار وبيت الميداني وبيت الطباع وبيت القوادري وبيت القوتلي وبيت البكري وبيت الزين وبيت الخرسا وبيت العابد وبيت اللحم وبيت القصاب وبيت دياب وبيت بقدونس وبيت الزهرة وبيت قشلان وبيت شغليل وبيت القضمامي وبيت حمودة وبيت مراد وبيت حقي وبيت الادلبي وبيت الجلاد وبيت قطرية وبيت اكريبوز وبيت الحلبي وبيت الحمصي وبيت الحموي وبيت المرابط وبيت النحاس وبيت عربي كاتبي وبيت البني وبيت الطرابلسي وبيت القربي وبيت القلعي وبيت لوستان وبيت الشرجي وبيت الترك وبيت بوظو وبيت القطب وبيت ملص وبيت الخوري وبيت عويشق وبيت ملوك وبيت شامية وبيت الشمس وبيت أبو شعر وبيت سبع وبيت اسبر وبيت لويس وبيت الخباز وبيت قشيشو وبيت الشلبي وبيت فرح وبيت مالك وبيت قندلفت وبيت كساب وبيت العبسي وبيت مشاقفة .

دمشق هي أهل الشام وأهلي .

ولدتني « امي عزيزة » أول مرة في حي « العمارة » في كانون أول ١٩٣٢ وكانت الدنية « تلج » . وولدتني « أمي الشام » ثاني مرة في حي « السبكي » في ٥ حزيران ١٩٦٧ وكانت الدنية « حرب » .

وبين الولادة الاولى والثانية كانت الشام تولد داخلي وتتشكل .  
وبين نقطتين ، وبين بيتين ، وبين زمنين ، ولد تقدي ككاتبة من خلال مدينتي العربية القديمة .

وبين احياء دمشق العربية القديمة العتيقة الشرقية الطبع ، العمارة ، سوق ساروجه ، الميدان ، القنوات ، الشاغور ، القيمرية ، الصالحية .

المهاجرين ، باب توما ، الحميدية ، وبين أحياء دمشق الافرنجية الحديثة الغربية الطبع ابو رمانة ، السبكي ، المزرعة ، المالكي ، المزة الجديدة ، شارع بغداد ، التجارة ، تمت ولادة الحقيقة من التناقض . وتمت ولادة كتاب «يامال الشام» من احساس بالخطر ، ومن خوفاً على «الشخصية العربية للشام » من تهديد العدو الاسرائيلي بالاحتلال ، ومن تهديد معول الحضارة المعاصر المزيف بالابادة والهدم .

تمت ولادة « الشام » الاصلية من رحم الروح عندي وصرت أما لاكبر بنت .

يكاد « قدرتي » يضيعني حيرة ، بين ان أكون بنتا للشام أو أما روحية للشام !!

بين أن أسكن الشام أو تسكنني الشام !! بين أن أكون جسداً بشرياً روحه مدينة من البيوت العربية والبساتين والانهار والجبال ، أو أن تكون الشام « مدينة » ببيوتها تارة من الطين والماء والخشب والقش واللبن والحجر والرخام والزجاج الملون والزهر والشعر والشجر والحب ، وتارة من الاسمنت والحديد والالومنيوم والزفت والبلاط وحب الذات وحب المال . مدينة قديمة – جديدة ، تستوطن صدر امرأة من لحمها ودمها ، امرأة من لحم ودم ، مدينة روحها امرأة من نساؤها .

مسؤولة انا عن الشام الاصلية مسؤولة الفارس العربي عن الفرس العربية الاصلية المنسوبة . ومن يحب يعرف معنى مسؤولية المحب امام الحبيب .

مامضى من عمري لها ، تلك الفرس العربية الاصلية المنسوبة . وما تبقى من عمري لها . وان قدر لي أن احمل مسؤولية تسجيل كل كلمة قالتها الشام وكل حكمة ، من خلال حبي وأعجابي وقلمي ووهج الحضارة داخلي ، فأنا عند قدرتي .

وما اكتبه عن الشام لا اكتبه أنا ، وانما تكتبه روعي ، الشام نفسها ، العصفورة التي بنت عشا لها في صدري ، فيه تغني وفيه تطعم صغارها وفيه تنام . القلم بيد أهلها الطبيين لا بيدي ، الريشة بيد « معلمها » الجهولين في العنارة لا بيدي .

لا شك في ان الله يحب الشام .

لا شك في ان الله يحبني .

لاشك في ان الشام تحبني كما أحبها وأكثر حتى تخصصني بهذا الفيض  
الروحي .

والشام كمدينة لها شخصيتها المتميزة هي وتاريخها وأهلها وبيوتها  
وعاداتها وتقاليدها ، انما هي رمز للتراث العربي العام « لبلاد الشام » التي  
تمتد من سقي الفرات الى سقي النيل كما جاء في رأي العلامة المؤرخ الدمشقي  
« محمد كرد علي » في « خطط الشام » .

وكان كتابي « يامال الشام » لوحة من الحب اودعتها كل الحب للوطن  
عبر المدينة دمشق ، وكل التقديس لحضارة بلاد الشام عبر حضارة الشام .  
لوحة رسمتها بريشة غمستها في قلبي وعقلي وطفولتي وشبابي ، وماضي  
وحاضري ، وغفويتي وفلسفتي .

- في ربيع عام ١٩٦٩ صدرت الطبعة الاولى
- وفي خريف عام ١٩٧٨ تصدر الطبعة الثانية .
- نفذت الطبعة الاولى من زمان .

واشتعل لهيب البحث عن « يامال الشام » واشتعل السؤال ، واشتعل  
الفرح في قلبي واشتعل سعر الورق في العالم .

وبكل فرح وبكل تواضع أقول : لشدة لهفة « عشاق الشام » على اقتناء  
« يامال الشام » كتابي « المحفوظ » ، كان لابد من طبعة ثانية سريعة  
تضم بعض الصور الجديدة وترد اللفظة وتسقي عطش الشوق .

وكنت خلال الاعوام التي مرت اخفي في الضلوع سرا أريد أن أكتشف  
الستارة عنه عندما تكتمل بين يدي « القطع الجديدة الفولكلورية » عن الحياة  
الدمشقية الشعبية بلهجة أهل الشام العامية ، تكمل في الطبعة الثانية روح  
النصف الاول من الطبعة الاولى ، وهو النصف الذي كتبت فيه عن الشام  
بروح البيت العربي الشامي المبني بطين الارض والمحبة .

الا ان نفاذ الطبعة الاولى من سنين ، ولهفة الناس على الكتاب ، قد  
أجبراني على تأجيل نشر « القطع المثيرة الجديدة » حول أدق ما في حياة أهل  
الشام من نعومات وتفصيل ، الى الطبعة الثالثة التي سابدأ بها مباشرة بعد  
صدور الطبعة الثانية باذن الله .

وسوف تكون الطبعة الثالثة وتقا على اللوحات الشامية بلهجة هي بين  
العامية والفصحى ، دون الخواطر الادبية الفكرية والفلسفية التي جاءت باللغة

العربية الفصيحة • تماما كما أراد صباح قباني وكل المعجبين من اصحاب الرسائل الغالية على قلبي والتي سأنشرها كلها في الطبعة الثالثة كوسام على صدر « يامال الشام » ، هذا الكتاب الذي أحبه الناس لانهم هم قد كتبوه • أحبوه لانهم يحبون أصلاتهم وحضارتهم وتراثهم ومدينتهم وعاصمتهم ، لانهم يحبون كل مدينة وكل قرية عربية ذات نفس أصيل •

وكان عشق الفنان العربي السوري الكبير عبد القادر النائب ابن أريحا - حلب ، لفاتن الشام مدينة عربية حضارية الصورة والجوهر ، وكان أعجابه « يامال الشام » ككتاب ، مبعث حظ كبير لي ولاسرتي الدمشقية •

فقد أحب فنان «البورتريه » الاول في سورية ، «ملك البورتريه » كما سماه « العماد مصطفى طلاس » نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية، أحب عبد القادر النائب أن يخلد صورتي ككاتبة شامية ومؤلفة لكتاب « يامال الشام » وعاشقة للشام بلوحة زيتية يهديها لمن سوف يسأل عن الادبية الشامية سهام ترجمان بعد مئتي سنة او ألف سنة • لاننا - يقول عبد القادر - كنا نتمنى في هذا العصر لو تركت لنا « ولادة » الشاعرة الاندلسية عاشقة الشاعر ابن زيدون وحبيبة ابن زيدون، لوحة فنية بريشة فنانني عصرها، تخلد صورتها الحقيقية التي تغنى بملامحها الشاعر الاندلسي المحب • فقد عرفنا من شعرها أنها كانت بيضاء ذات شعر أشقر وعينين سوداوين • أتصورك ياسهام «ولادة» معاصرة ولدت هذه المرة ونبتت في الشام نبع الاندلس • وكانت لوحتي • وبلغ حب الفنان وفهمه لشخصيتي أبي وأمي من خلالي وخلال ماقالاه لي في القطع الشامية ، مكانة تعادل حبه وفهه للشخصية الدمشقية ودمشق مدينة وعاصمة نفخر بها ذات شخصية آسرة بين مدن الغرب والشرق • وخلد الفنان وجهي أبي وأمي بلوحتين من ألوان الباستيل الشفافة •

وهذا هو الحظ الذي دعت لي به « أمي عزيزة » « أم صلاح » عندما قالت لي :

« روعي ربي يأتيك بالخط ياسهام » • وهذا هو الرضى الذي كسبته من « أبي فهمي » «أبو صلاحين» عندما كان يقول لي :

« الله يرضى عليها هالحلوة » وكان اسمي عند أبي الحلوة •

وكم يملأني شعور الفخر وكم تجتاحني السعادة بهذا اللقاء بين قلمي المتواضع وريشة عبد القادر النائب العبقري •



وكم ستكون روعي راضية بعد الموت وبعد مئات السنين ان يحكى عني  
 ككاتبة شامية بأنها التقت في عصرها مجموعة من أعظم الاساتذة والاصدقاء  
 والادباء والشعراء والفنانين والعلماء والموسيقيين والمطربين والموهوبين والاثرياء  
 بالروح والاغنياء بالعتاء والمحبة وحب الشام مثل زوجي الشهيد النقيب فؤاد  
 محفوظ العسكري المثقف ابن قرية ديرماما - مصياف - حماه ، وابن حمص  
 الصديق المثقف أحمد اسكندر أحمد ، والشاعر نزار قباني ، والصديقة  
 ابنة طرطوس نجاة مرقبي خدام ، والفنان عبد القادر النائب والموسيقي  
 صلحي الوادي والفنان عفيف بهنسي والديبلوماسي صباح قباني والفنان  
 الرسام الراحل أدهم اسماعيل والاديب الراحل صدقي اسماعيل والفنان  
 الرسام نعيم اسماعيل والعلامة الاثري خالد معاذ والاديب سلمى الحفار  
 الكزبري والضابط المثقف اللواء غازي أبو عقل ، والضابط  
 العاشق لدمشق اللواء عبد الغني ابراهيم ، وابن دمشق البار اللواء عبد  
 الرحمن خليفوي ، والعقيد البحري الراحل عدنان لويستان ، والمثقف جورج  
 صدقني ، والمهندس وليد ملحس ، والمربي الكبير الاستاذ نخلة كلاس ،  
 ورجل المال والاقتصاد الراحل جورج الخوري ، واستاذة الفلسفة جوليت  
 عويشق الخوري ، واستاذ الفلسفة الدكتور بديع الكسم وزميل الدراسة  
 انجامية أحمد الخطيب ، والخباط الفنان علي صندوق ، والصائغ المبدع  
 جورج ساركة ، وفنان الكاميرا الاول مروان مسلماني ، والاستاذ المترجم المثقف  
 الدبلوماسي الراحل سامي الدروبي ، وعالم التراث والاثار الراحل عبد القادر  
 عياش ، والشاعر محمد الحريري والدكتور الطبيب الراحل صبري القباني  
 والطبيب الدكتور سليم حاصباني والمحامي نجاة قصاب حسن والصحفي  
 نشأت التغلبي والاذاعي يحيى الشهابي والمذيعه عواطف الحفار اسماعيل  
 والناقد سعيد الجزائري والمذيع الرسام مروان شاهين والممثلة منى واصف  
 والممثل هاني الروماني والاديبه كوليت خوري والفنان خضر الشاعر والروائي  
 شكيب الجابري والشاعر سليمان العيسى والقاصة الشامية الفت ادلبي  
 والفنان الرسام ناظم الجعفري والناقد محيي الدين صبحي والشاعرة نادية  
 الغزي والفنان المؤلف والمخرج والممثل دريد لحام والناقد خلدون الشمعة  
 وابن دمشق برهان قصاب حسن والطبيبة الدكتورة ماجدة بركات ، والمذيع  
 توفيق حسن وأستاذ الفلسفة الدكتور عبد الكريم اليافي ، والرائدة العربية  
 الاولى الراحلة عادلة بيهم الجزائري واستاذ الفلسفة الراحل الدكتور جميل  
 صليبيا وأخي رجل المصارف صلاح الدين الترجمان والدبلوماسي عدنان  
 عمران ، والوزيرة الاولى الدكتورة نجاح العطار ، وزميلات المدرسة

وصديقات العمر دلال قطرية واحسان محمودي وسعاد غصن سلوم ،  
والشاعرة عزيزة هارون والصديقة امتثال لوستان والصديقة نايفة نصر  
والفنان الياس زيات والقصصي زكريا تامر والاديب جمال الفرا والملحن عبد  
الفتاح سكر والروائي حنا مينه وصوت فايزة أحمد وصوت أسمهان وصوت  
فيروز والشاعر بدوي الجبل والشاعر عمر أبو ريشة واسناذ الفلسفة  
انطون المقدسي ، والديبلوماسية سعاد عبد الله وصديقات العمل رجاء الشيخ  
عطية وماري صودير عكل وأمينة حسيبي والدكتور يحيى النص  
وصهري التاجر مصطفى الشريف وصهري المستشار في الطيران المدني  
فاروق حمودة وأخي المهندس محمد علي الترجمان والروائي الدكتور عبد  
السلام العجيلي والشاعر أبو سلمى والشاعر شوقي بغدادي والقاص  
سعيد حورانية والطبيب الدكتور محسن بلال والكاتب العسكري بسام  
العسلي والدكتور خلوصي الكزبري والشامي الاصيل مأمون قضماني  
والصديقة أمل جزائري هواش ، والصحفي المذيع الكاتب عبد الهادي البكار  
والدكتور شاكر مصطفى وعالم الآثار الفنان شفيق الامام والكاتب الدكتور  
حافظ الجمالي والقاص عادل أبو شنب والشاعر ممدوح عدوان والادبية  
قمر كيلاني والاديب حسيب كيالي والصحفي فايز الصائغ والشاعر  
مروان ناصح والادبية غادة السمان . هم بعض الدمشقيين وبعض من  
عشق دمشق وسكن فيها . كل يحمل دمشق على طريقته ويمشي .

يسعدني أن يكتب عني بعد ألف سنة بأثني مررت من دمشق معهم في  
فترة زمنية واحدة . عرفتهم عن قرب تعلمت منهم كلهم سر الحياة وسر النجاح  
في الحياة وسر حب دمشق .

الذين أعرفهم في الحياة ولم اذكرهم ليسوا خارج الدائرة، هم معنا وكلهم  
في قلبي وعقلي .

كأزرار الياسمين ، نحن ، من مر في دمشق في عصر واحد . خيط خفي  
يضمننا في عقد على صدر الشام العاجي ، تفوح منه عطور الياسمين التي تملأ  
رقتي المدينة ، وأنا زر من أزرار ياسمين الشام لايعطي الا مع بقية أزرار  
عريشة الياسمين التي تظلل دمشق عبر العصور .

وكم أشعر بالخجل والفخر معا من مديح عشاق الشام ومعجبي كتاب  
« يامال الشام » عبر القلم كتلم صباح قباني وعبر الريشة كريشة كل فنان  
ساهم بلوحاته في « يامال الشام » .

فهذا الفيض من الحب يأتيني من المحبين والاصدقاء والقراء الذين أعرفهم  
والذين لا أعرفهم ، لانني سجلت في كتاب ببساطة وعفوية « قصة عشقي

لمدينتي دمشق « ، هو النبع السحري الذي أشرب منه كأس السعادة الذهنية  
الابدية وماء الخلود ، وغدوت، اختال في شوارع الحياة ، مزهوة بالنصر على  
الموت والعدم • أمنيتي الكبيرة أن اتحول الى اسطورة كالهة دمشقية معاصرة  
سنتكتب لها الحياة الابدية - لشدة حبها للحياة - لانها أحببت مدينتها حبا  
أسطوريا حقيقيصادقا ، فرصدها هذا الحب لقدرها كالهة تعطي ولاتأخذ ،  
كعشتار الهة الخصب ومنيرفا الهة الحكمة ، وفينوس الهة الجمال في الياذة  
هو ميروس وأساطير ايبلا وماري وبابل وآشور وسومر واوغاريت •

لقد خلدت عشنتار ومنيرفا وفينوس مفاهيم ومعاني وقيم الخصب والحكمة  
والجمال ، واتمنى أن يتحقق بقلمي مع بقية الاقلام التي سبقتني ، الخلود  
لقيم ومعاني « الشام المدينة » بعد خمسة آلاف سنة •

يامن أحببتهم الشام في كتابي « يامال الشام » اسمحو لي أن أربط بين  
أعمال الفنانين صباح قباني وخالد معاذ وعبد القادر النائب ومروان مسلماني  
وقلمي بخيط من « القصب الذهبي » اشتريته من سوق العقادين الواقع بين  
سوق الحرير وسوق مدحت باشا في دمشق •

سأنشر الرسالة التي كتبها لي الدكتور صباح قباني المستشار في سفارة  
الجمهورية العربية السورية في جاكارتا اندونيسيا من اقصى الشرق الاقصى  
حيث منابع الشمس والضوء والصبح والحكمة ، ردا على هديتي «يامال الشام»  
له ولزوجته صديقتي العزيزة وزميلة المدرسة الشاعرة مها نعماني عام ١٩٦٩ •

ونحن عام ١٩٧٨ •

ارسلت رسالة لسفير الجمهورية العربية السورية في واشنطن - الولايات  
المتحدة ، الدكتور صباح قباني ، اطلب فيها الاذن بنشر الرسالة في الطبعة  
الثانية •

وعبرت موافقة الدكتور صباح قباني المحيطات والقارات ، من أقصى  
الغرب ، حيث سرير الشمس ، وطارت وهدت على هاتفي دمشقية الطبع  
والاسلوب كسيتينية تهدل بمحبة وحنان وسعادة :

- ألو ياشام ٠٠٠ احكوا امريكا على الخط !! وعرفت أنه صباح قباني  
قبن ان يتصل الدمشقي بالدمشقية والصوت بالصوت ، وقبل ان اتلقى  
موافقته الحارة وتهنئته باعادة طبع « يامال الشام » •

- ألو ياسهام مرحبا ٠٠ !! كيكك ٠٠ ؟!

- الو أهلين وسهلين يا صباح كيفك وكيف مها والبنات !! ؟ اشتقتنا  
وعتبانين عليكن ؟

- الو .. حق معك نحنا مقصرين .. مشتاقين للشام وللأهل .. مها  
بتسلم عليكى .. طلع الزهر بالغوطة ياسهام ! أسمعني .. أنا موافق على طبع  
الرسالة .. أيمتى رح ينتهي الطبع ! ؟ سهام .. دخيلك انتبهي للاخطاء  
المطبعية ! ؟

وابتسمت لان صباح لايدري المفاجأة .

صباح لايدري اني قررت نشر رسالته كوثيقة اعزبها في الطبعة الثانية  
كما هي بطريقة التصوير ، فخط صباح ينساب على الاسطر بعذوبة كروحه  
المتألقة الفياضة المرحه ، كصوره الادبية ومعانيه العميقة . والاختفاء المطبعية  
الوحيدة - ان وجدت - ستكون اخطاؤه هو في رسالته الغالية الي . واتمنى  
ان تكون « خربشاتة » في الرسالة هي اكبر خطأ في كتابي وماأحلى هذا  
الخطأ . ومن يحتفظ برسالة تسع سنين لن يسمح بالخطأ أن يمساها .

الجديد الثالث هو الصورة التي أحب أن يثبتني فيها الى الأبد في بساتين  
دمر والهامة بكاميراه الفنان المصور مروان مسلماني ، لشدة اعجابه «بعشقي»  
لبساتين الشام في الغوطة وفي المزرعة ودمر والهامة والربوة وقدمسيا ووادي  
بردى والزبداني وبلودان والتل ومنين وعين ترما والجريد والحواكير  
بالمهاجرين . هذا العشق الذي تجسد في وصفي لذكريات السيران  
والصيفية في دمر مع أهلي في قطعة « يرحم أهل أول » ، وفي دفاعي عن  
البساتين والشجر والزهر التي تتعرض في هذا الزمن للابادة ليحل محلها  
عمارات عالية من الاسمنت والحديد .

وكان حظي من كاميرا مروان مسلماني عظيما . وكان الغلاف الاخير من  
الطبعة الثانية .

الجديد الرابع هو الغلاف الاول من كتاب يامال اشام . انه لوحة  
« العربية والعرجي والخيل والعيلة الشامية » ، والكل في نزهة صيف  
يمرون امام جامع « التكية السليمانية » وصدر الباز ، على طريق الربوة  
ودمر ، في العصر الذهبي للشام الوادعة الجميلة الخضراء النظيفة الطيبة ،  
وهي تحمل أهل الشام وزوار الشام للبساتين والغياض وشفاف الشادرون  
« وتخوت » نهر بردى . كانت تحملهم « بالعربايات » على ايقاع حوافر  
الخيل ومواويل ليلي بالليل عيني يا عين .

الجديد الخامس في هذه الطبعة مجموعة من الصور الفوتوغرافية عن بيوت دمشق العربية ، ومجموعة من الصور التاريخية المخطوطة مأخوذة من مجموعة الدكتور يوسف سمارة الخاصة القيمة ومن مجموعة الفنان مروان مسلماني ، عن فنانيين المان وانكليز رسموا دمشق بالريشة عندما زاروها منذ مئة سنة ونيف .

القطعة الجديدة السادسة التي افخر واعتز بها فهي قطعة « السفر برك » التي تلقينها بكل تفاصيلها من فم أبي وفم أمي مؤلفي القطعة رحم الله القراب الذي ضمهما .

قصة السفر برك أخذتها بحرفيتها عن والدي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان عن اشتراكه في الحرب العامة الاولى ، وبلهجتة الشامية المرحبة المحببة الى قلبي .

جلست على « القاطع » في غرفة أبي عام ١٩٧١ وكان مريضاً وطلبت منه ان يروي لي تفاصيل اشتراكه في حروب البلغار وشنق قلعة والسفر برك . وبدأت أكتب وأسجل . هو يحكي وانا اكتب و أسجل بسرعة البرق كلماته حرفاً حرفاً . وكلما يبست يدي وكلما نشف حلقة وأحس بالتعب ، كنا نتوقف وأسكب له كأساً من « الشاي الخمر » من ابريق الشاي الطيب الذي يحبه ابي ويصنعه باتقان بيديه ويحليه « بالسكر عمومي » ويغطيه بالبشكير حتى يختمر . فقد كان الشاي من اختصاص أبي في بيتنا .

وجلست الى جانب سرير أمي في غرفتها وهي مريضة عام ١٩٧٣ ، والقلم والدفتر بيدي وبدأت أسجل تفاصيل ذكرياتها عن حالة الشام وعائلات الشام أيام الجوع بالسفر برك ، هي تحكي وانا اكتب واسجل كل كلمة بلهجتها العذبة المتفجرة بالحنان والامومة والطيبة . وعندما تتعب اطلب منها ان تستريح واقدم لها كأساً من الشاي الذي كانت تحبه من يد أبي . ثم أعود فاسجل المعلومات الموجعة المذهلة عن أيام قاسية لانعرف عنها شيئاً وعاشتها في طفولتها واتحفرت في ذاكرتها .

حدثتني أمي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري عن السفر برك وتكامل حديثها وحديث ابي .

ومات ابي عام ١٩٧١ وماتت امي عام ١٩٧٣ . وتعانقت ريشة عبدالقادر الفائب وقلمي على واجب تخليد ابي وامي رمز كل أب وأم في الشام .

أنشر « السفر برلك » القطعة التي اعتز بها ، للمرة الاولى ، وأنا أرفع قلبي وعيني ويدي لسما الشام ان تنزل الرحمة على تراب « ابي فهمي وامي عزيزة » في تربة الباب الصغير في حي الميدان في الشام .

ومازلت اطلب رضى الله والوالدين من ابي وامي وهما في القبر والجنة .

فمن « الحياة الشعبية الذهبية » التي عشتها في ظل اسرة عربية دمشقية كريمة عريقة تمكنت ان أعرف « سر الشام » ، وتمكنت ان أصل الى سر الحياة وسر الحب وسر الخلود .

واكبر الحب أن نحب أسرتنا وأهل حارتنا وأهل وطننا أولاً . وأعظم الحب ان نحب بيتنا وبيت جيراننا وبيوت حارتنا ومدينتنا ووطننا .

نحب كل الناس وكل المدن ، لو أحببنا أهلنا أولاً ومدينتنا أولاً .

سواء اكانت مدينتنا صغيرة ام كبيرة ،

سواء اكانت قريتنا قريبة ام نائية ،

سواء اكان حينا فقيراً أم غنياً .

وحب الانسانية كلها يبدأ من حبي الحقيقي لانساني انا اولاً ، كما هو لاكما يجب أن يكون ، فليس للحب شروط .

وحبي الحقيقي لمـدن الاخرين وقرى الاخرين يبدأ من حبي الحقيقي لمدينتي أولاً . ومن لا يحب المكان الذي ولد فيه لن يعرف لذعة الحب الحقيقي لاي مكان . ومن لا يحب مدينته لن يحب حب الاخرين لمدينتهم . وحبي لدمشق لاينفي حبي لمـدن وقرى الاخرين ، وحبي للشام « المدينة » هو حبي لبلاد الشام من سقي الفرات الى سقي النيل . وحبي لابن الشام هو حبي للانسان العربي من المحيط للخليج .

اعترف . أنا مريضة بحب الانسان الدمشقي الشعبي الفقير الاصيل وبكل انسان أصيل فقير . وأنا مريضة بعشق الشام مسقط رأسي ولأحب أن أشفى . ولن يبهرني الجديد اذا كان مزيفاً وبلا هوية عربية ، ولن ينسيني وفائي للقديم وللعريق . وكما يقول المثل الشامي « اللي مالو عتيق مالو جديد » والذي يلهث وراء الجديد مخلفا وراءه التاريخ رافضاً الاستناد على أعمدة الحضارة يسقط . وأنا لا أحب أن اسقط . وليس من طبعي أن أسقط . أنا طالعة أبداً نحو الحضارة العربية . والحضارة العربية ماض وحاضر

ومستقبل • ولن تنسيني مدينة دمشق الجديدة الشام في المزة ، الشام في  
أحيائها الشعبية والشام « داخل السور » ، ولن ينسيني شارع « أبورمانة»  
مدينة ماري ومدينة تدمر ومدينة أوغاريت ومدينة لاوذييسيا ومدينة بصرى  
ومدينة ايبلا ومدينة أفاميا • مستحيل •

ولن تنسيني السيارة متعة الركوب بالعربة على ايقاع حوافر الخيل  
العربية الاصيلة •

الشام ، جزء من الحضارة السورية القديمة ، تسكن صدري كالروح  
ولن تفارقني الشام الا عندما تفارقني الروح •

والشام قطة بيضاء سمينة مدللة اسمها « شامة » تنام في عبي في الليل  
« وتقرأ وتنفخ وتكتب » •

واكتشفت عندما طار الكتاب وسافر كالريح الى العالم ، انني لست  
وحدى ، أنتم معي ، أنا أنتم ، وصورتى هي صورة الكل •

« يامال الشام » نبع صافي السريرة وكل واحد فيكم « نرسييس »  
يرى في مرآة النبع ذاته الجميلة ويحبها حتى درجة الفناء ويرمي نفسه في  
« نبع الشام » حتى لو كان يسكن آخر الارض •

« وثورة الحنين » التي اثارها يامال الشام في ضمائر أهل الشام  
وعشاق الشام من العرب السوريين واخوتنا العرب في الوطن العربي وفي  
المهجر والمغرب في مشارق الارض ومغاربها من استراليا حتى كندا وامريكا  
الشمالية وامريكا الجنوبية ، لهي ثورة تدل على خلود هذه المدينة اقدم  
مدينة في التاريخ ورمز المدينة العربية في الوطن العربي •

انها ثورة حنين الى المدينة العربية الاصيلة ، الى تقاليد البيت  
العربي العريق الى اخلاق الاسرة العربية العريقة في المدن والريف والصحراء  
من الارض العربية •

ان اهتمام المستشرق ميشيل باربو البروفسور في المعهد الوطني للغات  
الشرقية في باريس ، بدراسة « يامال الشام » ، والاخذ عنه في دراساته  
ومقالاته ، وزيارته الخاصة لي في بيتي في دمشق عام ١٩٧٢ للسؤال عن  
شرح الامثال الشعبية الشامية الواردة في الكتاب وعن نداءات الباعة في  
أسواق وحارات الشام ،

وان لهفة المستشرقين الاجانب وجامعات العالم وكل من يهتم بقضايا التراث والفولكلور العربي من الطلاب الجامعيين العرب والاجانب ومن اساتذة مادة التراث في العالم الغربي ،

وما عبر عنه من أعجاب وفرح حقيقي المواطن العربي السوري وابن دمشق جان كساب الاستاذ في معهد اللغات الشرقية التابع لجامعة السوربون في باريس ، وانكبابه على الاستعانة بقطع الكتاب لتدريس « اللهجة الشامية » لطلاب المعهد المستشرقين ،

وما لمستته من اعجاب المواطن العربي السوري التاجر الدمشقي المغترب في هيلسينكي - فنلندا ، عبد المجيد عرار ، ومحاولاته الجادة لمساعدة المستشرق الفنلندي الكبير البروفسور آرامز سالونين رئيس جمعية الصداقة العربية الفنلندية ، والبروفسور آرو ، على ايجاد طريقة سهلة لتدريس « اللهجة الشامية العامية » لطلاب جامعة هيلسينكي من عشاق اللغة العربية الفصحى ، واللهجات العربية العامية لكل مدينة وقرية عربية ، وذلك بتسجيل القطع العامية من كتابي بصوته على شريط تسجيل ، ثم مساعدته للبروفسور آرو في تفسير الامثال العامية وشرحها للطلاب ،

كل هذا وغيره كثير كثير ، قد منحني القوة على متابعة الرحلة مع دمشق الشام اقدم مدينة في التاريخ ، على طريقتي الخاصة وبلهجة أهلي أهل مدينتي .

وأن أعاد «صقر قريش» الدمشقي الاموي «عبد الرحمن الداخل بن معاوية ، « أمجاد الشام والامويين في عمران الاندلس وحضارة الاندلس ،

فأنا أحس بأني امتداد له عبر التاريخ . أموية أنا كعبد الرحمن الداخل تحاول إعادة بناء دمشق الجديدة على صورة دمشق القديمة لتوفر عنصر الديمومة للحضارة وللروح في هذه المدينة العظيمة . تحاول إعادة رسم عمران الشام وتصويرها بالقلم وبالقلب للحفاظ على أسلوب العمارة الدمشقية العربية ، وعلى هوية الانسان العربي ، بعد أن كاد الحريق الكبير يأتي على ماتبقى من أصلاتها وروحها ومعالم حضارتها .





## رسالة صباح قبانى

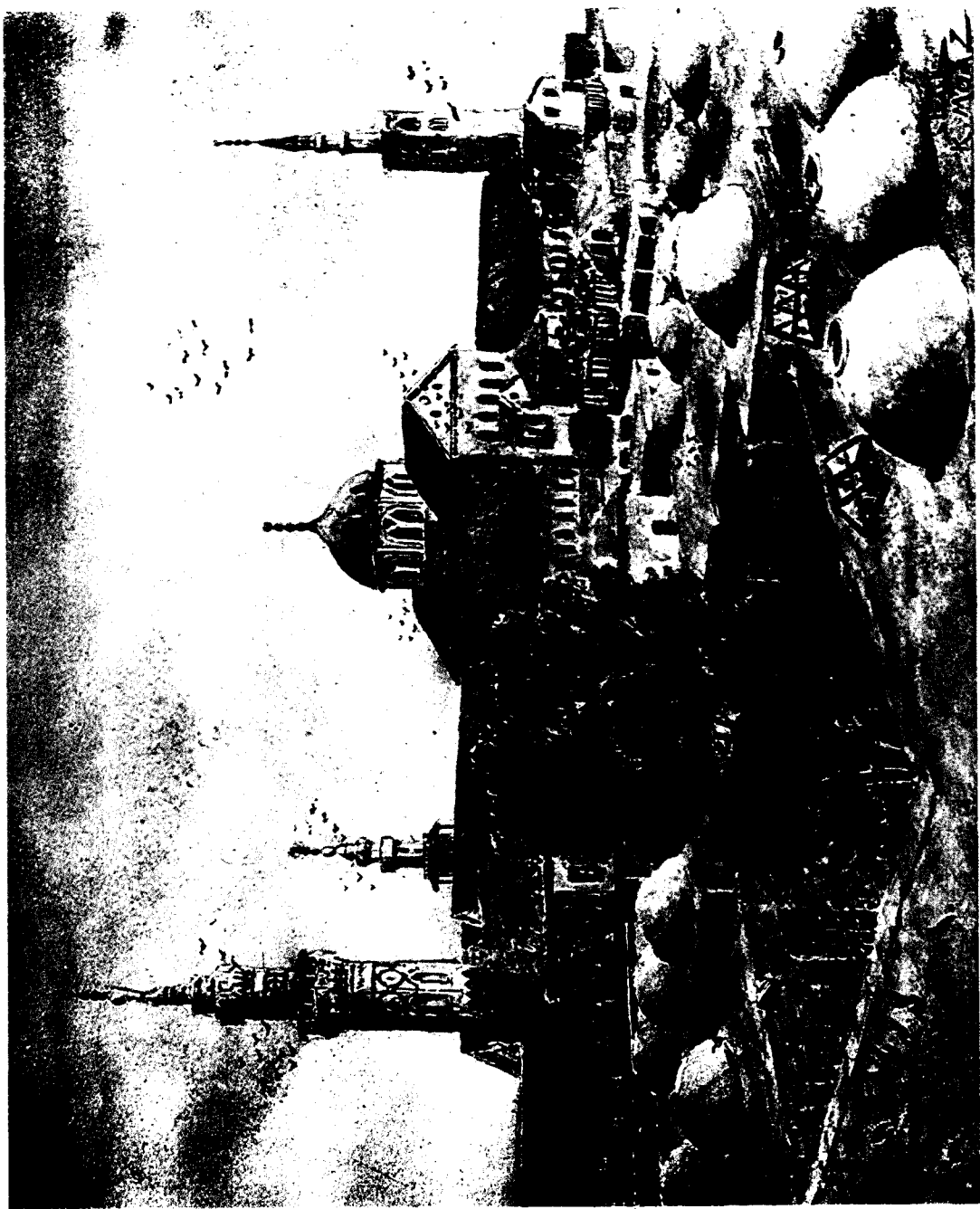
العزيزة سهام :

لازال أتساءل .. أيهما أحلى : الشام ؟ أم كتابك عن الشام ؟  
وأكاد أظلم هذا الذي دفعته الى الناس حين أسميه كتابا . انه بالاحرى  
قصيدة عذبة ، صلاة شفاعة كتبتها في حب دمشق بقلمك الذكي الوفي - وما  
أقل الاوفياء لدمشق .

لأدري لماذا تذكرني سطورك بقطعة من سجادة عجمية ثمينة كانت عند  
عم لي . كان عمي هذا يقطن أيام الثورة السورية في زقاق سيدي عامود  
( مكان الحريقة الآن ) ، وكان بيته آية في الفن الشامى العريق بزخارفه  
وهندسته، وبما كان يغص به من تحف ، وزياى صيني ، وسجاد عجمي .  
و حين قصف الفرنسيون الحي وحدثت الحريقة الكبيرة ، أتت النار على  
بيته وراحت تلتهم كل ما فيه بلمح البصر .

وركض عمي مع الراكضين ، تحت جنح الليل الذي اضاءته النيران ،  
لينجو بنفسه وبأسرته . ولكن قبل أن يجتاز الباب ، توقف لحظة ، والتفت  
الى السوراء ليلقي على البيت المحترق نظرة أخيرة ، نظرة أودعها كل ما في قلبه  
من حزن وأسى وحب وذكريات . وفجأة طارت قطعة ملتهبة الاطراف من  
سجادة القاعة وسقطت الى جانبه . فما كان منه الا أن أطبق عليها بكتفا  
يديه دون أن يبالي بالنار المشتعلة فيها ، وراح يخمد لهيبها بأصابعه ، ومن  
ثم ضمها الى صدره وانطلق بها وهو يحس وكأنه يضم كنوز الارض .

ومرت الايام .. وساعات حال عمي . وقطن في بيت اسمنتى متواضع  
في ضاحية المزة . الا أن قطعة السجاد الصغيرة المحترقة الجوانب ظل لها  
مركز الصدارة في منزله . كانت رمزا حيا لبيته الذي ضاع . كانت تتمثل  
له فيها زخارف بيته العربي الجميل ، ودياره الرحبة ، وأحواض زهره  
وياسمينه ، وناפורته الصادحة .. كانت هي بيته .



الفنان خالد معاذ - دمشق



كتابك ياسهام هو قطعة السجادة الثمينة التي أنقذتها بأصابعك الجريئة من الحريق الكبير الذي ما انفك يلتهم دمشق . أنقذتها لنا - لكل الذين يعرفون كيف يحبون دمشق ، ولكنهم ما عرفوا - مع الاسف - كيف يعبرون عن هذا الحب .

في كتابك رأيت نفسي ، رأيت طفولتي وصباي الاول في « مادنة الشحم » و « البزورية » و « معاوية » . في كتابك سمعت صوت أبي ، عبارات أمي ، وتصايح أخوتي ، ونداءات أهل الحارة . وشممت روائح الياسمين والمضعف والشبب الظريف التي كانت تملأ أرض ديارنا .

الجرأة هي أهم سمات الكتاب في نظري .

فالعامية الشامية التي صورت بها دمشق والدمشقيين لم تقف دونها اعتبارات كثيرة خطرت بذهنك حتما وأنت تكتبين . فلا بد أنك تصورت كيف سيتساءل المتسائلون المتأدبون :

### « حاملة فلسفة وتكتب بالعامية ؟ »

« بنت مثقفة ويرد على قلمها عبارات نابية نقلتها كما هي من الحارات والاسواق والحمامات » ؟ !

كل هذا على ما أظن ورد الى خاطر الا أنك حزمت أمرك ، وأسقطت كلمة « ياعيب الشوم » من الحساب ، ورحت تكتبين عن دمشق بعفوية ، وبلغة عذبة مناسبة كانسياب المياه الصافية من فم سبع نحاسي على بحرة دمشقية « تسبح فيها بطيخة وزهرات ياسمين » .

الا أن هذه الجرأة وهذه العفوية أنتقدتهما في القسم الثاني من الكتاب الذي بدأ بيومييات فتاة دمشقية . لماذا هي يومييات « فتاة » وليست يوميياتك أنت ؟ هنا بدأت « ياعيب الشوم » تطل برأسها وتقف كالسلك الشائك بينك وبين الذين يقرؤونك .

عن دمشق : كتبت بروح البيت الشامي الرحب المفتوح .  
عن نفسك : كتبت بروح المنزل الاسمنتي الحديث ، حيث كل ما فيه مغلق ، مغلق ، فلا نسمة تلعب ، ولا ياسمينة تضحك ، ولا نافورة تصدح .

الحواريات العاطفية الفلسفية بينها وبينه في آخر الكتاب عميقة لاشك ، ذكية لاشك ، الا انها ليست من « مال الشام » . فهي يمكن ان تجري بين أي شاب وفتاة في أي بلد في هذا العالم .

خفقات قلب الفتاة الشامية لم نسمعها على حقيقتها بعد . كيف تحب ؟  
كيف يتسلل الحب الى قلبها بحياء وحذر ؟ كيف تقول لمن تحب « أحبك »  
دون أن تقولها له ؟

كل هذا لم تسجله أية كاتبة سورية بصراحة وعفوية وانفتاح .  
فالكاتبات المخضرمات عندنا كتبن بلغة الرجال ، ولم يكتبن بلغتهن ولذلك  
حجبت الكليشات الرجالية والعبارات الانشائية المكرورة عن أعيننا عواطفهن  
الحقيقية ، ولم نحس بحرارتها ولا بزخمها ولا بنبكهتها . . . الخاصة .

اما الكاتبات المحدثات فاستعرن عواطف البطلات الغربيات في الرواية  
الفرنسية والانكليزية والامريكية ، وألبسناها أردية شرقية . فبقيت هذه  
العواطف بين بين ، « لاشرقية هي ولا غربية » . وبقينا نحن في مكاننا لم  
نكتشف شيئاً ولم نعرف شيئاً ، وظلت عواطف الفتاة الشامية سراء مخبوءاً  
تحت حجر كبير ، ولا من ترفع الحجر .

ملاحظتي هذه لا تنقص شيئاً من روعة كتابك ولا من عذوبته . انه  
يذوب حلاوة كمشمشة حموية من غوطة دمشق .

مها تشارك في ارسال الشكر على هديتك القيمة وفي التعبير عن  
عن اعجابها البالغ .

ولك منا أصدق المحبة والود .

صباح قباني



50. KEMERDEKAAN (1945-1949)



REPUBLIK INDONESIA

REPUBLIK INDONESIA

REPUBLIK INDONESIA



ادارة التعمير المدني (مبنى الشعب)

شارع قلاطية

دمشق

Miss Tayoman

DAMASCUS  
SYRIA



POS UDARA

صُورَةُ رِسَالَةِ صِبَاغِ قَبَائِي

١٩٦٩/٥/٣. ١٤٥٤ هـ

المعزية سلام :

لا أزال أتساءل - أيها أهل بيتك : انتم ؟ أم  
كتابك عن انتم ؟

دأبوا دأبكم هذا الذي دفعه إلى الناس حيناً إلى  
تدأب . إنه لأحرى فضيلة عذبة ، صلاة فائقة كتبها  
إني حين دفعه تعلقك الذي الوحي - وما أقل الأذنياء  
لهنق .

لا أدري لماذا نذرتي بطورك تطفة من سجادة عجيبة  
عينية كانت عند عمرك . هل هي هذا تظن أيام  
السورة السورة إني أرفاق سيدي فداد ( هل الكريمة  
الآن ) ؟ وهل بيته آية إني الغنى التي من العرق  
نرفارفة وهنسته دما هل ينصه من تطف  
وزباردي صيني وسجاد عجيبي  
وهي نصف الغرسيون التي وهنت الكريمة

الكبيرة ، أنت النار على بيتك ، وراحت آلتهم كل ما فيه بلحم البعر  
 دكفن عيني مع الالفية ، تمت عني الليل الذي أفاضته البهائم ،  
 ينمو بنفسي و بأسماءه . ولكن قبل أن يجتاز البهائم ، توقف  
 لحظة ، والتفت إلى النور ليبلغ على البيت المحترق نظرة  
 أخيرة - نظرة أودع كل ما في قلبه من حزن وأسى وجذب  
 ذكرياته . ذكرياته طارت قطعة ملهبة الأحرار من  
 جادة القاعة وتفتت إلى جانيه . في تلك اللحظة إلا  
 أن أظنه يملأ قلبه به دون أن يبالي ، بنا ، الشعلة  
 نير . ذراع نير لهيب أجماعه . وضائهم فخر إلى  
 صدره ، وانكسر إلى وهو يسرده ، وكأنه يضم كنوز الأرض

دمرت الأيام ، وساءت حال عيني ، ولكنني في  
 بيتي استحي متواضع في ضائحية المرة . إلا أن  
 قطعة السجاد الصلبة المحترقة الجوانب نحل إلى  
 نيران الصدارة في نذره . كانت رمزاً جيداً لبيته  
 الذي ضاع . كانت تتمد له نير ، فخاف بيته



العرب الكليل ، دياره / هبة ، داهواها زهره ديا حسنه ، داهوزنه  
العادقة . هانت هي بيته .

تأبك يا - هلم هو قلعة السجادة الثينة التي انقذت  
يا صابك الكبرية لنا " الكريق " الكبر الذي ما انقذ ليهم  
رشفه . انقذنا لنا - لكل الذي يعرفون كيف يجود  
رشفه ، دكهنه ما عرفنا - مع الألف - كيف يجود  
عن هذا الكبر

يا تأبك رأيت نفسي ، رأيت لفقولتي ومصيري الأول  
يا " مائة التهم " والذقات " داهوزنه " وصادية . في  
تأبك سمعت صوت أبي ، داهوزنه أبي ، وصادية  
داهوزني ، داهوزنه أهل الكارة ، داهوزنه رداغ  
داهوزني داهوزنه والتمت الذي هانت تملأ  
أرض داهوزنا .

المبرأة - هي أهم سمات الكتاب في نظري . فالعبارة التي  
التي صورتها في رصعها والاشقيين لم تقف دويها المبررات كثيرة  
فقدت بذهنك حتماً دأنت ككتبت . فلابد أنك صورت كيف  
يتناول المشاكسات المتداول : " هامة فلفه وكتبت  
بالعبارة ؟ " - نيت ثقفة ويرد على قلبها عبارات  
نابية تغلغلها هي من المرات د الاسواق والحيات ؟

كل هذا على ما أظن ورد في المجلد ، إن شاء الله  
عزمت أهدك ، وأتلفت كلمة يا عيب النوم من  
الكتاب ، ودرعت ككتبت من رصعها العفوية ،  
وعلية عذبة منابة ككتبت المياه العذبة  
من ثم سبع نحاس على حجرة رصعها ككتبت في  
بطيخة وزهرات ياسين .

الا أن هذه المبرأة وهذه العفوية انتقدتها  
في القسم الثاني من الكتاب الذي بدأ ببيت

فتاة رشيقة . لماذا هي يوسيات "فتاة" دليست يوسياتك

أنتي ؟ هنا يوسيات " يا عيب النوم " تطل برأسها وتقف  
هالك اثك بيك وبين الذين يقرؤوك .

عند رشيقة : كتبت بردهج البيت التي من الرهب المفتوح .  
عن نفسك : كتبت بردهج المنزل إلا عنيت الكمية حيث نحل  
ما فيه نعلق . نعلق ، فلا نسمة تلعب ، ولا يا حسنة تفعل ،  
ولا نافورة تفتح .

المواريات العاطفية الغلظية ينزل ديبته في آفة العنكب  
عميقة لا لك ، ذكوة لا لك ، إلا أني لست  
من " مال اثم " فهي تكتن أن تجري بين أي شيء  
ذقة في أي بلد في هذا العالم .

نفتحات قلب الفتاة التي لم تسجد على حقيقة  
به . كيف تم ؟ كيف تتلصق الكبر وال  
قلبي جيبه وهدر ؟ كيف تقول لمن تم  
" اجلس " دون أن تقول له ؟

كل هذا لم تسجد أية كاتبة يوسيات . بصراحة

وعدوية وانفتاح . فالطائفتان المحفزون عندنا كتبت  
بلغة الرجال ولم يكتبن بلغتهن . لذلك هجيت الطائفتان  
الرعائية والعبارات الاثنية المكررة عن ائمتنا عواقبها  
المقضية . ولم نكن جداري ولا يهمني ولا نبعثها الخاصة .

أما الطائفتان المحدثتان فاستمرت عواقب الطوائف الغربية  
في الولاية الغربية والانكليزية والارمنية والسنينية  
أرايا شريفة . نعتت هذه العوائق بيننا بيننا .

"لا شريفية ولا غربية" . دعتنا فمنا في طائفتنا لم  
نكتشف شيئا . ولم نعرف شيئا . وظلت عواقب  
الفتنة التي بيننا سرًا محبوسًا تحت حجاب كبير . ولا  
منه ترفيع لله الحكيم .

ملاحظتي هذه لا تنقص شيئا من روعة كتابك ولا  
منه من غلظة دعتنا . إننا نذهب حلالة كثيرة همدية

من غلظة دعتنا . في ارسال الشكر على هديتك القيمة  
في التعبير من ابي الى السالغ .  
ذلك لنا أهدى النعمة والود



# يامال الشام

يا مال الشام يا الله يا مالي      طال المطال يا حلوة تعالي  
طال المطال واجيتي غالبال      ما يبلى الخال عالخد العالي

\* \* \*

طال المطال طال وطول      الحلوة بتمشي تمشي وتتحول  
يا ربي يرجع زمن الاول      يوم يا لطيف ما كان على بالي

\* \* \*

طال المطال وعيوني بتبكي      وقلبي ملان ما بقدر بحكي  
يا ربي يكون حبيبي ملكي      يوم يا لطيف ما كان على بالي

\* \* \*

طال المطال وما شفناهم      يوم الاسود يوم الودعناهم  
يا ربي تجمعني معاهم      يوم يا لطيف ما كان على بالي

\* \* \*

اغنية دمشقية اصيلة قديمة الفها ولحنها الفنان الدمشقي الاصيل  
ابو خليل القباني ...

رحل الفنان العظيم ... وما زال وسيظل لحن يا مال الشام خالدًا  
خلود دمشق .



# أنا رجعية

كلما كبرنا .. كلما امتقدنا الطفولة وملاعب الطفولة . وكلما سرت في شوارع دمشق الحديثة ، كلما اشتد بي الحنين الى حارات دمشق القديمة . وعندما تقفز طفولتي الى شعوري ، بيدها كرة صغيرة وفي رجليها قبضاب ملون صغير ، وأنا في طريقي الى حي عتيق ينام فيه بيتنا العتيق ، او الى سوق قديمة قديمة تفوح منها رائحة الشام المدينة المعتقد ، اكتشف بان التصاتي بكل ما هو قديم أشد بكثير من تعلقي بما هو حديث . واكتشف بان الحقيقة الوحيدة الجوهرية في نفسي هي الحقيقة التي ترافق طفولتنا ، وكأني بالطفولة تعي ما يدور حولها وتلتصق به كصورة من صور الاصاله لا تريدها ان تتغير . وهذه العودة الى الماضي تؤكد لي ان الطفولة الواعية الصافية ترفض سلفا كل ما سيأتي به الغد .

انني احن الى الماضي ، الى صفائي ، الى الطفلة التي كانت طفلتين ، طفلة تلعب وطفلة تراقب من تلعب .

أراها الآن جيدا تلك الطفلة التي أحببت الماضي واختزنته من اجلي جوهرة صافية خالية من كل تزييف كحجر عقيق ثمين احتفظت به امي عن جدتي وجدتها وجدة جدتها كرقية ضد مفاجآت الحياة المقبلة .

طفلة تحب اللعب والنط على الحبل مع بنات الحارة في حي سوقساروجة على أرض حجرية بين جدران مهترئة وابواب خشبية قصيرة مزينة بالمسامير ، وقرب اكوام من قشر البطيخ والزبالة في الصيف ، وعلى طبقات من الطين وفي برك من ماء المطر في الشتاء ، في حارة ضيقة جدا جدا بيوتها من شدة القرب تكاد تقبل بعضها بعضا ، جدرانها من شدة الحب تلتصق ببعضها .. وخلف نوافذها وأخصاصها الخشبية العالية تخفي عيون الحرير الفضولية الساحرة .

وترفض تلك الطفلة ، الصبية الآن ، رغم قناعتها العقلية بقانون



الفنان ناظم الجعفري - دمشق





التطور، ترفض الابنية الجديدة العالية المصنوفة كعلب الكرتون، والشوارع العريضة الاسفلتية الملساء، والفيلات الانيقة المتباعدة، والجيران الذين يبرون دون كلمة « صباح الخير » .

أنا . . . أنا ابنة دمشق العتيقة التي تنام بخجل وهدوء وبقناعة هناك في حضن الغوطة تحت عين جبل قاسيون الذي كان يحمل في قمته وفي صدره وفي سفحه ما يبعث على الايمان والرهبنة : كرسي الداية ، قبة السيار ، الاربعةين « اهل الكاف » ، قبر الشيخ محي الدين بن عربي . وطار « كرسي الداية » بمدفع فرنسي ، ولا يزال اهل الكهف في الاربعةين يغطون في نوم عميق ، ونفيت قبة السيار عن « حواكير الصبارة » وزرعت البنيات بدلا عن الصبارة . ووصلت الشوارع الحديثة حتى مزار الشيخ بن عربي ، وعلى رأس الجبل الاجرد ارتفعت مكان كرسي الداية محطة التلفزيون العربي السوري ، وعلى عامود التلفزيون العالي ضوء احمر يغمز لنا بعينه الحمراء في الليل .

أنا واحدة بين أبناء دمشق الذين زرعوا بخطواتهم منذ الصغر على أرض أحيائها الحجرية « الغرزة » النافرة كأرض من البيض القاسي ، وعلى دروب اسواقها وغوطتها وبساتينها ، خريطة فرح التصاق الانسان بأرضه بأسواق بلده ، بسوق الحميدية واسواقه الصغيرة : الخجا والحريقة والعصرونية والحريير والقيثاني والسلاح والمسكية والخياطين وباب بريد ، بسوق مدحت باشا واسواقه الصغيرة المتفرعة: الصوف والقطن والنسوان والبزورية . بسوق العتيق واسواقه الصغيرة : خان البطيخ وخان الزيت وعلي باشا وطلعة جوزة الحدبا وسوقساروجة وسوق الهال .

طفولتي متعلقة بأحياء الشام العتيقة ، بالميدان ، بالشاغور والقيمرية والقنوات وسوقساروجة والعمارة وباب توما والقصاع والشيخ محيي الدين والمهاجرين . . . وبحارات الشام . . . قولي . . . الورد . . . الشالة . . . السمانة . . . ستي زيتونة . . . العقبية . . . بوابة الآس . . . السبع طوالع . . . النوفرة . . . بحرة الدفاقة . . . المناخلية . . . باب سريجة . . .

ولا زلت حتى الآن أحن الى بيتنا في حي سوقساروجة الذي كانوا يسمونه « استنبول الصغيرة » لشدة عراقته وجماله واصالته . في هذا الحي العريق خلقت . حملتني امي في حارة « قولي » وولدتني في « العمارة » وارضعنتني في « المناخ » وسكننا عدة بيوت آخرها بيتنا العزيز في حارة القره ما ني . واهلنا يسكنون حارة « الورد » وحارة « الشالة » وحارة

« البحصنة » و « حارة » « السمانة » و « حارة » « العقبية » وفي « مز القصب »  
وفي « داوراغا » وفي « مادنة الشحم » .

لم يكن في بيتنا حمام كغالبية بيوت الشام القديمة . لهذا تمتعت  
بطفولتي بحمامات دمشق الشهيرة .

وكانت زيارة حمام السوق الاسبوعية متعة كاملة لي ولاخوتي لا تقل  
عن متعتنا في « سيران » . وكم وكم ترحلطنا على ركبنا على بلاط الحمام  
الواسع الذي تغطيه رغوة الصابون وتيارات الصابون التي لا تنقطع ،  
وضحكنا البريئة تتردد في مقاصير الحمام وتتصاعد مع البخار الذي  
يعشعش في الحمام كالضباب ، وترجع قباب الحمام المنورة « بنور الله »  
الداخل لنا من « القماري » الزجاجية الكثيرة ، صدى تلك الضحكات فما  
يزيدنا رجع الصدى الا اصرارا على الضحك والعبث ، لقد كان حمام  
القره ماني مسرحا دائما لافراحنا وملعبا رائعا من ملاعب طفولتنا . ولن  
انسى ابدا حمام « الورد » وحمام « الحوزة » وحمام « فتحي » وحمام  
« الخانجي » وحمام « ملكة » في الدرويشية اجمل حمامات دمشق . حرمت  
منه لانه كان مخصصا للرجال فتفرجت عليه من بابه عندما كنت طفلة  
وذهبت لانادي لابي لاقول له كلمة . . . !! وفتحت باب الحمام ، حمام ملكة  
بحذر وطالعتني صورة مدهشة تصعق النفس لشدة سحرها ، وطبعت  
الصورة في ذهني ، وهدمت من الدرويشية .

كنا قبل الحمام نستعد للرحلة المغرية بفرح عظيم . نذهب الى الحمام  
ببقجة الملابس النظيفة وبقجة « غراض » الحمام : الطاسة ، كيس الحمام  
الحلبي ، الصابون الغار الحلبي ، الليفة ، الترابية الحلبية الحمراء المطيبة ،  
الدريرة الناعمة ، المشط الخشب ، مشط « سن السمك الابيض » ،  
الحجر الاسود الخفان الناعم الذي ينظف الكعب ، القباقيب . كما نحمل  
بقجة المناشف النظيفة والقوط الخمرية المقصبة المقلمة ، والشرف الابيض  
النظيف الذي نفرده تحتنا على مصاطب الحمام ونجلس عليه عند طلوعنا من  
الحمام لارتداء ملابسنا التي كانت تحرسها الناطورة . هذا عدا ما تأخذه  
لنا امنا في بقجة خاصة من انواع الماكل الطيبة نتناولها بشهية بالغة في  
الحمام كالبرتقال في الشتاء وعرايس الزيت والزعتر والزيتون الاسود  
والمخلل « اللفت » . وكانت اطيب اكلة تأخذها معنا المجدرة بالزيت .  
وفي الصيف كان ابي يرسل لنا البطيخ الاحمر وسطل العرقسوس البارد  
الذي ينعش القلب في جو الحمام الملتهب . وكانت البلانة تساعد امي  
بتفصيل رؤوسنا وتفريكتنا مقابل قروش معدودة ، وتدخل المعلمة  
اكثر من مرة لتسأل عن راحتنا « وتونس » زبوناتها بكلمات

ترحيبية، والاجسام البضة البيضاء تلتف حولها فوط الحمام ، وترتمي نهاية كل فوطة على كتف صاحبها الايسر ، فتزيد هذه الاجسام جمالا على جمال ، وكأنها تماثيل من المرمر الابيض لفت بفوط خميرية مقلمة بخيوط القصب الذهبية . وجو الحمام يبعث على البهجة . في هذه المقصورة عروس ، وعلى ذلك الجرن عجوز « تفض » الحنة عن رأسها فتسيل على ارض الحمام ساقية سوداء مقرمة كنا نتحاشاها بقفزات سريعة تشبه قفزاتنا عن ساقية صغيرة في بستان ، وعلى « بيت النار » الحامي وسط الحمام الذي تطل عليه ابواب المقاصير بشكل دائري تجلس بصبر نافذ « نفسا » قد اكملت الاسبوعين وجاءت « لحمام الفسخ » فدهن جسمها كله بلون اصفر غريب تنبعث منه رائحة نفاذة ، وزغاريد تنطلق من مقصورة العروس ، وخناتة حامية بين عدة نسوة على جرن واحد كادت تنتهي بالضرب بالطاسات ، وجرن مجاور تجلس عليه زبونة واحدة مع اولادها تتمتع بمياهه بلا مشاكل مع الناس لانها اخذته « جرن حماية » ودفعت فيه مبلغا عاليا ، وطفل « يولول » ويكي في حضن امه بعد ان دخلت رغوة الصابون في عينيه ، وسيدة « تسكب » على رأسها عدة طاسات اخيرة ثم تقوضاً ، وأم « تعرض » على طفلها عند البلوعة عله يتعلم وتقول له : ا ا ا ح . . . ا ا ا ح . . . !! فمع تكرار المحاولة سوف « يعلم » ويقطع عن عادته في ان يعملها في « حفاظته » . وفي ذهنها تعد له مؤامرة جديدة لتفطمه عن « بزه » وسوف تدهن حلمة ثديها بالصبر او بالبن ليقرف من ثدي امه ويبدأ بتناول الطعام ، والى جانبها على جرن قريب ام تسكب على رأس آخر طفل من أطفالها عدة طاسات علامة الانتهاء من الحمام وتقول له : « ايدك عشرة ورجليك عشرة وعلى قلبك عافية ونشرة » . وامرأة بدينة تقف فجأة لتلحق بابنتها الهاربة وتضربها وتشدّها من شعرها وتعيدها الى الجرن ، وقد نسيت فوطتها بسبب عامل السرعة والغضب فسترت عورتها بالطاسة . وحامل تسير متناقلة ، يظهر ان هذا هو « شهرها » !! ، وام لعشرة اولاد نفذت المياه الباردة على جرنها فأخذت تصرخ « بارد . . بارد . . بارد » !! وبلانة تركض حافية نحوها بسطل ماء بارد تحمله بيدين سوداوتين من اثر صبغة الحنة ، قادمة به من بحرة البراني النظيفة ، وصبية تدق رأس كرنب على طرف بلاط الحمام « فتقلعه » نصفين ، وفتاتان ترش كل منهما الاخرى بالماء

البارد . وأم تقول لابنها : تما تقبرني بقيانك دورين لسه ما ساويتك الا  
تلت تمام . وعندما يغسل الرأس « اول تم وتاني تم وتالت تم » فهذا هو  
الدور. ولا بد لكي يصبح الرأس نظيفاً من ثلاثة ادوار يأخذ الطفل بينها فترات  
لعب واستراحة . وفي مقصورة مقابلة دق على قفا الطاسات وتصفيق  
مبلول « ورقص وخلع على ابو جنب » . وصرخات حادة من عدة نساء بسبب  
دخول زبونة جديدة الى الحمام ومعها عدة اولاد وبينهم « طفل » بل « صبي »  
في العاشرة يطلبن مغادرته حمام النسوان :

— ما بيصير يفوت عالحمام .. قد « الشنتير » مو صغير منوب .

— يا أختي والله صغير .. !!

— لا مو صغير . هادا صغير . طلاع يا ولد احسن ما نولول نلم  
رجال الحارة ..

— والله ما طبق السبعة .. !!

— المسخ .. لا عم يرضع .. روجي جوزيه .. !!

— لا تروح تجيب ابوه احسن .. !!

— طلاع ولاك ... طلاع لبرة ...

— مالي طالع ... !!

وتحتدم المشاجرة وترتفع الى درجة السباب بين ام الصبي وزبونة  
لسانها سليط :

— طلاع عم قلك ...! ولي عليك شو « جئر » !!!

— مالي طالع .

— ورسا ص اللي يخلع رقبتك والله ما تفوت لكسرك ...

— احسني ارفعني « مكسورتك » عليه ، ما فشرتي شو مقطوع ما في  
حدا وراه ..؟!

— اي بدي العن ابوك على ابو اللي فوتك عالحمام طلاع لبرة «ولا»!!

— يا عيب الشوم عليكي شو نورية ما بتستحي !!

— واحدة متلك نورية .. الواه الواه عليكي انت شو آدمية ياللي بتجيبني معك رجال على حمام النسوان !!

— والله والله ما تفوتي انت وياه قدم لحتسى ساوي جلدك وجلد ابنك دريكات .

— لك شوهاد يابنتي انثي وياها .. اخزو الشيطان .. طلاع يا ولد لبرة . طالعيه الله يرضى عليكي رح تطفشيلي زبوناتي ، ابعتيه مع ابوه قبل الضهر ، صار شب ما شا الله ويخزي العين .

— امشي لك ابني امشي ، حتى « المعلمة » اجت مع الرزيلة ، اي والله ما بقينا ندوس ها لحمام بعمرنا .

— انا رزيلة .. اي الله معك درين يسد ما يرد .

— يو العين تطرقتك انت و « هالمنطق » .

— ان شا الله قامتك وعشرة من حارتك .

— يوه يوه تقبروني على هالرا . بتعرفي ، انتي الواحدة احسن شي ما ترد عليكي خليكي عم تعوي مثل الكلبة ، امشي لك ابني بيعتلا حمى هزتلي بدني .

— يو الحمى تاخذك ...!!

— لك حاجة بقى افرطوها ، يي شو قلبكن حي وروحكن طويلة .

يا الله يا جماعة يا الله كل مين على جرنو ، تفضلي معي لبرة والله انا ما بريد زعلك بس يا اختي صعبة ، النسوان « بالزلط » وابنك كبير تقبريني بيغهم كل شي ، ما بجوز وانتي ما بتريديها. تعا حبيبي روح هلا انت عالبيت وبكرة بتجي مع ابوك لحمام الرجال انت صرت شب رح يطلعك شوارب ، وانت والله ما بتروحي زعلانة والحمام على حسابك والله ما بخليكي الا رضيانة، فوتي انت وهالصغار عالحمام وان شا الله حمام الهنا سلف ..!!

ويخرج الصبي وينتهي المشهد العنيف .

شيء واحد كان يخيفني في حمام السوق : الصراصير الحمر الكبيرة التي تنتشر على جدران وسقف وبحيرة الوسطاني الجدارية وحول « بلاليعها » . اما المنظر الذي كان يصعقني ويجعلني اهرب « لعند امي » فهو منظر المراة التي تعلق « دود العلق » على ثدييها ورجليها فيمتص دماءها ويتدلى من جسمها سمينا متخما ، تماما كما يعلق الرجال العلق قرب آذانهم بعد ان يشترخوا العلق من « الحلاق » طبيب المدينة المنقرض الذي كان يجمعها في قطرميز كبير زجاجي . واسأل امي :

— لماذا تعلق الدود على بزازها يا امي ؟

— يا امي يمكن معها « بلغمية » شو بدنا فيها الله يعينها ، انت وينك هربانة ! تعي لهون لحتى غسلك راسك بدنا نروح حاجتك لعاب !! اندهي لاختواتك وتعو قوام .

— يا امي الله يخليكي بس شوية .. عم نتزحلق على ركبتنا على بلاط الحمام محل ما في صابون كثير !!

— يا الله حاجة الله يرضى عليك تمست الدنية !! وأعود لانادي اخواتي وابتعد عن « ام العلق » في طريقي والتصق بالجدار .. يا لطيف .. كم هو منظر مرعب ومهما كان منظر كاسات الهوا التي تتعمشق بلحم الظهر لشفاء السعلة ، ومنظر الاوراق الصغيرة تشتعل داخلها وتكاد تحرق الظهر بنارها ، فان منظر « العلق » لا يعادله منظر .

كنا كل يوم خميس عندما تنتهي مدرستنا ونشعر بالفرح لان عطلتنا من المدرسة ستمتد الخميس بعد الظهر ويوم الجمعة كله ، نبدأ بالاستعداد لرحلة الحمام بعد الغداء يحدونا الامل بقضاء فترة حلوة نتزحلق فيها على الصابون وننفخ بالونات الصابون في سقف الحمام ونتراشق بالماء البارد ونلعب مع بقية الاولاد ، وفي زحمة هذه الاحلام المغربية نتساهل في حمل الانتقال ويحمل كل منا « بقجة » سواء اكانت كبيرة أم صغيرة .

اما « المشكلة الخالدة » فهي التي تبدأ ملامحها بعد نهاية كل حمام . من سيحمل بقجة « الملابس الوسخة » وكم تشاجرت مع اخواتي لحظة الطلعة من الحمام بينما امي تحاسب المعلمة التي تتربع على الطراحة عند مصطبة المعلمة وراء باب الحمام تستقبل القادمات بكلمة أهلا وسهلا وتودع الرائحات بكلمة حمام الهنا ، وتعد الرؤوس الكبيرة والصغيرة وتقرر « الوفا » الاجرة التي تتناسب مع عدد افراد الاسرة ومع كون الام زبوننة لهذا الحمام ام انها ضيفة عابرة . وكانت مشاجرتنا تنتهي بامر من امي بان تحمل كل واحدة منا بقجة الملابس الوسخة فترة من الزمن ولمسافة من الطريق على ان تأخذها منها الاخرى لمسافة جديدة الى ان نصل الى البيت ونحن نلهث من التعب والاعياء . وراسا على فرشاتنا، النعاس يكاد يقتلنا . المهم اننا وصلنا الى بيتنا .

بيتنا ... لا زلت أحن ومهما كبرت الى بيتنا . بيت عربي واسع هرم ، لا تزال حتى الآن تنام وتصحو في صحنه ليمونة وكبادة و نارنجة ودالية وتينة وياسمينة كبيرة يهر منها الياسمين كالثلج ، وبحرة يتدفق منها ماء بردى وعين الفيحة وتسبح فيها بطيخة وزهرات ياسمين .

وفي بيتنا احواض ورد وارطاسيا وهرجاية وهوا ونفونفة وخبيزة وسمكة وعطرة وشمشيرة وزدابية وياسمينة عراتلية . بيت تقفز اليه من اساطيح الجيران ققط الشام السمينة الحلوة المدللة اللامبالية ، بيت دمشقي تلعب بين ارجائه ذكرى صور اولاد ققطنا العزيزة الحلوة «شامة» الزيتونية : « عنتر » الاثقر و « فلة » البيضاء كالقطن و « زيتون » المنقط بالابيض والاسود والذي طلعت على خده شامة كامه ، و « عطرة » الرمادية العفريتة « اللعبية » التي تقرا في الليل ، و « عبدان » الاسود الذي يجلب الحظ والذي اكله الهارون قبل ان يكبر ، وقد سألت جدتي ام امي يومها وكانت زائرة عندنا ، ودموعي لا تنقطع على « قطي » عبدان الصغير الذي اكله الهارون ليلا دون ان ندري ثم هرب الى اساطيح الجيران من « طبله » بيتنا :



— لماذا يأكل الهارون قطنا الصغير يا ستي ..! الم تقولي يا تيتي  
انه أبوه !! فكيف يأكل الاب ابنه ؟ ..

فأجابتنى جدتي الطيبة رحمها الله برصانة اقنعتني :

— لانه لا يريد ان يتربى اولاده على « سفر » الناس !!

من على « اسطوح » بيتنا كم طير اخي الصغير الحبيب طيارات  
ورق ملونة مربوطة بخيط طويل وجعلها بمهارته وبمساعدة الهواء تحوم  
حول البيوت فيركض الاولاد الصغار في ديارات الجيران ومشارتهم لرؤيتها  
وهي تحلق عاليا .

اما نحن البنات فكنا نربط بخيط قصير زيزا ملونا جميلا من رجليه  
ونظيره في « المشرقة » ونلعب به في مشرقتنا تحت دالية العنب او عين  
الشمس . الزيز لطيف وجميل وله صوت جميل ... اما الدبور والزلقطة  
فهما الد اعدائنا عندما نحاول ان نتعربش على السلالم الى دالية بيتنا  
في المشرقة لنقطف عنقود عنب حلو بلدي لا زالت طعمته حتى الآن تحت  
اسناني . وقرصة الدبور والزلقطة لم يكن لها دواء في بيتنا الا سن الثوم .

اما باقي حيوانات وحشرات بيتنا ... فأنا اخاف حتى من ذكرها .  
في بيتنا ظهرت الحية والعقرب والعرتيلة وام اربع واربعين والحدرون  
والجردون وابو بريص والحرباية والفارة والبزاقة والنملة والصرصور  
الذي اكرهه اكثر من الحية . ومن كثرة « الحيايا » في بيتنا العربي الجميل ..  
خفنا .. فهربنا الى بيت حديث لا تخرج الحيات من جدرانها ، ولكن جيرانه  
لا يسلمون على بعضهم . هناك في ذلك البيت تكمن حقيقتي ولن اتخلي عنها  
في سبيل شارع انيق نظيف مترف في دمشق الجديدة وبيت يرتفع عن سطح  
دمشق بعشرات الامتار . انني ملتصقة ببيت دمشقي ارضه ملاصقة لارض  
الشمام الحبيبة ، وادفع اليوم ثمن الهواء العالي ، ادفعه شوقا وحنينا الى  
بيتنا هناك .. بيتنا الذي تتحرك بين جدرانها الحيات وتطير فوق عريشته  
وداليتها الدبابير والزلاقط والنحلات . يظهر انني انمو نحو الطفولة ..  
نحو الماضي !!

بيتنا العتيق لن انساه ..

وحارتنا القديمة ..

تعيش بضميري لؤلؤا ومرجانا ، اغنية شعبية غنيتها مع بنات الجيران  
من رفيقاتي ، وكنا نمسك بايدي بعضنا بعضا ونرقص في حلقة ونغني امام  
باب بيتنا كما كانت تغني امهاتنا وجداتنا امام ابواب بيوتهن :

يا ستي عرجا عرجا  
يا مفتاح الطنجنا  
خبيتو ورا الصندوق  
اجا خيي سرقو  
لبسني من حلقو  
حلقو شقلي بقلي  
حلقو طير عقلي  
يا بنت الملوكي  
جايين يخطبوكي  
على شقفة طينة  
بتعمر مدينة  
مدينة مدينة مدينة  
وشو جابك لحارتنا  
حارتنا لولو ومرجان  
حارتكن قمل وصيبان

**ونغني اغنية ثانية ولا نشبع :**

علبابا جلبابا  
والجامع توابا  
عطونا عروستنا  
ما منعطيكن ياها  
الا بالف ومية  
يا كهكة ويا تمرية  
كعك الشام غالي  
تسلم دقن خالي  
خالي بالبرية  
عم ياكل تمرية

تلتلو طعميني  
قاللي لعشية  
اجيت عشية  
ضربني بالططرية

### ونلف وندور ونغني ونغني :

يا ستي وستيتينا  
جوات البساتينا  
في رمانة حامضة  
تقطف وتطعمينا  
حلفنا ما مناكل  
حتى يجي البابا  
والبابا عند العسكر  
جايبلي طبق سكر  
دوبو واسقونا  
وتغدو والحقونا  
على حمام البارد  
الله يضرك يا ضرة  
مثل ما ضربتينا  
شفت عمي من بعيد  
حاكاني بالتركي  
خلا عويناتي تبكي

من خص شباك بيتنا كنت أمد رأسي لارى مصدر ضجة الاولاد في  
الحارة . انهم يركضون حول « ضبضبت » ويصيحون ضبضبت ...  
ضبضبت ... أنا لا اعرف اسمه الحقيقي ... لانه لم يعرف بين الناس  
الا بهذا الاسم الذي يعني ان السماء قد اكفهرت واقترب البرق والرعد  
والمطر ، ووصول « ضبضبت » معناه وصول الغضب اعوذ بالله .

و « ضبضبت » رجل معتوه يحب بطنه . يسير في الازقة ويسأل كل  
من يمر امامه « ايمتى يا سيدنا » ويعني بسؤاله : متى يموت عندكم ميت

لنأتي ونأكل عندكم . . .؟! ويتشائم منه أهل الشام ولكنهم يضحكون . وعند « ضبضبت » ذاكرة عجيبة فهو يحفظ أسماء آخر اموات المدينة وعناوين بيوتهم ويسجل عنده . . . اربعين كل ميت وسنويته وخميسه والايام الثلاثة .

اما في الشتاء المثلج . . . فان احلى ما احبه في الثلج « السويق » وهي الاكلة المفضلة عند نزول الثلج . والسويق هو الثلج مع عصير البرتقال او الثلج مع الدبس . وضحكنا مرة حتى غشنا على نكتة احد الاقرباء : في يوم ثلجي غطى فيه الثلج كل دمشق وارتفع حتى المتر ارسل لنا قالبا من « الكاتوه » الكبير كهدية !! والتفت الاسرة حول الكاتو وكل طفل يحمل صحنه وملعقته وينتظر ، وبدا ابي يقسم لنا القالب . . وكانت المفاجأة تحت الكريمة قالبا من الثلج !!

ويقولون في دمشق لا تاكل الثلج اول سقوطه . انها حكمة شعبية تقول : « اول مرة سم وتاني مرة دم وتالت مرة كول ولا تنهم »

ويسقط الثلج . . وتقول لنا امي : كل سنة وانتو سالمين تقبروني ان شا الله سنة بيضا . ونركض الى باب الزقاق بالقباقيب ويتزحلق احدنا . . ونضحك عليه . . ولكننا نبدأ بالمسير على الثلج الهش بحذر خشية السقوط والشماتة ، لنفترج على الجوقة التي تغني للثلج بين الحارات وفي الاسواق وتجمع المال :

يا الله المطر يا الله الغيث

والسنة بيضا يا بيضا

وان شا الله بيضا يا بيضا

الله يرزقو

آمين . . .

الله يعطيه . . .

آمين . . .

الله يستر على حريمو . . .

آمين . . .

والسنة بيضا يا بيضا

وان شا الله بيضا يا بيضا

ويكون واحد من الاولاد « البابا حسن » كما يقول ابي قد شلح  
ملاپسه عاريا وظل « بخلقة ربو » ودهن جسمه بالدبس ولصق عليه كله  
القطن الابيض فيظهر كالجني الابيض او الدب الابيض او انسان الثلج ،  
ويسير مسحوبا من رقبته بحبل يردد السنة بيضا يا بيضا ، ويردد معه باقي  
أفراد الجوقة الفقراء .. وان شا الله بيضا يا بيضا ..

على رأس كل واحد منهم وظهره قبة كبيرة واقية من الثلج هي عبارة  
عن كيس من الجنفيس الكبير يلبس على شكل « كابيشون » « الترانشكوت »  
معطف المطر . ويفرح الناس بالجوقة ويرحبون بها ويتفاعلون باغنيتهما  
ويدفعون لها . ولا تتحرك من مكانها امام اي دكان في السوق قبل ان يدفع  
لها صاحب الدكان ضريبة البرد والثلج والدعاء . وطبعاً يأخذ رجل الثلج  
العاري الذي تعرض للبرد اكثر من رفاقه ، نصف الارياح . ونغلق الباب  
ونصعد الى المشرقة لنصنع من الثلج المتراكم رجلا كبيرا من الثلج ونزينه  
بطربوش ونحمله « بصطون » ابي ، عصاه المعقوفة التي كان ينساها مع  
الطربوش عند اكثر من بيت وحلاق . فأطلع عن لبس الطربوش وحمل  
البصطون بسبب مشاكل الضياع هذه ، ولكنه ظل في الشتاء ينسى  
« الشمسية » ويبقى طويلا قبل ان يتذكر اين نسيها !!

ولا يمكن ان يمر انسان تحت نافذتنا دون ان يأكل « طابة » من الثلج  
من شبابيك واساطيح الجيران ولن انسى كيف حاول الجنود السنغال  
الفرنسيون في سنة ثلجية ان يقلدوا ابناء الشام بلعب الثلج فأخذوا يضعون  
الحجارة داخل كرات الثلج ويضربون بها الناس في الشوارع وكان لعب  
الاستعمار كرة ثلجية بيضاء داخلها حجر اسود .

الشتاء في الشام دنيا غنية عميقة الابعاد تلتقي فيها فلسفة الانسان  
بحكمة الطبيعة .

يقولون عندما تنزل « المطرة » و « حب العزيز » في مدينتي :

— الله يبعث الخير . ويعني الاولاد في الحارة هذه الاغنية اللطيفة :

يا مطرة زخي زخي على قرعة بنت اختي ، بنت اختي جابت صبي  
سمتو عبد النبي ، حطتو بالكائونة طلع عرق ليمونة ، حطتو بالطنجرة طلع  
صحن مجردة .

وفي شهر ايلول :

— ايلول دنبو مبلول

وفي شهري تشرين الاول وتشرين الثاني :

- ما بين تشرين وتشرين صيف ثاني .
- الدهبيات بتشارين .

— بعاق الجدي ولا سواد العنقود

وفي شهري كانون الاول وكانون الثاني :

- اذا غاب عنك العنب والتين عليك بمية كوانين . ويقولون عن كانون الاول كانون الاجرد ، وعن كانون الثاني كانون الاصم عود بييتك وانطم .

وفي شهر شباط :

- شباط ما على كلامو رباط بشببط وبلبط وريحة الصيف فيه .
- المستأرضات فنوا قوم عاد .

وعن شهر آذار :

- خبي فحماذك الكبار لعملك آذار .

وعن شهر نيسان :

- مطرة نيسان بتحبي قلب الانسان .

عقارب نيسان .

وفي شهر مايس :

- ما دام النصراني صايم البرد قايم .

وفي شهر حزيران :

- قزة وسنبلة ومشمشة .

— حزيران طباخ المشمش .

وفي شهر تموز :

- بنموز بتغلي المية بالكوز .

وعن شهر آب :

- آب اللهاب . اذا اجا آب الصيف عاب .

ويضم الشتاء في مدينتي اربعة « سعودات » تعبر عنها الكلمة الشعبية :

- سعد الدابح ما بيخلي كلب نابح .
- سعد بلع السما بتمطر والارض بتبلع .
- سعد السعود بتدب المية بالعود وبيدفا كل مبرود .
- سعد الخبايا بتتفتل فيه الصبايا .

تبدأ « الشتوية » في دمشق « بالربيعانية » وفي نهاية « الخمسينية »  
نهاية التسعين يوماً اشهر الشتاء الثلاثة يطل الربيع وتحتفل الشام  
« بنيروز » ببساتين الشام والغوطة .

وتتفتح ازرار الربيع على الارض وعلى الاغصان وفي العيون والقلوب  
والشفاه . زهر اصفر وابيض وشقشقيق احمر بين الحشيش الاخضر .  
وزهر تفاح ونجاص ومشمش على اشجار الغوطة ينادي السيرنجية من  
أهل الشام بعطر لا يقاوم واغراء لا يرد وتميل الشام نحو الغوطة بقدها  
المياس وتسيل كقطعة من الثلج اذابتها حرارة الشمس ووهج الحب  
والزهر . وان ضاع منك انسان في الربيع فستجده في الغوطة حتماً ، ولا  
يمكن ان تنزل اسرة من غوطة دمشق الا ومعها « عرق زهر » علامة الربيع  
الضاحك يطل من نوافذ السيارات يحيي المدينة المرحلة المقبلة نحو الصيف،  
تماماً كما يفعل « انسان الثلج » الصغير عندما يركب على مقدمة كل سيارة  
في الشتاء ، عند طريق عودتها من نزهة محببة الى الدمشقيين في سهول  
الصحراء والزبداني وقرب جبال وادي بردى والزبداني وبلودان وابو زاد  
المغطاة بالثلوج كالثقفة كالتقشدة تغطي صحن الكنافة المدلوقة .

فانسان الثلج الصغير هو ايضا علامة نزول الثلج في مصايف « المدينة  
المرحة الصاحية » عندما يحل عليها الشتاء .

أف . . . يا لطيف شو « شوب » !! . . .

ويبدأ الصيف . . . وينتشر « الشوب » ونهرب الى البساتين .

ومن بيتنا كنا ننطلق ايام الصيف الحارة الى اقرب البساتين الى حيننا .  
ونفتح الباب ونخرج مع « خروفنا » لنقوم بسيران في بستان المزرعة عند  
طرف « عين الكرش » التي تتبع منها مياه رائعة عذبة باردة . ونفرد  
البساط على حشيش البستان ثم نفرد عدة السيران من الشنطة الجلدية  
البنية التي خصصها ابي للسيارين ، وتبدأ امي وقريباتنا بقلي البيتنجان  
والكوسا على المقلاة والبيور فنتنشر رائحة البيتنجان المقلي بالزيت ،

وتعطر المكان روائح الفتوش والسلطات والكبة النية والبطيخ الاحمر الذي يقسمه ابي حوز حوز لنا وتبقى « اللبة » له وللضيوف ، بينما تحتفظ امي بالبرز الاسود لتحمصه لنا لايام الشتاء وسهراته الطويلة .

لم تكن المزرعة وعين الكرش وحدها مسرحا لنزهاتنا . فكل يوم جمعة تقريبا كنا نقضيه في مكان ، فنعزم الاهل ونخرج طفات كبيرة الى صدر الباز او الشادروان او الربوة او دمر والهامة على ضفاف بردي ننتشر ونتغلغل بين حور وصفصاف النهر ونعيش احلى ايام العمر ونلعب ونركب المراجيح المعلقة على الاشجار ونقطف الجوز ونكسره بالاحجار وناكله . . ثم ننسى ونفرك اعيننا فنصاب بالرمد . . . لا يهم . . . ومن شجرة تين الى شجرة رمان كالجراد . . . ونصعد الى جبال دمر . . . ونهبط الى « قناية المزة » . . . ونسبح الى ان نقتل الحر وشهوة الاطفال للسباحة والماء البارد في صيف حار . .

آه . . ليت الزمان يعود . . ونعود اطفالا . . ونسمع الكبار من اهلنا يقولون لبعضهم بعضا عند نهاية السيران :

— ان شا الله « القمر » الجاية منطلع سيران سوا .

في بيتنا العتيق في سوقساروجة عرفت تقاليد الشام الشعبية في شهر رمضان المبارك وعيد الفطر السعيد . ولا طفل في حارتنا يفطر . . ولحظة انتظار مدفع الافطار هي لحظة كثيفة متعددة الصور ، واحلى صورها لقاء افراد الاسرة قبل المغرب بلحظات حول مائدة الافطار العامرة بالماكل والخشافات والقمر الدين والنقوع والشوربا . اما في السوق فان الصحون تكاد تتطاير فوق الرؤوس من شدة « الزحمة والعجقة » عند الفوال « مجيد » وعند حمصاني راس الحارة لصنع التسقية بالزيت والتسقية بالسمنة وصحن « المسبحة » . والخباز يدفع بالارغفة الساخنة للايدي المتلهفة ، وعلى الفيحة يتقاتل الاولاد من يعبيء سطله وحقه قبل غيره ، وصغيرة تعود الى البيت سعيدة وببيدها « طبق الجرادق » ياللي الهوا رماك يا ناعم رغيف رمضان الشفاف المرشوش والمزوق بخيط من الدبس لتكون له طعمة لذيدة وهو يقرط تحت الاسنان . واب عجوز يعود الى بيته من دكانه وفي يده الخبزات وعدد من ارغفة « المعروك » خبز رمضان ، وفي اليد الاخرى محرمة فيها « شوية فواكي » . . وتحت طربوشه « محرمة » بيضاء مبلولة .

ويضرب المدفع وتشتعل انوار المآذن ويؤذن « المغرب » ويصرخ



الاولاد في السوق وفي الحارة : هيه .. هيه .. هيه .. وتركض القباقيب الصغيرة نحو البيوت وتغلق الابواب وتسكب الطناجر في صحون ، وتطفأ البوابير ، ويخيم على المدينة سكون كامل وتنقطع الطرقات .

وقبل ان يطل رمضان باسبوع يخرج « الشموام » الى البساتين لوداع ايام الاكل والسيارين بتكريزة رمضان قبل ان يحل رمضان . وفي رمضان لا بد ان يصلي الناس صلاة العشاء و « التراويح » في الاموي .

ويظل « ابو طبله » مسحر رمضان عندما يمر على السحور يغني وينقر على طبلته وعلى الابواب لايقاظ ابو محمد وابو ياسين وابو عزات ، وعندما يدق على الابواب بعد مدفع الافطار لجمع الطعام لاولاده والفقراء من اقاربه ومعارفه ، يظل ابو طبله حلم اطفال حارتنا يلتقون حوله لسماع اغنية خاصة يغنيها لهم قرب العشاء :

شرم برم حالي غلبان  
عالضراير والرية  
وربوا على قلبي دبلة  
ومن جورهن بعث الطبله  
وصرت داير غلبان  
الله بلاني بالقرعة .  
وسنانها سنان الضبعة  
حبلت وجابتلي سبعة  
تلت قطاط واربع فيران  
شرم برم حالي غلبان  
اخذت وحدة من جسرين  
ما بتاكل غير جوز وتين  
قالو لي روح يا مسكين  
بكرة بتصفى بلا نسوان  
شرم برم حالي غلبان

ويسير ابو طبله في طريقه ... والاولاد يلحقونه في الحارة ويغنون :

ابو طبله مرتو حبله شو جابت ما جابت شي

جابت جردون عم يمشي .....

ومسحر رمضان في دمشق في الليل وعند السحور لوحه دينية تبعث على اليقظة براحة وايمان :

يا نايم وحد الله .. يا نايم نكور الله ...  
اوموا على سحوركن .. اجا النبي يزوركن ...  
يا صايم وحد الله .. يا صايم اذكر الله ...  
يا صايم قوم وحد الله .. وصلي على النبي العدنان ...  
يا مؤمنين ياللي تحبو الله والنبي ...  
قوموا اعبدوا الله وصلوا على النبي ...  
شهر فضيل عند الله .. شهر عبادة ومحبة وغفران ...  
يا سامعين الصوت الله الكبر والصلاة على النبي ...  
يا نايم وحد الله .. يا نايم اذكر الله ...

\* \* \*

يا نايم وحد الله .. يا نايم اذكر الله ...  
نيال اللي تعبد ربو وصام .. طار رمضان مثل الطير ...  
يارب اغفر للمؤمنين .. يارب انصر الاسلام والمسلمين ...  
ياللي فاتك الصوم والصلاة .. قوم جدد عهدك مع الله والنبي ...  
يا نايم وحد الله ...

\* \* \*

نزلت دموعي على خدودي كبيضة الحمام ..  
يا شهرنا اودعتنا هذا عليك السلام ..

\* \* \*

وتأتي وقفة عيد الفطر بعد طول انتظار وامل ونسمع مدافع وقفة العيد وتقول امي : يي ثبتوها . يا اولادي كل سنة وانتو سالمين .. « روحوا بوسوا ايدين ابوكن » ونركض نقبل ايادي امنا وابينا ، نقبل اليد ونضعها على رأسنا ونعايد عليهما ونبدأ بترديد اغنيتنا المعهودة : « شعل ضو انطفا ضو قتال المدفع بو بو بو ... » ثم نصعد الى النوم المبكر نفرق في احلامنا . ويطول الليل .. والحذاء الجديد والثوب الجديد والشريطة

الجديدة على مخدة كل طفل تنتظر الصباح واطلالة العيد بنوم قلق متقطع ،  
نحلم بالعيدية من الامل والاقارب ، والحرية والالعب المغرية والمآكل  
الطيبة ، وعندما نعود مع فجر العيد مع أمي وأبي من زيارة الاموات في  
البرية بعد تأدية واجب شكل اغصان الآس والورد على شواهد قبورهم ،  
تقف في شارع النصر مع الناس وقرب « تم سوق الحميدية » لنتفرج  
على السلامك .

وعند العودة الى البيت تدخل امنا العزيزة الى المطبخ لتطبخ لنا  
الفخدة والرز والملوخية اكلة اليوم الاول التقليدية في بيتنا ، ويبدأ ابي  
باستقبال الرجال من المعايدين :

اهلا وسهلا .. كل عام وانتم بخير .

احياكم الله لامثاله .

كل سنة وانتو سالمين .

ان شا الله العيد الجاية بعرفات .

وتوزع القهوة على الضيوف ، امي تنقر باب المطبخ وابي « يسناول »  
منها صينية فناجين القهوة « لانها ما بتطلع قدام الرجال الغرب » . ثم ينقر  
باب المطبخ من الداخل .. ويتناول منها صينية فيها صحون « الغريبة »  
و « البرازق » و « المعمول » بالجوز والفسق و « الكرابيج » والناطف  
والسكاكر والسيجارات . ويذهب ابي ليرد المعائدات ، وتأخذ امي من  
الضيوف الرجال كروت المعايدة من ورا الباب . ونحن الاطفال نظير احرارا  
في عالم مسحور لا أحد يسألنا الى اين ؟؟ لا أحد يرافقنا للمراقبة ..!! نفتح  
الباب ونخرج بلا اذن نركب عربة الاحلام الوردية « الكراجة » التي يقودها  
حمار او انسان لا فرق ، غربة « العتال » في الاصل وقد زينت في العيد  
بالاوراق الملونة ، وصار لها مقعدان يصطف عليهما الاولاد ويتمسكون  
بخشباتها ، وتقفز بنا طائفة « روحة رجعة » حتى « السبع بحرات » بس  
في شارع بغداد ، ثم تعود الى سوقساروجة والاغنية التي تلازمنا وتلازم  
العربة في كل عيد ، اغنية « يا اولاد محارب جوجو » هي النغمة المحببة  
لنا في كل رحلة نقوم بها مقابل قرش .

صاحب « الكراجة » يقول ونحن نردد وراءه :

يا اولاد محارب جوجو . شدو القوالب جوجو . قوالب صيني جوجو .  
شكل الفليني جوجو . علي ما مات جوجو . خلف بنات جوجو . بناتو

بيض جوجو . شكل العفاريت جوجو . بناتو سود جوجو . شكل القرود جوجو . يا اولاد محارب جوجو .. يا اولاد محارب جوجو » .

اغنية كأغنية الشيطان نردها كالبيغاء وراء الرجل ، ليس لها من معنى الا انها أغنية العيد في دمشق . ومن لا يركب « العربية » ويغني يا ولاد محارب فهو طفل لم يعيد حتما .

ويطلب الاطفال من صاحب « العربية » ان يسرع ويفرونه باعادة الكرة بكلمات لطيفة :

« قويها منجدد .. قويها منجدد .... »

ويسرع الرجل ... ونجدد ولا ننزل من العربية الا بصعوبة بالغة .

ونزل من العربية لنركب المراجيح ونشتري اللعب من الدكاكين التي استطلت حتى تجاوزت الارصفة ونأكل على الكراسي القش « الواطية » الفول النبات مع الملح والكمون ، والمخلل والشرك وليفة الله والمبني و « الملوأ » وكنت افضله « على فلفل » وكانت له عدة انواع « على غسل » و « على ليمون » و « على قرفة » . ونذهب الى « الحريقة » فنركب الجمال وندخل الى الخيام المنصوبة لتنتفج على « الضبع » وعلى ام راس مقطوع وهي تتكلم !! وعلى ايدين ورجلين !!

وتمر ايام عيد الفطر الثلاثة ... ونأبى ان نقبل بفراق العيد ولا بد ان نودعه في اليوم الرابع في « جحش » العيد والدموع تكاد تفضحنا اسفا على هذا « العيد الصغير » . وفي عيد الاضحى المبارك تذبح « الخرفان » ولكن فرحتنا بالعيد يشوبها شيء من الحزن على خروفنا الصديق الذي عشنا معه اكثر من شهر في بيت واحد واطعمناه الحشيش وكنسنا له اوساخه وأخذناه عدة مشاوير ... وربطناه من درابزين الدرج ... وصعدنا به الى المشرقة ... ثم صحونا لنجدده مذبوحا ... وقالوا لنا ذبحناه وسناكله ... ونفرق منه على الفقراء !! ومن يومها وأنا اكره اللحم ... ولي في طنجرة الكوسا المحشي كوسايات في رأس كل « كوساية محشية » قشة تدل على انها محشوة « رز بلا لحم » لمن لا تحب اللحم ، ويضحكون على « السفارة » : انها لا تأكل الا كوساية « ام آمنة » !! ولا اضحك .. لقد ذبحوا يوما صديقي الخاروف الطيب !!

ويمر العيد الكبير .. وتشتعل دمشق بالزيينات استعدادا لعودة الحجاج من مكة المكرمة ، « وتقطع » النساء ملابس جديدة من سوق الحميدية لمباركة الحجي ، وتزين الابواب والحارة كلها بالسجاد وورق الكينا

والصفصاف والورق الملون والانوار ، وترسل الهدايا الى بيت الحجى من المعارف والاقارب اكياس طحين ورز وسكر وتنكات سمن وزيت ، ويذبح خروف عند عودة الحجى وبين قدميه وافر هاربة من منظر نافورة الدم الى بيتنا واغلق الباب . وتوزع زوجة الحجى الهدايا : « مسابح ومرآوح ومكاحل » وعدة تمرات وكؤوسا من مية زمزم . والشبان عند الباب يرددون :

— حجاج مكة وردت علينا .

والنساء يستقبلن الحجى الذي يرتدى « الابيض » بالزلاغيط :

اوها اهلا وسهلا يا ضيوف  
اوها ومشكلين بالسيوف  
اوها لو عرفناكن ايتمى جايين  
اوها لحضرنالكن الخاروف  
لي لي لي ليش

اوها يا مرحبا واهلا بعينك هالكحلا  
اوها يا نخلة طويلة سدت باب المعلا  
لي لي لي ليش

اوها مشمش مشامش تمشينا على حارتكن  
اوها والقلب ينقط دمي طول غيبتك  
اوها وان اجا المبشر يبشرني بسلامتك  
اوها لاعطيه روجي وفرق من هديتك

كم من الصور الشعبية الحية وكم من اللوحات الفنية لاحت لي من خص نافذة « فرنكة » بيتنا ، البارز الى الامام في حارتنا البسيطة المتواضعة هي عندي اعلى من اللؤلؤ والماس .

وتعود بي الذكريات فالتقي بطفلة صغيرة نشيطة جريئة كالصبي ، تحمل السلة الفخس وتركض لتشتري لامها الفواكه من دكان « ابو مستو » واللبن والقشدة والسكر والشاي والجبنة والاريشة والحلاوة والدبس والسمن والزيت من بقال سوقساروجة الشهر « ابو راشد » والخبز التنوري من تنور « ابو علي » في سوق العتيق والفول المدمس من دكان « مجيد » الفوال قرب حمام القره ماني في سوق العتيق والخضار من دكان

« صلاح » الخضري واللحم من عند « ابو امين » في « طلعة » سوق الهال والخبز المرقد والمشروح من فرن « ابو صلاح » مواجه جامع الورد . اما كيس حطب « القباقيب » الناشفة فقد كنت اذهب لاشتريه وادفع ثمنه كالكبار ثم يحمله لي الحمال من « منشرة » جوزة الحدبا . وكيس الفحم كنت اشتريه كما يوصيني ابي من الفحم الذي لا اعرف اسمه والذي يبيع الفحم والدق قرب حمام القره ماني قرب بائع اللبن والحليب « هاشم » . واما البابونج وبزر القطونة وبزر الكتان والزهورات وشربة زيت الخروع « أف » ، والمراهم فقد كنت اشتريها كما توصيني امي من عند «بروالعطار» في سوق العتيق . وابريق الماء التلك وتنكة الزيت وسطل العرقسوس فقد كنت الحمها عند السمكري بسوق العتيق . اما البيض والدجاج والسل والمقشاش والمكانس والقفف فقد كنت اعرف كيف اتقيها من عند احسن البائعين في سوق التبن .

التبن ..!! من التبن والطين .. صنعت بيوت الشام .. وقبل ان يطل الشتاء ويأتي ايلول بذنبه المبلول كنت اشم رائحة الطين .. يتكوم في الحارات .. تحمله الاقدام والايدي الى الاساطيح تعيد ترميمها بطينة جديدة « على وش الشتي » حتى لا تدلف السقوف على « اوض النوم » فنضطر الى وضع الطناجر والاطباق تحت الدلف الى جانب فرشاة النوم .. وصوت الدلف .. نقطة وراء نقطة يؤرق ليلتنا .

واغمض عيني استعيد اللوحة .. الصوت والصورة والرائحة معا : « الطيان يشمر عن ساقيه الملوئين بالطين الاحمر الذي عجنه بقدميه ، يحمل من الحارة الى البيت تفة الطين على رأسه يدخل بها من الباب صائحا منها نساء البيت ليأخذن له طريق :

— يا الله ... طيانة ..!! » .

شكرا لاهلي لانهم منحوني دون ان يدروا تجربة ثمينة . شكرا لابي لانه من سوقساروجة ، وشكرا لامي لانها من الميدان . شكرا لاني عشت احلى ايامي في تلك الاحياء الشامية العريقة .

الشام .....

الشام عندي ... بيت عربي وديار مفتوحة .. وبحرة ماء دفاقة بسبعين نحاسيين يخدق منها الماء البارد ، وامرأة جميلة تشطف الديار في يدها سطل ومقشمة . قبقابها يرن على البلاط الحجري واساورها الذهبية الرفيعة تخشخش في معصمها .. وضحكتها تجرح القلب .. بياضها بياض

الفل ، وعيناها بلون العسل ، تعبيء سطلها من البحرة وتسفحه على الارض وتشطفها بالمشقة . . . بينما رفقتها تعبيء سطلا ثانيًا من النهر وترش الزريعة وتسقي الاحواض ، وتغسل الشجر . ورائحة البيوتجان المقلي بالزيت تعبق في البيت وفي بيوت الجيران . . وسيدة ماهرة تدق الكبة في جرن الكبة ، وسلفتها تدق في الليوان الرطب على العود تتحرك الاساور الذهبية الناعمة في يديها مع حركات العزف بريشة الطائر على اوتار العود . وحماتها تقشر الثوم « بالفى » وبنبت حماها تدق على يد البير في المطبخ تملأ واعة كبيرة بالماء للجلى ، وضرة حماتها « تتعمشق » الدالية على سلم وتقطف ورق العنب الطري تحضره لطبخة « بيرق » في اليوم التالي ، وولد ملعون يدق على الباب ويهرب ، وصوت خرير المياه في النهر المسافر عبر البيوت يبعث على الراحة ، و « ستيتية » « تبقيق » بسعادة في المندلون وتقول كما تفهم لغتها النسوة العجائز كوكو كوكو وحدو ريكو . . كوكو . . كوكو . . . الله . . الله . . وتتذكر كنة زعلها مع حماتها فتقول لسلفتها من قلب مجروح : انا مثل « ستيتية » ما حدا حط على الابلاه الله بالعمى . . ايه الله ينتقم منها عم تعلم جوزي علي . . !! وبنبت تكسر بفردة ثقبابها على حجر الدرج الاسود بزر المشمش الذي جمعته من مائدة الامس ، وعدة اولاد يلعبون الطميعة في الديار الكبيرة ، وصبية متفتحة كزر ورد في هذا البيت تقطف ازرار الياسمين وتصنع منها بالابرة والخيط عقدا لصدورها فقد يحضر « الخطابين » اليوم !! ولا تنسى ان تشك عرق ياسمين اخضر بالازرار وتشكل رأس امها ، ورجل ينادي في دكانه على بضاعته ثم يعد « الغلة » وهو يحلم بان يسكر « الفلق » ويعود الى بيته الرطب في نهار حار بيده سطل عرقسوس بارد وفي الاخرى بطيخة ، وثائر يختفي خلف جذع شجرة من اشجار الفوطة في يده بندقية ستصطاد مستعمرا فرنسيا ، وشيخ في الجامع الاموي يصلي ويدعو الله ان ينصر الاسلام والمسلمين ، ونسوة بالملايا السود الحبر يملأن سوق الحرير والقيشاني « والقطع والدرع » شغلهن الشاغل . . المتعصبات منهن بالملايا الزم السود والبيض ، « والتموضات » بالمناطو الاسود وفوقه على الراس الفوقانية والمنديل بطاقتين . ورجل يصيح من الشارع عربجي . . . ورا . . ورا . . !! وكرباج يحاول الوصول من مقدمة العربية الى ظهر صبي معلق خلف عربية خيل . . يترك حصانها وسخها في الشارع فيبعث رائحة كريهة ، ووقع حوافر حصانين مسافرين بمشوار شمة هوا للربوة وغداء في دمر . وآذان الظهر من مأذنة قريبة ، وصغار وصغيرات بالصداري السود يتفتحون كازرار الفل في الشوارع ، ولحظة انصراف الاولاد من المدارس لفرصة الظهر . . وترين يطنطن . .

وكمساري يزمر .. وبردى يجري .. وستارة مخملية تهبط فجأة .. تؤكد  
لي ان دمشق كانت تعيش خلفها بسعادة لا مثيل لها دون ان تدري .  
وتختفي دمشق العتيقة في الظل ...

انني اتساءل .. كيف لا يخاف الناس على دمشق الاصيلية ؟ كيف  
يهربون منها الى العلب الكرتونية الجديدة !! كيف يسمحون لتلك العلب  
المزيفة بغزو ماضيها العريق وصورة اصلتنا .

اتمنى لو اضم احياء الشام العتيقة واسواقها وحماماتها واهلها الى  
صدري ، أضغط عليها بين ذراعي لا منع عنها زحف المدنية المزيفة ، ولاحميها  
من مخالب وحش التقليد السطحي كأم حنون تخاف على طفلتها من طوفان  
ساحق .

لا بأس .. كنت طفلتك يا دمشق .. واصبحت طفلاتي المدللة  
الاثيرة .. انني احبك يا شام .. احبك اكثر من اي شيء في العالم مع انني  
لم أر العالم بعد .

انت يا دمشق فوق كل احتمال .



# شام ما المجد

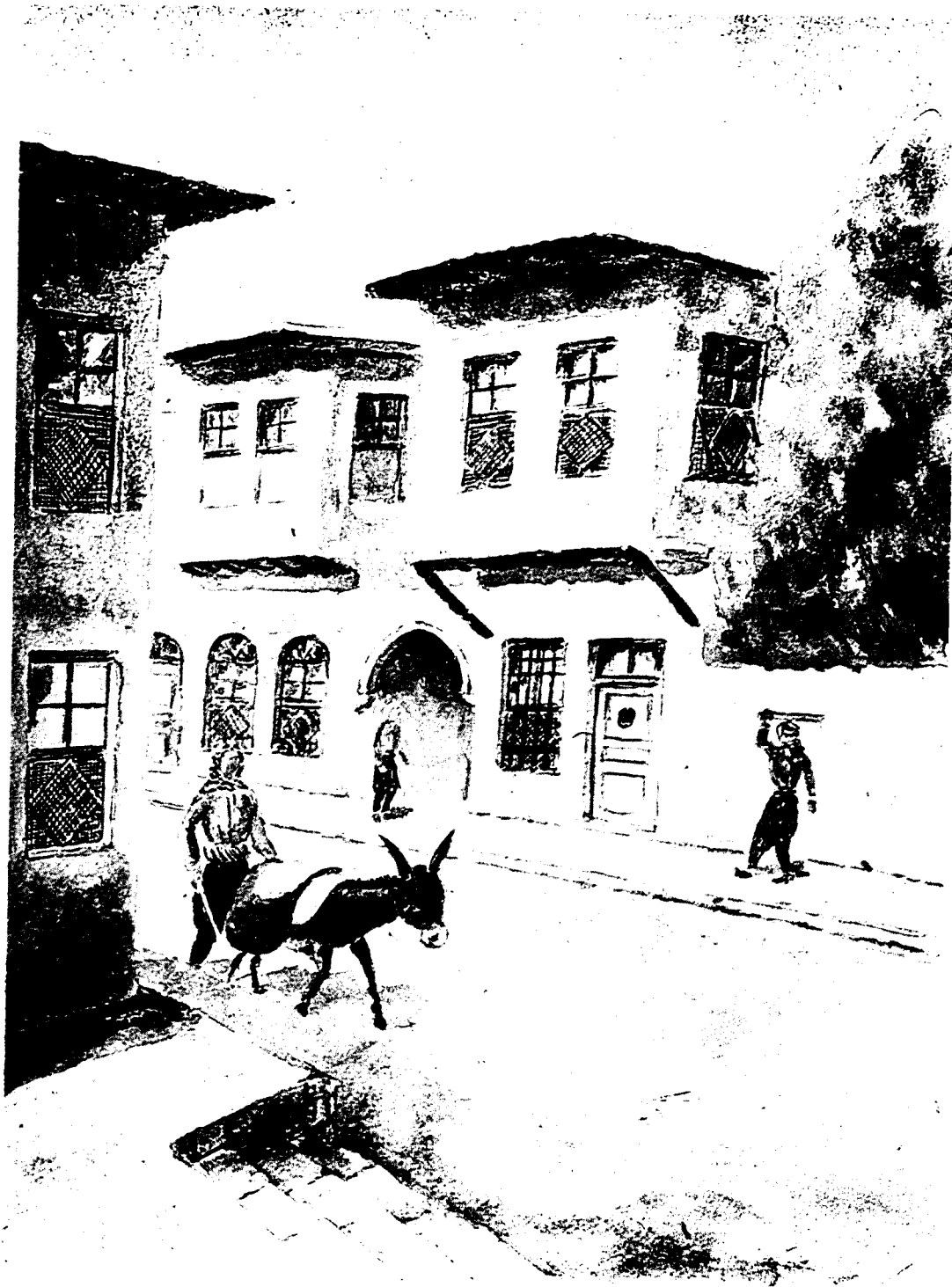
اسابيع واسابيع وأنا أقف في مكاني استجمع قوتي اتحفز بوجه احمر كالشوندر ، لاقتز جدار الصمت العالي قفزة لها معنى جديد يسجل لي رقما عاليا بين ارقام المتسابقين المتحمسين . وأخاف خوف الفأرة البيضاء من عين الحكم الثاقبة ان تلاحظ لمسة من طرف اصبع من اصابعي لخشبة حاجز الصمت او من سقطة كاملة ترميني مكسورة الساق والقلم تحت الحاجز وتحت عين الحكم الحيادي .

خائفة من صمت الحكم والحكم هو امين المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والنقطة الراححة في السباق هي الشام . . والمتسابقون هم اصحاب الرأي والفكر والقلم الذين هبوا لتلبية نداء المجلس من أجل انقاذ دمشق « العتيقة » التي تفوح من حاراتها الضيقة رائحة الزمن ، ويتفجر من كوى اسواقها عطر التاريخ .

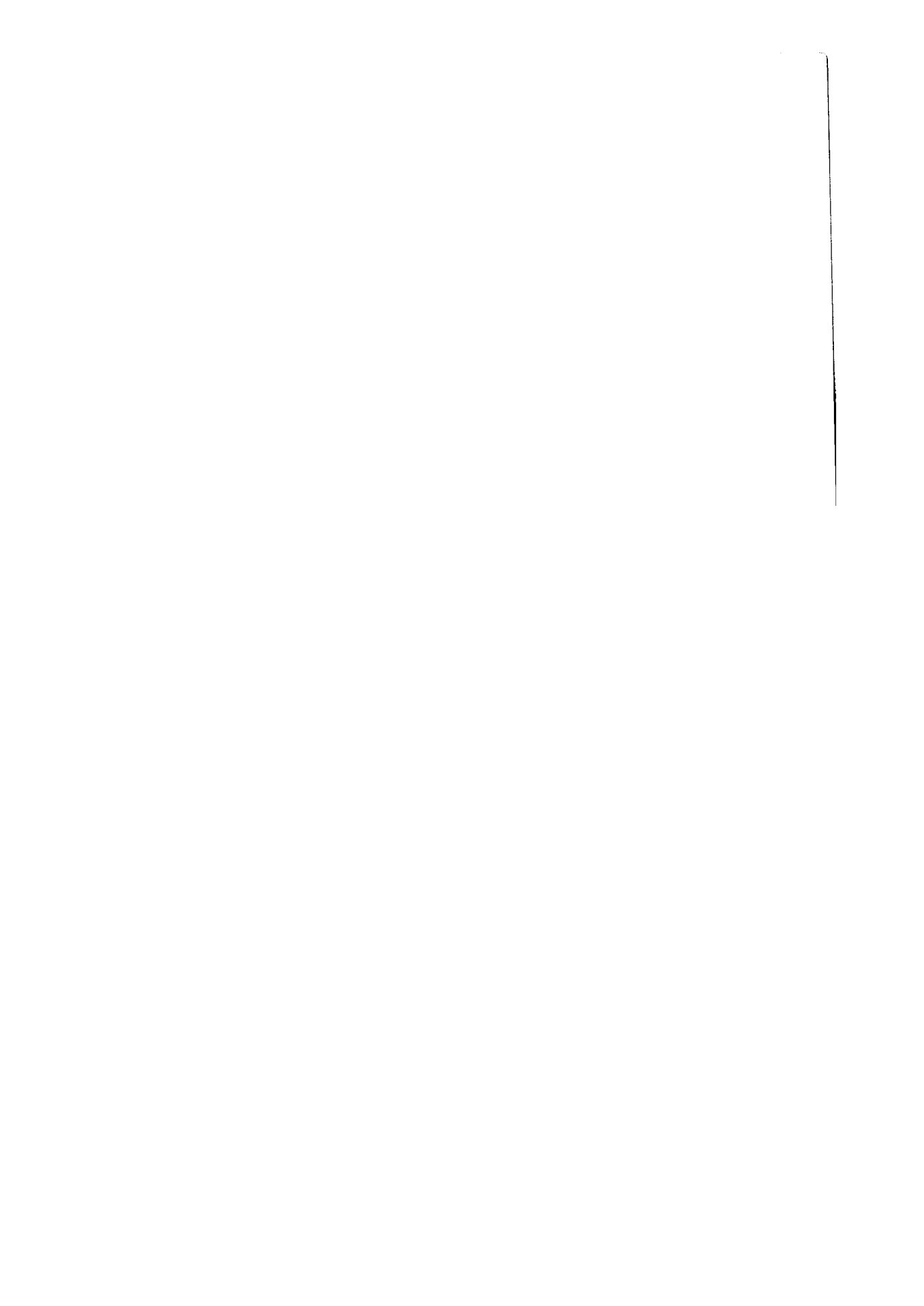
وادي بنا الحوار الى فريقين ، فريق يحب الشام « ككل » ينام داخل الاسوار على بعضه كراس ام على رأس رضيعها ، كحذب الاهل على بعضهم في دار شامية عتيقة .

وفريق بهرته دمشق الصبية ببيوتها النظيفة وشوارعها الاسفلتية العريضة ونوافذها العالية وشرفاتها الانيقة ، فراح يتقزز قرفا من منظر المدينة « الجدة » ويطالب بموتها حالا باسم الجمال والنظافة والصحة وعلم الهندسة وانسانية القرن العشرين !! ومستقبل النسل الفقير الذي يتكسد في ازقتها مع قشر البطيخ واکوام الزبالة ، منتظرا بصبر نافذ حركة مساواة سريعة سريعة مع اطفال شارع ابي رمانة العظيم!!! أمل الاطفال والشباب والشيوخ !!

ولكل فريق وجهة نظره في الدفاع والهجوم ، عرضها في لقاءات قصيرة وفي مجالات مختلفة ، وظلت دمشق تنتظر مصيرها بين كفتي ميزان دقيق ،



الفنان خالد معاذ - دمشق



رجحت فيه اخيرا كفة الذين ينادون « بدمشق » داخل الاسوار « ككل » .  
تبقى البيوت والاسواق القديمة والاماكن الاثرية والحوانيت والخانات  
والحارات الضيقة المسدودة والمفتوحة ودكاكين الاغباني والبروكار  
والنحاس المزخرف والخشب المصنف والجلود المدبوغة ، ولم يوافق اي  
انسان مسؤول او فنان او مواطن دمشقي او عاشق للشام القديمة على  
فكرة الهدم السخيفة ، ومن يريد ان يخطط ويبنى للاجيال الجديدة فليفضل  
الصحراء امامه .

لا . . . لن نهدم بيتنا عتيقا من الطين والخشب لرفع بناء شاهق من  
اربعة طوابق من الشمنتو والحديد تطل نوافذه على جيران الحي الآمنين ،  
كعين شاب جريء وقح لا يرعى حرمة للتاريخ العربي العريق الذي ترك لنا  
بيوتا عربية عالية الجدران مفتوحة القلب ، لها لقاء لا ينتهي مع السماء  
الزرقاء مع الطمأنينة مع الله . ولن نسمح بقطع شجرة من اشجار بيوت  
دمشق مقابل اناء من الزهر يزين شرفة حديثة .

لا . . . لا نريد نحن ابناء دمشق ونحن من يحب دمشق ان ترتفع فوق  
دمشقنا عيون جريئة تكشف ، باسم العلم ، سترها وسر غموضها وسحرها  
الخاص بها بين مدن العالم ، سحر يدفع الشهقات الى صدور اصحاب  
الرؤوس الشقر والعيون الزرق ، الناس الغرياء الذين يبحثون في ارضنا  
عن مفتاح العودة الى الاصاله الانسانية المكتنزة بغير الروح لا المادة !!  
المادة التي قدمت لهم على طبق العلم « القطار السريع » و « السندويتش »  
و « دور اللقطاء » ، وفتهم باسم الكهرباء والذرة عن الانسان والاسرة  
والجامع والكنيسة ، عن البيت الذي تعشش في جدرانه الطينية المطرزة  
بخيوط القش اللامعة وفي سقوفه التعبه العاجزة عن احتمال قطرات المطر  
العنيدة ، نفتهم عن المعاني الحقيقية للانسان .

نفتهم عن هذا كله فلجأوا اليانا لا ليرتدوا بسخط عن نسخة مشوهة  
مقلدة لحضاراتهم ومدنياتهم الحديثة ، بل لتسكن نفوسهم في ظل سقوف سوق  
الحبيدية الرطب في الصيف الحار ، الناشف في الشتاء المبلول ، او لترتاح

في كنف جدران « الاموي » التي تعريشت على احجارها التاريخية حول الجامع اسواق القوافين والقباقبية والصاغة والمسكية والنوفرة ، او لتهدأ مخاوفهم تحت شجرة كباد او عريشة بنفسي او دالية عنب زيني تخيم على باحة من باحات قصر العظم او اي بيت من بيوت الشام لم يتحول بعد الى متحف يزوره السواح لان اهله رفضوا مغادرته الى دمشق الجديدة وظلوا متمسكين به كتمسك الانسان بروحه .

جاء الغرباء الينا ويجيئون ليسكنوا الى جوار اعمال التاريخ الاسلامي والعربي ولتهدأ نفوسهم التي يدوي فيها صدى انطلاق صاروخ الفضاء ، في ظل مدينتنا المترفة بالفن العربي الانساني السموح . ولا أهم لماذا لا نرتاح نحن اليها ، ولا نعانى تجربتهم في ظل حضارتنا الممثل في صورة اقدم مدينة في التاريخ !! مع اننا ندرك خطر تجربتهم مع منجزات مدينتهم الحديثة لو داهمنا فجأة ، وأكون متفائلة جدا ان لم أقل انه قد داهمنا على البعد وبدأ يكتسح شعور جيلنا الطالع المتعلق برؤوس خنافس الانكليز وارداف شقراوات الامريكان .

لماذا لا نرفع العصا في وجه من لم تحفر التجربة الانسانية في نفسه آبارا ارتوازية تفجر ذهباً يحمي « الحقيقة » في هذه المدينة من ان تموت الآن او بعد عشرين او مئة سنة !؟

دمشق القديمة قد تنهار بعد عشرين سنة بفعل خطوات ثمانين الف نسمة تمر عليها اليوم .

فلماذا لا نستمع الى صوت المهندس العربي الشاب الفنان الذي وقف بيننا فجأة ليعلن رايه بصراحة وقوة في وجه « ايكوشار » المهندس الفرنسي الذي خطط ويخطط لدمشق حديثاً !! لنسمع صوت المهندس العربي الذي لم تخدعه مظاهر البناء الحديثة في الغرب فوقف يقول « لا » باسم كل انسان عربي .

لا . . دمشق القديمة يجب ان تبقى كما هي صورة لقوميتنا وانسانيتنا وتاريخنا ، طبعاً بعد ان نمر بريشة الفنان منا وقلم المسؤول فينا على الشام

داخل الاسوار والابواب التاريخية لدمشق ، فنسقط عليها النور والعلم والصحة والسعادة . وما الذي نخسر ان ظلت « دمشقنا » نظيفة متجددة لا تفنى يعمل على حفظها من يد المستقبل المجهول ، الرأي العام ونخبة من الأخصائيين الذين لم يسقطوا من حسابهم ضرورة توفر اسباب المدينة الحديثة الاساسية التي تكفل لسكان الشام العتيقة الشرط الانساني .

لقد تبنى امين المجلس الاعلى فكرة المهندس العربي للوقوف في وجه كل مخطط يقدمه لنا « ايكوشار » الفرنسي او اي مهندس اجنبي لتخطيط دمشق او حلب او حمص او حماه او اللاذقية او السويداء او دير الزور او الرقة او درعا ، يهدف الى شق الشوارع في قلوبنا ورفع علب الكرتون فوق رؤوسنا .

ودعا نخبة من الدمشقيين ومحبي دمشق ليقرروا بانفسهم مصير مدينتهم ، لان تقرير مصير مدينة قضية اكبر من ان يبت فيها انسان واحد او اثنان او عشرة ، انها مسؤوليتنا جميعا امام التاريخ المقبل والاجيال القادمة التي ستطوينا . فلنذهب ولنترك لها ما تركه لنا الاجداد ، ولن نحرم احفادنا من مدينة التاريخ المعجون بالخشب والطين والماديب والعرق الاخضر والروح والفن العربي ، لنقدم لهم بديلا عنها مدينة تشق صدرها طولا وعرضا شوارع « آباء الرمانات » !!!

انا مع دمشق القديمة بكل قوتي ، واؤمن بان كل من تحدث باسم الفريق الآخر وباسم نظافة حارتنا القديمة لانقاذها من الجرذان والذباب ورائحة الزبالة قد أخطأ عندما رفع اصبع « اللا » لانه دخل في التفاصيل الصغيرة التي هي من واجبات البلدية ، ونسي ان يستعمل فكره للدفاع عن القضية التي لا تعني دمشق وحدها ولا عددا من سكان دمشق ، بل تراثا عربيا كاملا..

وهذا هو عيب من عيوبنا نحن العرب ، نسرع بالقاء « اللا » النقدية من خلال تجربتنا الفردية وننسى ارباح القضية .. ننسى دمشق .. ننسى التراث .

وأرجو لجنة تخطيط دمشق ، واسأل المهندسين العرب والاجانب ان يترفقوا بدمشقنا العزيزة ، وان يتركوا مأذنة الجامع الاموي الحلوة « مأذنة العروس » مطلة كالعروس على سوق « المسكية » الذي اشترينا منه كتبنا العلمية ودفاترنا واقلامنا الملونة والواحنا الحجرية ، ومطلة على سوق « القبايبية » الذي لبسنا منه بفرح عظيم قبقابنا الخشبي الرخيص ذا السير المقصب الملون والمسامير الذهبية ، هذا القبقاب الذي دفعنا صوته الرنان العذب على ارض حارتنا المعتمة في ليل الشام الماضي ، بلا خوف ، ونحن في طريقنا لنملا من « فيجة » الحارة « حق الماء » البارد ، دفعنا وحملنا كي نصل الى نقطة « الوسط » في درب الحياة العربية الجديدة ، حيث اصبحنا ندرك ونحن في شرفة منزلنا الانيق العالي في دمشق الجديدة والتي اغرت آباءنا بالرحيل عن دمشق القديمة ، ان القوة الدافعة للانسان الحقيقي فينا قد تفجرت هناك في تلك المدينة ، وفي بيت سقفه اعمدة خشبية مسوسة ، وسطحه الطيني المهترىء يدلف في الشتاء على فراشنا ونحن صغار نيام في فراش يلتصق فيه وجه طفل منا برجلي اخيه في ليلة باردة ممطرة من ليالي دمشق .

وستثبت الايام المقبلة نحونا ، لمن يقول اهدموا بان مدينتنا العتيقة « الباقية » سوف تقدم ثروة بشرية لا تتخلف عنا .

نعم أنا بنت الشام العتيقة .

ترى كيف كنت اكون لو لم أعش هناك !! من يدري ربما كنت ارقص الهالي غالي في مربع دمشقي او في كهف مخملي حديث جدا جدا تحت الارض ، ويصبح على كل من يريد ان يتعرف الي ان يرفع « الغرة » الخنفسائية عن جبيني ، الستارة المزيفة التي تخفي الوجه الحقيقي الضائع .

وتحية مني باسم الشام الى المجلس الاعلى والى الفريق الذي رفع صوته بقوة وصدق ليضع الرأي العام امام مسؤوليته .

انني متفائلة .. وستترك الشام كما استلمناها وافضل لاحفاد

أحفادنا . وعندما سيمر أحدهم في حارة ضيقة مستقوفة بالبيوت المتعاقبة،  
لتستقبله من فوق جدران بيت من البيوت الشامية رائحة زهر الليمون  
والياسمين والليلك ، فسوف ينتشي بسحر العطر مرددا : الله .. الله ..  
وسوف يبتسم مترحما على من عمر هذه البيوت المفتوحة القلب لله وللإنسان  
وعلى كل من حافظ على الشام وسقى بيوتها وحاراتها وأشجارها وأزهارها  
واناسها بمياه الديمومة والحب والمجد .

وتغني فيروز ويعزف الرحبانيان وينشد سعيد عقل ويسقط القلم من  
يدي ويركع قلبي للفن العظيم يغني لدمشق ويخلد دمشق :

قرات مجدك في قلبي وفي الكتب

شام ما المجد انت المجد لم يغيب

ويلخص شوقي مجد دمشق فيقول في بيت من الشعر معلق في سقف  
سوق الحميدية ..

**وعز الشرق اوله دمشق .**

\* \* \*



## سمية وهند وكلثوم

يا لطيف . . . .

حريقة .. حريقة .. حريقة . . . . !!!

وتلتفت دمشق بأسى بالغ نحو اللهب الاحمر الذي يهدد ما تبقى من بيوت المنطقة ، وتنهار حتى النهاية جدران جامع « دك الباب » العتيق في طريق الصالحية .

ويلتفت مع دمشق قلبي الطفل ، ويقفز بي كأرنب مذعورة نحو المكان الذي حدده لي عن بعد عمود الدخان الاسود المخيف .

وعندما تفتح الطريق المبلولة بخراطيم سيارات الاطفائية للمرة ، امر معهم والخوف يملأ قلبي مما قد ارى ، ينصحنى بالعودة . فانا ، وليس من يعلم ، املك ثروة ضخمة قرب الجامع واخاف ان تكون السنة النار الغيبية الحاقدة قد تناولتها . لا . . . لم تكن غبية الشرهة ، وكأنها قد ترفقت بي وبالاجيال التي رافقتني في رحلتي الطويلة لاقتناء هذه الثروة .

الناس يتدافعون بيكون ، وانا ابتسم للوحة الرخامية الصغيرة المعلقة فوق باب خشبي عتيق يصعد اليه الانسان بثلاث درجات ويدخل منه الى جنتي .

تبتسم لي اللوحة تبتسم لي « الكلمة الباقية » « زبيدة » .

بقيت اذن ثرية رغم كارثة المصلين المؤمنين باحتراق الجامع ، ورغم كارثة السكان الامنين بانهيار بيوتهم وتشردهم .

بقيت لي « زبيدة » بقيت لي « طفولتي » ولم تحترق .

— يا لطيف . . . شوفوا .. غبرة .. غبرة . . . !!





— أين . . ؟

— في المنطقة المحترقة .

— قرب زبيدة .

وأسير هذه المرة بخطوات عجوز بلا عكاز ، يرافقني صوت خطواتي وأنا طفلة صغيرة ، ارتدي صدرتي المدرسية السوداء وياقتي البيضاء المنشأة وشريطة عريضة حمراء تهتز في منتصف رأسي كعرف الديك ، جيب صدرتي منفوخ بالزغبوب ، تحت ابطي حقيبتى الجلدية البنية التي تحول لونها الاصلي ، بفعل انتقالها من اختي الى اخي الي ، الى لون بني باهت .

وصلت ، الحمد لله . لا . . لم يصل الهدم في المنطقة المحترقة الى « زبيدة » بعد . ولم تتحول جدرانها الى غبار نائر يعمي عيون المارة .

ولكن « الحادث » قد منح المهندس قوة خارقة لتنفيذ مخططه الكبير لتجميل دمشق . وستتحول هذه الاطلال كلها الى ساحة من اجمل ساحات دمشق تصل اهم شوارع المدينة ببعضها . فرى ابن آخر بيت مطل على بساتين شارع « ابي رمانة » بنت آخر بيت مطل على بساتين « المزرعة الجديدة » . وعندما يطل ابن حي « المهاجرين » من شرفته فسرى الصبية الجميلة المطة من شرفة بيتها في شارع « بغداد » ويبتسم .

ولكن . . مالي وهذه الساحة الفسيحة !! وهل نسيتم لجنة تخطيط المدينة ، وهل تجاهلت حياة اجيال بكاملها حكمت « نصف » حياتها الاولى في « زبيدة » !!

واخضع للاخبار الجديدة الصادقة : لا بد من الهدم حتى تتمكن من البناء . ستدخل « زبيدة » في مخطط الهدم .

وانا . . . لماذا يهدمون « قصري الذهبي » ولماذا ينزلون بالمعاول على راس طفولتي السعيدة بلا رحمة !!

عشت في مدرسة « زبيدة » الابتدائية للاناث خمس سنوات وتخرجت منها عام ١٩٤٥ عشرون عاما وثلاثة اعوام وما زلت اذكر ادق تفاصيل حياتي فيها وكأنها تمر بي الان .

زبيدة عندي . . باب خشبي كبير بردفتين ، الى جانبه باب حديدي

كبير له ثقوب كثيرة صغيرة كنا نختفي خلفه ، نحن البنات الصغيرات ، نراقب منه بفرح صبيان المظاهرة الثائرة ضد فرنسا ، القادمين لتحرير بنات مدرستنا على الاضراب ، باب عجوز اعظم لم يفتح منذ كنت انا تلميذة في زبيدة .

وان وقفت أتذكر . . . أجد نفسي اذكر باحة شتوية يصعد منها درج معتم الى الطابق الاعلى حيث درست الصف الاول والصف الثاني والصف الرابع . اما الثالث والخامس فقد درستهما على مقاعد الغرف الداخلية المطلة على باحة هذا البيت العربي الكبير الذي تحول الى مدرسة للبنات الصغيرات .

كان مطبخ المدرسة يواجه غرفة « المديرية » وفي هذا المطبخ الواسع البسيط الرطب عرفت معنى الاشتراكية للمرة الاولى في حياتي . كنت اشترك مع رفيقاتي في الطعام . فأطعم هيفاء زيتونا اسود « فريك » وبيضامسلوقا ، وتطعمني من طبقات « صفرطاسها » الاصفر النحاسي ، كبة لبنية وملوخية ودجاجا . كانت هيفاء الوحيدة المدللة على امها ، وكنت واحدة من خمسة اخوة واخوات . كنت أحب هيفاء وما زلت . وظلت هيفاء رفيقتي في الدراسة من الصف الاول الابتدائي حتى تخرجنا من كلية الآداب قسم الفلسفة معا . ان هيفاء جمال الآن مفتشة كبيرة وناجحة في وزارة التربية .

وتعود بي الذكريات ، واجد نفسي في باحة المدرسة الصيفية ، قرب حنفيات ماء الشرب والوضوء . وهنا الى يمين الباحة كنا نلعب لعبة « نط الحبل » وهناك الى اليسار قرب نوافذ صفي « الثالث » يعيش في مخيلتي الركن الذي كنا نتسابق على حجه مع الصباح الباكر لنحور على أرضه بالطباشير مربعات نلعب فيها لعبة « الحجر » .

وكم ضحكت وضحكت مع اختي الصغيرة في سرنا ، عندما كان أبي يقف بنا حائرا امام « البزم » بائع احذية الاطفال الشهير في سوق الحميدية ، عاجزا عن رد الجواب وتفسير الظاهرة للبائع الطيب الماهر الذي كان ينظر مع ابي الى الاحذية في اقدامنا متسائلا والدهشة تلازمه :

— اريد أن أعرف كيف اهترأ بوز الحذاء من الامام بهذه السرعة ، والله يا اخي اعطيتك احذية من احسن « جلد ممتاز » !! ثم كيف يمكن ان يهترأ بوز الحذاء خلال اسبوع واحد !! ولماذا الرجل اليمنى فقط !! وينظر ابي معه الى بوز كل فردة من احذيتنا وقد تحولت الى لون ابيض ، ويحرك يده متعجبا ، « ويصفن » ابي والبائع طويلا . . . ولا تفسير !!

الحجر يا ابي . . الحجر . . آه لو كنت تدري يومها لقتلتنا شر قتلة!!  
اننا ندفع الحجر ببوز الحذاء اليميني لنكسب بيتا جديدا ضد رفيقاتنا .

وهذه الابواب والنوافذ ، كم أمسكت بخشبها بلهفة حتى « لا اموت »  
عندما تحاول احداهن اللحاق بي ولمسي في لعبة « عيش » !!! ونمل لعبة  
عيش ونلعب لعبة « الطميمة » ونتغلغل داخل المخابيء السرية ولكن جرس  
الدرس يجرمنا من متابعة اللعبة .

ولكن . . أين رفيقاتي العزيزات !!! أين سمية حبال وأين كلثوم  
نوري وهند حكيم وسعاد حافظ وهيفاء جمال !!! ضيعتني عنهن  
دروب الحياة .

لن انسى ابدا كم شدتني « كلثوم » العزيزة كي « اخوي » « سمية »  
العزيزة، وكم شدت « هند » « سمية » كي تخاويني. وعند منتصف الطريق،  
النقطة المحددة للصلح ، كانت كبرياء الطفل فينا تشتد وتشتد معها الرغبة  
في المقاومة كما تشتد معها الرغبة في التنازل ، وأخاف وتخاف سمية حتما ،  
ان تملم كلثوم وهند هذه الكبرياء المشدودة كوتر ، فتتبع كلتانا في ناحية ،  
فنتقرب ونتصافح « واخاويها » بلمس اصبع السبابة في يدي اليمنى باصبع  
السبابة في يدها اليمنى ، ويزول الخصام الذي بدأ بلمس خنصري الايمن  
لخنصرها الايمن تتبع تلك الحركة كلمة « خاصيتك » تعلن فيها كل منا موقف  
الخصام والقطيعة .

وفي مدرستي « زبيدة » عرفت الظلم للمرة الاولى في حياتي ، كان دور  
المعلمة « حياة خانم » بقرع جرس الفرص بين ساعات الدروس ذلك اليوم .  
وحياة خانم معلمة صعبة شديدة البأس خلقت والعصا بيدها . ويشاء سوء  
حظي ان انال الدرجة الاولى في الامتحان الاول للصف الثاني ، فتناديني  
معلمتي المحبوبة الدمثة الفاضلة امام الصف كله وتعلن تعييني « عريفة »  
للصف بدلا من التلميذة « باكرة » العريفة السابقة الظالمة الزنجية الطويلة  
الغبية .

وفي الباحة وبعد قرع الجرس وانتظام الصفوف تنتقم باكرة لنفسها  
فتحاول اخراج قدمها عن مستوى اقدام تلميذات الصف الثاني المهذبات  
المطيعات ، رغم تهديدي بالمسطرة للرجل المتمردة على خط النظام الذي  
صنعهت انا من اقدام التلميذات باتقان بالغ والذي ستلاحظه باعجاب « حياة  
خانم » في جولتها التفقيشية . وعندما تفشل انذاراتي واقول لها بصوت  
مسموع امام صفوف المدرسة الصامتة .

— حياة خانم .. باكزة تخرج رجليها عن الصف !!

وتحدث مفاجأة ...

وتشمدني « حياة خانم » من شعري الى وسط الباحة لتتسنى رؤيتي لكل تلميذات المدرسة ولاكون عبرة للجميع ولكل من تسول لها نفسها التطاول على معلماتها المحترمات . وتبدأ بشتمي قائلة :

— يا قليلة الادب .. هل أنا رفيقتك ..!! هل أنا زميلتك ..!! سأربيك واعلمك اداب السلوك ! انتظري هنا الى جانب الحيط لترى ما سأفعله بك بعد ان تهر الصفوف وتتفرج عليك !! ستكون عقوبتك شديدة ، سأعلق على رأسك رأس حمار من الورق ، ستديرين وجهك الى « الحيط » وترفعين رجلا واحدة ويداك الى الاعلى ..!!

ولما مرت الايام على دموعي ونفسي الطيبة المظلومة الحائرة التي تجهل سر هذه العقوبة ، عرفت من مديرتي الطيبة التي كانت تحبني وتقدرني ، ان ذنبي كان لتلفظي باسمها « حياة خانم » وكان علي ان اناديها « معلمة خانم » . ودافعت عني مديرتي ، والكلمة الاخيرة طبعها لها ، ولم تتفرج علي المدرسة لمدة اسبوع وانا اركب رأس حمار باذنين واقفتين !!

وان نسيت .. فهل انسى بعد هذه السنين فضل مديرتي المحترمة الغالية « سنية قباني » صاحبة اجمل وجه واطيب قلب وأوسع صدر، وهل انسى معلماتي العزيزات القديرات ماري سبع وادبية شاكوش وعزيزة كيلاني والفت غزي ووصال مولوي ، والمرحومة رئيفة ناشد !؟ وهل انسى وجه الحجى العجوز الطيب ذي اللحية البيضاء الذي يحرس الباب ، وهل انسى حنان « محافظتي » الطيبة « ام راشد » !؟

لا . لا . لا .. ابدأ لن انسى تعبهن وعطفهن وفضلهن . لن انسى اول كلمة شكرا سمعتها طفلة « صغيرة » من معلمتها « الكبيرة » عندما اعدت للمخبر خريطة العالم واستلمتها مني معلمتي المسؤولة عن المخبر . ولن انسى كيف حرمت مديرتي القديرة الجميلة الورعة التقية التي لا تقطع صلاة ولا صوم ، على المعلمات ضرب التلميذات ، وكيف عاقبت بشدة المعلمة الظالمة « ثريا خانم » التي ضربت كفي اختي الصغيرتين بالعصا حتى ادمتها . ولن انسى كيف سقطت على ارض المدرسة في الشتاء عندما تراكم الثلج على البلاط وتحول الى جليد فالتوى اصبع يدي وظل يحمل بعد خمس وعشرين سنة ذكرى الالم وذكرى السقوط .

لن انسى وجوه بائع الزعجوب وبائع البوظة دامر وبائع البوشار  
والقضامة والبزر وبائع الدفتر والسفينة واللوح والمسطرة والقلم والريشة.

ولن انسى وقوفي مع رفيقاتي دقائق طويلة متهددة تحت « مزاب »  
المدسة في يوم ممطر من ايام دمشق المطرة السخية الماضية !!

هل انسى ..؟! ومن ينسى ..!؟

اين سمية وهند وكلثوم وهيفاء وسعاد . اسرعن يا رفيقاتي البعيدات  
الكبيرات الي ، اسرعن بقلب طفلة مثلي لا تنسى ، لكي نقف معا عند باب  
مدرستنا الحبيبة « زبيدة » ونفتح ايدينا الصغيرة الكبيرة، كل واحدة تمسك  
بيد رفيقتها نصنع جدارا من الوفاء والمحبة نمنع المعاول من هدم ملاعب  
طفولتنا ومهد عقولنا ، اسرعن يا رفيقاتي الي ، كي نمسك بخشب باب  
المدسة العتيق ، لنلعب مع من يحاول لمسنا او لمس باب مدرستنا لعبة  
« عيش » .

★ ★ ★



## وأتمتع بأبى

استولت أمي في الفترة الاخيرة على مشاعري وأفكاري واهتمامتي ،  
وان كانت في البداية هي الارض والتربة الحمراء الخصبة في نفسي ، وكل  
ما على السطح من نباتات واغصان وازهار واشواك يستمد حياته من وجود  
أمي في كياني . بل هي لحمة نسيجي وسداه ، وكل ما عليه من زخرفة  
وتطريز انما هو الطبيعة الثانية .

أمي .. شيء كبير كبير في حياتي .

كلما عدت من العمل مرهقة الفكر متعبة العضلات النفسية التي  
تكافح يوما كاملا من أجل حياتنا في الغد ، اجدها عند الباب تستقبلني بكلمات  
فرحة مشرقة مزغردة تعبر عن فرح الام الدائم بعودة اولادها اليها طال  
الغياب أو قصر . والاهلا والسهلا من أمي عند الباب لا أحلى ولا اصدق  
ولا أشهى .

دائما .. ومهما تأخرت ، يكون لهيب الطعام متصاعدا في انتظاري ..  
ودائما عند الصباح اعود الى اليقظة مع انسياب الصوت الحنون من شق  
الباب ، الصوت الذي احبه ولا أريده ان يتغير .

جاءت اختي مرة .. وفتحت الباب بشدة وصرخت بكلمات نشيطة  
استمدت قوتها من مطلع الشمس وزقزقة العصافير وزعيق الباصات وتهديد  
عقارب الساعة مع شيء كثير من التأنيب والضجر والسرعة :

— يا الله .. تأخر الوقت .. قومي .. هذه المرة سأتركك ولن  
اعود ثانية .

واحسست بالانزعاج والالام . كانت اعماقي التي لا تنام تنتظر بلهفة



والختي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري

الفنان عيد القادر النائب - أريحا - حلب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

صوت أمي الحبيب الذي يتسلل الى منامي يؤكد لي استمرار طفولتي المدللة .

— يا الله يا ماما .. يا الله يا بنتي الله يرضى عليك .. قومي يا أمي .. حتى لا تتأخري .. حضرت لك الفطور والشاي .. غسلتي وجهك والحقيني لنتحدث لقد اشتقت اليك .

غيابي عن أمي اثناء نومي في الليل يجعلها تشنق الي .. وكأنها تتمنى ان تظل معنا وتلغي ساعات الليل من حياتها وحياة اولادها لتمد في عمر لقائنا بهم وتضاعفه .

ولقائي بأمي قليل قليل وكثيف وكثيف . انا اتمتع بأمي لا كما يتمتع الناس . انا اراقبها بشدة .. أنظر في عينيها .. في شعرها .. في ثوبها العتيق الذي تفوح منه رائحة المطبخ .. في ابتسامتها الطيبة .. في آمالها الظاهرة والخفية .. في مشيتها .. في نومها .. وهي لا تشعر بي .. لا تعرف أنني اغرف من جمالها الالهي ، واخترن صوراً لها لا تنتهي ..

أتمتع بها وهي تداعب أخي وتقبله من رقبتة الخلفية وتسال عن صحة أخي الثاني وتنتظر بلهفة وفرح وقلق من يقرأ لها آخر رسالة وصلت منه .. أتمتع بها وهي ترد على الهاتف بصوت متردد مبحوح ناعم ، أتمتع بها وهي تشوي اللحم وتقلي الخضار ، وتجلي الصحون والملاعق وتذوب تعباً وراء آلة الغسيل وتنتشر الغسيل وتلملمه عن الحبال .

أمد يدي لاساعدها فترفض بشدة وبأغلظ الايمان فأحترم ايمان أمي المتدينة المتعصبة لاسلامها واسكت وأبتعد عن ميدان عملها . أمي تتعب .. وأنفاسها تلهث ، ولكنها لا تشكو من عملها اليومي المرهق من أجلنا .. من أجل أسرته التي كبر أطفالها وما زالوا أطفالاً كباراً يلتصقون بالبيت باحضان الام التي تضم البيت كله .

عندما اقترب من أمي .. لاهمس في اذنها اسرار البنات لامها .. اشعر بانها سعيدة .. تسمعني وتحبني وتقف الى جانب آرائني ومواقفي ، تراني أجمل فتاة في الوجود . وعندما أضحك من هذا الرأي وتلك المجاملة واذكرها بالمثل الشامي العامي الذي يدين عين الام على ابنها : يا أمي المثل بقول : القرد بعين صاحبو غزال !! تضحك معي من المثل ولكنها لا تسحب كلمتها . وينمو الغرور السعيد في قلبي .

قالت لي مرة :

— أخاف على يديك . . . « والله ما رح خليكي تجلي الصحون » .  
وأنظر أنا الى يديها المتعبتين المعروقتين الخشتين في اللحظة نفسها . .  
وأبتسم من سخرية الايام . . ولا أنسى ان ترف يدي يشرب من  
شقاء يديها .

وترد بحنان غامر :

— انا لا ادلك . . بل أوفرك ليامك المقبلة .  
— ولكنك يا أمي تتعبين وأخاف عليك !  
— لن أتوقف عن العمل من أجلكم الا عندما أقع .  
وتوقفت عن الحوار معها حتى لا أبكي بصوت عال .

وخرجت من فمي كلمات تالية لا علاقة لها بنا ، ثم عدت الى غرفتي  
والى نفسي . لقد اكتشفت سر سعادة أمي وسعادة الامهات كل الامهات  
من خلالها ، وعرفت لماذا تثور في وجهي عندما أدخل الى مطبخها .

أمي سعيدة لأنها تعاني ارهاقا شديدا من أجل اسرتها . . لانها  
ترحف رغم تقدمها في السن لتقدم لنا شيئا عظيما قد يراه الناس واجبا يوميا  
عاديا يتجسد في طبق « كبة لبنية » او في قميص مفسول ومكوي ، او في  
بلاط ممسوح ، واره انا حادثا عظيما تصنعه الام وهي لا تريد مقابله الا  
فرحة حقيقية في وجوهنا وكلماتنا . همها الاول ان تقدم لنا خدماتها .

أحسست بثورة أمي الداخلية على ما يسلبه الآخرون منها في اكثر من  
مناسبة . ماذا يبقى لها لو أخذت انا منها عملية طهي الطعام مثلا!؟ وقررت  
أن أظل طفلتها التي تنقر على طبقها الفارغ بالمعلقة الصغيرة بلا توقف ،  
اعلانا مصرا عن الجوع لطبق من يد أمي الماهرة . فكيف احرمها في هذه  
السن من شيء تقدمه للحياة بعد ان منحت الحياة رجالا علمتهم كيف  
يسلكون طريق الحياة بحبة وشرف ؟

لن أفعل . . وقلبي يتلفت حولها يخاف عليها، يتمنى لو يتوقف ليمنحها  
من دقاته الشابة مزيدا من قوة الحياة .

أمي . . تبحث في النهار عن المتاعب . . لا تهذا لحظة واحدة ، فلو كان  
العمل في بيتها منتهيا لخلقت اعمالا جديدة . هي دائما في شغل . . كالعامل

الذي يتسلق جدران العمارة الجديدة المقابلة مع صياح الديك لا ينزل منها  
الا مع آذان المغرب .

أمي دائما في مكان الضحية .. ونحن دائما مثقلون بالديون . وأمي  
تتمتع بذكاء فطري يلفت النظر رغم توقفها من سنين بعيدة عن القراءة .  
لها حس مرهف ونفس شفافة وعاطفة متفجرة ، ودماء جزائرية مغربية  
تتدفق حيوية وثورة وتمردا . ذكاؤها الانثوي مشحون بالمرح والحب والفهم  
معا . انها سائرة على خط الحياة النامي ، انسانية غنية مثقلة بتقاليد  
الماضي وابتكارات الحاضر ، تتمسك بالأمس وتساير اليوم وتتوقع الغد .

بالعين تفهمك .. وبالقلب تضمك . وبالتضحية تأسرك .. دائما  
أبكي عندما أسمع فيروز تغني مقطعا من أغنيتها « لا تعتب علي » يقول :

حلفتني امي ما حاكي حدا

قالتلي يا أمي اياك العدا

أنت مش حدا

ولا أنت العدا

أنت اللي في عيني

رابية من الزهر

وأختنق بالدمع في كل مرة تغني فيها فايزة أحمد مقطعا من أغنيتها  
للأم يقول :

ست الحبايب يا حبيبة

يا أغلى من روحي ودمي

يا حنينة وكلك طيبة

يا ربي يخليك يا أمي

ثرت مرة في وجه امي لانها وضعت على مكتبي اشياء لا تخص غرفتي .  
وبعد حوار شديد من طرفي وضعيف من طرفها ، أغلقت الباب في وجهها  
بشدة ولجأت الى سريري ارتجف من الغضب « والالم » الذي يهددني  
بوصوله الكامل !!

وفي سريري نمت .. حاولت أن أنام .. وأخفقت المحاولة . ندمت  
وتأملت لان امي لم تفعل شيئا سيئا ضدي . وتمنيت لو أعود اليها لاقبلها

في شعرها ووجها وعينيها ويديها وقدميها وأقول لها بحب لا مثيل له : امي  
.. لا أقصد .. أنا مريضة .. الالم يضمنني وأكتم الآه حتى لا ازعجك ..  
هذا كل شيء . ولكنها سبقتني .. مدت رأسها بعد دقائق من الباب بحنان  
غامر وذكاء نادر وقالت لي بصوت يبتسم ويعطف ويضم :

— تقبريني ... جبلك كاسة شاي سخن واللابدك كاسة « نفع »  
.. سخن !!؟

وان كنت انسى فلا انسى الحكاية اللطيفة التي كانت تحكيها امي لي  
ولاخوتي الصغار قبل ان ننام لكي ننام . فلا تزيدنا الحكاية الا يقظة ورغبة  
في السهر والاستماع الى مزيد من الاغاني والحكايا . وكانت حكاية امي  
اسلوبا للتخلص من الحاننا وليست حكاية حقيقية ، وهي حكاية كل ام  
شامية لاولادها :

« احكي لك حكاية وبنتي رايحة جاية على بلاط الحمام والحمام فيه  
حريمية والحريمية بالاسطوح والاسطوح بدو سلم والسلم عند النجار  
والنجار بدو بيضة والبيضة بطيز الجاجة والجاجة بدو قمحة والقمحة  
بالتاحون والتاحون مبكرة والميات مقطعة ، رحت لعند خالتي ام حسين  
عطنتي تفاحتين اكلت تفاحة وخبيت تفاحة اجت عمتي السراقة سرققتها  
وظلعت تركض هية تركض وأنا اركض طيسنا بخراها خراها تمر وحنة  
يا ربي تموت الكنة لاعمل عزاها رنة واطلع لفوق المنبر وقول الله اكبر » .

وعندما ترفض اختي ان تنام كانت امي تهلل لها حتى تنام بسريرها  
الذي تهزه امي بيدها مرة وتشده « بالحيلة » مرات ، مرددة الاغنية الحلوة  
التي لا انسها :

اوللا يا اولاني  
يا ربي لا تنساني  
من فضلك يا رحماني

\*

اوللا يا اولاني  
راح الحج وخالني  
خالني بالبرية  
ستي زينب ورقية  
ورقية نزلت عالشام

شي الله يا شيخ رسلان  
يا حامي البر والشام

\*

اوللا يا اوليتي  
وسق الله يومن جيتي  
كانت امك فرحانة  
وبشرو البابا فيكي

\*

اوللا حدبو ندبو  
اوللا قط صغير  
اوللا قطشو دنبو

\*

نام يا ابني نام  
لادبح لك طير الحمام  
يا حمام لا تصدق  
عم كذب على ابني حتى ينام

\*

هزو لميمونة وما كانت تنام  
ومدلة وجعنونة وما كانت تنام

\*

اوللا يا ماما اوللا  
نام يا ابني نام  
والله عين الله ما نامت  
واحبابنا بالسفر يا ابني  
وقلوبنا والله اشتاقت

\*

اوللا يا ماما اوللا  
يا ستي ويا بنتي  
غاب القمر فين كنتي



غاب القمر ونجومو  
ما يضوي علي غير انت

\*

اوللا يا ماما اوللا  
يا سكان البرية  
ستي زينب ورقية  
ستي زينب حملة حملة  
ستي زينب يا أم الشملة

\*

اوللا يا ماما اوللا  
يا ستي ويا ست الكل  
من نقدك بربط وبحل  
ومن نقدك بكسي العريان  
ومن نقدك بطعمي الجوعان

\*

ناموا يا غنم ناموا  
وان شاء الله ما بتنضاموا

\*

اوللا يا اولاني  
يا ربي لا تنساني  
من فضلك يا رحماني

\*

وكم لاعبتنا امي لعبتنا المفضلة ، نحن الثلاثة ، اختي واخي الصغير  
وانا وكم ضحكنا وفرحنا بلعبتنا الحلوة « طيمشة منيمشة » ، وكنا نجلس  
على ركبتنا. امام امي ونمد ايدينا الصغيرة على ركبتنا وننتظر امي حتى تمس  
باناملها بالدور يد كل واحد فينا وتقول :

« طيمشة منيمشة بعنتني ستي عيشة لاشتري بصل وقع الكوز  
انكسر حلفت معلمتي لتعلقني بالشجر والشجر نقوط فلوس خبي ايدك  
يا منيحة يا عروس ام الحلقة والدبوس » .

وعندما كانت تمس كلمة الدبوس يد احدنا كان عليه ان يخفي هذه اليد وراء ظهره . وهكذا تستمر اللعبة الى ان تبقى بين الايدي الصغيرة الممدودة يد واحدة ، فتكمل امي اللعبة وتغني « طيمشة منيمشة » وتلمس بيدها يد ابنها وانفه . . . ونقلب على ظهورنا من شدة الضحك وامي تضحك معنا ، وضحكتها الصبية لا تزال تملأ سمعي حتى اليوم . ومن احلى مداعبات وحكايات امي اللطيفة المسلية ، حكاية واغنية يا باح يا باح يا عرق التفاح اجا العصفور ليتوضا لقالو ابريق فضة . . هي كمشتو . . وهي دبحتو . . وهي طبختو . . وهي اكلتو . . وهي قالت وين حصتي .؟! بالطاقة . . دبيلي وين بنام !! بيعبوطك بدني نام . . .!! وتكركرنا امنا عند رقبتنا . . . ونضحك ونضحك . . . ونطالب ثانيا بلعبة واغنية يا باح . . يا باح التي تلامس فيها يد امنا يد واحدنا . . وتعدد اصابعه واحدة واحدة . . كل اصبع لها دور . . هي كمشت العصفور وهي دبحتو . . واخيرا تلامس اصابع امي زند طفلها الابيض الحساس الصغير حتى تصل لرقبته وتكركره .

ما احلى امي وما اطيبيها .

قالت لي امي مرة وأنا احرك لها اللبن على النار بالكجاية :

— يا امي انتبهي . . حركي اللبن منيح حتى ما يفرط . .

— يا امي علميني شلون بتطبخي « الكبة اللبنية » !؟

— انا بغسل « البرغل » تمين وبصفي المي وبخليه غمرو مي باردة وبرشلو شوية ملح وبتركو لحتى ينفش . وبفركو بايدي وبفرك معو اللحمة الهبرة المدقوقة مع ملح وفلفل وكمشتين طحين يا اما شوية نشا . وبدقهن كلهن بجرن الكبة يا اما بحطهن دور بالماكينه ، وبكون محضرة على جنب خشوة الكبة : دهنة مدقوقة مع الجوز والبصلة والملح والفلفل وبحشي فيها الكيب الصغيرة . وبكون نقعت الرز بمي سخنة وملح نص ساعة ، بعدين بصول الرز بمي باردة وبسقطو بطنجرة عم تغلي فيها شوية ملح . ومتى ما شفتي الرزة نبتت مو دابت يعني طريت طراوة بتنزليه على الارض .

بحرك اللبن علبارد مع بيضة ونشا وشوية مي وبرفعو علنار حتى يقلب ، وايدك لازم ما تنقام منو لانو اذا دشرته وقلتي بيغلي لحالو بيفرط اذا ما حركته بالكجاية ، وقت بيغلي ويقلب منحط فوقو الرزات ، واذا صاروا الرزات مثل الجبولة بحركهن بالملي الباردة وبسكهن فوق اللبن

وبحركهن شوي شوي حتى ما يعلقو لبنين ما يغلي اللبن . متى ما على بتسقطي الكبة وبتحطي الكفكير بالسفل ومنحركو حتى ما يلزق الرز بالسفل ومنحركهن شوي شوي . ولبن الكبة اللبنية ما بيتغطي لا هو ولا اكلة « شيخ المحشي » ولا اكلة « الشاكرية » خلوها بيالكن يا بناتي . بتكوني نععتي الطرخون . اليايس وبتعصره من المي ، ووقت يكون اخضر بتغسله وبتحطيه فوق اللبن والكبة حتى يغلي اربع خمس غلوات ، بتطالعي كباية بصحن وبتدقي عليها اذا طبطبت بتكون استوت . وانتبهي اذا غليت الاكلة كثير كثير بتفرط الكبة . انت بدك يكون الك عيار بتمك اذا لقيتها مريقة بتنوصي الببور وبتكتي فوق اللبن نشا مع مي شوية شوية وبتحركه مع اللبن شوية شوية حتى ما يخرز يا اما بتنزلي الطنجرة وبتحركه لانو اهون وما يعود بخرز لانو اذا خرز اللبن ما بتعود بتاكل ومالو تدبيرة .

بتنزلي الكبة علارض وبتحمي معلقة سمنا حتى تطلع دخنتها وما تنزع لك طعمة الاكل وبتسكيها فوق اللبنية .

بتجيب الكفكير وبتسكي الكب قبل الكل بزيادي يا اما بطنجرة يا اما بصينية ، بعدين بتحركي الرز واللبن وبتسكيهن فوق الكب .

يا بنتي اكلة الكبة اللبنية الها كماله ، الكبة بالصينية والكبة المقلية بالزيت والكبة المشوية عالفحم والبابا غنوج والبيتجان المقلي والسلطة .

الكبة بالصينية هينة . بتدهني الصينية بالسمنة وبترمي الكبة قراص قراص وبتمدي اول وش عالصينية وبتعصري اللحمه والصنوبر والبصل والجوز من السمنة وبترشي هالحشوة على وش الصينية وبتكسي بايدك عليه بعدين بتمدي الوش الثاني من الكبة . وبتدوبي نتفة نشا وبترشين عالوش حتى تركزي الصينية تمام بعدين بتكسيها بايدك حتى تلزق وبتلمسيها . رشي عالوش شوية عصف ومليسيهن بايدك المبلولة وقطعي الصينية تقطيعه البقلاوة ، وبعد ما بتشويها بالفرن حتى يحمر الوش بتبخي الوش بالملي وبتغطيها وبتحمي السمنة وبتحطيها فوقها .

مشان الشوريا تبع اكلة الكبة . بتحطي العدس والبصل ومعلقة سمنا وشوية ملح ، وبتعبي نص الطنجرة البريستومي . بتتركها ربع ساعة بعد التصفير بتنزليها وبتحطيها تحت المي الباردة ، بتصفي ياللي بالطنجرة بمصفاية ناعمة وبتدوبي كمشة طحين بشوية مي وبتحركها معها . وبترشي فوقها فليفلة حمرا حلوة وحده وعصفر وملح وفلفل وسمنا من سمنا

حشوة الكبة بالصينية . وآخر شي بتحمي شوية سمنة وبتطشيهن فوق الشوريا .

بعدين بترقي الكبة وبتاخدي اللحمه والصنوبر والجوز والبصل وبتحشيهن بقلب القراص وبتساويهن كعب كبار هيك اصولهن . وبتحمي الزيت لتطلع دخنتو وبتنوصي النار حتى ما تتلدوع الكعب وبتقليهن حتى يحمر .

والمشوية لك بنتي ما بدها شي بترقي القرص وبتحطي بقلبو الدهنة المدقوقة مع الجوز والبصلة والملح والفلفل وبتحطي معها حبات الرمان الحامض . وبتساوي قرص ثاني على كفك مثل القبة وبتطبقيه فوق القرص الاولاني المسطح وبتلزقي القرصين سوا وبتلمسي طراف قرص الكبة وبتشوي القراص يا اما بالفرن مثل ما بيعملوا هالايام يا اما على منصفوق منقل فيه نار فحم مثل ما كنا نشويهن من زمان وشو كانوا يطلعوا طيبين . قلت لامي :

— يا امي بدي اتعلم منك كمان « البابا غنوج » و « الفتوش » .

— بي ما في أهين منهن . البابا غنوج اكلة طيبة كثير مع الكبة . وكبة بلا « بابا غنوج » يعني مو كبة . بتشوي البيتنجان عالنار بايدك بيتنجانة بيتنجانة . بعدين بتحطي البيتنجانات المشويين بالمى الباردة رأسا وبتقيمي القشرة المحروقة وسط المي حتى يضل لون البيتنجان ابيض مثل الفلة . وبتدقي البيتنجانات بالهاون وبتحطي معهن رشة ملح الليمون وتوم وزيت وبقدونس مفروم .

مشان الفتوش بتكسري الخبز اليابس وبتبليه بالمى وبتصفيه بالمصفاية . بعدين بتحطي فوق الخبزات خيار مقطوع وبندورة مفرومة وفليفلة وبقلة وزيتون اسود ونعنع أخضر وبترشى نعنغ يابس وبصلة مفرومة وتوم وخل وزيت بلدي . خلص هي هية الشغلة اي والله ما في اطيب منو .

— يا امي الله يخليكي . . . بدي اتعلم منك كمان اكلة الكوسا المحشي والبيرق والمكدوس والحبوب ! . .

— انا بتشرين اول بجيب البيتنجان البلدي حجمو وسط لا كبير ولا صغير يعني شي عشرة كيلو بيتنجان .

بحط ملات المعجن الكبير مي وبحط البيتنجان وهية المي باردة وبرفعو  
علنار وبغطيه وبجللو داير مع لفت بشاشية يا اما ببشكير عتيق حتى يحبس  
عليه البخار ويفلي . بترفعي الغطا وبتدسي البيتنجانة ومتى ما صارت طرية  
مو منوب تدوب يعني وسط ولا مجلدة قاسية ، بتنقله كله بالكفكير رأسا  
للمي الباردة بتكوني محضرتها بواعة كبيرة . برد بحط الوجبة التسانية  
للبيتنجان بنفس المي الغليانة واذا نقصت بزيتها مي باردة .

بتسكي علبينجانان الللي انسلتوا مي مرتين ثلاثة اربعة لحتى بيردو .  
وهنة بوسط المي بتقيمي الدناديش من راس البيتنجانة وبتخلي راسها  
مدور . بتحضري صحن الملح . وبتبدي بتمسكي كل بيتنجانة وبتحفرها من  
نصها باصبعك وبتحشيتها ملح . وبتبدي تصفي البيتنجانان بالسلة وبين  
كل طبقة وطبقة ملح يعني كمشة ملح مشان تنصفي ميتو ويمسك بالملح  
ما بعود بدوب . متى ما انتلت السلة بتحطي على وشها شاشية وفوقها  
صحن وفوق الصحن ايد هاون ثقيلة وبتحطي تحت السلة طنجرة وكل شوي  
شقي عليها وكبي منها المي . وبتخليها لتاني يوم . تاني يوم بتفردي البيتنجانان  
بلكن واسع . بتكوني محضرة التتبيلة . جوز مدقوق مع فليفلة حمرا حدة  
طرية وفليفلة حلوة وملح قليل وتوم مدقوق ، وبتحشي البيتنجانان بالتتبيلة  
وبتمسحيهن بشاشية نضيفة مبلولة بالملي . وبتصفي البيتنجانان بالقطرميز  
وكل اربع صفوف بترشي شوية ملح لتاني يوم حتى ينزل منو المي . وعشية  
بتحطي لهن زيت زيتون بلدي غمرهن . انتبهي لازم تحطي تحت القطرميز  
واعة لمدة عشر تيام وكل يوم بتشقي عليه واذا شفتي انو الزيت علي  
بتنقصي من الزيتات والزيت بيعلا لانو البيتنجان بيكبر بينفش ، وبتضلي  
عم تشقي علمكدوس جمعتين ثلاثة بجوز ينقص الزيت بقوموا بعفنوا ما فيها  
خسارة تناوقي تنويقة . وهيك بكون خلص ما بقى بدو شي ودوقي وشوفي  
ما اطيبو وكل سنة وانت سالمة .

— يسلم تمك يا امي . . هلا بددي اتعلم طبخة « المحشي » .

— علمنتي ياه الله يرحمها « ام جودت » . قالتلي مرة وكنت لساتني  
صغيرة عروس وما بعرف اطبخ : قالتلي احشي الكوساية وهية واقفة ولا  
تخضيتها وخلي شوية عند راسها فاضي بتطلع فرجة . ايه الله يرحمها  
والله كان طبخها طيب . والله يابنتي الطبخ « نفس » وفي ناس كثير ما بتحسني  
تحطي اكلهن بتمك لانهن مالهن نفس عالطبخ .

شوفي يا بنتي اكلة المحشي بالشام منساويها بالصيف بتكون  
الخضرة تازة وكثيرة . بتجيب مشان طبخة كبيرة اذا كان عندك عزيمة عشر  
كوسايات وعشر يقطينات وعشر بيتنجانات وعشر فليفلات كبار حلوين  
وحدين .

وقت بدك تحفري اليقطين بتحطي بالمحفرة ملح حتى ينحفر معك قوام  
وبعد ما بتحفري اليقطينة من الطرفين بتقشرها بالسكين . بعدين بتحفري  
البيتنجان والكوسا والفليفلة . والفليفالية بتحزي راسها بطرف السكين  
وبتكبسي غطاها لجوة وبعدين بتسحب ليرة وبتقيمي منها البزر وبتحشيتها  
بحشوة المحشي وبتغطي راسها بغطاها . ولحتى تحفري المرقة لازم  
تعصري شي كيلوين بندورة حمرا وتحطيلهن شوية ملح وملح الليمون وهنة  
باردين . ولحتى تحفري الحشوة بتجيب كيلو ونص لحم مفرومة ودهنة  
مفرومة وكيلو رز وملح ولفل وعصفر وشوية كمون خشن وصنوبر .

بتنقي الرز بمي سخنة مع شوية ملح وبتصليه بمي باردة . بعدين  
بتخلطي الرز مع اللحم والدهنة والعصفر والملح واللفل والكمون وبتبدي  
بتحشي الكوساية وهية واقفة وبتخليها ناقصة عقدة اصبعة ، وبتعملي  
نفس الشهي مع البيتنجان واليقطين والفليفلة ومتى ما غلت المرقة عالنار  
بتركزي ملحها وبتسقطي فيها الكوسايات واليقطينات والبيتنجانات  
والفليفليات وهية عم تغلي . ووقت بيستوي المحشي بتحطي فوق المرقة  
ننعم يابس وتوم .

اي والله والله مهما قالولي ما في اطيب من اكل الشام واكله المحشي  
لا تاكليها غير بيت شامي ولا تنسي من اكلات المحشي اليبرق والسلق  
والبخنا واليلانجي بالزيت .

— دخلك يا امي شو تغيرت الدنيا ما عاد حدا طبخ من اكلات الشهي  
خبيصة بالدبس والجوز ولا حبوب بدبس وحبوب بسكر والله بتذكر بصفري  
كنت امشي « بسوقساروجة » واللا « بسوق العتيق » و « بجوزة الحدبا »  
و « بباب الجابية » و « بالعمارة » وكل عشر دكاكين كنت لاتي بياع حاطط  
قدامو حلة حبوب والناس عم تاكل عندو . يا حين هديك الايام . يا امي  
طبخلنا حبوب والله جايه على بالي اكلة حبوب . . !!

— على عيني تقبريني . . . اسمو هلا وقت الدبس والله بدي  
اطبلن بكرة لونين حبوب بدبس وحبوب بسكر ، انا ما بحبو الا بدبس .

ولك بنتي الحبوب هين ولازم تتعلميه بكرة بموتٍ وحتى ما تشتهييه من ايد  
حد ارح علمك ياه .

بجيب القمح المقشر وحمص وفاصولية حب وفول يابس . بعد ما  
بنقيهن وبغسلهن بنقعهن بمية سخنة كل شي لحالو مدة ١٥ ساعة قبل  
بليلة . بفر على بكرة قبل الكل بسلق القمح لحالو والحمص لحالو والفاصولية  
الحب لحالها والفول بفقشو ويقسم كل فولة نصين وبسلقهن . ومتى ما  
استووا بوضب طنجرة كبيرة بحط فيها الحبوب مع بعضها مع مية السلق .  
وبخليهن يفلو سوا ومتى ما ختروا ، يكون محضرة كيلو دبس ومدوبتو بمي  
باردة علنار شوي شوي متى ما داب الدبس بكتو فوق الحبوب وبتركو  
لحتى يغلي مقدار ربع ساعة حتى يتشرب الحبوب الحلو منيح متى ما لقيتو  
ختر بنزلو وبسكبو بزبادي حتى يبرد وبرش فوق كل زبدية شهر ويانسون  
وجوز مبشور . هادا حبوب الدبس . وحبوب السكر بتخليه بالسكر عواض  
الدبس وبترشي عليه نقطة مازهر ، وبتسكبيه بالزبادي بعد ما بيغلي وبيختر  
وبتخليه هيك حتى يبرد بتزوقي وش الزبادي بالقلوبات المفقشة الجوز واللوز  
والبنقد والنسحق الحلبي والصنوبر والرمان الحلو وجوز الهند المبشور .

— طيب يا امي شو هنة اكلات الشام كمان .

— الحراق اصبعو . الطباخ روجو . يهودي مسافر ، شلباطو ،  
سنتي ازبقي ، اكلة فته المقادم ، والحفاتي والقشة . اللحمة المشوية  
والمعاليق . مقلى بالفول . الرز بالفول . الفولية باللحمة . بيتنجان مقلي .  
منزلة باحمر . يقطين بطحينة . مفركة بكوسا . مفركة ببيض . مفركة  
بفول . مكهور . مفركة بيتنجان . مفركة بطاطا . بسماشكات ورز . ومنزلة  
الزهرة . فته مكدوس . ورشتاية . الكنافة البصمة . والكنافة المدلوقة .  
والقطايف عصافيري . والقطايف المقلية بالسمنة « مطبقات » . حليب  
بالوظة . وهيلطية . برك بلحمة . برك بجبنة . فته بسماشكات . لبنية  
بالقشطة . حبوب بدبس . حبوب بسكر . رز حليب . زنكل . عوامة .  
بوراني . ومتبل بيتنجان . تسقية حمص بالسمنة . تسقية حمص بالزيت .  
مسبحة . فول مدمس . كمي باللحمة . زنود البنات . منزلة باسود .  
سمك مقلي وسمك مشوي وطرطور . سلطة خيار بالبن . سلطة بالخل .  
الفتوش . البابا غنوج . والكبب بانواعها : اللبنة والمشمشية والصينية  
والمقلية والمشوية والنية والكبة حميص . والجدي بزيت والشاكرية ،  
والمحاشي ، وشيخ المحشي بالبن والليلانجي بالزيت . واللحمة المقمعة ،

واللحمة المدللة ، وداوود باشا وعساكرو ، ولحمة مقرطة ، ولحمة بخل ،  
ونفخة ورز وهي منبظها بالعيد .

والاسلام بانثام يا بنتي بيظخوا « بعاشورا » ويوم « راس السنة  
الهجرية » « ابيض » حتى تكون السنة كلها بيضا ، مثل اللبنة وشيخ  
المحشي والشاكرية والرز بحليب والحبوب بحليب والقشطة ، ويعملوا  
بشهر رجب « ليلة الله » وبشعبان « غريبة » وبرمضان « برازق » .  
والمسيحية بالشام الهن اكلات طيبة بعيادهن . بيظخوا « بعيد الميلاد »  
جاج وبسماشكات وكببية مسلوقة بالشوربا ومحاشي . و « براس السنة »  
بيظخوا مثلنا ابيض حتى تصير السنة بيضا لبنة ورز بحليب والماسية  
وقشطة . وبعيد « الغطاس » يعملوا خبيصة بدبس وجوز وبخوت يعني  
برك بلحمة وأريشة . وبعيد « سبت العازار » يعملوا « حريرة » بالوظة  
رز ونشا على وثها دبس وجوز ويانسون . ويعملوا بعيد البربارة  
« سليقة » وقطائف . وطلو وزفر « بالكرايز » وباحد « الشعانين » بياكلوا  
سمك . لكان يا بنتي الاكل بالشام الو اصول . ويمكن اكل الشام أطيپ  
أكل بالدنية . معلشي منتعب بالاكل بس مناكل اكلة طيبة نضيفة على  
درسنا . نعمه . . الله يديمها ولا يزولها .

تركت امي في المطبخ وعدت الى غرفتي اكتب :

امي دنيا لا اول لها ولا آخر

امي سماء خضراء ترتع فيها الغزلان

وامي ارض زرقاء تعبق بها الغيوم

وامي محيطات كبيرة تلعب فيها الاسماك الملونة

امي الماضي والحاضر والمستقبل .

امي الزمن .

امي دم الحياة في عروقي

ولن اطلب من الله الا امي

نعمه . . الله يديمها فوق رأسي .



## أوها يا عريس لا تعبس

وصلتنا « التساكر » بطاقات الدعوة من « ناح » اهل العريس .  
عزيمة رجال .

بطاقتان . وطرت من الفرح لان امي اختارني هذه المرة لتأخذني معها  
الى العرس .

وكويت « الروب » الساتان الازرق المكشكش والشريطة الزرقاء  
لازين بها شعري . وكنت حاضرة قبل موعد العرس بثلاث ساعات .

وارتدت امي الصببة الجميلة من « تفصيلات » عرسها الانيقة  
« التفصيلة » المخملية السوداء السواريه وهي من خياطة خياطتها الشهيرة  
« فهمية خاتم » وزينت صدرها بمية الماس عريضة ، وتدلّى من اذنيها زوج  
حلق طويل من الماس الحقيقي النادر وهو هدية من « ستي » ام امي لامى .  
وشكلت رأسها بوردة طبيعية حمراء وحلت معصمها بسوار من ازرار  
الياسمين الطبيعية ، وكانت قد « تغندرت » وجملت وجهها وصدرها ورتبتها  
وظهرها وزنديها « بالسليمانى » ، وكحلت عينيها بالكحل الاسود الفاحم  
وطلت خديها وشفتيها بحمرة خفيفة .

ووقفت انظر الى امي بحب واعجاب وفرح . امي جميلة .. لا ارى  
اجمل من امي .

وعندما ذق ابي « سقاطة » الباب دقائق سريعة قوية معروفة يطلب  
منا فيها ان نفتح بسرعة ونمشي لانه احضر لنا « عربية » من مساحة  
« المرجة » ، رمت امي على ظهرها المعطف الاسود وغطت رأسها ووجهها  
بالمنديل الاسود السميك وامسكت بيدي وسرنا خلف ابي الى « العربية »  
السوداء التي تنتظرنا في رأس الحارة لتقلنا الى بيت العرس .

ومن فرط سعادتي وفرحتي كدت اقبل العريجي ابو « الطربوش »  
الخمري وحصانيه العزيزين الاسود والابيض . يا لسعادتي سأرى العروس  
لن احول عيني عن العروس .

ووقفت « العربية » في رأس الحارة الضيقة ، ونزلنا منها ومشينا  
على الإقدام حتى باب العرس الذي التم حوله اولاد الحارة . وكان الحجي  
المسن يجلس على كرسي من القش « ينظر » الباب ويأمر الاولاد بالابتعاد  
عندما وصلت اليه قبلنا بلحظات « طفة » نسوان من المدعوات مع اولادهن  
الرضع . واخذ العجوز يناقش ويجادل النسوة ويصر على منع من لا تحمل  
« تسكرة » من الدخول ، وكانت احداهن تحلف وتؤكد له انها من « ناح »  
بيت العروس ولا يجوز له ان يمنعه من الدخول ...!! والا فانها ستحرد  
وتعزف عن حضور العرس ويكون هو السبب !!..!

ووصلنا ... امي وانا ... تسبقنا بطاقتان ... وفتح لنا الطريق  
وهو يرحب بنا ، ودخلنا بلا مشاكل مع ناظر الباب . ورفعت امي منديلها  
عن وجهها ولعلعت زغاريد بيت اهل العريس تستقبلنا ضيوفا اعزاء في اول  
الدليل الذي يشتعل بحبل طويل من الكهرباء . وبعد تبادل التهاني والقبل  
اخذت احداهن منديل امي ومعطفها ودخلن بها الى الديار مهلات مرحبات  
الى الصدر الى احسن صف من صفوف كراسي الخيزران والى احسن  
كرسي في الجهة اليسارية من الليوان حيث تجلس « مداعي » بيت العريس ،  
لان « مداعي » بيت العروس يجلسن عادة الى يمين الليوان وفي صدر  
الديار تكريما وتقديرا وواجبا .. هكذا الاصول .

اما العروس فلها الصدارة الاولى في الليوان .

كانت جالسة على « الاسكي » العالي المزين بالسجاد والورود  
والانوار ولوحات كبيرة مضيئة مكتوبة بخط جميل : « الله » « محمد »  
« ما شاء الله » . « عين الحسود تبلى بالعمى » .

وغير بعيد عن الاسكي كان ينتصب بكبرياء « سبت » العروس مغطى  
بقماش من « الشيفون » الزهري الذي يخفي تحته طبقات من الملابس  
والسكاكر والشوكولاته على شكل ليرات ذهبية ، ولعب من السكر الملونة  
وآلات موسيقية حلوة الطعم . انه ينتظر بصمت حتى يصل العريس  
ويفتحه ويشعل انواره ويطعم العروس « ملبسة » ثم يقذفان معا حبات  
الملبس والسكاكر على المدعوات ، لتصاب بالعدوى كل من لم تتزوج بعد .

وجلست مبهورة الانفاس .. امي تسلم على جاراتها في المقاعد الخلفية وتتبادل التحيات والسؤال عن الصحة والاحوال عن بعد مع قريباتنا ، كما تتبادل التعليقات مع جارة ظريفة خفيفة الدم حول جمال العروس « وغندرتها » وتطلق النكات المرححة مع هذه المجموعة وتلك ، وترن الضحكات النسائية العذبة الرقيقة مع رنين الاساور الذهبية الناعمة في اجواء الديار العربية المفتوحة على السماء الصافية ذات النجوم الفضية وتتشعشع هذه الضحكات في اشجار الليمون والنانج والكماد والليلك وعرائش الياسمين ودوالي العنب . وسيدة تطلب كأس ماء بارد وثانية تنادي من شبك « الفرنكة » في فوقاني من البيت ، على من لها طفل ملفوف « بقنذاقة » حريرية مطرزة بازرق ان تصعد لترضع ابنها لانه يكاد يطق من البكاء وقد يوقظ بقية الاطفال !!! وثالثة تصرخ بحدة في وجه جارتها الامامية لانها عادت بكرسيها الخيزران السى الخلف فجأة فداست رجل الكرسي طرف تفصيلتها السوارية « التول » فمزقتها ..!! والعروس تجفف بطرف منديلها الابيض المطرز ، العرق عن وجهها من شدة وهج حرارة الكهرباء واللوكسات حتى لا يسيل الكريم « وتنزع » غندرتها، وام العريس تستقبل مع بناتها « طفات جديدة » عند الدهليز « بالزلاغيط » والاهلا والسهلا ، وعجوز لها وجه « منور » تراقب الصبايا بسرور وهن يتفتلن في ارض الديار وحول البحرة بسعادة وتتمتم بكلمات متواصلة ترافق حركات اصابعها وهي تدفع حبات المسبحة الصغيرة الناعمة في يدها البيضاء النظيفة .. حبة وراء حبة . واطراف سطوح البيت المطللة على ارض الديار تنبئ رغم العتمة بوجوه الجارات غير المدعوات وقد اختفت خلف الاغطية البيضاء على الرؤوس . وانا شاخصة بعينين ثابتتين في وجه العروس اجمل انسانة في الدنيا كلها !!..

اذن هذه هي العروس ..!! يا الهي كم هي باهرة ..!! فكم قالت لي امي « يا عروس » عندما كنت اقضي لها « غرضا » والبي طلبها بسرعة!! وكم كافأت اخي الصغير بكلمة « الله يرضى عليك يا عريس » عندما كان يملأ لها « حق الماء » من « فيجة » الحارة ..!!

اذن فالعريس والعروس هما ذروة المجد الانساني .. وآخر الطريق الطويل .. والمثل الاعلى عند الناس الذين تزوجوا والذين لم يتزوجوا بعد ..!!

العروس حلم البنات الصغيرات ، والعريس حلم الصبيان الصغار ،  
ويكبر الصغار ويتحقق الحلم .

العروس باحساسها الطفولي مخلوقة فذة خارقة للطبيعة .. ملاك  
باجنحة لا تطير .. ليست كالناس جميعا .. شيء أعلى .. هي مركز العالم  
ونقطة النهاية .. طير ابيض جميل وسط مجموعة من الغربان السود .  
العرس في قلبي وبصيرتي وعيني هو « العروس » فقط وكل ما عداها  
في الظل ..

ربما كنت أراها باهرة لشدة ما يلتصق على رأسها وفي صدرها وعنقها  
وأذنيها ويديها من قطع الماس الحقيقي القديم ، وما يزينها من ورود وقرنفل  
وياسمين .

وكنت رغم صغر سني احس بالحقيقة الخفية واحلل الامور ويتلاشى  
انبهاري للحظة او لحظات ثم اعود مبهورة . الماس ليس لها .. عيرة !!

نعم يا عروس .. كنت اقول لها بقلبي ، انا اعرف من ستي وامي ان  
اكثر عرايس الشام يستعرن الماس من العائلات الدمشقية التي تملك قطع  
الماس النادرة القديمة !! ثم يعاد الماس الى اصحابه بعد انتهاء مناسبة  
الفرح !! وانا لن اصدق ان هذا الماس كله لك او لامك ، لانني لن اصدق  
ان هذه الثروة من الماس ملك لامرأة واحدة !! وكان العروس تقراً ما بنفسها  
فتعدل « الموطيف » الماسي في صدرها . وتذكرت « ام حسني » السيدة  
الطيبة التي تسكن في حي الميدان عند آخر الخط . وشرد ذهني . عند آخر  
محطة يقف بنا « الترین » بعد رحلة طويلة ممتعة من ساحة المرجة حتى  
« ميدان فوقاني » . وأركب مع ستي أم امي في الترین بسعادة بالغة اجلس  
حتما الى جانب النافذة اتفرج على باب الجابية والسنانية وجنازة متجهة  
الى تربة باب الصغير وشواهد القبور الرخامية ترتفع فوقك ذك التربة الى  
يسار الترین ، ثم يقف الترین عند جامع الشيخ حسن ، ويستمر في رحلته  
عبر حي الميدان ، الى السويقة فالنحاتين حيث حواصل الخشب والرخام  
ودكاكين « معلمين » الصدف والموزاييك ، وجهاز عروس يحمله « العتالة »  
على كراجة : كراسي وكنبايات صدف وخزانة صدف بيابن وبيرو صدف  
وطرابيزات وقشوة ومرآة « وقبقاب العروس » وكلها من الصدف . ويقف  
الترین عند باب مصلى والشيخ عثمان ومحصة القضاة والبرز والمسلخ ،  
ثم يسير بنا الترین مارا بالمجتهد سيدي صهيب حمام فتحي بوايك القمح ،

القرشي الجزماتية آخر الخط . . . فأنا من المقعد الخشبي قبل ان يقف  
الترين واصرخ بصوت عال : هاوس . . هاوس . . هاوس عمو . . مع انه  
كان « سيهاوس » بصورة طبيعية فنحن عند آخر الخط . وننزل ويحول  
سائق الترين « السنكة » وتشتعل شرارة كهربائية وارتعب ، ويزمر  
الكمساري « بزمرتة » الرفيعة ، ويعود الترين الى المرجة . انه رجل  
عظيم قادر على قيادة الترين من الطرفين !! لكن الحمد لله اللي ما طلع  
المفتش لانو ستي ما قطعلي ورقة . . . !!

وأسير وانا انظر الى الخلف . . وستي تسحبني وانا مشدودة الى الترين ،  
الى نغمات جرس « الترين » اللطيفة يعزفها قائد « الترين » برجله بضربات  
خفيفة محببة ينبه بها الناس بان « الترام » قادم . وتشدني ستي  
الله يرحمها :

— امشي لك تيتي وصلنا . . هادا بيت خالتك ام حسني . . ما بقى  
غير فشختين !!! انظر الى رأس العروس المشع واتذكر وجه « ام حسني »  
السيدة العجوز التي تملك « مجعما » من الماس الحقيقي يأخذ العقل وهي  
تعيره بكامله لكل من تطلبه « عيرة » لابنتها في ليلة عرسها . وكانت ام حسني  
تدعى الى العرس فتسلم القطع لاهل العروس ليلة العرس في بيتها ثم  
تستلمها عند الفجر بعد نهاية العرس وتعود الى بيتها . وكان « مجمع »  
ام حسني على ما أذكر يضم قطعا نادرة تزين الرأس والعنق والصدر  
والاذنين واليدين والزند والاصابع . وللقطع اسماء حلوة كأشكالها : زنابق  
طيور ، مشط للرأس ، مية الماس للصدر ، مشط بايदा عشر نجمة ، دالية ،  
بروش الماس ، عرق لولو وذهب ، فلة ، شمسية ، غزال رقاص رهاج ،  
خاتم زيتونة ، اسوارة حية ، ابرة والابرة قطعة ثمينة تشك في صدر الثوب  
اوراقها خضر . حلق طوال ، حلق بحرية ، حلق بريشة . حلق خرس مدور  
مثل الفلة ، اساور لولو والماس وذهب رفاع .

لا بد ان يقدم العريس لعروسه قطعة مجوهرات ثمينة امام الناس  
وهي تجلس على الاسكي عدا ما سوف يقدمه ابو العريس وام العريس  
وقريبات العريس ، ولا بد انهم قد علموا العروس ان تقول لعريسها عندما  
تنفرد به في مخدعها :

— لن اكلمك حتى تعطيني حق شعري !!

وسوف تطالبه بثمن شعرها الطويل الجميل بطريقة مغرية لطيفة  
كما علموها :

فتاح جزدانك وعطيني حق شعري

ويا ريش دردر على ضهري

وأنا صبية باول جهلي

والليل طويل على مهلك ومهلي

ولا بد ان يقدم لها العريس حق شعرها بالبررات الذهبية . اما صبحة  
العريس فقد سمعت انهم علموها ان تقول لعريستها :

يسعد صباحك ياللي صبحتني انا اليوم

لشلحك البدلة الرسمية ولبسك قميص النوم

وأنا رغم صغر سني كنت « كالخلد » أعرف كل عادات الكبار ،  
والاصول ان يقدم العريس صبحة العريس لعروسه — وهي تختلف حسب  
ذوق العريس — واكثر الاحيان تكون : مناشف ثمينة ، فوطة حمام  
قصب ، بقجة « ثقيلة » مطرزة بالصرما ، طاسة حمام ، شحاطة ، قبقاب ،  
بودرة وحمرة .

والعروس تقدم لعريستها صبحة العريس : جوز جرابات ، جزدان ،  
محارم ، شقفة جوخة ، بيجاما ، روب دي شامبر ، منطوفة .

كل هذه الصور الجميلة لم تذهب الخوف من نفسي على هذه العروس  
الجميلة فانا اعرف ان العادة ان يقوم العريس بحركة عنيفة تثبت قوته  
ورجولته وبأسه حتى تخشاه العروس وتحترمه من الليلة الاولى .

وتتأكد مخاوفي ، وتهمس مدعوة باذن جارتها كلاما يدق قلبي له ، فقد  
سمعته بحرفيته :

— مسكينة . . هلا اول ما بيجي العريس وبيطلع مع العروس لخدع  
النوم ، واول ما تحكم عينو على عينها بدو يلطشها كف حتى تاخذلو « روزه »  
ويكون فايز عليها .

— والله ما بتعرفي حسب شطارتها ، اذا اجا وطلع عالاسكي  
وسبقتو ودعستلو على رجلو قبل ما يدعسلها على رجلها « بتكبسو » من  
اول ليلة .

— تقبريني ، العروس صغيرة وعاقلة ما رح يطلع بأيدها، والعريس  
عسر يمكن يضبعها من ليلة الدخلة .

— لا تخافي امها شاطرة يمكن علمتها كل شي ، اي والله والله انا  
عزوموني على « حمام الليل » وعلى « ليلة النقش والحنة » وعلماها شو  
تقول للعريس انا وبنات خالتها وبنات احماسا اختها درية ، ورح تكون  
قدو وقدود .

— يوه .. شو علمتوها .. بالله تحكي لي لبين ما يجي العريس ،  
يو الاريشة ليش ما عزوموني عالحماس . احكي لي ان شا الله انبسطوا  
بالحماس !!

— يي شو انبسطنا والله كنا منشتهيكي ، والله اهلها عملولها حمام  
مدلل . هادا يا ستي قبل الحمام عزوموني على ليلة الحنة واتحنوا العروس  
والصبايا قدامي .

— دخلك والله انا ما بعرف شلون بتصير الحنة ، انا وقت عرسي  
ما تحنيت ..

— بعرف تقبريني هية عادة قديمة وبطلت هالايا وما عاد حدا تحنا  
الا القليل القليل . اي والله انا قبل عرسي بليتين تحنيت حنة شي ظريف  
كثير . وبتذكر ستي ام امي شلون تعدت تنقشني وتعلمني شو قول للعريس  
اذا سألني شي سؤال .

قبل كل شي جابت ستي شمعة عسلية ولبانة وسيختهن سوا على نار  
المنقل وصارت تغط القشمة بالشمعة العسلية واللبانة وترسم على ايدي  
وزنودي ورد ومثلثات ودويرات وحجب و ٣ تفاحات والغزال الملتفت ،  
وتعلمني على كل رسمة شو قول للعريس اذا سألني : شو اسمو هادا ؟  
وبتذكر علمتني على نقش الزنود هالكلمة :

— نقشك شميلة وعليه الميله

يا فرحة عريسك مبارح والليله .

وقالتي اذا سالك شو معنى هالتلت زهرات قوليلو :

— وقعنا بالحب ثلاثتنا انا واختي وجارتنا .

— عانقتي لعانقتك وان ما عانقتني بخانقتك .

— عرق زداب وقلبي عليك داب .

— مخدة ابن العم .

— عبيد عبيد كلم سيدك خوابي النيل بتريدك .

— قاعد قبالي وقاعدة مقابيلو ويا شبه الاموي اذا شعلت قناديلو  
وطول الليل بغنيلي وبغنيلو .

ايه الله يرحمها ويرحم « الطراب » اللي ضمها .

بعدين يا ستي جابت ستي الحنة الحمرا وجبلتها بالي الباردة  
وعجنتها وصارت تدهنلي ايدي وتلف الاصابع اصبعا اي واصبعا لا  
بشرطوطة ولفت الباهم وحدو . وتاني يوم الصبح تامتلي الحنة وتلعنلي  
الشمعة وغسلت ايدي وبعدين اجت دهننلي اضافيري وايدي « بالفشوش  
والزرنينخ والدبس » ولفنلي ايدي بورق التين شي ربع ساعة بدك تقولي ،  
قال حتى يصير النقش اسود غامق ويبين بياض الايدي والزنود ، والله كان  
شي حلو وبياخذ العقل .

سقا الله ذكرتيني بليلة عرسي يا حسرتي كنا غفل وبتذكر شلون  
علمتني امي قول للعريس اول كلمة ليلة العرس وشو تعذبت حتى حفظتها :

قشر السمك التزم

اصل لزومي معك

طقت قلوب الاعادي

لما نظروني معك

تفنى عضامي ولا تفنى المحبة معك .

وبتذكر علمتني قول لعريسي :

بدوب جسمي كل ما بتجو على بالي

كما يدوب الحصى بروس الجبال

اسألوا المبتلي لا تسألوا الخالي

اسألوا الثريا والسبع نجمات

يا نجمة الصبح تنبيكن على حالي

— اي ما حكيتلي علحمام ؟

— جايبتك بالحكي تقبريني . هادا يا ستي اهل العروس اخدوا

الحمام من بابو . وعزموا المحبين والاهل واللازم اللازم . انا بعرسي اخدنا



جرنين ثلاثة حماية وحطينا على باب المقصورة فوطه من خوفنا على حالنا  
من عيون الناس . ووقتها ساوينا كبة نية ، اخدنا اللحمه المدقوقة وكل  
« اواتيل » الكبة بصلتها وفلفلها وملحها والبرغل والسلطة وكلو حضرائه  
بالحمام . وبعتلنا ابي سطل عرقسوس وعشر بطيخات حطيناهن ببجرة  
الحمام بالبراني بالمى الباردة . والله والله صرنا نغني ونرقص وندق على  
ضهر الطاسة . وانا لاني العروس تعدت على جرن « الاسطه » بتعري  
انت انو جرن « الاسطه » ما بيقعد عليه غير زبوناتها . والله غسلتلي راسي  
« الاسطه » ودللتنا « معلمة الحمام » دلال ودلال ، وما في غير « هالبلانة »  
عم تزق مية باردة لانو ايامنا ما كان في « زنبوعة » مي باردة فوق الجرن ،  
ما في الا « زنبوعة » مي سخنة . وبتعري في كنا اهلية بمحلية وانبسطنا بسط  
وبسط . وبعد الدخلة رحنا مع بيت اهل العريس على حمام الغمرة وبتذكر  
كان « الوفا » و « الصابون » والاكل على بيت اهل العريس . يي سقا الله  
شو زلفطولي بهالحمام زلاغيط وزلاغيط :

اوها ام العريس الله يعطيك  
اوها والسعادة بتواتيك  
اوها وعقبال فرحتك بالكمال  
اوها ومنجي منكافيك  
لي لي لي ليش

\*

اوها ام العريس انا جو عانة  
اوها وبدي صفيحة مأرة  
اوها وان شا الله بتضلي سالمة  
اوها وديارك معمرة  
لي لي لي ليش

— دخلك وان شا الله كان حمام عروستنا ظريف . . ؟

— يي اي والله . دق عود ورقص وصوات حلوة وضيافة راتبة  
صفيحة وفواكي وليموناتة وهالصبايا عم تتفتل بالحمام بالفوط القصب  
وانفردت مناقش شي جخ كثير وبعد الحمام انصفت الصبايا علمصاطب  
ولبسوا لبس حلو كثير وكانت العروس بيناتهن عم تضوي وعملولها تفتيلة  
حوالين البجرة ، وما خلوا حدا يدفع ابدا ، حرام والله الجماعة تكلفوا .  
اي تسلملي العروس حلوة قمر مصور وصغيرة بيلبقلها الله بييض بختها .

— دخلك ان شا الله ما يكونوا نسيو يعطوها خميرة عجينة حتى تتركها علباب قبل ما تقوت لبيت حماها حتى الله يركن بالها ويبيض سعادها!!  
اي والله والله انا ليلة عرسى اجت واحدة بتقربنا « حبيبة وليدة » وناولتني « الخميرة » على ورقة خضرا حتى الزيتها على باب بيت العريس قبل ما ادعس قدم حتى تكون جوازة الدهر وكل ايامي خضرا . ورشولي ملح من العين ، اي والله والله قبل ما يحاكيني كلمة عريسي وقتن طلعتنا على مخدعي ، مد ديل بدلتى البيضا الطويل وصلى عليه ، ومن يومها والله حياتنا مثل السمن والعسل .

— شوفي شوفي مدري مين اجا . . !!

والتفت انا مع المرأتين لارى من الذي حضر فقطع الحديث المتع وحرمني من تفاصيل كثيرة . . !!

فوج جديد من المدعوات مع اطفالهن الرضع ومع كل واحدة « بقجة » ملابس كبيرة . وصعدن الدرج راسا الى الفوقاني وبعضهن دخل الى قاعات البيت المخصصة في الطابق الاول لارتداء الاثواب « السواريه » الملفوفة في البتج المطرزة بالصرما والقصب .

دخلت المدعوات الى القاعات بالملايا السود كالاشباح وخرجن منها بعد فترة كالحوريات « بالتفصيلات » الملونة « السواريه » المقصبة بعروق الذهب او الفضة والمزينة بالورود وقطع الجواهرات الثمينة . وكانت « التفصيلية » الاكثر اناقة على جسم صاحبتهما البض وقوامها الفئاع وبياضها الناصع تسرق اهتمام المدعوات بالعروس وجمالها وثوبها الابيض . وطبعاً لاسم الخياطة اهمية بالغة تلك الايام . فهذه تخط عند بيت «فركوح» وتلك لا يقبل « اسبر دادا » بتفصيلتها اقل من مئة ليرة ذهب وثلاثة لا تخط الا عند « مدام روز » بالقيمرية .

والذي كان يدعو الى دهشتي وانبهاري ان كل صببية ومدعوة كانت تغير ليلة العرس اكثر من ثلاث او اربع تفصيلات غاية في الذوق والفن ، تصعد بثوب وتنزل بثوب تختال كالطاووس تلفت الانظار وتثير كلمات الاعجاب « ان شا الله ما يعدم » وتبعث البهجة في النفوس التي تحيي زوجها عن بعد « ان شا الله بيتها » .

اما العرائس الجديديات والتي لم يمر على زواجهن اكثر من سنة فانهن يرتدين في البدء التفصيلات « السواريه » البيضاء ويتشككن بالورد الابيض كالعروس تماما ويتفتلن في العرس كالملائكة .

وايقظتني من احلامي العذبة وعالمي الملون بالوان الثياب الجميلة في ليلة العرس يد سيدة طيبة هي يد أم العريس وهي تدفع الى حضني الصغير بصرة سكاكر وموالح ، مندبل ابيض فيه بزر وقضامة وملضمينا وفستق ولوز وبندق وملبس وراحة وقرص فستق على سكر . صرة لكل مدعوة حتى تتسلى في « الليلية » التي سوف تمتد حتى مطلع الفجر . لامي صرة ولي صرة . وحلفت امي بان صرة واحدة تكفي لنا نحن الاثنتين ، وتضايقت ، الا ان أم العريس ، والحمد لله ، حلفت الا ان تعطيني صرة خاصة . كم هو شيء عظيم ان يأخذ الانسان « الطفل » صرة كاملة له وحده !! آه ... انها ليلة من ليالي العمر السعيدة .

لاحظت ان صدر العروس الحلوة يعلو ويهبط كثيرا ، ولم أفهم سر هذه الظاهرة ... !!

حاولت ان اسأل امي . . ولكنني خفت ان تغضب لانها اشترطت علي الهدوء التام في العرس وقلة الحركة وعدم الكلام حتى تأخذني معها مرة ثانية . وبلعت السؤال مع انه كان يشغلني كثيرا ، ما بال العروس هل هي خائفة . . . ؟ ولماذا . . . ؟ وهل يمكن للانسان ان يخاف في هذه السهرة وهذا البيت الذي اراه قطعة من الجنة !؟ وتبيست في مكاني مع ان رغبتني الحقيقية كانت ان اثب طائفة في الهواء لاحط كالطير الى جانب العروس او عند قدميها كما تفعل الصغيرات في العرس امام عيني وانا اتحرق غيرة . العروس خجلة لا ترفع عينها الى المدعوات اللواتي يحقدن بها طيلة الوقت . . وكروسي العريس الى جانبها ينتظر وصول صاحبه .

وسمعت همسة مثيرة ادارت الرؤوس بالطرب سلنا . قيل ان بيت العريس قد أحضروا لعرس ابنهم جوقة طرب ولم يعرف احد بعد من ستكون المطربة . وقالت لهن امي ضاحكة : يمكن بنات مكنو !! مع ان بنات مكنو جوقة نسائية قديمة سمعتها امي في طفولتها . وردت عليها جارة لها ترد النكتة : لا يمكن « رمزية البقة » يا اما « بدرية نبل بدني » يا اما « جميلة واخلع » . وقالت لها امي وهي تكاد تغشى من الضحك: كل شي الا « نظمية الخنة » ذلك بتطالع الروح دق عودها ظريف لادن يا اختي ليين ما تدقلها شي دقة بتطقق القلب ما بتدق الا حتى تتعشى وحتى تتقدميلها باكيك سيجارة واذا حبت بايدك خاتم وما عطيتها ياه بتحرد وبتبطل تدق بي تقبروني ما بحسن عليها . وردت ثالثة قائلة : ان شا الله تجي ام حلمي مع انوكبرت ، لاني بحب منها لبس الرجالي وغنية « يا خلالي ويا مالي يا ربمي تردو علي » وغنية « جربوني بحيك وبغزل » ، وان شا الله ما يعدم عليها الشروال

والميتان والشال والحطة والعقال والشوارب العيرة .. وهمست سيده  
رابعة في اذن جاراتها المرحات : يو لا والله انا ما بحب صوت ام حلمي ان  
شا الله يجيبو « مكية السمرة » يا اما « ناجية كلشن » يا اما « فهمية  
قاعاتي » يا اما « بدرية النقرة » ! وان شا الله يجيبو واحدة معها جوق  
دقاقة عود وقانون وكمنجة ودريكة ودف ومقيشات حتى ننسب .

اخبار مغرية ... وطار النوم من عيني . ولكن صبايا العرس لا بد  
وان يرقصن رقصة التفتيلة مع العروس ويدرن بالعروس حول البحرة  
الرخامية الكبيرة التي « يطف » منها الماء ، وينساب من نافورتها بنغم رتيب  
يوحي بالسعادة .

العروس في الوسط وعدد من الصبايا يفوق العشر يسير خطوة واحدة  
على نغمة واحدة .

وانطلقت اغاني « التفتيلة » ترن في اجواء العرس والعروس بين  
الصبايا بالبستين « السواريه » الملونة ، تمشي خطوات متعثرة خجول لا  
ترفع عينها عن الارض ، وتبدأ الاغنية الاولى للتفتيلة بكلمات غامضة  
تعبر عن الفرح بنغم هاديء : هيا .. هيا .. هيا ...

وكأن هذه الكلمة الغامضة « هيا » تشير الى العروس التي تمسك  
بيديها الصبايا قائلات :

« هذه هي عروستنا » او « ها هي العروس » .

وتكرر مجموعة الصبايا وهن يتمايلن يمينا ويسارا في حركة  
ناعمة واحدة :

هيا .. هيا .. هيا ...

هيا يا ست ويا بنت

كم مية قبض بيك

وتعذبنا لحتى رضي خيك

ويجملك ان شا الله مبروكة

علينا وتتهني بعمرك

لي لي لي ليش

\*

هيها يا ست ويا بنت  
تيمي هالغطا وارميه  
حرقة ابو اللي حيكو  
واللي سعالك فيه  
ان كان بيت ابوكي  
بسمار اقلعيه وخديه  
لي لي لي ليش

✱

هيها قومي اطلعي عالقصر العالي  
وبحياة ابوكي هالغالي  
حلفت وقاتلت ما بطلع  
الا بجوق المغاني  
لي لي لي ليش

### واغنية حلوة ثانية لعروس الشام :

اسم الله اسم الله يا زينة  
يا ورد جوة الجنينة  
زهر القرنفل يا عروسة  
والورد خيم علينا

✱

قومي العبي بحبل اللولو  
وافردي شعرك على طولو  
خليهن يحكو ويقولو  
آه يا حلوة يا عسلية

✱

قومي العبي بعرق الالماس  
واللولو حارس هالبزاز  
الله يجيرك من كلام الناس  
آه يا حلوة يا شامية

✱

قومي العبي بميصك  
كل العزبان على كيسك  
الله يخلي عريسك  
آه يا حلاوة يا عسلية

### وتتابع الصبايا رقصة التفنيلة ولا يتعبن :

عالدلاي عالدلاي  
هالنقلة نقلة غزالي  
لبست بدلة وشلحت بدلة  
وتحت البدلة شي ضوالي  
\*

عالدلاي عالدلاي  
هالنقلة نقلة غزالي  
لبست شلحة وشلحت شلحة  
وتحت الشلحة شي ضوالي  
\*

عالدلاي عالدلاي  
هالنقلة نقلة غزالي  
لبست لولو وشلحت لولو  
وتحت اللولو شي ضوالي

### واغنية ناللة للعروس :

عالنائمة عالنايمة  
لا تجعزوا هالنائمة  
عالنائمة ومرحرة  
والخصر زي المروحة  
عالنائمة ومحنائة  
وتعيشي عمرك مهنائة  
عالنائمة نومك نوم  
ويا حبيبة قلبي دوم

ولولا هالصلاة والصوم

لكنت بعبك نايمة

عالنايمة عالنايمة

لا تجعزوا هالنايمة

لا بد من « التفتيلة » في كل عرس ، لا بد ان ترقص العروس حتى  
« يفتل » حظها ويرقص طيلة حياتها الزوجية .

واعيدت العروس الى كرسيها الفخم في « الاسكي » العالي والدقائق  
تمر عليها ساعات ، او ان الساعات تمر دقائق لست ادري ، فالعريس  
مخلوق غامض جميل ومخيف محبوب ومرهوب .. !!

الكرسي الخالي الى جانبها ينسادي صاحبه ، وهي تنتظر بشوق  
ولهفة ورهبة وصول الانسان الذي اختاروه لها والذي ستراه الليلة وتكلمه  
لاول مرة .

ونسلمع من بعيد هرج ومرج واصوات رجال واطلاق رصاص في رأس  
الحارة .. يظهر ان « عراضة » العريس قد وصلت من التلييسة ، والشبان  
يسيرون في الحي حول العريس يرددون في الليل السعيد الذي طار فيه  
النوم من عيون الجيران :

« صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا وبيض الله وشو .. صلوا  
على محمد ونير واغضير .. »

وترد النسوة في العرس على الرجال « بالزلاغيط » عند الدهليز ،  
ووراء باب البيت تستقبل العريس امه واخواته وعماته وخالاته وقربياته  
كلهن .

ويجتاز العريس عتبة الباب ثم يمر بالدهليز ويطل على ارض الديار  
بطوله الفارع واناقتة البالغة وطقمه الاسود وطربوشه الخمرى وابتسامته  
الخفية تحت شاربيه الكثيفين . وترتفع ايدي المدعوات بالاغطية والمناديل  
واطراف الاثواب السواريه لتغطي الرؤوس والصدور والزنود العارية .

وتهمس ام العريس في اذن ابنتها العريس :

— تقبرني بلا هالطربوش ، قيمو والله بلا طربوش احلى ما عاد حدا  
حط طرابيش !!

— لا ما رح قيمو ، شو نقام الشرف من راسنا حتى نشلح  
الطربوش !!؟؟

ويمشى خطوتين . . . .

وتحدث في العرس مفاجأة !!

وتنقلب الضحكات الى دموع سخية تهر على الخدود ، وتتحول  
الزغاريد الى حوار حاد بين اهل العروس واهل العريس .

ويتوقف قلبي عن الخفقان . . واقف على الكرسي الخيزران لارى  
بسهولة ما يجري هناك عند آخر البيت ولاطلع على تفاصيل الخلاف ولاسمع  
ما يدور من حوار بين جبهتين :

العروس بكل جمالها الاخاذ وعظمتها واقفة على الاسكي ترتجف  
وتنتظر . . !! والى جانبها تقف اخواتها المتزوجات وعمتها الكبيرة . .  
فأما ميتة .

وعند اول الديار يقف العريس بكل وقاره وصمته تمسك بمرفقيه  
امه واخته الكبيرة تقسمان بالايمان المغلظة « بالعظيم بالقسيم » ان العريس  
لن يتحرك خطوة الى الامام حتى تأتي العروس اليه . . !!

ومن الجهة الثانية تقسم اخت العروس الكبيرة والدمعة تكاد تخنقها  
ان اختها لن تنزل من مكانها ولن تتقدم خطوة الى ان يأتي العريس اليها  
ويسلم عليها . . !!

وترتفع الاصوات من هنا ومن هناك . . لا العريس يتكلم ولا العروس  
تتكلم ولكل منهما محام يتكلم باسمه بلا تفويض . ويحتد الحوار ويتأزم  
الموقف ويرفض كل طرف ان يتنازل عن كلمته ويؤكد تمسكه بموقفه  
حتى النهاية . . !!

ويكاد العرس ان يتحول الى ماتم ، ويكاد الغنساء ان يتحول الى  
دموع ، وتكاد الزغاريد ان تتحول الى شتائم .

وبحكمة الله تقف بين النساء سيدة مسنة فاضلة ترتدي ثوبا ازرق  
وتتلفح بغطاء حريري ابيض ويدها مسبحة وتعلن بهدوء الحل الوسط :

تحضر العروس الى عريسها حتى منتصف الديار ويحضر العريس  
الى عروسه حتى منتصف الديار ويتصافحان ثم يأخذها من يدها ويصعدان  
الى الاسكي معا .



ولقي الرأي الحكيم صدى طيبا عند الطرفين ، ونزلت العروس عن الاسكي ، واختها تمسح عن خديها دموعا تاهرة ، ووصلت الى نقطة الوسط وصافحت العريس وعاد بها الى عرشها المتوهج بالانوار المتلألئة والازهار النضرة الفواحة وعلق في عنقها مية الماس ثمينة وسط تصفيق المدعوات وزغاريد الصبايا ، ثم شكل على صدر ثوبها الابيض قرنفلة حمراء تطفتها له اخته من باقة زهر تزين الاسكي فقطفت احداهن للعروس زهرة زنبق ابيض وقدمتها للعروس فأخذتها العروس وشكلتها في عروة ياقعة بدلة العريس وسط رياح التصفيق الحاد العاصف ، ثم فتح العريس ستارة « سبت » الملبس الزهرية الشفافة واطعم العروس من الملبس واكل معها ملبسة وبدأ ينثران الملبس على المدعوات وقطع السكر الملونة وليرات الذهب المعبأة بالشوكولاته والآلات الموسيقية التي صنعت من السكر واخذت انا منها ليرة ذهب شوكلاته « وعود وكمنجة على سكر » .

وازداد الضغط حول العروس والعريس وهجمت الصبايا نحو اللبوان في مجموعتين على رأس كل مجموعة سيدة تتقن الزغاريد ، وكانت المجموعة تبدأ الزغرودة بكلمة « اوها » وتقول السيدة الماهرة الوصفة ، وتنتهي الصبايا زغرودتها بكلمة « لي لي لي ليش » :

اوها يا عريس لا تعبس  
اوها فريد البقجة والبس  
اوها شواربك عروق الريحان  
اوها وسوالفها عروق النرجس  
لي لي لي ليش

✱

اوها بيتنا رمانة  
اوها حامضة ولفانة  
اوها حلفنا ما منقطعها  
اوها ليدخل عريسنا بالسلامة  
لي لي لي ليش

✱

اوها سعيد يا واحد  
اوها محمد ياتنين

اوها واللي ما بيصلي عالنبي  
اوها يعدم العينتين  
لي لي لي ليش

\*

اوها عالعلمي عالعلمي  
اوها يا صبايا تجمي  
اوها يا ليل طول طول  
اوها ويا شمس لا تطلعي  
لي لي لي ليش

\*

اوها حصنتك بياسين  
اوها ويا زهر البساتين  
اوها يا مصحف صغير  
اوها على روس السلاطين  
لي لي لي ليش

\*

اوها شو هالنهار اللايق  
اوها وفرحتلنا الخلايق  
اوها وطقت قلوب الاعادي  
اوها ولمن حقت الحقايق  
لي لي لي ليش

\*

اوها ديارنا كبيرة  
اوها ودرج الحمام فيها  
اوها وام العريس فرحانة  
اوها والله ربي يهنيها  
لي لي لي ليش

\*

اوها يا عريس ريتو مبارك  
اوها يا عريس السبع بركات  
اوها وان شا الله لما يجيك الصبي  
اوها وبتكمل الفرحات  
لي لي لي ليش

\*

اوها جبينك بيلمع  
اوها اذانك بتسمع  
اوها ما منطلع من هون  
اوها لتطعمينا ما ها لجمع  
لي لي لي ليش

\*

اوها رفاع راسك واقشعها  
اوها قبل ما تفرد مجمعها  
اوها وان كان لك صاحبة اهجرا  
اوها وباب القهوة لا تعبيرا  
لي لي لي ليش

\*

اوها يا جماعة كلكن  
اوها وما نسينا فضلكن  
اوها واليوم عنا  
اوها وان شا الله بكرة عندكن  
لي لي لي ليش

\*

اوها العريس يا واحد  
اوها اخوه يا تنين  
اوها يا خرزة زرقا  
اوها ترد عنهن العين  
لي لي لي ليش

ووسط « الزلاغيط » التي ضجت بها الحارة ، صعد العروسان درج  
البيت الى « مخدع » النوم واشتغلت « الوتوتة » بين النسوان .

وهمست واحدة في اذن جاريتها مازحة:

— يا ريتني « برغشسة » لاتخبى بشعر العروس واسمع شو عم  
يقولها العريس ..!!

— اي والله عروس حلوة .. ان شا الله بيتنها .

شوفي.. شوفي شلون عم يشدو الجلايل علشبابيك حتى ما نشوف  
شي !! هاها هاها ...

وبغيااب نجمي العرس عن الانظار صفا الجو للمدعوات وبدأ  
« دوزان » العود بعد ان حلفت ام العريس على احدى المدعوات الا ان  
تعزف لهن ليتمتن بعزفها المنفرد ولترقص ولتغني على عزفها صبايا العرس  
ريثما تحضر المغنية وجوقتها ، فعزفت لهن رقصة « ستي » وشدت اخوات  
العريس اكثر من مدعوة شابة لطلبة الرقص ، فهذه تتمتع وتلك تتدلل ولكن  
لا بد ان ترقص كل واحدة في نهاية المحاولة .

وطلب من ام الصوت الحلو في العرس ان تغني لهن « يا مال الشام »  
و « ميجانا وعتابا » و « ليالي » ويا طيرة طيري يا حمامة فأطربت وانتزعت  
الاه من الحناجر :

وانزلي بدمر والهامة  
هالاسمر ابو الخال  
وشـرع الله  
جننتيني  
حرام والله

يا طيرة طيري يا حمامة  
هاتي لي من حبي علامة  
يكفى عذابي  
أنا على ديني  
على ديني العشق

\*

وانزلي بدمر والهامة  
سيجارة وبصة نار  
وشـرع الله  
جننتيني  
حرام والله

علي وطيري يا حمامة  
هاتي لي من حبي علامة  
يكفى عذابي  
أنا على ديني  
على ديني العشق

\*

وانزلي بيت محبيني  
واحكلي علي صار  
وشرع الله  
جنتيني  
حرام والله

يا طيرة علي واقليلي  
ايش ما حكو تعي اقليلي  
يكفى عذابي  
انا على ديني  
على ديني العشق

\*

وانزلي بيت الاهلية  
تطفي بقلبي النار  
وشرع الله  
جنتيني  
حرام والله

يا طيرة طيري ستينية  
هاتي لي منهن حنية  
يكفى عذابي  
انا على ديني  
على ديني العشق

\*

من يوم فراقك يا ولفي  
يا حلوة يا ام الخال  
وشرع الله  
جنتيني  
حرام والله

نزلت دموعي على كتفي  
قربي علي وانحدي  
يكفى عذابي  
انا على ديني  
على ديني العشق

\*

وانا الهويانة بالسرقنة  
على الفرقة ومالي ضيان  
وشرع الله  
جنتيني  
حرام والله

نزلت دموعي محترقة  
يا ماما ما اصعب الفرقة  
يكفى عذابي  
انا على ديني  
على ديني العشق

\*

واحترت بأمرني لمن حاكي  
من حر الشوق والنار

نزلت دموعي وانا باكي  
وانا لربي شاكي

يكفى عذابي      وشـرع الله  
أنا على ديني      جنـتيني  
على ديني العشق      حـرام والله

وانتهت الاغنية ترافقتها الآهات وحاولت المدعوة ان تترك العود الا ان  
الف يمين والـف عظيم قد الحا عليها من اجل اغنية يا حنينة فغنتها راضية .  
واهتزت ريشة العود وانطلق الصوت الحلو .

يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة  
شو هالزمان اللي انقلب من بعد الهوى

✱

ويا رايحة عالدرس وبايدها المسبحة  
وجاية من الدرس هويانة مسوسحة  
ودخلك يا يامو وشو هالمصلحة  
وحبي وعشقي لعينك انا  
ستي انا وعيني انا وحياتي انا  
والله لاضمك ضمك ضم اللولو بعنقي انا  
يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة

✱

يا حنينة يا امة الاسلام حبيبي فينها  
ويا جناح الطير هدب عينيها  
ويا سعد مين شمها وضمها  
زاد بعمره عشرين سنة  
يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة

✱

مساكين اهل الهوى شو تيمو  
بعد ما كانوا كواكب عتمو  
عطيتهن سر للحبايب ما كتمو  
يا حسرتي مين عاد يكتم سرنا

✱

يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة  
شو هالزمان اللي انقلب من بعد الهوى

ثم وقفت الصبية المرحمة الذكية الحلوة « ام سامي » لتعدد بعض  
الاقوال الغزلية القديمة وترقص رقصتها المشهورة المضحكة التي تقوم على  
تقليد المدعوات : « يورم خديجة بلمام » تبدأ ام سامي الاغنية بصورة طبيعية  
لا تبعث على الضحك يورم خديجة بلمام . . . يورم خديجة بلمام . . . جملة  
تركية تدل على ان خديجة ضائعة منها وتبحث عنها وتقترب من كل واحدة  
في الليلية وتسالها : شفتيلي خديجة ؟ وترد عليها احداهن دون ان تدري  
ما ينتظرها ، بلهجة طبيعية : لا والله ما شفتنا . . . وتقلدها ام سامي بالصوت  
وحركات الوجه واليدين : لا والله ما شفتنا !!! يورم خديجة بلمام . . . يورم  
خديجة بلمام . . . ويأتي دور الثانية والثالثة والرابعة : شفتيلي خديجة ؟  
وتأتي الاجابات هذه المرة مختصرة ومرسومة خوفا من التقليد :

— لا يا عيني ما شفتنا . . .

— لا والله . .

— مبارح شفتنا . . .

— لا . .

— لا . .

— الله يجمعك فيها . . ما كنتي انتي وياها اولت مبارح . . ؟؟  
وتقلدها ام سامي :

— الله يجمعك فيها . . ما كنتي انتي وياها اولت مبارح . . ؟؟

وتضح السهرة بالضحك . . لا فائدة ام سامي تقلد كل سيدة مهما  
كانت ذكية ولكل واحدة حركة مضحكة حتما .

ويحلفن على ام سامي الا ان تغني اغنيتهما « الظريفة » وهي واقفة  
ترقص . وتسال : انو غنية بدكن ؟!! على عيني وراسي !! وتعالى  
الاصوات : بدنا غنية « الف الوف » . . . ويدق العود ويشمد التصفيق مع  
مطلع الاغنية الغزلية الغربية وتبدأ الجوقة :

الف الوف والفتا

وال ب بالمعنى بينتا

وال ت تنيئا وتلتا

وال ث ثبتا عالغالي  
ايام انقلبت ليالي

✱

حرف الالف الف المحبوب لحضيني  
وال ب انبلت بحبك يا ضيا عيني  
درت العرب والعجم والترك يا زيني  
شاهدتهم ما حللي غيرك بعينية

✱

وال ت توتا عالاله صورك يا زين  
وال ث ثابت بحبي ما ينشف دمع العين  
دمعن سليتو ودمعن سال عالخدين  
راقب الهك وشوف الذي جرى بية

✱

وال ج جسمي انضنى من الشوق والهجران  
وال ح حلو المباسم سبا لبنات الشام  
انا لصير شبيه العنيسي واسرح مع الغزلان  
لاجل ريم الفلا راخي الحسينية

✱

وال خ خليت عقلي شمال من راسي  
وال د دويت جسمي ليش يا قاسي  
لو كنت تعلم بالصد والهجران يا ناسي  
ما كنت ذوقت جسمي لوعة الكية

✱

وال ر رمحك الرديني قدك الميال  
وال ز زعلان ليش ريت الزعل ما كان  
انا سهران لاجل محبوبي وليلي طال  
ونومي شردي حلو ما عاد يحضر لعينية

✱



والس سررك لغيرك قط ما بسمح  
ان ردتني عبد للخدمة انا بطلع  
وان ردتني محبوب للعشرة والكيفية

\*

والش شعرك لديك آه من ميلك  
والص صدك صبغ لوني كما ليك  
اظن يا بدري ما اجينا على ميلك  
بالوعد يا كمون بسقيك بالمية

\*

والض ضحكك صبغ لوني بدقاتك  
والط طيب جروحاتي بدياتك  
آه يا حلو من بوسة من شفيفاتك  
ما عاد ينزل بقلبي شربة المية

\*

والظ ظبي شرد عني يا حلو مين ردو  
والع عفت الاهل والاطوان لاجلو  
حاطط « سليمي » شاماتو على خدو  
هو تربية كفي ما هو صيد بريه

\*

والغ غضبان يا محبوب صالحنا  
والف فريد البهاء يا محبوب سامحنا  
واقعد على زادنا وبالله مالحنا  
لتصير بيننا عشرة للحشر مطوية

\*

والق جسمك قد جسمي قد  
والك كف الجفا ما عدت اطيق الصد  
اوعدتني يا حلو تجي نهار الحد  
كم مضى حد بحد بحدين بمية

\*

وال ن نوحو على ما صار بحالي  
وال ه هادا جزا مين يعشق الغالي  
انا بحبكم ضاع عقلي وراح رسمالي  
لاشي حصلي ولاشي طلع بايدية

✱

وال و وحياة راسك ما بقالي حال  
وال ل الف لا تكلفني الى قيل وقال  
ان كنت عاقل اتبع درجة العقال  
لا تعشق شب فتني ليصفي لك النية

✱

وال ي يا ربي يا رحمان يا غافر الزلات  
صلي وسلم على من جاء بالآيات  
واغفر ذنوبي لان الكل مزحيات  
من نظم فكري صنفت الالفية

✱

الف الوف والفتا  
وال ب بالمعنى بيننا  
وال ت تنيتا وتلتا  
وال ث ثبتا عالغالي  
ايام انقلبت ليالي

ثم وقع الاختيار على صبية سمراء طويلة نحيفة « مجذبة » فوقفت تحت الحاح « ام سامي » الظريفة المرححة التي انتهى دورها ، لتغني أغنيتها الشامية المشهورة اللطيفة التي تبعث على الضحك لما يرافقها من حركات مثيرة ناعمة ومضحكة . ودق العود ، وشذ احد الاوتار وخرج النغم نشازا « فدوزنته » صاحبة العود وعاد اللحن سليما ، وبدأت الصبايا بالعد والوصف وراء الصبية السمراء ، فكل الصبايا كورس جاهز ذكي سريع الحفظ ، وعاونت الدريكة العود وقالت السمراء :

يا قضاة مغبرة ويا قضاة ناعمة  
شوف عيني شوف  
شوف روعي شوف  
شوف حركاتي شو ناعمة

✱

جبلي الحمراء بالورقة  
قلتلو شفافي ما بتلقا  
قاللي تعي يا رشقة  
وحرمني وانا نايمة

✱

جبلي البودرة بالورقة  
قلتلو خدودي ما بتلقا  
قاللي تعي يا رشقة  
وبودرني وانا نايمة

✱

جبلي الثلحة بالورقة  
قلتلو جسمي ما بيلقا  
وقاللي تعي يا رشقة  
ولبسني وانا نايمة

✱

جبلي السوتيان بالورقة  
قلتلو صدري ما بيلقا  
وقاللي تعي يا رشقة  
وزررلي وانا نايمة

✱

وفجأة انتقطع جو التصفيق والضحك والرقص والغناء بسبب دقات  
شديدة على الباب . . . ركضت صبية نحو نساء العرس تقول ان الرجال  
يريدون العريس ليأخذوه لسهرة التلييسة فترة صغيرة!! وصعدت عدة نساء

« لمخدع » العريس والعروس ونزل العريس بعد مدة ليرافق الشباب وكأن قوة قاهرة قد اقتلعتسه من جذوره . ودخلت على العروس بعد خروج العريس « الماشطة » السيدة المختصة التي تعتنى بثياب العروس وشعرها وزينتها وتكون مسؤولة عن جمالها طيلة ليلة العرس ، ولا يجوز لاحد ان يرى العروس وهي « تتفرع » وتشلح وتلبس الا « الماشطة » رغم كل فضول العيون على الباب . ونزلت العروس بثوب « سواريه » مخملي اسود اللون يكشف صدره الواسع عن بياض بدننها تزينه وردة سوداء مقصبة ، وله « شاحط » ذيل طويل انيق ، واکمام طويلة مشقوقة شقا طولانيا تنفتح عن بياض زنديها ، وتثبت عند المعصم بازرار ناعمة .

وسارت نحو كرسيها على الاسكي كالملكة .

وتقول « ست ختيارة » : حوطتها بالله ...

ومن اجل خاطر العروس وقفت صبيتان ، شقراء وسمراء تتبادلان الاتهامات معا امام العروس والمدعوات بمرافقة العود والدريكة عن طريق اغنية لطيفة تمدح فيها كل واحدة منهما نفسها ولونها وتذم الاخرى وتبدآن الاغنية معا بهذا المطلع :

تعني علفي تعني علفي

انا عايز اشوفك لحظة

وما بتحنني شوي .

✱

السمراء : والسمرة قالت الله واكبر

كل الزكاوة نزلت على اسمر

روحي يا بيضة يا شوربة العسکر

كل اللي يحبوكي مرجوعن الي

✱

الشمقراء : والبيضة قالت انا رز بحليب

كل ما برد كل ما لو بيطيب

روحي يا سمرة يا عود القضيب

كل اللي يحبوكي مرجوعن الي

✱

السمراء : والسمرة قالت انا اصلي عربية  
كل ما تلفتت في الي تحية  
روحي يا بيضة يا اجنبية  
كل اللي يحبوكي مرجوعن الي

✽

الشقراء : والبيضة قالت انا عيوني كبار  
مكحلين من الله وشعراتي طوال  
روحي يا سمرة يا شعرك شعر الجوار  
تلت ساعات بالحمام ما بينبل بالمي

✽

السمراء : والسمرة قالت انا لوني بلون البن  
يا شراب الامرا معجونة بالفن  
روحي يا بيضة يا مكنسة الجن  
على ايش حبوكي على لونك هالني

✽

السمراء والشقراء : تعي علفي تعي علفي  
انا عايز اشوفك لحظة  
وما بتحني شوي

وعندما انتهت الاغنية لاحظت ان العروس تضحك قليلا وتداري  
ضحكتها وكان شيئا من خجلها قد ذهب ، وانتهت الشجاعة على الابتسام  
فظهرت بابتسامتها اجمل بكثير من قبل .

وبنزلة العروس كانت جوقة المغاني قد وصلت . وغنت المغنية عدة  
اغاني دمشقية قديمة اذكر منها اغنية يا سمك يا بني وتقول كلمات الاغنية :

يا سمك يا بني                      خصمو يجنني  
تلعب بالمية                      لعبك يعجبني

هآ يا سمك يا بني

صيادك شاطر      بياعك ماهر  
تجبر بالخطاظر      يا جميل واصلني

آه يا سمك يا بني

يا سمك ياندا      يالون الفضة  
والعمر اتمضى      وانت مخلصمني

آه يا سمك يا بني

يا سمك يا احمر      يالون العنبر  
تمشي وتتمختر      مشيو يجنني

آه يا سمك يا بني

ثم انطلقت المغنية بموال ويا ليل يا عين فشق صوتها القوي العالي  
ليل دمشق الربيعي الساحر ثم غنت :

يا برق سلم عليهن وقتلهن يرضو  
ليلي ليلي يا عيني  
واستعجلوا بالجواب آه عشاقكم مرضو  
ليلي ليلي يا عيني

\*

وحياة عيونك انا تايب لوجه الله  
عن المعاصي وعن الحب لا والله  
هاتوا المصاحف لنحلف نحلف بكلام الله  
والتم يحلف والقلب يقول لا والله

\*

انفتح الهوى خمنت غايبي جاني  
ركضت فرحان وضحكان  
استلقيت الباب بحضاني  
آه تاري الهوى غرار  
حبيبي ما جاني

وعصف الطرب بالرؤوس وطلبت المدعوات المزيد المزيد من الطرب  
ولم تبخل عليهن المطربة بشيء وغنت لاحدى العرائس المدعوات وكانت على  
ما يبدو حاملا باشهرها الاولى وتتوحم .

وهذه المرة لم تتوحم على اكلة بل على أغنية ، ولبت المغنية رغبتها  
وغنت لها أغنية « الحلوة بتتوحم عالغنب » .

على بياعينو هالغنب  
حلوة بتتوحم عالغنب  
جبلي وجبلي يا ماما جبلي  
خلق الالماس ريتو يلبقلي  
خود الماسك وجبلي الغنب

✱

على بياعينو هالغنب  
حلوة بتتوحم عالغنب  
جبلي وجبلي يا ماما جبلي  
حلق اللولو ريتو يلبقلي  
خدو بيعو وجبلي الغنب

✱

على بياعينو هالغنب  
حلوة بتتوحم عالغنب  
جبلي وجبلي يا ماما جبلي  
الطوق الذهب ريتو يلبقلي  
خدو بيعو وجبلي الغنب

✱

وصعدت العروس الى مخدعها بعد ان عاد العريس من سهرة  
الرجال . وبقيت عنده فترة ثم نزلت ترتدي ثوبا ازرق بلون السماء ، وكانت  
تحلي شعرها بحبال من اللؤلؤ ، واقتربت منها الصبايا يهمسن في اذنها  
اسرارا تبعث على الحياء والابتسام كما يبدو ، وانا ارى العريس وهو يرفع  
طرف الستارة خفية ولا تظهر الا عينه ، ليتفرج على العروس وهذه البهجة  
التي أضفاها نزولها الى العرس .

ولاحت لي من بعيد صواني « البوظة بالفستق » تكاد تتطاير فوق  
الرؤوس ، وفرحت جدا « عرس بلا بوظة وبلا ملبس يعني مو عرس » .  
كانت المختصة بالاعراس « فوتيكا » هي المسؤولة عن تقديم ضيافة  
« الايمع » للمدعوات ومن واجبها ان تفرق للكبير والصغير ، وويل لها ان  
نسيت صفا من المدعوات او مدعوة فان أهل العرس لن يتخلصوا من  
« الحكي والتعيب » بعد انتهاء العرس .

وصعدت العروس الى عريسها لتأكل معه « كاسة الايمع » ثم عادت  
الينا ترتدي ثوبا ورديا زهري اللون ، وذهب ما تبقى من عقلي بسحرها .  
وفي كل مرة كانت تصعد لتغير ثوبها وتنزل الينا كانت تزداد بهاء والقا .  
واذكر انها صعدت مرة ولم تنزل . . . وسمعت ان « داية » بيت اهل  
العروس معزومة وموجودة في العرس ، ولم افهم سر حضور الداية مع ان  
احدا لا يطلق ولا يعاني آلام الولادة !!!

واطفئت الانوار في مخدع العروس والعريس . وارتفعت « الزلاغيط »  
من « الديار » فجأة ، ثم عادت جوقة المغاني للعزف والغناء والرقص . .  
وكان العرس لا يريد ان ينتهي ، وعادت المغنية تمسك بالعود وتغني وتطلع  
بهذا الموال قبل اغنيتها الحلوة بتميل بتميل هالسمره :

دخلت باب الجنينة  
رد علي البلبل  
والياسمين اشتكى  
والورد قال اعبر  
يا سجرة المنتهى  
شو حملك قرنفل  
قالتلو قلبي داب  
عالحبايب ما بقى يصبر

\*

بتميل بتميل هالسمره  
وعينها على ميل هالسمره  
روحي السمره عيوني السمره  
حياتي السمره بضو القمره  
شعلت قنديل

\*



انا البنفسج انا البنفسج انا المصبوغ بالنيلي  
على الشب اللي قاعد مقابلي  
كسرتني يا حلو كسر الفناجيلي  
وانبليت بعشرتك الله يهنيني  
بتميل بتميل هالسمة . . .  
وعينها على ميل هالسمة . . .

وهمست جارتني العجوز باذن جارتها قائلة :

— قرب الصبح يطلع . . ان شا الله ما تكون العروس نسيت شو  
علمتها تقول للعريس عند وش الصبح . . !!  
— دخلك شو علمتها . . ؟

— علمتها تقول لعريساها كلام حلو كثير :

يسعد صباحك يا كتلة افرنجية  
يا قش عنبر يا خلقة الهية  
لو قدمولي بدالك من الف لية  
انا ما بهوى بدالك ولا الي بحدا نية

\*

ليمون ليمون انت احلى من الليمون  
محبتك بقلبي يا جوهر المكنون  
وان هويت بدالي عالي لما دون  
بكون خصمك النبي جوات الحرم مدفون

\*

مرقت على ساقية شط غالب شط  
لقيت سناسل ذهب بايدي بتتحط  
وحياة مين علم الغزلان الامز والنط  
لعبوا بعقلي مثل ما بيلعب هالقلم بهالخط

« ادن الصبح » . . . وانسحبت السيدات للفوقاني لتأدية  
صلاة الصبح .

و « جهجه الضو » .. وبدأت العصافير تترقزق على شجر الليمون والنارنج المزهر واغصان زهرة المانوليا التي تعطر الصباح برائحة الجنة . وبدأت الدعوات بالحركة لتبديل الثياب ولبس الملايا السود والمناديل السوداء الكثيفة « وضب » ملابس السهرة في البقج وايقظ الاطفال وحمل الرضع استعدادا للعودة الى منازلهم مع الفجر . وفوجئت الدعوات بان اطفالهن جميعا بلا استثناء قد « بللوا » فرشات النوم . وخجلت كل واحدة من طفلها امام اصحاب البيت ، ولم يكتشفن حتى اليوم ان احدى الصغيرات قد أفاقت في الليل فاكتشفت انها « عملتها » دون ان تدري ، وحتى لا تقتلها امها في الصباح اخذت ابريق الماء وبللت « حفاضات » الاطفال كلهم ، وضاعت جريمتهما وسط جرائم المجموع ، وليس احد افضل من احد .

شعثق الضو .. وخف الضغط وودعت الكراسي الخيزران الفراشات الملونة . وفضح نور الصباح قشور البزر الاسود والابيض والفسق والماء المسفوح على الارض والملبس المكسر بين الكراسي . انتهت الليلية ..

ووقفت ام العريس واخواته وعماته وخالاته وبنات خالته عند الدهليز لوداع الضيوف . وقد حلفت ام العريس على بعض الدعوات من اهل العروس ومن اهل العريس يعني اللازم اللازم لتناول طعام الفطور وكانت صواني « البغاجة » والحلويات والحليب السحلب الساخن والكعك التازة قد وصلت كلها مع طلعة النسوان من الباب ، من عند ابو حرب احسن بغجاتي بالشام .

وشددت ام العريس الدعوة واعتذرت امي بشدة بسبب اضطرارها للعودة الى اخوتي الصغار ، ودعي جميع من في العرس لحضور مباركة العروس « بالخمسة » بعيون الشيطان « وبالسته » . ووعدها امي بالحضور يا اما يوم الخمسة يا اما يوم الستة .. .

وقبلت الجميع وودعتن بحرارة وصدق قائلة الجملة التقليدية :

- مبارك ما عملتو ان شا الله جوازة الدهر وعقبال البكاري .
- اصحي ما تجي عالباركة .
- بجي تقبريني والله بتشرف .
- يو ميت اهلين وسهلين .
- بهالقامة وبهالعين .
- سلميلي عالانندي وبوسيلي الصغار .

— بي الله يسلمك .

— خاطركن .

— مع السلامة .

وسرت نسمة الفجر الباردة في اوصالي . . . . . وكنت اتمسك بيد امي  
اجر جر قدمي من شدة النعاس والتعب .

اما اهل الحارة فأظن انهم قد افاقوا على اصوات النسوة المرحات  
العائدات من العرس وحدهن بلا رجال في زمن تخاف فيه المرأة من سطوة  
الرجل وحكم الرجل . سرت مع امي ومجموعة من المدعوات في حارات  
دمشق الآمنة ، المناديل شبيهة مرفوعة عن الوجوه الجميلة لان الحارات  
لا تزال « فاضية » والرجال المتعصبون لم يخرجوا الى دكاكينهم واعمالهم  
بعد ، والصبح الجميل يطل على دمشق السعيدة .

ليلة لن انساها . . . سقا الله . . !!

عدنا الى البيت وفي جعبتنا الف صورة وصورة . . . . . وكان ابي في  
انتظارنا . . وصل مع اخي قبلنا بقليل . وكانا « معزومين » على التليبية  
التي استمرت فيها السهرة مع المطربين « لوش الصبح » . وحكى ابي لامي  
ولنا ما جرى في التليبية وابريق الشاي الساخن يدور من كأس الى  
كأس . . والنوم عصفور وطار من العيون .

جرت التليبية ببيت عم العريس . طبعاً لم يحضر ابو العروس ولا  
اخوتها ولا احد من اقربائها « فهذه هي الاصول » .

بعد الظهر ذهب العريس مع بعض اصدقائه الى حمام السوق .  
وحول السابعة مساء ذهب مع اصدقائه واقاربه واولاد عمه لبيت التليبية  
. . . . . وقد قدم له عمه التليبية « نقوط » وبيت عم العريس في الحارة بيت  
كبير . وقد دعا العم لتليبية ابن اخيه خمسمائة « زلمة » . المدعوون  
جلسوا على الكراسي الخيزران في الديار العربية الواسعة ، اما العريس  
فقد دخل رأساً من الباب الى القاعة الكبيرة في بيت عمه وكانت تعج بشباب  
الحارة واولاد عم العريس الشباب . اما « الكبارية » « المقدرين » من  
الاقارب والضيوف فقد جلسوا في صدر الليوان وقريباً منهم جلس  
« الموادية » المنشدون المدعوون لقراءة « مولد النبي » . العريس صغير  
عمره عشرون سنة . ونطت امي فقالت لابي : اي والله العروس صغيرة  
عمرها خمستاشر سنة وحلوة .

وعاد ابي يكمل الرواية اللطيفة :

دخل العريس للقاعة ليرتدي ملابسها وكانت « بقجة » ملابسها  
بيضاء ومطرزة وفتحها الشباب وكان كل ما فيها جديد وقبل ان يخلع  
العريس ملابسها ليرتدي ملابس العرس بدأ الشباب العراضة ، ووقف  
هو يستعد لارتداء ملابسها تختلط ابتسامة السعادة عنده بعرق الخجل  
وسط عراضة الشباب :

صلوا على محمد ونير وأغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

وارتفع صوت مجموعة ثانية :

شكيلة شكيلة

من هالليلة صارلو عيلة

✽

عريس الزين يتهدنا

يطلب علينا ويتمنا

عريس الزين يا غالي

اندي بالروح والمال

✽

صلوا على محمد ونير وأغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

✽

لتفرعلو لتفرعلو

بالقميص والطاوية

✽

سعيد ياخذ سعيدة

عريسنا ما ياخذ الا الصبية

عريسنا ما ياخذ الا النشمية

ميدان وشاغور واحد

اللهم صلي على خير البرية

✽

واخذ اصحابه واصدقاؤه يداعبونه ويشكونه بالدبابيس وهو يذوب  
من الخجل ولا يحتج . وتقدم الحلاق فمشط له شعره وعطره بالكولونيا  
واصبح مستعدا للخروج امام الضيوف .

وخرج العريس للديار وقبل ايادي والده واعمامه الكبار ووضعوا له  
كرسيا جانب والده وعمه ، واستمر « الموالية » في قراءة مولد النبي ،  
بينما الشبان يقدمون القهوة المرة والماء مع المازهر ويدور صبي صغير  
يرش المازهر من القتمم الفضي عل كأس من يريد مازهر .

وعندما جلس العريس بين الناس بدأ اولاد عمه بتوزيع كاسات  
البوظة بالفستق ، وكان بعضهم في المطبخ يعيئ الكاسات بالبوظة من  
« طرنية » الايمع « اللي جابوها من عند بكداش بالحميدية » .

الحقيقة اولاد عمه شباب يرفعون الرأس ما شا الله له اربعة عموم  
ولكل عم عشرة شباب والله كانوا زينة التلييسة . وبعد البوظة وزعوا  
« صرر الملابس » « بسبت » قش واسع ، كل ضيف اخذ صرة .

وعندما قارب الليل ان ينتصف اخذوا العريس لبيت العرس ، لبيت  
« ابو العريس » الذي يشع بالاضواء والجميلات والزغاريد وعروس  
العمر ، « لانو العريس بدو يسكن مع اهلو » وضعوا العريس بالنص  
امسكه ابوه من يد وشقيقه الاكبر من يد . واحاط بهم الاقارب اعمامه  
واولاد اعمامه واصدقاؤه وشباب الحارة . وبايديهم « اللوكسات » يتقدمهم  
رجل يطلق العيارات النارية في الليل الهاديء ورجلان يلعبان لعبة السيف  
والترس واحد الشبان يردد وتردد معه العراضة :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

يا سباع البر حومي  
اشربي ولا تلومي  
اشربي من بير زمزم  
يا سلام ويا سلام  
يا سلام اضرب سلام  
عللي مظلل بالغمام  
الغمامة غمتو وما لمتو  
غمتمو عالشيخ رسلان  
شيخ رسلان ياشيخ رسلان  
يا حامي البر والشام

وفتحت نوافذ عالية وارتفعت اخصاص خشبية وامتدت رؤوس كثيرة  
تتفرج على العريس والعراضة .

وصلت العراضة امام بيت العريس وبدأت تردد :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا وهيه وما شا الله . وكانت راية  
وراية العريس بيض الله وشو . . . .

عريس الزين يتنهنا  
يطلب علينا ويتمنا  
عريس الزين يا غالي  
افديه بالروح والمال

\*

خفي رجلك يا بنية  
والعزبان هجبت علي  
يا اهل العديّة  
هيه هيه  
صلوا على خير البرية  
هيه هيه  
راية ابو العروس  
وراية سعيد ومحمد وعبيده  
وبيض الله وشن

**وزغردت النسوة من الدهليز :**

اوها سعيد يا واجد  
اوها محمد يا تين  
اوها واللي ما بيصلي عالنبى  
اوها يعدم العينتين  
لي لي لي ليش

ورددت العراضة على الباب :

مكحولة العين ونير واغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

ودخل العريس بين النسوة مع ابيه ، وعادت العراضة لبيت التليسة  
وظلت السهرة معقودة حتى الصباح ، وبعد ان ظل العريس مع عروسه

في العرس ساعة عاد للتلبيسة وجلس قليلا مع المدعويين من الشبان الذين  
تضوا السهرة بين طرب ونكات وتسلية بينما انصرف الكبار في السن ، ثم  
انسحب العريس عائدا الى عروسه .

وقد سمع ابي من اقدمهم في التلبيسة ان والد العروس « وقت فصل  
النقد » طلب من والد العريس « نقد » مهرا مقدما مئة ليرة ذهب انكليزية  
لا رشادية ولا عثمانية . فرد والد العريس : حاضر . . بس اللي بدو يطلب  
مية ليرة بدو يدفع مقابلها مية ليرة .

فرد والد العروس :

— تكرم عينك مية وليرة .

واتفقوا على ان يكون « المتأخر » نصف القيمة . وقبض اهل العروس  
قبل الكتاب « وطالعوا » بالنقد كنبايات صدف مطعم وسجادة وفرشوات  
ولحف . وممرت ستة اشهر بعد ان كتبوا « الكتاب » حتى حددوا موعد  
العرس وطبعوا « الكروت » .

واضافت امي على معلومات ابي قائمة لابي :

— هادا يا سيدي اهل العريس شي اكابر كثير . وداروا كثير  
وخطبوا كثير وما خللوا بيت ما دقوا بابو وما كانت بنت تعجبهن ، هي سمرة  
وهي نحيفة وهي طويلة كثير وهي قصيرة تعبوا كثير حتى لقولوا « طلبو » .

— ليش شو كان « طلب » العريس . . !!

— بدو العروس بيضا شقرا « مكبسة » لانحيفة ولاسمينة . هيك  
لحتى شافوا هالبنت واجوا وصفولوا ياها لابنهن قامت عجبوتو وقالهن  
اخطبولي ياها وما شافها لليلة العرس لانو اهلها متعصبين كثير .

وام العريس ست بتفهم متأنة مرتبة شي راكز تمام وكل كنانيتها  
حلوين . ووقت كانت تدور تخطب كانت تعرف من زيارة واحدة اذا كان  
اهل البنت راتبين والا لا . كانت من كتر نضافتها وقتن تفوت لبيت حدا  
تقلب السجادة يا اما الحصيرة بدون ما حدا يشوفها لحتى تعرف اذا كانوا  
الجماعة نضاف واللا وسخين . واذا لقت فردة قبقاب هون وفردة قبقاب  
هون وفردة شحاطة هون اذا فانت لبيت حدا على غفلة ، ما كانت ترجع  
لبيتها ابدان لانو البنت بدها تطلع مثل امها « شرمة » وكانت تطلب كاسة  
مي من البنت واذا جابتها بلا صحن ومالها منشسفة ومبلولة كانت تقول  
هالبنت « شرمة ورشلة » ما بخطبها لابني ، وكانت وقت تفوت على بيت

وتجي البنت لتسلم عالخطابين كانت أم العريس تبوسها لتشم اذا كان لها ريحة تم ، وتعانقها لتشوف اذا كان لها ريحة عرق بشعة . وعزمت ناس كثير على حمام السوق لحتى تشوف البنات بالحمام على طبيعتهن وترجع توصف لابنها جسم البنت . بعدين شافت هالبنت وصار النصيب . طبعا اول زيارة ما شربوا قهوة وقالوا لاخت العروس ما منشرب قهوة حتى ناخذ نصيبنا . ووقت شافوها اول مرة ما قالوا هنة من بيت مين لحتى يعتمدوا عالعروس . بعدين قالوا نحنا بيت فلان . ولما سألوا عن أهل البنت وعرفوهن « اوادم » راحوا ثاني مرة ، وتالت مرة عطوهن صورة العريس واسمو وقالولهن : هي عنواننا اسألوا عنا وعن ابننا وايمتا بتريدو لنجي ناخذ الجواب ؟ وبعد كام يوم رجعوا اخدوا الجواب بالوافقة وصارت الخطبة وعملوا جمع رجال وفصلوا النقد واختلفوا بالاول « مكفاية » واللا « بكلف » بعدين قالوا لا « مكفاية » بالمية ليرة ذهب على تقباها . ويوم انكتب الكتاب ببيت ابو العروس حضروا الاهل بس وما عزموا حدا غريب . وقدمولها أهل العريس اسوارة وخاتم الماس وروب مع « كلفو » . لكن والله بهالعريس صار شي ظريف كثير وحطوا ما فتح ورزق لتشوف بكرة بالباركة شو رح يعملوا !؟

فسألها أبي :

- ليش ايمتى المباركة .
- بالخمسة وبالسته .
- هي مباركة النسوان ؟
- اي .
- ويوم « السبوع » .
- يوم السبعة رح يساووا عزيمة اكل لابوها ولعمومها وخوالها واخواتها واصهرتها وولاد عمومها وولاد خوالها .
- انا معزوم ...!!!
- لا . بكرة بيعزمك صهرك متى ما جوزت بنتك ان شا الله بحياتك يا ابن عمي .
- الله يحفظك وانت سالمة .

ومرت الايام ... وفي ليلة من الليالي لبست امي ملابسها بسرعة واخذتني من يدي ... والنوم يكاد يقتلني ... الى اين يا امي . . ؟



وكانت مفاجأة . . . وقفنا امام بيت العرس الذي عشت فيه ليلة من ليالي الف ليلة وليلة . . . ماذا عرس جديد !!

وسمعت اصواتا جارحة تشق الليل ، ونسوة كثيرات مرتبكات في الديار يرحن جيئة وذهابا ، وبخشوع وصمت ورهبة دخلنا الى غرفة الانسانة التي تصرخ وتستغيث في « المربع » الذي نطلع اليه من العتبة على دف عال ، وقد فرشت أرضه بحصيرة كبيرة وفوقها سجادة كبيرة وحول الجدران اصطفت كراسي طقم الصدف والخزانة الصدفية الكبيرة المطعمة بالصدف المصري وعروق الفضة . وقد جلست « داير ما دور » « المربع » سيدات عديدات مسنات وصبايا . وعلى ارض الغرفة في الوسط فرشتان واحدة فوق الاخرى وعليهما تتلوى « العروس الجميلة » سابقا من آلام الولادة وقد اصبح شكلها مربعاً وباعثاً على البكاء . والتصقت بظهر الكرسي قرب الخزانة كأن احدا صفعني في احدى احلامي .

والمسناات يسبحن بالمسايح ويقرآن الآيات القرآنية ويبسملن ويطلقن الدعوات : يا ربي تفك عسرها وتخلصها بالسلامة .

وقالت واحدة للآخرى بهدوء :

— « بكريّة » وما بصير ما تتعذب .

— مسكينة تعسر معها الطلق كثير .

— يي الله يقيها بالسلامة .

— مسكين جوزها راح بالليل جاب الداية وحملها الفانوس « وكربي الداية » .

والطلق يشند . . طلقة حمامية وطلقة باردة ، والصرخات تشند وتشق سكون الليل . وانا « الطفلة المرعوبة » اتمسك بيد الكرسي وابكي وحدي والداية تروح وتجيء وترفع شرشفا عن ساقبي العروس ، ثم ترخيه ووجهها لا يزال متجهما .

وهمست واحدة باذن الاخرى :

— خليها تتعذب احسن ما يقولوا ما حبلت ، بكرة بتلد وبتقوم بالسلامة وبتنسى كل وجعها .

وزوجها المسكين كما لاحظته من وراء ستارة نافذة المربع يروح ويجيء في ارض الديار لا يدري ما يفعل مرة يسخن للنسوة في المطبخ الماء . . ومرة

يناولهن قنينة الزيت والملح والليمون ، ويرفض بشدة رجاء والدته ان يذهب خارج البيت حتى تنتهي الولادة فيبعثون خلفه ويبشرونه !! وفجأة وقفت الحامل ببطنها المنفوخة وسارت حول الفراش العالي تمسك بخاصرتيها وتلف وتدور وتصرخ وتلفظ كلمات نابيئة كأنها خارجة من انسانة مجنوننة غير مهذبة :

— « ولي » على قامة الجواز واللي بيتجوزوا ، والله بعمرى ما بقيت احبل .. بعمرى ما بقيت عيدها . يلعن ابو الجواز .. يلعن ابوكن رح موت .. دخيلك يا ربىي .. لك ببوس ايديكن خلصوني . دخيل رجليكن انا ..

وأعادتها الداية الى فراشها وهي تقول لها :

— الله يرضى عليكي طولي بالك هلا بتقومي بالسلامة تولى يا الله واكبسي وعيني ولدك وصلي عالنبىي .. هانت .. ما بقى الا القليل . لك بنتي ليش ما رضيتي تقعدى على كرسي الداية مو كان اهين لك ؟!

— ما بدىي .. ما حبيتو .. خلينى اولد على فرشتى آخ ياربىي ... اجت اجت اجت ... آه دخيلكن .. دخيلكن ... آخ يا امى ... وينك يا امى ...

وعند الفجر وبعد آذان الصبح ولدت بالسلامة امام جميع « المدعوات » لحضور الطلق من اهلها واهل زوجها واللى ما بينعزم عالطلق بيعتب كثير وما يعود بيدوس بيتهن . وكان الطلق ولبيلة الولادة سهرة لطيفة يجب ان تحضرها كل العمات والخالات وبنات العمات وبنات الخالات والسلايف وبنات الاحما والضراير ..!! وزال العبوس .. ولاحت ابتسامه على وجه الداية وقالت :

.. اللهم صلي عالنبىي الهاشمى العربى كامل مكمل « صبىي » ..!!

وابتسمت « العروس » المسكينة لاول مرة منذ اربع وعشرين ساعة فقد بدأ معها الطلق من صباح اليوم السابق . وقطعت الداية جبل السرة وربطته بخيط ، وظلت قلقة لا تتكلم حتى نزل « الخلاص » لان الخلاص اذا « لطش » يا لطيف بموت النفسا !! وظل الهدوء مخيما حتى نزل الخلاص وتدفق وراءه نهر من الدم وكاد يغشى على !!

ولعلعت الزغاريد وبشروا العريس بصبىي : مبارك ما اجاك يا ابو « محمد سمير » ، وقلبت ام العريس الحماية وجهها لانها كانت تريد ان

تسمي الصبي عبد الغني « على اسم جدو » ولكن الكنة كانت تفضل اسم « سمير » لانه اسم جديد وحلو ووعدھا زوجها بتلبية رغبتها . وهكذا انكسرت كلمة امه ...!!!

والتفتت الداية الى الطفل تنظفه وتقطر له بكل عين نقطة ليمون وترش على جسمه لا ادري مساحيق محضرة على « القشوة » طرابيزة المولود وهي طاولة من الصدف فيها عدة بيوت لادوات المولود والولادة : الآس الناعم والملح والكمون والقطن والمقص والخيط لربط السرة . وأفاق الجيران على الزغاريد ، يظهر ان كنة بيت الجيران قد ولدت وجابت « صبي » !!!

وبدأت الحركة في المطبخ وتفرغت بعض الصبايا من الكناين وبنات الاحما لتحضير سفرة الخلاص « للضيوف » اللواتي سهرن الليل بطوله . وانتقلن للمربع الثاني لتناول طعام الفطور وقد مد على صينية مستديرة كبيرة من النحاس المزخرف المطعم موضوعة على كرسي من القش منخفض وجلست النسوة حول الصينية التي اصطفت فيها صحون الجبنة البيضاء المغلية والجبنة بالزيت وطابات اللبنة بالزيت والزعتر والزيت والزيتون الاخضر والاسود والمكلس ومربيات المشمش البلدي والخوخ والجاترك والبيتجان والكباد والكرز والقشطة والعسل والمكدوس والاريشة والجبنة الضرف والحلاوة والدبس والطحينة والحليب والشاي والخبز التنوري والشعبيبات والفواكي .

تم تحضير كل شيء ولم يبق الا الحليب . ودخلت احدى الكناين الى المطبخ ونظرت الى « الكاتونة » وشهقت وصرخت في وجه سلفتها :

— يي يي طف الحليب وما شفتي ، وين عقلك . . هلا وقت تحكي مع الجارة وتتركيني لحالي والضيوف عم يستنوو . يا لطيف شو قلبك بارد!؟

وكانت « الكنة » الثالثة في هذا البيت هي المسؤولة عن تحضير الشاي وكاسات الشاي وغلي الحليب . ولكنها نسيت كل شيء عندما سمعت صوتا يناديها من وراء الجدار فركعت على ركبتها قرب النهرالذاهب من مطبخهن الى مطبخ بيت الجيران وخفضت رأسها حتى كادت تلمس سطح النهر واخذت تعطي صوتها للجارة التي نادتها من فوهة فوق النهر اسفل الجدار تسألها وتصيح عليها :

— صباح الخير يا جيراننا ، شو هالزلاغيط عندكن شو ولدت عروستكن ...!!!؟

- صباح الخيرات يا جارتنا .. اي والله ولدت .
- « قمحة » واللا « شعيرة » !!..؟
- لا والله « قمحة » ..
- بي والله فرحتها اللي جابت « صبي » مبارك ما اجاكن .
- الله يبارك فيكي عبال عندك ...
- والقائلة .. شو عم تعملوا .. بدكن معاونة ..!!
- يعينك بالعافية والله عم نحضر صفرة الخلاص تفضلي فطري معنا  
بحياة الله !!
- بي ان شا الله صحتين وهنا والف عافية والله جوزي لسه ما راح  
على شغلو ما بحسن اجي حتى يروح من غير شر .
- خدي خدي مني جارتنا .
- شو بدي آخذ تقبريني ..!!؟
- اشتھيتك هالبردقانة وهالتفاحة رح ابعتلك ياهن بالنهر ...  
خدي .. وصلوا ..؟
- يو .. يسلمو هالايدين .. بي .. وصلوا وصلوا . العمر ..  
هلا خاطرک تشکلي آسي جوزي عم يندهلي ..!!
- الحليب والثماي يسكب في الكاسات ... بينما زغاريد الفرح  
بكلماتها « الموجهة » تنطلق من ارض الديار من قريبات العروس  
« ام الصبي » لتؤكد ان خلافا حادا او شبه شجار خفي كان قد وقع بين  
اهل العروس واهل العريس ، بسبب ما كانت تسمعه العروس من بنات  
حماها وسلايفها في البيت من « تسميع وتلطيش » من انها لم تحبل بعد او  
انها لن تحبل ، او انها لا تحبل « عاقرة » ، بينما تمدح كل سلفة تغار من  
العروس الجديدة بنفسها ، لانها حبيبة وليدة وقد انجبت خمسة اطفال  
« وهلا حيلة » !! لا فائدة .. هذه هي نتيجة « السكنة » مع بيت الاحما .  
حماية وعم وبنات احما وسلايف كلهن ببيت واحد ، كل ابن يسكن مع  
زوجته واولاده في غرفة فلا بد ان تقع « الغيرة » ويحصل « الناقردي » .  
لقد دخلت العروس الصغيرة الحلوة « ام الحظ » الى البيت لتثير مكان  
الغيرة في القلوب . ويظهر ان ام العريس التي كانت تخشى ان تموت قبل  
ان تفرح بولد لابنها الصغير ، هي التي كانت وراء الهمسات . وسمع انها

تريد ان تخطب لابنها ان لم تحبل زوجته وكم وكم رمت كلمات تمدح بقیة  
« الكنائین » اللواتی حملن من لیلة الدخلة ، بینما عروسة ابنها « الآخرانی »  
لم تحبل بعد مضي اكثر من شهر . وكم قال الابن لامه :

— یا یامو عیب تحكي هالحكي وانا رجال ما بتجوز غیر مرة واحدة  
وبحیاتی ما بعمل مثل عمی اللی اتجوز اربع نسوان حتی صار بیئو من  
الضراير جحیم ، طولي بالك بكرة بتحبل والله بیعتلنا صبیان وبنات ،  
لساتها صغیره یا امی ...

— ابدأ ... هی ما بتحبل ..... وانا ما بخلیک یاها  
والسما زرقا !!..

— یا امی الله یخلیکی ... ما بدی مشاكل مرتی بجیها وعاجبتنی!!  
حدیث جرى بین الابن وامه منذ تسعة اشهر ، وجاءت الزغارید لترد  
الکید والشماتة والمؤامرات ، وجاءت ولادة الصبی ، ولم تمر سنة بعد علی  
العرس ، لتخرس همسات الشك بقدره العروس علی الحمل :

اوها ولدت وقامت  
اوها علی فراشها نامت  
اوها لك الحمد یا ربی  
اوها اللی ما شممت فینا شمات  
لی لی لی لیش

\*

اوها صلوا علی محمد ووقتو وساعتو  
واللی ما بیصلي علی محمد تطق مرارتو  
لی لی لی لیش

\*

اوها مبارک والسبع بركات  
اوها بتستاھلی یا دایة شورة حرایریة  
وزیارة محمد والكعبة المجلية  
لی لی لی لیش

\*

اوها طبخنا لبنية وحسيناها شرابطيط  
اوها والناس بتتقط بالذهب  
اوها ونحنا منقط بالزلاغيط  
لي لي لي ليش

✱

اوها ياما دبكو برجليهن  
اوها يا ما تغامزوا بعينيهن  
اوها وقالو فلانة ما بتحبل  
اوها حبلت وقلعت عينيهن  
لي لي لي ليش

✱

اوها يا ما تعدو مجنبي  
اوها ويا ما حرقو قلبي  
اوها قالو فلانة ما بتحبل  
اوها حبلت ونصرني ربي  
لي لي لي ليش

✱

اوها يا ما لعبوا بالصقاق  
اوها يا ما لعبوا بالكعاب  
اوها وقالو فلانة ما بتحبل  
اوها حبلت ونصرها رب الخلاق  
لي لي لي ليش

✱

ودار الخبر بين الاهل والمحبين « انو فلانة جابت صبي » ، ودعيت  
النسوة للمباركة يوم الخمسة والستة . وذهبت مع امي . بيت العرس  
نفسه ولكن العروس هذه المرة غير موجودة . البيت « يطف ويدلق »  
بالنساء والصبايا يرتدين احلى الازياء ويتشكن بالزهور بسبب مجيء  
الصبي « وقومتها بالسلامة » . والمباركة بالقاعة اللي فيها جهاز العروس  
الصدف . ومع دق العود والرقص كانت الصبايا من قريبات العريس  
والعروس واخواته واخواتها يوزعن فناجين « الكراوية » الكبيرة بسبب  
ولادتها في الشتاء . ولو كانت « الدنيسة » سيف لوزعوا شراب التوت  
الشمي او شراب التمر هندي او البوظة بالفستق . وكان شراب الكراوية

المغلي محلى بجوز الهند واللوز والجوز المشور والفسق الحلبي والصنوبر والبندق ، سبع قلوبات وكانت كراوية « مدللة كثير » .

وعندما تنتهي مجموعة من المدعوات من تناول الضيافة كانت تذهب لغرفة « النفسا » لتبارك لها وتنقط المولود بقطعة ذهبية ، وتكون اما ليرة ذهب او « خمسة » او نصف ليرة معلقة بشريطة وشكالة ، فتعلقها بقنطرة الطفل النائم الى جانب امه . واذا كان المولود ذكرا كان النقوط مصحفا ذهبيا وان كانت بنتا كان النقوط قطعة ذهبية رقيقة كتبت عليها جملة « ما شا الله » تعلق في صدر المولودة « بسنسال ذهب » .

وكانت اكثر الهدايا ليرات ومصاحفا . والنفسا جالسة في فراشها وقد اشرق وجهها بالعافية والسعادة والنصر ولبست ثوب عرسها الابيض الذي علقته اطرافه على الجدار بشكل دائري فاصبحت « النفسا » داخله كالوردة ، وقد ارتدت ثوب عرسها حتى يراها « اللي ما شانها بعرسها » ووضعت على كتفها حورانية من الفرو الابيض . وزينت شعرها وصدرها بالماس واللؤلؤ ووردة قرنفلية حمراء وجلت وجهها بالالوان الساحرة التي اعادت لي شيئا من ذكرى جمالها ليلة عرسها .

وكل واحدة تتقدم منها تقبل الطفل وتنقطه وتقبل امه وتقول لها :

— مبارك ما اجاكي .

— الله يبارك فيكي .

وتخرج طفلة نساء لتدخل « طفلة » جديدة .

وعند باب غرفة النوم كانت توزع قطع الشوكولاته والملبس والراحة .

وبعد اسبوعين من المباركة اقاموا حفلة طهور الصبي وعزموا الرجال والنساء على الطهور واثناء حضور « المطهر » اخذ الرجال ينشدون عند العصر :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا ..

وظلت احتفالات الطهور سبعة ايام بلياليها ونجحوا خارونفا واطاموا ليلية غنت فيها فهمية بنت الحصري ، وظلت السهرة قائمة للفجر .

وكانت فكرة طهور الصبي وعمره عدة ايام هي فكرة الاب ، لانه

رفض ان يتعذب ابنه كما تعذب هو يوم طهوره وهو في السابعة من عمره ، ولبسوه الثوب الحريري الابيض الطويل « للارض » ووضعوا على راسه

الطربوش المزين باللؤلؤ والماس والورد حتى يفرح بنفسه وينسى لحظة الالم ، ولكنه احس بالالم رغم صرخات الرجال المفاجأة حوله مرددة :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا هيه وما شا الله . .

وان نسي الاب الشاب شيئا فلن ينسى ابدا كيف ضحكوا على عقله واقاموا له مهرجانا فخما والبسوه ثوبا حريريا فضفاضا وزينوا رأسه بطربوش محلى بالماس واللؤلؤ والورود واركبوه حصانا سارت امامه صفوف رفاقه من طلاب « الكتاب » تردد نشيدة : سلام سلام سلام سلام . وسار الموكب في سوق الحميدية والسنجدار والمرجة وعاد به الى الدار حيث اكل مع المدعويين ورفاقه من تلاميذ الكتاب الحلويات ثم ادخلوه الى غرفة خاصة والتم حوله الرجال وامسكه « المطهر » بقوة وطهره . فصرخ وبكى ولم تشغله جملة « نير واغضير » عن آلامه . وظل بعدها يسير اياما واياما في الحارة وهو يرفع ثوبه الطويل بيده من الامام وطربوشه الثقيل فوق رأسه يعلن « للرايح والجاية » انه « مطهر » الصلاة عالنبى .

ولكن هذه المظاهر البراقة كلها لم تخدعه ولم تخفف شيئا من اوجاعه عندما كان يريد ان يبول . وانتقدت ذكرى الالم ابنه الصغير من ذكرى مماثلة .

ومر اسبوعان على الولادة وبدأت استعدادات الرحلة للحمام . لا بد من « حمام الفسخ » للنفسا بعد اسبوعين . ودعينا الى حمام الفسخ . وكان على « النفسا » ان تثبت في هذا الحمام قوة ارادتها وتتحمل حرارة الجلوس فوق « بيت النار » الذي لا تجرؤ قدم حافية على لمسه او المسير عليه لحظة واحدة . احجار سود حامية كالحديد المحمى مدت عليها منشفة لتجلس عليها « النفسا » . ودهنت احدى السيدات من القريبات جسم النفسا كله « بالشداد » لتعود الى قوتها وصحتها . والشداد منيح كثير لانوفيه بيض والبيض جبار . . وخليط الشداد من بياض البيض والديس والزنجبيل يدهن به جسم النفساء كله .

كما جلست « النفسا » على خليط صفار البيض والكمون ليشد عروقها وجسمها وترجع كأنها بنت . وكلما تحملت الحرارة كلما عادت الى جسمها اسباب الصحة والقوة لتعود الى خدمة بيتها وزوجها وابنها وبيت حماها . فقد كان لها دور كبقية الكنائس وستكون مسؤولة في احد ايام الاسبوع عن شطف الديار والمشرقة والدرج وسقي الزريعة والجلي والطبخ . .



كنت اراتبها بدهشة . . . كيف يمكنها ان تجلس على بيت النار الذي  
كنا نخاف منه نحن الاطفال ! ونجرب قدما ثم نقفز الى الطرف الثاني من  
« خط النار » والقدم المحروقة تلهب دموعنا . يا حرام الله يساعدها !!

وبعد ان انتهت من هذه الجلسة الحامية اللامعقولة ، جاءت  
« الاسطة » لتغسلها بنفسها . فغسلت لها شعرها وسرحته وضفرتيه  
ضفرتين . وفركت لها جسمها وليفتها بالليفة والصابون وساعدتها بحمام  
طفلها واخذتها للوسطاني ولبست لها طفلها وقدمته لها لترضعه من الثدي  
النظيف . . ورضع الطفل والعرق يكده من جو الحمام الخائق بينما امه  
الجميلة الذي يتفجر وجهها بحمرة الصحة والنظافة وحرارة بخار حمام  
السوق ، تبتسم في وجهه باشراقه لن انساها طيلة عمري .

وفي الوسطاني مدت سفرة الاكل والتم حولها اهل النفسا وبيت  
حماها . . وقشر الكرنب والبرتقال يتناثر هنا وهناك بين ارجل الداخلات  
والخارجات بين البراني والجواني ، وقلبت الصبانيا طاسات الحمام ،  
وتألقت فجأة فرقة موسيقية غنائية تبعث في الحمام جو المرح والطرب  
ترافقها الزغاريد المرحية التي تؤكد النصر :

اوها ولدت وقامت

اوها وعلى فراشها نامت

اوها لك الحمد يا ربي

اوها اللي ما شمت فينا شامت

لي لي لي ليش

وتبدأ احداهن الرقص على ايفاع النقر على ظهر الطاسات والتصفيق  
والضحكات المعذبة تملأ الافواه وتثير فضول زبونات الحمام .

ولم يكذ يبلغ عمر الصبي سنة ، حتى دق باب بيتنا ففتحته لاجد صبيا  
صغيرا يحمل « زبديه صيني » كبيرة مغطاة . تناولتها منه وقلت ما هذا ؟ قال :

— هذول من بيت فلان بسلمو عليكن وبقولولكن ان شا الله صحتين  
وهنا وعبال عند ولاد ولادكن .

فتحت امي الغطاء عن الزبديه فوجدت منظرا مبهجا ، وابتسمت  
وقالت بفرح : يو يسلملي طلعو سنانو الله يخليهن ياه . تعو يا ولاد كلو  
« سليقة » بالظاهر طلعو سنان « محمد سمير » . وهجمت مع اخواتي على  
صحن السليقة ، القمح المسلوق المزين بالسكر والرمان والجوز والفسق .  
وطارت الزبديه .

ومر يومان وسكبت امي للجماعة بنفس الزبدية من طبخة « الحبوب  
بالسكر » التي طبختها لنا وارسلتها لهم مع اخي الصغير . وهذه هي  
العادة عند سكان دمشق لايمكن ان يعود الصحن لاصحابه فارغا .  
وحلاوة السليقة تحت « طعمة سناني » بدأت أفكر !! كم هي سعيدة  
مدينتي !! كم هي مرفهة ومدللة مدينتي . . الافراح لا تنتهي . اليس كذلك  
يا امي . .؟؟ سؤال كبير واكبر من سني !!؟  
وتنهدت امي التي كانت تدق على البير لتخرج الماء وقالت لي وهي  
تأخذ سطل الماء لتسقي حوض الزريعة :

— ايه يا بنتي . . . انتوشو شفتو . والله مرقت عالشمام ايام  
سودا مثل الفحمة وقديش يا حسرتي راحت شباب وعالم ايام الثورة  
بالشمام وبالغوطة . والله كنا نشتهي لقمة الخبز وقضينا كثير من الحكم التركي  
وبحياتي ما بنسى ثلثون علق جمال باشا السفاح الشهدا الثوار  
« بالمرجة » ، وصارت كل الناس تبكي عليهن بالدموع . لكان انتي محسبة  
انو كل ايامنا كانت عراس وزلاغيط وفرح واكل طيب !! من وقت وعينا  
عالدنية وصوت الرصاص باداننا !!

ومرت ايام . . . وذهبت الى المدرسة . . . وعلى طريقي الى المدرسة  
كنت ارى « السنغال الفرنسيين » المرعبين الذين جاءت بهم فرنسا الى  
دمشق ليقتلونا . . . صفرطاسي في يد وشنطتي في يد . . التصق بالجدار  
امشي بعيدا عن عين السنغالي الذي « توصيني » امي منه .

وتمر ايام وايام . . . ونزور بيت « العروس » التي لم تعد تبتسم . . .  
لقد التحق زوجها بالثوار ضد فرنسا . انها تبكي وتصلي ليل نهار ان يعيد  
ليها زوجها صاحب بيتها ابو ولادها . . وان ينصرو على « عدوينو » . كل  
مهمتها الآن ان تتغلى « بالملاية السودا » وتمشي مع بنت حماها بين  
الحارات تخبي تحت ملايتها سلة الاكل لجوزها الهربان ولرفقاتو الثوار  
ضد فرانس . وتحت الاكل بالسلة القش كانت تهرب « الصلاح » وتمرق  
قدام الحارس الفرنسي السنغالي من غير ما يشك فيها انو عما تهرب  
بواريد ورسا ، وما كان يخطر على بالو انو النسوان عم تهرب الثوار  
من فوق الاساطيح ، وعما تهرب الاسلحة وتوصلها تحت الملايا وتحت  
صحون الطباخ وروحو والتين لعند الثوار .

واحتفلت الشام « بالعريس الكبير » عام ١٩٤٥ .

واخذتني امي واخذت بقية اخواتي للعرس . الدعوة عامة لكل الشعب وحفلة العرس في ساحة « المرجة » .

المشاعل تنير دمشق كلها . « المعازيم » يركبون العربيات والسيارات الكبيرة والصغيرة واساطيح البلدية و « المنزل » والفنادق والارصفة واعمدة الكهرباء وحديقة المرجة وعمود الخط الحديدي الحجازي ودرابزين نهر بردى وكل المرات والمفارق المؤدية الى السنجدار وزقاق رامي والسرايا والبحصة وسوق العتيق . وجبل قاسيون تاج من الماس يشع على رأس العروس . والعروس السعيدة الباهرة اسمها « الشام » .

وامتد « عرس الحرية » في ساحة الشهداء الليل بطوله . الشام كلها كانت معزومة على ليلية « الجلاء » التي احيها حتى الفجر جوق من المغاني والآلاتية لمع بينهم رفيق شكري وسلوى مدحت وسري طنبورجي وسلامة الاغواني وماري جبران وعدنان راضي وسعاد محمد ونجيب السراج وفتاة دمشق ومحمد محسن وتحسين جبري ومصطفى هلال وصبحي سعيد وفايز الاسطواني وتيسير عقيل وزكي محمد ومحمد النحاس ويحيى النحاس ومحي الدين الزعيم ومحمد العاقل .

**وامتد عرس « الاستقلال » في سورية حتى الفجر .**



## اكيدنيا يا حلوة

كان ابي ولا يزال يناديني في بيتنا وامام الضيوف : يا حلوة !! ولم  
اكن حلوة ، والكلمة اكبر مني « كثر وال » رجل على طفل .

كانت هذه الكلمة في طفولتي تغسل نفسي كرخات مطرة نيسان على  
زر ورد . انا الحلوة : وماذا عن جمال اختي الصغيرة الذي يؤكد انها  
الحلوة . كنت الزنجية في البيت وكانت الشقراء . وجدوني في كيس الفحم ،  
كما يمزحون امام الضيوف ، ووجدوها في علبة اللبن .

لماذا « الحلوة » اذن . . !!

لانني كنت الصغيرة « الذكية » التي تتميز بذاكرة عجيبة تعرف مكان  
تقباب الاب الضائع ومكان المقص المجهول ، والتي تملك قدرة خاصة على  
تغطية فوضى البيت باعادة الاشياء المفقودة الى يد الاب الصارم المرتب .

وكانت يد ابي تمتد الى يدي الصغيرة تلتقط المقص فتنتهي هذه الحركة  
مني شبح مشكلة وزوبعة شجار ، وتؤكد انني البنت « الحلوة » في البيت .  
ويكافئني ابي : ما في منها هالحلوة !!

وهكذا استطاع ابي بتسميته وتدليله لي ، قلب مفاهيم الحلوة في  
نفسي . فصدقت اني حلوة لذكائي وذاكرتي رغم اني اقل اخوتي واخواتي  
حلوة ، وتحول اسمي في افواه اهل البيت وفي اذني ، الى صورة من صور  
الحلوة تجسد في يوم من الايام بفاكهة من احلى واشهى فواكه الشام .

يذكرون في بيتنا هذه الحكاية الطريفة عني : كان ابي يحملني على  
يديه ويمر بي من سوق « العتيق » ، لا يتجاوز عمري السنين . وينادي  
احد بائعي فاكهة المشمش الهندي « الاكيدنيا » على بضاعته المصفوفة  
بالسحارة بعناية : يا حلوة . . يا حلوة . . اكيدنيا يا حلوة . . !!

وتجيبه الطفلة :

— نعم . . . نعم . . . نعم . . . !!

البائع ينادي يا حلوة ... وانا اصرخ ... نعم ... ويضحك ابي  
الشباب ويشدني اليه ويحاول اسكاتي : اسكتي فضحتينا ..!! فالرجل  
لا يناديك ..

ولكنه يا ابي كان يناديني ...!!

وضمن حكايات ابي ونوادره وذكرياته الضاحكة تقفز هذه الحكاية  
عني .. وتذهب دهشة الضيوف وسط امواج الضحك .

وتضحك الصبية « في » الآن على « الطفلة الذاكرة » الصغيرة  
الذكية .. واشعر بان بيني وبين « الاكيدنيا » حكاية لطيفة منحتني مع  
الايام شعورا بالحلاوة والمرح تستحق عليه ان تكون عنوانا لهذه القطعة  
الحلوة التي اعتز بها ، فهي ليست من تأليفي .. انها من تأليف مدينتي  
الحبيبة .. الشام ..

وكلما نادى بائع الاكيدنيا : يا حلوة .. ابتسم . وكثيرا ما انزل الى  
سوق العتيق او الى سوق الهال امر بين الباعة والناس والعربات والحمير  
اسبغ في بحر من نداءات باعة الشام . واستيقظ احيانا على مناداة احد  
الباعة على بضاعته وهو يسوق حماره وينتقل بها بين احياء دمشق الحديثة،  
فانسى انني هنا ، واتصور انني في بيتنا القديم في حارتنا القديمة هناك .

واشعر بالثورة تغلي في .. عندما اطل من الشرفة لانادي البائع  
وأسأله عن السعر فلا اجده !! انا متأكدة انه كان ينادي !! عندما وصلني  
نداؤه كان تحت بيتنا ولما مددت براسي لاناديه ، كان قد بلغ آخر الشارع .  
ما الفائدة .. يا للخسارة .. انه يركب دراجة احتراماً للقوانين التي تحرم  
مرور الحمير في الشوارع الانيقة !!

وفي مدينة دمشق الجديدة النموذجية .. في منطقة « الفيلات » في  
« المزة » ، ذهبت لارى مبهورة الانفاس الى الاناقة والثراء والجمال والهدوء .  
وبين « الفيلات » الساحرة الملونة التي تتعربش على جدرانها الملونة  
اغصان النباتات والورود وآيات الترف ، لفت نظري بناء ابيض كبير كبير  
فخم حوله حدائق غناء ، يقوم وسطها كباخرة ، يتمدد على الحشيش الأخضر  
كقط كبير ابيض مدلل على سجادة مخملية خضراء .

— ما هذا البناء ؟

— انه سوق كبيرة على الطراز الحديث لمنطقة الفيلات ، وطار عقلي .



الفنان الياس زيات - دمشق



تخلت عندما ينتهي بناء السوق ، ويسكنه اصحاب البقاليات كيف  
يمكن ان تكون عملية الشراء الحديثة .

تحضر السيدة بنفسها، ومعها شنطة خضار من النايلون الملون  
المفرغ . تدخل من باب المبنى الفخم . هدوء مطبق . الهمس هو لفحة  
الانسان الراقى . تأخذ السيدة بيدها عربية معدنية صغيرة فارغة لها عدة  
طبقات . تمر بين ممرات السوق . تختار ما هي بحاجة اليه من علب اللحم  
والخضار والفواكه والسمن والجبن والزبدة والصابون والقهوة والسكر  
والشاي والمرببات . الثقة مطلقة في هذا المكان الراقى . لا احد يسرق .  
لا احد « يفاصل » لا قطعة بندورة اكبر من قطعة، لا تفاحة ناضجة ولا تفاحة  
« معاينة » لا تنكة سمن ولا تنكة جبن ولا علبة قشطة ولا « قدرة لبن » ولا  
« اريشة » . على كل علبة سعر ثابت يوفر وقت المفاصلة بين الشارية  
« الانيقة » والبائع « الجنتلمان » . الأنسة التي تحصى القطع في نهاية  
المطاف وتكتب الفاتورة كالخرساء . الموظفة التي تتقن العزف على الآلة  
الحاسبة كالخرساء ايضا . « الكيس » الرجل الواقف وراء الصندوق  
يتناول الفاتورة بوجوم . لا حوار في هذا المكان . راحة تامة للجميع !!

هل نحن في دمشق ام في لندن؟؟ هل نحن في الشام ام في موسكو؟؟  
هل نحن في « سوق الهال » ام في « سلفريدجز » ام في « جوم » ؟

اذن لن يمر الحمار تحت نافذتنا !! ولن نسمع صوت البائع لن نسمع  
صوت الماضي يمتد عبر الحاضر الى المستقبل . فنحن نقطع الدرب باسلاك  
مكهربة على ما صنعه الاموات .

لن يمر الحمار تحت نافذتنا . . ولن تمتد رؤوس النساء المفلحة  
بالاغطية البيضاء من الابواب والشبابيك « لتفاصل » البائع الذي ينادي  
على البندورة والبطاطا والبصل والفول .

لن يأتي البائع لنا . علينا ان نذهب اليه .

سينتهي البائع الجوال وسينتهي حماره الصابر تحت حمله الثقيل .  
وسينتهي حتى الحوار المتع بين صوت امرأة تشتري وصوت رجل يبيع  
يفصل بينهما باب خشبي شبه مفتوح .

المرأة : بقديش بعت يا اخي . . ؟

البائع : عالذمة بعشر قروش .

المرأة : يوه . . لا والله . . بقرشين !!

البائع : شو بقرشين يا اختي شو عما نبيبعك فجل .



المرأة : يا الله بيمشي الحال !!  
 البائع : لا والله الفرق كبير .. خدي من غيري اختي .. حاق حاق!  
 المرأة : ليش طبعك عسر .. اي نحنا زبونناك !!  
 البائع : على عيني وراسي لو بتوفي خديهن بلا حقهن  
 المرأة : تسلم يا اخي .. بس ...  
 البائع : يا اختي بدنا نتسبب مشينا ..  
 المرأة : هلا شو قتلتي ..!!  
 البائع : استغفر الله على هالنهار ... بسبعة يا اختي ..!!  
 المرأة : لا ما اتفقنا .. ما بقي بدي (تحاول اغلاق الباب) .  
 البائع : آخر كلام بخمسة ..  
 المرأة : لا والله .. كثير بخمسة ...  
 البائع : اختي .. وينك .. باربعة .. والله برسالمو  
 المرأة : بتلاثة .. ان عجبك زلتي نص رطل .  
 البائع : والله ما بيوفي بهالسعر .  
 المرأة : هلا زين وما مختلف .  
 البائع : شو حكينا باربعة !!  
 المرأة : بتلاثة ..!!  
 البائع : ما بيوفي الله وكيلك ...

وينهق الحمار بينما الرجل يضع في كفة الميزان زنة نصف رطل حديد،  
 ويضع في الاخرى حبات البندورة ، ويحاول الرجل أن ينادي على « البندورة  
 الحمرا الريانة » الا ان الحمار لا يريد ان يتوقف ، فيشتد غيظ البائع  
 ويصرخ في الحمار :

— لك خراس .. هلا يا انا عم نادي وبيع يا اما انت ..!! تفضل  
 خود طربوشي واشتغل محلي ..!!  
 ويعود البائع للمرأة الشامية :

— شو امرتي يا اختي ؟  
 — مثل ما قلتك .  
 — استعنت عليكي بالله . يا الله هاتي واعة .. استفتاحة مباركة .  
 وتمد يدها بالطنجرة ترن فيها ثلاثة قروش ، والرجل ينادي :  
 — بندورة ريانة .. حمرا وريانة هالبندورة .  
 ويمتد رأس امرأة ثانية من نافذة مقابلة :  
 — بقديش بعث يا اخي ..!!؟؟

وابتسم للذكرى .. ويتنافس الباعة في رأسي وتضج اصواتهم  
ونداءاتهم على بضائعهم ، واغوص في الكرسي الاسفنجي الاحمر «المودرن»  
واغمض عيني اتخيل نفسي جالسة على القاطع في ليوان بيتنا ، او على  
كرسي من الصدف في قاعة بيتنا الكبيرة الرطبة ، استمع من بعيد الى  
سيمفونية شعبية يشترك في تأليفها وتلحينها وادائها ابناء الشعب الطيبون  
من الباعة الفقراء في اسواق الشام وحرارتها وازقتها وانصت ، ويبدأ العزف  
ويبدأ الغناء :

- العنب** : — يا حينو ودعو .. ما بقى بهالكرم  
غير الحطب والورق ..
- العنب الزيني** : — زيني مدري برمقلي يا عنب ..
- العنب الدوماني** : — الزيني الماس والاحمر دباس ..
- العنب الحلواني** : — حلواني ديراني يا عنب ..
- العنب الديراني** : — ديراني مدري حلواني هالعنب ..
- العنب الاسود** : — طلغوا العبيد علينا بالليل يا  
اسود ..
- العنب البلدي** : — بلدي بيتنا هالعنب ..
- التفاح** : — نيرباني يا جناني ..
- التفاح الاحمر** : — يا مال ازمير ..
- مال ازمير فتح باب البحر علينا  
يا رايق كول وانعيش قلبك من  
هالتفاح ..
- مدري كولدن مدري ستاركن  
هالتفاح ..
- التفاح السكرجي** : — بخر الشورة يا رايق ..
- زبداني هالتفاح ..
- التفاح السكري** : — شغل الزبداني يا تفاح ..
- الزعبوب** : — من هالعجوة يا زعبوب تمر محنا  
يا زعبوب البزر بن يا زعبوب ..
- حب الاس** : — حبلاس كل ما حلي غلي طاب  
اكلو ..

- الموز** : — بابو المية الوقية يا موز ..  
— كول ابو نقطة ..
- اليوسف افندي** : — شغل طرابلس هالافندي راس  
الملك ..  
— يا افندي اكل الوزر ..
- البرتقال** : — القشرة ناعمة هاليفافوي ..  
— شغل عكا وصور هالبردتقان ..  
— قشر مالو هاليفافوي ..
- البرتقال المغربي** : — مسكري مغربي هالبردتقان ..
- برتقال أبو صرة** : — ابو صرة هالبردتقان ..
- الكريفون** : — كل حبة بابرة هالكريفون ..
- الليمون الحامض** : — بلدي بيتنا هالليمون ، انا حوشتو  
من عند بديعة خانم ..
- الليمون الحلو** : — ابيض هالليمون الحلو شـفـل  
الجنانين ..
- الدراق** : — طاب يا غتمي هالدراقن نصب  
الملوك ..
- الدراق الزهري** : — دثروا البقلاوة واجو علشانو  
طاب يا زهري ..
- الاجاص** : — يا رايق هادا عثماني هالنجاجص ..  
— يا رايق هادا مسـتـكاوي  
هالنجاجص ..  
— يا رايق ابو زبلـة مافي منو  
هالنجاجص، كول وانعـيش قلبك ..
- السفرجل** : — بلديات ايمن اكل دعالي يا  
سفرجل بلديات ..  
— بلديات الله يحييك ياللي اصلك  
طيب داوي العليل ..  
— يا رايق لا بالاوان ..  
— يا رايق كول وانعـيش قلبك من  
هالسفرجل ..  
— شغل الزبداني واشرفاني ..
- المشمش الهندي** : — اكيدينا يا حلوة ..

- « الاكيدنيا »
- من عالي الدنيا هالاكيدنيا ..  
— يا حلوة ليكة هي الاصلية يا  
حلوة ..
- المشمش البلدي :
- بكرة بطعميك فريكو يا بلدي ..  
— ماورد يا بلدي كيب ..
- المشمش الحموي :
- حموي بيلبلك الدلال ..  
— ما بيلبلك غير محارم الروز  
يا حموي ..
- المشمش العجمي :
- عجمي مال العجم ..  
— روق دمك يا شامي ..  
— بروق السدم وبيزول الهم يا  
يا شامي ..
- التين :
- ابيض من بياض الياسمين  
هالتين ..
- شغل مضايا يا تين لاكن بالاكل  
شهوة ..
- بعل يا تين عسل ياتين ..  
— دق الحديد يرجع يا تين شريحة ..
- الصبار :
- هية مزاوية يا حلوة ..  
— باردة وعالنده شغل المزة  
هالصبارة ..
- الكرز :
- شغل استنبول هالكرز ..  
— مال حمانا هالكرز ..
- القضب :
- الرممان :
- تعا مص مص هالقصب مص ..  
— يا ملاشة تعا ملشو حلوهالرممان  
يا ماوردي ..
- حلوهالرممان يا ماوردي للمفظوم  
دوا يا حلوه ..
- البطيخ الاحمر :
- البطيخ الاصفر :
- الكرمنتينا :
- يا اخضر عالمكسر ..  
— عالحلاوة الشامام يا عسل ..  
— كرمنتينا عوامة ..  
— يا كرمنتينا بلا بزر ..

- جوز الهند : — خدلك جوزة من هالهند ..  
 — عوض وحمل يا مال الهند ..
- الجانرك : — يا مال الربوة الجانرك ..  
 — والله ولا وحدة من الربوة يا مال الربوة ..
- العوجة : — هية هليون يا عوجة ..  
 — ما بتحمل سنانك يا عوجة قلبية خيار يا عوجة ..
- العقابية : — مال الشام يا عقابية ..
- التمر : — بيداريا يا تمر مال بغداد ..
- العجوة : — مال المدينة العجوة يا تمر ..
- الزبيب : — اشلميش يا زبيب ..
- الجوز : — قلبو ابيض يا جوز ..
- الكستناء : — يا مال الروم جديدة ..  
 — يا مال وارنا جديدة هالكستنا ..  
 — مو طيب المخ الا بالحمض لاوي ، جديدة هالكستنا ..
- البندورة : — حمرا ريانة ..
- البانجان : — اسود بلدي يا ريان ..  
 — يا ريان يا هبر اسود ..
- الفاصولياء : — بلانسر هالفاصولية ..  
 — بلودانية يا فاصولية ..  
 — عيشة خانم كول ويبس ..  
 — مالطية حرير ..  
 — هليون يا فاصولية هليون ..
- الكوسا : — موز يا كوسا ..  
 — تحت اليبرق يا كوسا ..  
 — للابلمة يا كوسا ..
- السبانخ : — ادن الجدي يا سبانخ ..
- البامية : — كول ويبس يا عيار ..  
 — مال استنبول هالبامية ..

— مقطوفة يا ملوخية طروات ..	:	<b>الملوخية</b>
— للمونة هالملوخية ..	:	<b>البطاطا</b>
— هية للمونة يا بطاطا ..	:	<b>البطاطا البيضاء</b>
— مال زحلة يا بطاطا ..	:	<b>البطاطا السوداء</b>
— بيرودية يا بطاطا ..	:	<b>الفول</b>
— هية كمي يا بطاطا ..	:	<b>الفول النابت</b>
— العشرة بورقة يا فوالة ..	:	
— استوى وطلعت ايدو هالنابت ..	:	
— طلعت ايدو هالنابت يا شباب ..	:	
— يخنى واطبخ والجارية بتنفخ ..	:	<b>اليخنى</b>
— عازتو عازة بالبيت يا نمنع ..	:	<b>النمنع</b>
— يا كباس هاللفت .. ابيض وناهي	:	<b>اللفت</b>
— يا لفت ..	:	
— للكبيس هية الفليفلة ..	:	<b>الفليفلة</b>
— خيار مكبس يا فليفلة عبي	:	
— القطرميز ..	:	
— حلوة وحدة يا فليفلة ..	:	
— خبيزة طرية .. خبيزة طرية ..	:	<b>الخبيزة</b>
— عالباونج عالباونج ..	:	<b>الباونج</b>
— ارضي شوكي الانكنار ..	:	<b>الانكنار</b>
— ابيض وبايض يا عكوب الجبل ..	:	<b>عكوب الجبل</b>
— سمرة بنت العرب ..	:	<b>الكماة</b>
— عالبراصيا عالبراصيا ..	:	<b>البراصيا</b>
— هادا للمحشي اليقطين ..	:	<b>اليقطين</b>
— بزاليا جديدة وخضرا ..	:	<b>البزاليا</b>
— يا حلاوتو دبس بقلبو ..	:	<b>الجزر</b>
— خيار الشتي مال القابون يا	:	
— حلاوتو ..	:	
— يا عيار البصل مال الحتية ..	:	<b>البصل</b>
— يا مال حزرمة البصل ..	:	
— ببلاش الردي يا توم ..	:	<b>التوم</b>
— بيرودي يا توم كسواني ياتوم ..	:	
— ولا عازة الجارة يا توم ..	:	
— الفجل فجاله يا الله عليهن ..	:	<b>الفجل</b>

- الخيار** :
- اصابع بديرية يا خيار ..
  - ما بليتو جاري بلو .. طري وجديد هالخيار ..
  - ازرق نيلي يا خيار جديد ..
  - اصابع البوبو يا خيار ..
  - من كفر سوسة والعين محروسة يا خيار ..
  - العتيق مرمر يا خيار ..
  - طري وجديد يا سلق ..
- السلق** :
- البقلة** :
- الزهرة** :
- تبيلو تبيلو .. تبلو باللبن يا زهرة ..
- القتاء** :
- على ضو القمر مادة يا قطة ..
  - يا قطة باردة .
- الخنس** :
- الله الدايم .. يا مال اللوان يا خنس العشرة الكبار ..
- الطرخون** :
- الثوندر المسلوق** :
- ابن الزنى يا خاين ..
  - يا سليقة الشوندر ..
  - بردان تعا صوبي ..
  - يا بردان يا الله دوا للسعلة ..
  - طاب واستوى هالعسل ..
  - استوت العسلية يا وليد ..
- الحبوب المطبوخة** :
- عسل بشهدو هالحبوب هالعسل ..
- حورصنين** :
- شراب عرق السوس** :
- حورصنين يا نفع ..
  - هلا عبيننا وعالنبى صلينا .. تعا دوق هالعسل ..
  - كركب روي كركب روي عالطويلة والقصرة ..
- الذرة المسلوقة** :
- هية بيضا هالذرة يا وليد تازة وريانة ..
- قضامة** :
- قطرميزات مكسرة يا قضامة ..
  - قشر رمان يا قضامة ..
- ملابس** :
- الجبن الابيض** :
- اواعي عتق للبيع ..
  - عكاوي وافر اوي هالجبن يا عيار ..

- الجبن القشقوان : — مال ازمير يا قشقوان — مدري  
بلغارية ..
- الحليب : — حلييوهب .. حلييوهب ..
- الحليب المطبوخ : — سحلب وحليب سخن ..
- الزيتون : — اسود هالزيتون .. مكلس الزيتون  
حبلاسي هالزيتون .. كول وزيت  
من هالزيتون .. اخضر مفقش  
هالزيتون .. جلط الزيتون ..  
استنبولي الزيتون ..  
— هادا للمونة الزيتون ..
- الزيت : — الزيت بلدي هالزيت ..
- خبز رمضان : — بالسمنة والسكر يا معروك ..  
— بالسمنة والحليب يا معروك ..  
— هادا للصايمين يا صايم ..  
— معروك .. معروك .. معروك ..
- كعك رمضان : — ياللي الهوا رماك يا ناعم ..
- الكعك بالدبس : — يا كريم .. تماري وكعك ..  
— تماري وكعك ..
- الحطب للمدافئ : — اوعى الحطب .. اوعى الحطب ..
- المقشحات : — بيتيات هالمقشحات شغل  
كفرسوسة ..
- الترمس : — ترمس .. ترمس .. ترمس ..
- الحمص المسلوق : — بليلة .. بليلة .. بندق ..
- الساكار : — حلي سنونك يا ولد ..
- البوشار : — عبيها للحبية بوشار ..
- البوظة : — على باكر يا شباب اكل البوظة على  
باكر الصيت النا وبطل شاكر ..
- مصلح البوابير : — مصلح بابور الكاز ..

هل يمكن لهذا التراث الشعبي ان يموت ..!! لا والله لن يموت ،  
ولن تتوقف هذه السيمفونية عن العزف لانها سيمفونية اصيلة كأصالة  
شعبنا وبلدنا .

وسيطل الباعة في دمشق ينادون اكيدينا يا حلوة ولو سعد الى الفضاء  
الرائد العربي السوري الاول ..!!



# أنبوة

كنت أول طلعتي .. اهتم بالمظاهر .. يهمني ان يظهر امام الناس  
باكثر مما نحن . اعلق أهمية كبيرة على الاصل واعتز بكل ما يثبت ماضي  
العائلة العريق ، واتمسك بشجرة العائلة وبأفرادها « الاغوات » السالفين ،  
وأتباهى بمراكز رجالها « البكوات » و « الافندية » الحاضرين .. !!

أبي .. دخل الحرب أكثر من مرة . حرب البلغار ، حرب شنق قلعة ،  
حرب السفر برك ، حرب الثورة العربية الاولى في الحجاز ، عمل كضابط  
في الجيش التركي في قمم الجبال التركية المغطاة بالثلج والصقيع ، وسار  
على قدميه تسعين يوما في الرمال المحرقة في صحراء التيه ..

ولما انتهت الحروب ، وعاد أبي موظفا مدينا ظللت اتمسك بفكرة  
نضاله العسكري والثوري وأقول لمن يسألني : أبي كان ضابطا !!

وعمي رحمه الله ، يقولون لي انه كان ايضا ضابطا في اليمن وهذا  
أمر يدعو للفخر ايضا !!

وابن عمنا دكتور كبير يرفع الرأس ... !!

كنت رغم حالة اسرتي المالية المتواضعة جدا ، أعيش ، كالعرب ،  
على امجاد الاسرة الماضية وعلى التفاخر بالاوقاف التي وقفها الاجداد  
للاحفاد ، وبالماضي المزدهر الغابر الذي كانت تباهي به العمات ، وبنات  
العمات ، وبنات خالة أبي من عجائز الاسرة امام الشبان والصغار في جلسات  
العائلة وسهراتها . بهذا الماضي كنت اكافح أمام الناس الغريباء ، الحاضر  
الذي لا يحمل الا اطلال « شجرة الاسرة » التي تبدأ باسم الأغا  
الجد الاول .

وأبي الشخصية الظريفة في الاسرة الكبيرة ، والذي يباهي بنفسه  
وبابناء عمومته بين مزح وجد ، بانهم « بيت السبع وزر » ، قد خذلني أحد  
الايام أنا الطفلة الطالعة نحو المراهقة والشباب بحس مزدوج يختلط فيه  
الالم من الفقر ، بالعنفوان والشعور القوي بالانتماء الى اصل عريق .



الفنان وليد عزت - دمشق



كنا في سهرة في بيتنا ، وعندنا ضيوف غريباء من طبقة اعلى من طبقنا واكثر جاها . كانت زيارتهم لنا مدعاة فخر وسرور . ولا ندري امي واخوتي وانا الا وابي قد هرب من رقابة عيوننا وبدا يتكلم ويتكلم ويحكي لهم بلهجته اللطيفة واسلوبه الشيق المرح حكاية خاصة جدا عن طفولته التعيسة ، هكذا مرة واحدة وبلا مبرر . وللمرة الاولى اسمع الحكاية مع الناس الغريباء وكأني واحدة منهم والدهشة تلف صمتي .

ونظر كل منا في وجه الآخر بغيظ خفي ، امي واخوتي وانا ، واخذنا نطلق الضحكات المفتعلة امام الضيوف نشجع بها المواقف المضحكة في الحكاية المخزية ، ونحن في داخلنا نفور من شدة الخجل والغضب ، ونفرك ايدينا بعصبية ونغمز ابي تارة ، وننظر في وجهه بلهفة تارة اخرى نستجدي منه التفاتة الى عيوننا القلقة عله يفهم قصدنا ويغير الموضوع .!! من قال ذلك .!! والله لم يحس بنا ابدا ، او هو تعمد تجاهلنا . كان يتابع رواية الحكاية والضيوف يخيم عليهم الصمت المريب !!

قال لهم ابي بالحرف الواحد فجأة وبلا مقدمات وبلا مناسبة وبلا مبرر بلهجته العامية الشامية البسيطة :

« كنت صغير عمري شي ست سبع سنين . مات ابي وتجاوزت امي . الي خالة كانت تحبنا كثير كانت كل يوم تجي تاخذني من عند امي للكتاب بالبطجية عند باب الجابية . اي نعم . يوم من الايام هربت من الكتاب ولعبت مع ولاد الحارة بالصقاق طول النهار ووقت سألني امي ليش رجعت قتلها صرفنا الشيخ . ما تاريك الشيخ بعث ورا امي وسألها ليش ما اجا الولد اليوم على الكتاب !! بعثت امي خبر لخالتي وقالتلا لازم تاخديه لعند الشيخ حتى يطعميه « فلقة » .

اجت على بكرة خالتي اخدتني لعند الشيخ قائلو هادا كان هربان ولازم تعملو فلقة ولازم تبينو الليلة هون وتدهن ادانو بالدبس مشان تاكل ادانو الفيران . والمكتب كان مثل مدرسة كبيرة وبطرفو في « ولي » . وانا سمعت هالكلام قمت خفت . قلت الليلة بدي بات هون والفيران تاكل اداني؟ يا لطيف !! قعدت طول النهار فكر بالهرية . اجا لبالي بال . قلت لحالي يا ولد قول للشيخ بدك تطلع لبرة . اجيت للشيخ قتلو بدي روح عالدستور قال طيب : تعا يا ولد تعا يا محمد تعا يا أحمد ، تنين قدي بمرتين بعتهن حراس معي . قمت انا استحققتها قلت بدو بييتني صحيح . الخلاصة طلعت من الكتاب ووراي تنين طوال من ولاد الكتاب . قعدت قدام الحيط ترفصت مشان طيرمي وقفوا واحد من هون وواحد من هون . انسا عم فكر شلون

بدي اهرب منهم اجا لبالي بال اكش كمشتين طراب ، بايدي هي كمشة وبايدي هي كمشة من قدام الحيط . وفزيت بعجلة ضربت بهادا بوشو الطرابات وبهادا بوشو الطرابات وانعمت عيونهن وما عادوا يشوفوني ، ويا ايديكم هربت . فكرت ان رحمت عالبيت قدامي قتلة وبدي ارجع عالكتاب وكمان بدي بات بالكتاب وتاكل اداني الفيران . شو بدي اعمل فكرت في الي اخ بدوما باش شاويش رديف . قاللي عقلي هروب لعندو يا ولد . سمعت الخيط ودكيت صرمايتي وقلت يا ايديكم على طريق دوما .

وانا ماشي بهالطريق صح لي طنبرجي ولك وين رايع يا ولد !؟ قتلو على دوما . قال أنا من دوما . قتلو رايع لعند اخي وكلهن بيعرفوا اخي باش شاويش ، قال لكان طلاع معي لوصلك . ركبت معو بالطنبر حتى وصلنا لدوما . وصلنا لدوما دوغري لبيت اخي دقيت الباب دقيت دقيت ما حدا رد ما شوف الا الجارة طلعت قال شو بتريد يا ولد قتلها بيت اخي هون ، قال اخوك نزل عالشام مو هون عشية بيجي . دشرت وصرت دور بسوق دوما وانا ميت من جوعي ولد جوعان وصارت الدنيا بعد الظهر اي لوين بدي روح بدي اشحد عيب ما بصير صرت دور بصقات دوما . لقيت باب مفتوح وواحدة مرا قاعدة ورا التنور مثل « الفداوي » قاعدة عم ترق هالخبز بهالتنور وريحته طالعة تازة . لك شو بدي قلها شحديني عيب !! مشيت لقدام شوية رديت من جوعي وريحة الخبز رجعت . رجعت وقفت علباب وانا مخجول شلون بدي قلها شحديني بعدين من جوعي يعني بكل خضوع قتلها خالتي يا خالتي عطيني شقفة خبزة . ما تاريك هالمعونة واحدة زعرة دوما وفزت حملت محراك التنور ولحقتني يا ملعون يا كافر هريان من البلد وجاية تشحد عنا لحقتني تقتلني قمت أنا ركدت لآخر الصقاق ما حصلنتي . ورجعت وهي عم تسبني وتبهدلني . انا من جوعي وريحة الخبز وقفت مثل القطاط من بعيد عما اتناوق على هداك الباب واذ ما شفت الا هالمرأ طلعت وفاتت لتاني بيت مشقتها . انا شفتها اغتمت الفرصة وركدت مثل الطير ودوغري على بيت التنور . تطلعت لقيت دستة خبز وعكمت عشر خمستاشر رغيف وحطيتهن تحت باطي واجيت بدي اطلع قمت سمعت زقزقة باب تاريها طلعت من هداك البيت وجاي على بيتها . أنا من خوفي ما عدت اقدر اطلع خفت تكمشني . ما دوبي الا اهرب للمربع ياللي بصدر البيت اي وين بدي روح ! تطلعت لقيت بالمربع كندوش ومشتيتو كتيبة . كندوش كبير خشب قريب للسقف تبع تمح . تعربشت علكتيبة وفتحت باب الكندوش من فوق ولقيت فيه قيمة نصو تمح لحشت حالي فوقو وكنت . هديك فانت لقت الخبزات ناقصين عشر خمستاشر رغيف . والله لالعين ابوه والله لادبحو . صارت تسب وتبهدل وحملت محراك التنور

وطبقت الباب تغفلتو ولحقتني بصقاق دوما فكرها انها تكمشني وتضربني  
تكسرنني وهي عم تسب وتبهذل وتقول سرق الخبزات هالحرامي . انا كنييت  
وسط الكندوش سمعان لآكن مالي غضران اتنفس .

انا ما عدت سألت عن عياطها من جوعي بديت آكل خبز . هي فاتت  
علبيت : والله ما شوغو لادبحو !! النتيجة خلصت الخبز وطبقت الباب  
وفاتت علمربع بس مو فهمانة انا وسط الكندوش . في بخش صغير  
بالكندوش انا عم اتناقق عليها منو . شلحت ولبست روب مبقع احمر  
ومعطت وشها بالحمرة وتغندرت وتكحلت وانصمدت على هالطراحة . صارت  
الدنية العشي وانا قاعد وكان هديك تعدة .

واذ الباب يطرق ، فزت فتحت الباب وصارت تأهل وتسهل . .  
اهلين وسهلين . . اهلين وسهلين . . وصل للمربع ، طول سجرة وشوارب  
تخان اعوذ بالله بخوف ، قلت هادا جوزا الظاهر . ما شوغ الا طالع من  
جبية شرالو قنينة عرق من هون وقنينة من هون . طالعهن وحطنن بالارض  
فزت وضبت صفرة وحطت مخلل وزيتون وقضامة وبزر ، صفرة مازة ، بدو  
يسكر الزلة . تعد يشرب وضلوا قاعدين بيطلع ساعتين وهنه عما يتغمو  
على بعضهن وهوة عما يسكر قام دق الباب ، فزت بجعزة قائلو اجا جوزي .  
هداك الناس : وين بدي روح ؟ قائلو مالك الا تطلع على هالكتبية وتنزل  
بهالكندوش . انا لما سمعت تخرطت المصارين تبعي ورحت تعدت بقرنة  
الكندوش مثل حكاية اذا كنت قطة والخبزات تحت باطي عابطنن ما دشرتنن ،  
هداك طلع تعربش على الكتبية وبووو . . . نزلك على هالكندوش . هداك  
لن شافني ما بقى يعرف هوه انا عفريت جني مينو انا شو جانبني للكندوش !  
والرخر استلم قرنة من الكندوش وتعد يطلع فيي وانا عما طلع فيه نحنا  
التنين خايفين من بعضنا وخايفين نحكي .

هديك للممت الغراض قوام والممت الصفرة ولبست اواعي البيت  
وراحت فتحت الباب . هداك قائلها ولك ليش لهالق لفتحتي ! قائلو كنت  
نايمة عالطوطاية عم بستناك نعست نمت .

الخلاصة هداك الرخر تعد طالع قنينة من جيبتو وتعد يشرب الثاني  
حطتلو صفرة بس هديك وشها مقلوب خايغة ، ونحن بالكندوش مخرطة  
مصارينا لانو جوزها مصلح ومعو بارودة وعلى جنبو فرد وخنجر الرخر  
شقي الضيعة ملعون .

الخلاصة وهوة عم يشرب ما بعرف انا صدف معي شرقتوبدي اسعل  
. . هه . . اعمل هيك اني اغضض ضبط حالي عبث . سعلت . انا سعلت .

من هون وهداك فز على حيلو وقاللها ولك مين في هون ؟ هديك ما غضرت تعطي جواب . . هادا طويل حط ايدو براس الكندوش وسحبو وقلبو على الارض وانو ينزل القمح كلو . انا صار القمح عند رقبتني . هداك فز على حيلو قاللو ولك شو عم تعمل هون يا ترس ! آه يا بنت الكلب . وقاللوا امشي قدامي لشوف . قفل المربع وقفل باب الصقاق واخذو وراح ما منعرف لوين . غاب بيطلع ربع ساعة ورجع فتح وفات قاللها يا بنت الكلب لكان بغيبتي عم تدبري زبونات مو هيك ! اجا لعندي سحب الخنجر قاللي يا بتحكي لي شو جابك وشو جاب هالزلة لهون ومنين اجيتو انتو التنين يا اما بدبحك وسحب الخنجر علي وبيطلع طول الخنجر نص ضراع اعوذ بالله . انا من خوفي ومن شوفتي للزلة وكنت لما اسمع بالسكران بنص الطريق وانا ببيتنا ناييم بالفرشة كنت خبي وشي . وانا من رعبتي صرت ولول بالقلوب وانا عم اصرخ بالقلوب والسكران وبایدو الخنجر فوق راسي ، ما شوف الا امي عم تقوللي باسم الله حولك وحوالك يا ابني . تاري كل هالشغلة صارت معي بالمنام . فزيت لقيت حالي بالفرشة » .

وانفجر الضيوف بالضحك للمفاجأة اللطيفة ، وضحكنا وتنفسنا الصعداء . لقد كانت النهاية تبرئة لماضي ابي . ويضيف ابي بعد ان يستيقظ من ضحكاته التي تصل به الى حد الانعاش لانه ورط الناس بحكاية لا اصل لها مدة ساعة من الزمان :

يقول ابي :

— هذه الحكاية حفظتها وانا طفل صغير في العاشرة من عمري عن الحكواتي الشهير الظريف « ابو علي انبوبة » وكان يروي حكاياته المضحكة في قهوة « مصلبة العمارة » من سبعين سنة ، وكان في الاربعين من عمره . قصصه كلها كذب في كذب ، وكلها عن ظهر قلبه ، يدخل من قصة ويخرج من قصة .

وابو علي الحكواتي رجل مضحك بدرجة متناهية . قصير من الرجال وله ذقن . وعندما يصعد الى تخته العالي في « القهوة » ويلتم حوله الناس بعد العشاء ، كان يبدأ حكاياته المضحكة وينط ويحرك يديه ، و « المصاطب » في « القهوة » مشكوكة بالناس شك على الدابر الدابر . واللي واقفين اكثر من القاعدين على الكراسي القش « الواطية » المصفوفة . ولا ابالغ اذا قلت انو اكثر من ميتين شخص كانوا يسمعون الحكواتي كل ليلة على ضوء الكازات « نمر . ٤٠ » .

كان ابي يحكي حكاياته اللطيفة ويفرق في ضحكة حقيقية تصل به حتى  
درجة الدموع والشهيق ، ولا اشك بانها لا تنفصل عن ضحكته الاولى لدى  
سماعه الحكاية الطريفة الاولى عن الحكواتي انبوبة لاول مرة في حياته .

كم يحب الانسان الماضي ويحن اليه فيشده معه اينما سار على  
ارضية الزمن فيلغي بتمسكه بالذكري ، حقيقة مرة كبيرة اسمها  
« الشيخوخة » .

يقول ابي :

— اضحكوا .. فرحوا قلوبكم يا اولادي بالضحك فهو سر العمر  
الطويل الرضي . لا تكربوا حالكم بالهم .. فالهم كالدرج العالي منشار  
العمر ..





## يرحم أهل أول

منذ عشرين سنة ...

كان المطر يهطل فوق دمشق بغزارة والمزاريب تبلل ثياب المارة وتهدر في الحارات « نازلة » من جدران البيوت وسطوحها بلا وعي .

لتنزل المطر . لا فائدة السهرة عندنا ولن يتخلف احد . ابي قد اشترى كل شيء ، الكنافة والقشدة والقطايف من « باب الجابية » ، والفواكه والمالح من سوق « العتيق » وسوق « علي باشا » ، وامي مشغولة باعداد صينية الكنافة « المدلوقة » بالقشدة ، تفرك خصل الكنافة بالسمن الحوي على النار ، وابي يؤدي وظيفته بصف القطايف « العصافيري » في جاط كبير ودهنها بالقشطة « الايمع عرب » ، وتعليقاته المرحلة لا تكاد تنتهي وتصل بامي حتى الضجر الحقيقي ، وطوال فترة التحضير لم تنزل من فمه عبارات الادعاء بالشطارة والمهارة والتفوق على امي : انا حضرت كل شيء . . لم يبق عليك الا ان تغلي « القطر » للعصافيري !!

على المدفأة « الحطب » كانت تحمر صينية الكنافة البصمة وتشوى عند باب المدفأة وعلى « الصفوة » الساخنة حبات الكستناء وعلى طرف « المنقل » النحاسي وبين الجمر الاحمر والرماد الحار تستكين « ركوة » القهوة ، وعند طرف الغرفة وعلى « الكتيبة » تصطف بعناية صحون البرتقال واليوسف افندي والبزر والقضامة واللوز والبندق وفسق العبيد والفسق الحلبي والزبيب والجوز والتين اليابس .

ليست وليمة كما يبدو . . انها ماكل خفيفة لتسلية السهرة والساهرين في ليلة « جمعة » ممطرة باردة طويلة من شتاء الشام . ونحن الاطفال في سرور غامض ، نخدم تحت ايدي امانا وابينا بلا ملل ولا كسل ، فالسهرة الليلة عندنا وسوف نلعب حتى نشبع مع رفاقنا ورفيقاتنا من بنات واولاد عماتنا واعمامنا القادمين مع اهلهم حتما . لا طفل يبقى في البيت حتى الرضيع يحضر السهرة .

منذ عشرين سنة اخترق أبي التقاليد ، وعود العائلة كلها بمرحه ومنطقه العملي في الحياة وذهنه المتفتح ، ان تكون اللقاعات والسهرات



الفنان خالد معاذ - دمشق



والزيارات والسيارين في الغوطة وفي بساتين دمر وعلى ضفاف بردى .  
لقاءات مختلطة ، النساء مع الرجال مع الاطفال . وممنوع بامر ابي جلسة  
النساء وحدهن والرجال وحدهم بين الاقرباء . « الاستقبال » استقبال  
النسوان الشهري ممنوع بين النساء و « المقهى » ممنوع بين الرجال . وكل  
منهم كان يقتنع ويطيع وينفذ ويسمح لزوجته ان تظهر سافرة في المسهرة .  
اما في الطريق فلا بد ان « ترخي » على وجهها المنديل الاسود طاقين .

ومع انني كنت صغيرة . . لا زلت اذكر بالتفاصيل الصغيرة مصيف  
العائلة في « دمر » كل سنة واكثر من اربعين خمسين « نفس » يستأجرون  
بيوت الفلاحين في دمر ويقضون الصيفية بين حور وصفصاف نهر بردى  
يمرحون بين البساتين المثمرة بالرمان والجوز وتختلط اصوات ضحكاتهم  
السعيدة برائحة شوي اللحم وقلي « الزنكل » وطبخ الرز بالفول ودق الكبة  
النية وصنع السلطة والتبولة ونغم العود وقرقعة زهر الطاولة وكركبة  
الاركيلة وصياح الاولاد وهم يسبحون في مياه بردى وضحكات النسوة  
وشماتة الصبايا بالمغلوبين في لعبة « البرجيس » على البسط المفروشة  
على الارض الترابية الرطبة التي يتراكم فيها النمل ، وتتسلق اشجارها  
مرة حريابة ومرة حردون ومرة قطة . ووسط هذا الجو اللطيف يكاد طفل  
جميل اشقر ازرق العينين ان يفرق ولا ينقذه الا صراخ ابن خاله الجميل  
الصغير الاشقر الذي ولد معه في سنة واحدة ، ويحملونه من النهر ، ثم  
يتغير الموقف المرعب الذي هز الاسرة ، ولا بد ان يأكل الطفل « قتلة » قوية  
بسبب عصيان الاوامر والسباحة في مكان « غميق » من النهر . وتعود  
النسوة والرجال الى دق طاولة جديد على « شرط » جديد ، وبكاء الطفل  
شبه الغريق ما يزال يتعالى ، وطفلة جميلة في مثل عمره بيضاء بشعر  
خرنوبي وعينين بنيتين تضحك قرب الشجرة شماتة بابن ابن عمها ، فلماذا  
لم يأخذوها معهم لتسبح في نهر بردى !؟ ولماذا لايسمح بالسباحة الا للصبان  
فقط !! ويزداد بكاء الطفل !! وتصرخ امه :

« والله اذا بدك تضل عم تبكي لحتى قوم كسرك !! »

ويرمي ابوه الظريف المرح الزهر بكل هدوء ويقول لزوجته « برطابة »:

— طولي بالك يا مرا . . ولد صغير . . شو جينا . . دوشيش . . !!

ويركض طفل عفريت نحو اهله هربا من البستاني ابو احمد الذي  
يلحقه ويحاول الامساك به ليضربه بقضيب رمان لانه يسرق « القرعون »  
ويخبص « بالفصة » ويضرب الخاروف بالحجار ، ويركب حمار البستاني  
بلا اذن ويصعد به نحو سكة قطار الزيداني . . . !!

ومجموعة من الصبيان يقفزون فوق السياج وينطون فوق « الدك »  
بشكل سري لركوب مراجيح قهوة « قصر شمعايا » بلا مقابل .

وشاب يلحق بصبية يخيفها بحية يكمشها من رأسها بعد ان وجدها  
في جبل « دمر » تكاد خواصره تطق من الضحك عليها وهي تهرب مذعورة  
كالفأر ..

وتصل « عربايات » جديدة للبيستان تحمل زوارا من الاهل معزومين  
على « الرز بالفول » والسلطة باللبن والكبة النية ، من الشام ، لتناول  
الغداء في دمر عند عائلتنا الكبيرة . وام تحلف من بعيد على ابنتها الصغيرة  
الف يمين والى عظيم اذا بتحاكي الصبيان حتى تساويها « شقتين » !!  
وبعض الصبايا « يخوضن » بالنهر ويغسلن ارجلهن البضة الجيلة بالمياه  
الباردة العذبة ، وتصرخ احدى الفتيات :

« راحت البطيخة .. راحت البطيخة ... الحقوها يا اولاد ..  
لاقولها يا اولاد ... »

ويكاد البطيخ الاحمر والعنب البلدي ان يتلجج في مياه النهر انتظارا  
واستعدادا للغداء ، ويسترق شاب نظرة الى حبيبة قلبه ويخفي حبه  
بالضلوع خوفا من امها وابيها . وانا هل كنت العب .. ام انتظر الطعام ..  
ام اسجل هذه اللوحات الرائعة للمستقبل .. لست ادري .. !!

ورغم صغري .. ما زلت اذكر سهرة من السهرات الشتوية اللطيفة  
التي لن تتكرر ، وتبتل عيني بالدمع اسفا عليها وعلى ما مضى من ايام الخير  
والبساطة والفرح والطمأنينة .

دق باب بيتنا .. ونحن في الطابق الثاني . وركضت تحت المطر الى  
« المشرقة » وامسكت بطرف الحبل المربوط « بدرابزين » المشرقة وشددته  
ففتح الباب ودخل الضيوف الى الديار المبلولة ، واستقبلتهم من فوق عبارات  
الترحيب من امي : يوميت اهلا وميت سهلا وميت اهلا وميت سهلا ، اتفضلوا  
اطلعوا لفوق .

وصف الضيوف « الشماسي » في « الليوان » الصيفي الذي نستعمله  
في الشتاء لصف « الحطب » ، وصعدوا الدرج الحجري المكشوف الينا  
والكلمات تتناثر بينهم وبين امي وابي « على هالليلة شو مطرة يخزي العين »  
على طول الطريق بين الديار والدرج والمشرقة والداور . خلعوا أحذيتهم في  
« الداور » لانها كانت ملوثة بالطين ودخلوا على السجادة بجواربهم . ولست

ادري الآن كيف كانت « الفرنكة » تلك الغرفة المتواضعة في بيتنا تستوعب هؤلاء الساهرين كلهم !!

وبدأت السهرة ، بعد تبادل قبل المجاملة بين النساء وعبارات الاطمئنان عن الصحة والاحوال ، بلعبة « البرجيس » على ارض السجادة والكل فريقان ، احدهما ضد الآخر . كل فريق « يزرك » للفريق العدو بعبارات الشماتة وتثبيط الهمة والشعور بالتفوق . ويتعالى الصراخ عندما ترمي احدهن « الودع » فتأتي « بدست » و « دستين وتلاتة » وعندما تستعد لترمي الدست الرابع تبدأ المشاغبات من الفريق الآخر بكلمة : « دودو . . . دودو . . . دودو . . . » ولكنها تأتي « بينج » وفريقها يكاد ينط من الفرح ، بينما يسقط الفريق الخاسر في هوة اليأس .

وقد يكون الشرط « سهرة » او « سران » ولا بد من تنفيذ الشرط . ثم يقترحون لعبة « السلطة » وهي لعبة عائلية مرحة . ويأخذ كل منهم اسما : انا البندورة . وانا البقدونس ، وانا الزيت . وانا البصل . وانا التوم . وانا النعنع . وانا الليمون . وانا الملح . وانا الخيار ، وانا الخس . وتبدأ اللعبة بيدها احدهم : نريد ان نضع سلطة لكن بندورة « في » زيت « مافي » . وبسرعة يرد الزيت : زيت « في » ملح « مافي » . ويرد الملح : ملح « في » ليمون « مافي » وينسى « الليمون » نفسه ، ويخرج « الليمون » من اللعبة ويقدم للمشرف على اللعبة قطعة تخصه ساعة او خاتما او علبة دخان او سوارا او فردة حلق . ويتحول الرابع الاخير في اللعبة الذي لا ينسى اسمه الى حاكم يأمر فيطاع . ويسأله حامل اشياء الساهرين وهو يمسك بقطعة من القطع بيده في الخفاء تحت منديل : بماذا تأمر صاحب هذا « الغرض » ؟ ويأمره ان يتحول الى « مكتبة » فورا . ويضح الساهرون بالضحك . وعلى يديه وركبتيه يمشي المحكوم حتى منتصف الغرفة ، ويتقدم منه اثنان من « السهرة » المرحين ويبدأ كل منهما بمحاسبة الآخر على ظهر المكتبة ، ظهر الرجل الذي تحول الى مكتب . وينفتح بينهما حساب تجاري عقيم ، ويرتفع الجدل الى شجار ويحتدم الخلاف ويخبط احدهما بشدة على المكتب محتجا ، فيثور الآخر ويجيبه بضربات اشد ، والمكتب المسكين يتحمل هذا الحساب بصبر نافذ مضحك . ولن انسى كيف تحولت احدهن الى علاقة ملابس واحذية ، وكيف حكنت ثائية حكاية مضحكة ، وآخر كان عليه ان يرقص ، وثالثة عليها ان تغني ولو كان صوتها بشعا . ويصيح احدهم « متمالسا » عليها :

« يا عيني صوتها مذكور بالقرآن » . ورابع عليه ان يؤذن كالديك ، وخامس عليه ان يقلد الدجاجة ويبيض عشرين بيضة . . كاك كاك كاك !!

وتستوي الكنافة والدجاجة ما زالت تبيض وتبعث الدموع الى العيون من شدة الضحك ، وتمد سفرة « الضيافة » وتمتد السهرة وتأخذ لعيسة « جمل ماشي علماشي اجيت لكشو خطف شاشي » دورها بين الصبايا والشبان . ويلعب الرجال دق طاولة زهر ، ثم تمسك احدى النساء «العود» وترفع عجوز « الدريكة » الى حضنها وترتدي صبية « الفقيشات » باصابعها وتهتز النفوس طربا على « رقصة ستي » والتصفيق الايقاعي يزيد من حلاوة الرقصة . وينتهي الرقص وتغني صبية كالبلبل اغنية « يا مال الشام » فيسيل الطرب في العروق كالشهد وتلمع عيون الشبان وتحمر على الصبية ..

وتحلو السهرة ويحلو السمير... والمطرة نازلة بشدة واحدى العجائز تقول والمسبحة في يدها :  
— الله يبعث الخير .  
— الله يعيننا عالرجعة يا عمتي ...  
ويأبى احد الشبان الخبثاء الا ان يفتح سيرة « القائمة » متسائلا عن آخر الاخبار؟!!

وللعائلة الكبيرة « قائمة » تصف فيها اسماء الاكبر سنا فالاصغر . والاكبر هو الاقرب والمرشح عن جدارة للرحيل « للباب الصغير » !! يعني للآخرة !!

ولكن الاخبار الاخيرة تؤكد ان تعديلا جذريا يجب ان يجري على القائمة . فالمن العجوز الاطرش « ابو خليل » المشهور بنزول جواربه على « الصباط » ، لا زال حيا يرزق رغم التسعين وقد سبقه لباب الصغير ابو عبدو مع انه في سن اولاده .

وهنا يقفز « ابو رفيق » الشايب ويرجوهم بحرارة يختلط فيها المزج بالجد ان يطمنوه عن دوره في القائمة . ويتلاعب الشبان « بالنتيجة » ، وتبدو على وجه « ابو رفيق » علامات الخوف والذعر ويقهقه الشبان وتنثني الصبايا من « كتر » الضحك . فابو رفيق رجل يخاف الموت ويتمسك بالحياة كتمسكه بوليمة عامرة بالماكل الشامية الشهية .

وفي كل سهرة يزورون بدوره في القائمة ليرصدوا حركات وجهه ومخاوفه من « الموت » .

ويضحك الكبار : ابو عدنان وام عدنان وام صلاح وام انور وام فؤاد وام محمود وام حسن وام حسن ... ولكن ابو رفيق لا يضحك !!

ويدق الباب .. في الليل وتحت المطر .. « شحادة » تطلب حسنة ،  
وينزل احدهم ويعطيها ما فيه النصيب ويغلق الباب ، ويعود بسرعة الى  
السهرة الدافئة . ويدق الباب ثانية .. وتعود الشحادة تطلب حسنة  
لاطفالها الايتام ، ويعودون لاعطائها من طعام السهرة ، ولكنها للمرة الثالثة  
تدق « سقاطة » الباب بشدة ويعنف والحاح . وهنا تحدث مشادة بين  
الشحادة للوح المحببة بالاسود وبين احد اولاد عمتي الذي نزل اكثر من  
مرة تحت المطر من اجلها ، .. واصحاب البيت وضيوف البيت ينتظرون ،  
ثم تحدث المفاجأة .. وترفع الشحادة عن وجهها الحجاب البالي الاسود  
وتدفع الباب وتدخل مقهقهة ضاحكة وسط دهشة الجميع . لقد كانت فطمة  
ابنة ابنة خالة ابي .. انها دائما الصبية الذكية الطوة المرحبة بأساليبها  
المتكررة في كل سهرة ، ويلتهب الضحك .. ودخان مدفأة السهرة يعبىء  
المشرفة وينطلق من بوري « الصوبا » نائرا رائحة حطب مبلول يشتعل ،  
وتمتد السهرة الناجحة تتحدى مزاريب المطر ، والعتمة الموحشة في حارات  
الشام الضيقة على طريق العودة وأقدام الصغار النيام تنجر على الارض  
الحجرية الموحلة جرا .

وكثيرا ما يتوسط الحلقة في سهراتنا احد الكبار المتقدمين في السن  
والقدر ويمسك بيده « المعرقة » ويعلن رغبته بفتح باب الامثال . وكل من  
تخونه الذاكرة ويتأخر بذكر مثل من الامثال الشعبية الشامية سيأكل ضربة  
قوية بالمعركة التي لا ترحم .

ويبدأ عادة كما يلي :

يقول : مثل ساير

يجيبه آخر : ما متلك .. ؟

يقول : بيضة اليوم ولا جاجة بكرا .

يبدأ بنفسه ثم ينتقل الدور الى أفراد الحلقة في السهرة ، كل يلقي  
بمثله بسرعة تحميه من عقاب المعرقة . وكنت الاحظ ان الامثال الشامية  
الدقيقة التي تخص حياة المرأة والحياة الاجتماعية كانت من اختصاص  
الجدات ، وان حفظها وروايتها في مكانها المناسب في الحديث فن تتقنه  
المرأة الشامية اتقاناً معجزاً .

وبين نساء السهرة تبدأ ام انور بمثل يعتبر من احلى وادق الامثال  
الشامية العامة :

● رايحين جايين مفاتيح القاعة ضايعين .



- هين فلوسك ولا تهين نفوسك .
- قال يامآمنة بالرجال مثل المية بالغربال .
- لو شاف الجمل حدبتو لوقع انقصفت رقبتيو .
- على خشتو راقع بشتو زبال وشاكل وردة .
- عرج الجمل من شفتو .
- كوم حجار ولا هالجار .
- قاللو شو فوتك لبيت عدوك ؟ قاللو محبي جواتو .
- يا افتحو وافتخر يا اطبقو وانستر .
- بيت كبير وحيطانو حمر وجواتو شي بيقصف العمر .
- سكر بابك وآمن جارك .
- عينو بالطبق وادنو لمن زعق .
- الحبل دلال والطلق غية والترباية يا بلوة البلية .
- قرعة يمشطين وعمية بمكحلتين .
- خليه بالقلب يجرح ولا يطلع لبره ويفضح .
- طرشة علباب تتسمع .
- يا مستعجل وقف لقلك .
- ساعة الك وساعة لريك .
- اذا بدك تحيرو خيرو .
- اذا بدك تحرمو اسالو .
- قرعة تحفف مجنونة .
- شجرة بداري بتحل الي والالجارى .
- الدبانة مو نسه بتغلط منافس .
- لا تركب حمارة وصاحبها بالحارة .
- ان شفت الاعمى طبو مالك اكرم من ربو .
- حامل السلم بالعرض .
- اجال للعميان صبي قلعو عيونو باللحمسة .
- من بعد الام حفير وطم .
- راح المبتئط لعند المبتلي يطلب دوا للعافية .
- بدعي على ولدي وبيغض اللي بقول آمين .
- كل طلقة براحة .
- القلة بتحمل الاغاسلة .
- حيل مفلس على مفلس ترى العجب .
- الحي مطموع فيه .
- قاللو يا فرعون مين فرعنك ؟ قاللوا ما في حدا يردني .



الفنان لؤي كيالي - حلب

1

- ما بعد الصبر الا المجرفة والقبر .
- طلعت الحشيشة على راس لساني .
- القمح اللي مو الك لا تحضر كيلو بتغبر دقنك وبتتعب بشيلو .
- مثل سيران الكلاب غبرة وقلة واجب .
- كل تمحة مسوسة الها كيال اعور .
- الف قولة جبان ولا قولة الله يرحمو .
- رضينا بالبين والبين ما رضي فينا .
- قاللهن الكلب الف قولة هشتت ولا قولة ناولو .
- مين خلف ما مات .
- انت امير وانا امير ومين بدو يسوق الحمير .
- لاقيلي ولا تطعميني .
- طبعك ردي غالب ودنب الكلب اعوج لو حطيتو ببيت قالب .
- اللي بينشري ما بينشهي .
- هاللي بدك تخدمو طيعو وهاللي بدك ترهنو بيعو .
- وردة بتخلف شوكة .
- الموت مع الناس رحمة .
- الضحك من غير سبب من قلة الادب .
- الحية اذا جاعت بتعض بطنها .
- الكلام بينداق مثل الطعام .
- اللي بيدق الباب بيسمع الجواب .
- البطن ما بيحمل منيتين .
- قلبن حب ما بغض .
- كون ديب ما بتاكلك الدياب .
- البدوي أخذ تارو بعد اربعين سنة .
- اذا احتجت للكلب قوللو يا حاج كلب .
- قبل ما تقلها كش اضربها كسير رجلها .
- ما بين السابق والمسبوق دقة خازوق .
- الايد اللي ما بتغضز عليها بوسها وادعي عليها بالكسر .
- يا شارى الهم من قلب صاحبو .
- اللي عندو فلفل بيرش عالمخلوطة .
- الله بيطلع الحلاوة للي مالو سنان .
- لسان ابن آدم شخنة .
- يا لساني شلون ما درتك بتندار .
- منمشي الحيط الحيط ومنقول يا ربي السترة .

- الخنفسة شافت بنتها عالحيط قاتلها تقبريني مثل اللولية بالخييط .
- مثل الخنفسة بالطاسة .
- مثل حمام ومقطوعة ميتو .
- ضايعة الطايسة .
- ما ببسلم الكرم من الناطور .
- مثل اللي جاب الدب لكرمو .
- القرد بعين صاحبو غزال .
- اذا كترت اشغالو قتل ما بين يديه .
- يا رايع كتر ملايح .
- طالع عالسلم بقبقاب .
- خدوا فالكن من اطفالكن .
- اصابعك بايديك مو كلا سوا .
- حظ اصبعتك بعينك مثل ما بتوجعك بتوجع غيرك .
- فخار يكسر بعضو .
- من تحت الدلف لتحت المزراب .
- مشتراة العبد ولا تريايتو .
- صام صام وفطر على بصلة .
- اذن من طين واذن من عجين .
- ضروب هالطينة بالحيط اذا ما لزقت بتعلم .
- مندق المي وهية مي .
- عميل منيح وارميه بالبحر اذا ما بين مع العبد بين مع الله .
- بير مالو قرار .
- مثل مقشة الشباطية كل قشة ببلوغة .
- حرد الدب عن الكرم زاد العنب قنطار .
- اللي ما بتزينو عروقو ما بتزينو خروقو .
- لبس المكنسة بتطلع ست النسبي .
- ايدين دكك رجلين سكك .
- اللي بشوفني بعين بشوفو بعينتين .
- اربط الحمار مطرح ما بقلك صاحبو .
- مصرية الخاناتي بتضوع الحمار .
- عطى الخباز خبزو ولو سرق نصو .
- لا تاخذ هاللبانة الا من هالحنك الاعوج .
- لا تاخذ صاحب الا بعد قتلة .

- اكبر منك بيوم اعرف منك بسنة .
- من زبيبة بيخمر .
- قاللو يا شعبان ليش ما بتجي برمضان ؟ قاللو كل شي
- مطرحو منيح .
- مو كل مين قال بكرة العيد دفعولو .
- لابق للشوحة مرجوحة ولابو بريس قيقاب .
- الحجر مطرحو فنطار .
- اول الرقص حنجلة .
- مثل اللي عم بيغني بالطاحون .
- شيخ اذا تصبين وصبي اذا تمشيخ وعاشق ومفلس .
- مثل العريابة على البلاط .
- النار ما بتحرق الا ايد كاويها .
- عقلك مو معك تنين بديروه .
- شاور اكبر منك واصغر منك وارجاع لشور عقلك .
- فوطة الحمام مو مثل طلوعو .
- مثل فوطة الحمام من ايد لايد .
- الضرف العايب نافخو تعبان .
- خلي العسل بكوارو لتجي اسعارو .
- اللي بيخفف راسو بتتعب رجليه .
- اللي بيطلع لفوق بيتعب .
- مثل الحبلاس كلما كبرت عم تطفى .
- صبي حمام ايد من ورا وايد من قدام .
- بصلتو محروقة .
- الكلام اللي ما بينفد يا حسرة تايلو .
- مثل الحبر على ورق .
- قتاية عوجة ان جلستا بتتكسر .
- اولادن لكو اعدائن لكو .
- الحكي الك يا كنة لتسمعي يا جارة .
- لا تكثر على امك وابوك بيكرهوك .
- كتر الدلال يبهرب العاشق .
- مثل الحرباية بالوش مراية وبالقفا صرماية .
- مثل الاطرش بالزفة .
- مثل ياللي عم يرقص بالعممة .
- تعا علي وخلصني ولا تجي معي وتشربكني .

- قالو للكلاب ليش وانتو راكدين ما بتغنو موالات قالولهن ياالله
- نلحق اللهيت .
- اللي بينزل من السما بتستلقيه الارض .
- ما بيعجبو العجب ولا الصيام برجب .
- قاللو يا خياط يا رئيس قبل ما تفصل قيس وقبل ما تقع بالشبك
- يا مصعب التخليص .
- خيط بغير هالمسلة .
- فقير ونقير وأغنجي يامرا عالحصير .
- على قد لحافك مد رجليك .
- قالوا لكثار الغلبة نص الدنيا لك قاللهن : النص الثاني لمن ؟ .
- اضروب الحديد وهوة حامي .
- مثل اكابر الدياتماس كبار بعين حالهن صفار بعين الناس .
- حبل الكذب قصير .
- بالحركة بركة .
- حامل السلم بالعرض .
- قاللو بعيد عن الشر وغني لو . . قاللو لا بيغنيلا ولا بغنيلا .
- البرغوت قال للبقعة يضرب الشرشوح اذا ترقى .
- كل مين مخطتو على تمو حلوة .
- عيوبنا لا نراها وعيوب الناس نركد وراها .
- حرامي مالك ايدك بجيبتي ليش !؟
- لا تقول اقرع بالبيت طاسة .
- لو كنتي شمس ما بتطلعي عالقصارين .
- لا بنام بين القبور ولا بشوف منامات وحشة .
- قدها قد الفارة وصوتها ملات الحارة .
- فوق ابوك خود جدك ربيه .
- لا تعلم شحاد على باب دارك .
- ما بيحك جلدك مثل ضفرك .
- ساقية جارية ولا نهر مقطوع .
- العاب بالمقصوص بين ما يجي الطيار .
- الحجر اللي ما بيعجبك بفجك .
- المونة بدها ركونة ما بدها مرا مجنونة .
- ست وجاريتين على قلي بيضتين .
- ست واربع جوار على سلطة بخيار .
- الرجل ما بتدب غير مطرح ما بتحب .

- الحب مطب والعاشق اعمى .
- لا تقول غنب ليصير بالسلة .
- الجواب بمحلو مثل الذهب بمغلو .
- قدرة ولقت غطاها .
- طب الطنجرة على تما بتطلع البنت لاما .
- شو ما طبخت العمشا جوزها بيتعشى .
- قاللها يا مرا طبخي طيب قالتلو يا رجال كتر ادام .
- عم تتباها بضافير بنت خالتها .
- يا لبنية بلا كيب يا عداوة بلا سبب .
- ما بقرقع بالدست الا اوشم العظام .
- عم بيخبص بالفصة .
- كل ممنوع مرغوب .
- يا داخل بين البصلة وقشرتها ما بينوبك الا ريحتها .
- كل مين بجر النار لقرصو .
- الآخرة يا فاخرة .
- كل عنزة معلقة من كرعوبا .
- بين النور ما في تكليف .
- الرايح بايدو والحاية بايد الناس .
- لا تقول للاعور اعور بعينو .
- قطع الاعناق ولا قطع الارزاق .
- عيش يا كديش لينبت الحشيش .
- الغايب حجتو معو .
- الغايب مالو نايب .
- اقتلوني وزهير .
- قالوا للبلغ مين ابوك؟ . . . قاللهن الحصان خالي .
- جدي بدو يلعب بعقل تيس .
- مثل الخنزير المقوص .
- لو رحنا لبين القبور بيلحقنا الداكور .
- تاجرنا بالكفان بطل حدا يموت .
- لا تقللي ولا بقولك الدهر محيرني ومحيرك .
- اخذوا كردي ليشنقوه قاللهن ان شاء الله تكون المرسمة حمرا .
- اكل ومرعى وقلة صنعة .
- الغنية بتقتل خلخالا والفقيرة بتستتر حالا .
- قاللو قبل ما تحور سقفو اشترى لارضو حصيرة .



- لا مين عمر سكن ولا مين مون اكل .
- مثل الشمعة بضوي على غيري وبعتم على حالي .
- السكافي حافي والحايك عريان .
- من بعد حشيشي ما ينبت حشيش ومن بعدي ما حدا يعيش .
- بالذنية وراتينا وبالآخرة حراتينا .
- خل ببلاش ولا غسل بمصاري .
- قالوا للجمل شو كارك قاللهن كباب حرير قالولو باين عليك وعلى قوالبك .
- كبرت يا دانا ولبست كتانا ونسيت اواعيك اللي بتتنقل من خاننا لخانا .
- مثل بضاعة الخان زعبوب مدود وسفرجل تخان .
- سمك بالملي ما بينشري .
- يا شاربي الهم من قلب صاحبو .
- حط العدس وانبور تحتو ما العن من الخال الابنت اختو .
- قبل ما خطب هير حطب .
- سموك مسحر خلص رمضان .
- حكي الملق ببيل الحلق وبيرضي الخلق .
- حبله ومرضعة وراها اربعة طالعة علجل توجب دوا للحبل .
- انا بخلف وابني بزلف .
- اللي فيه مسلة بتنخزو .
- طلع القمر وتدور ونسي زمانو الاول .
- السلق اخضر والناس اخبر .
- قاللو يا ابي شرفني قاللو يا ابني لحتى يموت اللي بيعرفني .
- قاللو شرفني وركبني حمارة قاللو ليموتو كباريت الحارة .
- قاللو اليوم مرقني وبكرة غرقني .
- راح الاعور وتبعور .
- اذا تبلك بليس بيخصر عليك التتبيلة .
- عرق آس ولا شماتة الناس .
- البيت وساكنو والواعة ولباسها .
- من برة رخام ومن جوة سخام .
- فوطة الجار على الجار اولها مهنة وآخرها معيار .
- لو كانت اسوارتي وقيه مالي عن جارتني غنية .
- ايما كنا والشمس ترقعنا .

- قاللو يا حواجبو يا عيونو قاللو عالمغتسل باين .
- اللي بيعرف اولتو بتهون عليه آخرتو .
- صاحب القوم ولا تماسيهن .
- قال يا قاعدين يكفيكن شر الجايين .
- كترة الايادي بتحرق الطعام .
- مجنون يحكي وعامل يسمع .
- اللي مالو اسطوح بينام تحت اسطوح جارو .
- قاللو الحرب بالنضارات هينة .
- اجا ليكلها عماها .
- دخان يعمي ولا بردن يضني .
- الرمد اشوى من العمى .
- طول وعقل ما بيجمعو .
- دود الخل منو وفيه .
- رغيف برغيف ولا يبات جارك جوعان .
- العيرة ما بتدفي .
- منشفو الديك منخمنو دالي باش .
- الناس بالناس والقطة بالخلص .
- ساقية جارية ولا نهر مقطوع .
- كل طايفة واله بلوعة .
- جبل لجبل بيلتقي وابن آدم لابن آدم ما بيلتقي .
- عكا لو تخاف من هدير البحر ما جاورتو .
- ياللي الوراس عند الرواس ما بينام الليل .
- اجت الحزينة لتفرح ما لقتها مطرح .
- ياداخل على مصر متلك لوف وياطالع من مصر متلك الوف .
- شرابة خرج لا بيعدل ولا بميل .
- مثل الثلاثاء بنص الجمعة .
- مثل راس القرنبيط بسوق الاحد .
- مثل ناطور الصحرا .
- مثل خازوق البحرة .
- عمرا سجرا ما وصلت لربا .
- ما في شجرة ما هذا الهوى .
- ياللي بيطلع صيتو بيطلع صرمو .
- من قلة الخيل شدينا عالكلاب سروج .
- احمرار وجوه ولا مفصلن بالقلب .

- صاحبني وحببي وناح الجيبة لا تقرب .
- صاحبك لما اخوك ؟ قالو الانفع بيناتهن .
- ايد وحدا ما بتصفق .
- ان داقت عليك المخازن مخزنك عبك .
- البخشيش بالدرهم والعطا بالقنطار .
- الحساب بالدرهم والبخشيش بالقنطار .
- قرقة وخشيش وطحين مفيش .
- ان كان حببيك غسل لا تلحسو كله .
- الله يطعمك الحج والناس راجعة .
- عين بباب الجابية وعين بتقلي زلاية .
- اللي بتشتغل فيه السمرا بتخطو حق خطوط وحمرا .
- صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك .
- الولد اللي ما ببيكي امو ما بترضعو .
- اللي ببستحي من بنت امو ما بيجه غلام .
- اللي ببيحك بالفول بيعو بالقشور .
- اعزب دهر ولا ارمل شهر .
- الجحشة بعليقتها والاصيلة بعليقتها .
- اذا بدك تعاشر لا تعاشر الا امير واذا بدك تسرق لا تسرق الا حريز واذا بدك تدق دق باب كبير حتى اذا عيوك تستحق التعيير .
- قال يا حامله الصبيان يا حامله الصوان .
- لا تطلق دقنك بين تنين واحد بقلك طويلة وواحد بقلك قصيرة .
- بيخطف الكباية من راس الماعون .
- الكلب اللي بيعوي معك احسن من اللي بيعوي عليك .
- كل مين شافني ارملة شمرو واجاني هرولة .
- قالوا للجمل ليش بتاكل شوك قاللهن بستفكرو وقتن كان اخضر .
- قبل ما تعمل جمال علي باب دارك .
- فارة نطت من السقف قالتلا القطة اسم الله ..!! قالتلا اتركيني بحالي وانا بالف خير من الله .
- قالو الدبة شقت كرشا قاللو ما ضرت الانفسا .
- قالو ما بقى في الاتحنيكة لطقة الكبريطة .
- الف قلبه ولا غلطة .
- الف عين تبكي وايضا امي ولا انا .
- عطو الدب حريز يكب .

- حكي بدري وانشرح صدري .
- كلام القاضي مثل الفستق الفاضي .
- الصفر علحمار جمال .
- الرجال عند غراضها نسوان .
- مو رمانة لآكن قلوب مليانة .
- قط ما بيهرب من عرس .
- عزموا حمار على عرس قال يا لزق المي يا لزق الحطب .
- كس بيتك ما بتعرف مين بدوسو وغسل وشك ما بتعرف مين بيوسو .
- ما حدا بقول مرض الا الو تلتين الغرض .
- كل الديوك دكدكت ما صني غير ابو قنبرة .
- مو حافظ من العشق غير كلمة او حشتني .
- من معرفتو بالصحابه بيترضى على عنتر .
- خطوه علمغتسل ودهنوه بالعسل .
- لا تعيبي يا معيبة ويا سريجة مقطبة .
- دبور هدا على مسن قاللو سن اذا بتسن .
- بدو سلتو بلا عنب .
- كل حاجة حفرت على راسا عفرت .
- كول لقمة كبيرة ولا تحكي كلمة كبيرة .
- العين ما بتعلا علحاجب .
- ثلاثة ما بيخفتو الحب والحبيل والركب عاجمل .
- شعرة من دنب الخنزير مكسب .
- هاللي الو شعرة من الجهل بنخو .
- قلبي على ولدي نار وقلب ولدي عاججر .
- انا واخي على ابن عمي وانا وابن عمي عاجفريب .
- الدم ما بيصير مي .
- ياللي القلم بايدو ما بيكتب حالو من الاشقيا .
- ياللي بتخطو بالدست بيطلع بالمعرفة .
- قال مو قيمتك يا بطني قيمتك يا قدرني .
- قالو الله يخليلي ياك يا لساني مثل ما درتك بتندار .
- يا مسترخص اللحم عند المرقة بتندم .
- الديك الفصيح من البيضة بيصيح .
- خود الاصيل ولو كان عاجصير .
- غب غب الجمال وقوم قبل الرجال .

- اذا ببيع الجاعود عطي الجهل حملو .
- الواعة الكبيرة بتسع الواعة الصغيرة .
- عم يرش علموت مسكر .
- حلاق فتح باقرع استفتح .
- حمامي فتح بمقوضي استفتح .
- شو بدي استفكر منك يا سفرجل كل عضة بغصة .
- اذا كان الحكي من فضة السكوت من ذهب .
- قالو ياللي بياخذ الاجرة بيطالب بالعمل .
- كرمال عين تكرم مرج عيون .
- بيدوب التلج وبيبان المرج .
- الحكي صابون القلب .
- الدراهم كالمراهم حطا عالجرح بيبري .
- الجهل بمصرية ومصرية مافي .
- العين بصيرة والايدي قصيرة .
- منركب جهل ومنحمل علم ومنقول ما حدا شايفنا .
- العز للرز والبرغل شنق حالو .
- العالم عطيه حملو .
- اللي بيعرف بيعرف واللي ما بيعرف بقول كف عدس .
- أقرع ودقنو طويلة قاللو شي بغطي شي .
- قالو اذا خلق جارك بل انت .
- اذا الصغير انتشا الكبير باس ايدو .
- الولد ولد ولو صار قاضي بلد .
- قالوا للجهل شو بتحمل قاللهن على قد ما تشيل الرجال وقالوا
- للبلغل شو بتحمل قاللهن على قد ما تشيل الحبال وقالوا للحمار
- شو بتحمل قاللهن لو بتقيمو عني هالجلال لا سبتكن علكان .
- الجهل اذا بار بيحمل قنطار .
- العين مغرفة الكلام .
- قالوا للقاق ليش بتسرق الصابون قاللهن الاذي طبع .
- مثل ام العروس فاضية مشغولة .
- قالو مين بيجي مع العروس قاللو اما وخالنا وعشرة من حارتا .
- لباس مالو ودكتو باربعين .
- بعاق الجدي ولا سواد العنقود .
- اللي ما بيشوف من ورا المنخل اعمى .
- ياللي مالو كبير مالو تدبير .

- ياللي مالو عتيق مالو جديد .
- كول ما تشتهي نفسك والبس ما يليق بين الناس .
- طحان ما بغبر على كلاس .
- لا تقول للمغني غني ولا للرقاص ارقوص .
- ما بيحك جسمك مثل ضفرك .
- بيعمل على الزبيبة خمارة وعلحبة قبة .
- ضربو يهودي بعلبة لبن قاللهن وديني مشتبهيا .
- باب النجار مخلع .
- اللي ما داق المغراية ما بيعرف شو الحكاية .
- قاللو بقلب نطيت اربعين قدم . قاللو هون ارض وهنيك ارض .
- قاللو يا جامع انت مسكر وأنا مستريح .
- اذا كان بدك تستريح ايش ما شفت قول منيح .
- قاللو الطاقة اللي بيحك هوا منها سدها .
- قاللو مو سدها جيب الفاس وهدها . .
- قاللو نام بالبرية ولا تنام قدام طاقة هوية .
- قاللو اذا شفت الطويل راكد عريف القصير لاحقو وقاللو اذا شفت القصير راكد عريف الشيطان لاحقو .
- قالوا للبقر اجاكن جلود . قالولهن خلوا جلودنا علينا .
- قالوا للجمل ليش وانت ماشي بتطلع دوغري قللهن بانتظر الطريق البعيد .
- لا تاخذ صاحب الا بعد خناقة .
- نص الكلام مالو جواب .
- قاللو حصوة بتسند جرة قاللو بتسند خابية قنطارية .
- اللي بيتو من قزاز ما بيرمي الناس بحجارو .
- ما حدا بقول عن زيتو عكر .
- عم يفوش مثل الزيت .
- جاية من البرية بدو ياخذ الاولية .
- قاللو شو لك بالقصر قاللو امبارح العصر .
- ياللي بفوتك حصرم بتاكلو عنب .
- لابق لك على هالحناك العوج لقة بابوج .
- مثل خيل القضا بيتركا عالسلام .
- مثل راس اليخنا بسوق الاحد .
- قاللو فراق البدوي بعبا قاللو بسوق العبي كلو .
- جارك مثل اخاك ان ما شاف وشك بشوف تفاك .

- الجار قبل الدار .
- من طول عمرك يا تينة مجعلكة .
- هاللي بدو ياكل خبز السلطان بدو يحارب بسيفو .
- المال الداشر بيعلم الحرامي السرقة .
- كل ديك على مزبلتو صياح .
- قالوا للبسمار ليش بتفوت بالحيط قاللهن من عزم الرص اللي ورايي .
- الايد الفاضية منتنة .
- مو كل مين صف الصواني قال انا حلواني .
- قاللو عدن . . قاللو ياللي بياكل العصي مو مثل ياللي بيعدن .
- قاللو قط ما بيهرب من عرس .
- قطاع راس القط من ليلة العرس .
- الجمل لولا الفزة حمل المزة .
- ياللي ما بيحضر عنزتو بتجبلو جرو .
- ان غاب عليك اصلو دلايلو فعلو .
- روح للدار العالي وخذلك دار ان صان عرضك بيتوفر عليك المال .
- الطرق ولو دارت والبنت ولو بارت .
- الدهر يوم الك ويوم عليك .
- كل حال يزول وكل قاضي معزول .
- قال يا رايح علجلب جيب معك حجر .
- الارض الواطية بتشرب ماءها وماء غيرها .
- يللي بخبي غداه لعشاه ما بتشمت فيه عداه .
- شرطن بالحقلة ولا خناقة على البيدر .
- يللي اولو شرط آخرو سلامة .
- صنعة باليد امانة من الفقر .
- اذا الله حب عبدو فرجاه على ملكو .
- يللي ما بيخاف الله خاف منو .
- يللي بيتجوز بالدين بيجو ولادو بالفايز .
- الولد يللي مو من شهره كل ما جن فرحلو .
- الملك يللي مو ببلدك لا لك ولا لولدك .
- جارك القريب ولا اخاك البعيد .
- لا تتدخل فيما لا يعنك بتسمع ما لا يرضيك .
- العمر بيخلص والشغل ما بيخلص .
- خير ما تعمل شر ما تلقى .

- ياللي ما بيثبيع عند اهلو ما بيثبيع عند الناس .
- ياللي ببيت اهلو على مهلو .
- خود الفرس من الفارس .
- الاصيل ما بعيبو جلالو .
- محل ما ترزق الزق .
- حبيك حبو ولو كان عبد اسود .
- قاللو مرحبا يا اقرع قاللو هادا باب مناقرة .
- الكلب اللي بدك تجرو عالصيد يا طول مابدو يصطاد .
- كل رفعة دقن بخمسية .
- شحاد ومشارط .
- لولا الكاسورة ما عمرت الفاخورة .
- على حظ الحزينة سكرت المدينة .
- العروس بعقلها وقلة اكلها .
- ياللي الو طباخ لا يزفر ايديه .
- ما دام طباخنا جعيص شبعنا مرقة .
- العنزة الجريانة ما بتشرب الا من راس النبع .
- قاللو يا جاري انت بحالك وانا بحالي .
- الطبل بحريستا والزمر بمنين .
- كسرنا الدف وبطلنا الغني .
- خبي قرشك الابيض ليومك الاسود .
- لباس مالو دكتو باربتعش .
- جنبناك يا اقرع لتونسنا كشفنت قرعتك وخوفتنا .
- القرعة لمن بتهوش احلى من عد القروش .
- بيقتل القليل وبيمشي بجنازتو .
- ان بزقنا لفوق على شواربنا وان بزقنا لتحت على دقنا .
- بالبع الموس عالحددين .
- تقتلني وبكى وسبقني واشتكى .
- لا تقول فول حتى يصير بالمكيول .
- اذا تعدت بين العوران اعور عينك .
- عيش كثير بتشوف كثير .
- لبس العود بيجود .
- عود منيح واحكي صحيح .
- اذا بدي اصرف من كيسني ما بساويك عريسي .
- يا خلي مثل ما بكون لك كن لي .



- مثل حية التن بتقرص وبتخبني راسا .
- وقتن كبر وشاب بعته علكتاب .
- ياللي مثلنا تعو لعنا .
- زيوان البلد ولا تمح الجلب .
- شوبتعمل الماشطة بهالوش العكر .
- طواية عيرت المقلاية قالتلا اتنيناتنا بالمطبخ .
- الاعور بين العميان باش كاتب .
- زرنا اللو طلعت ياريت .
- لولا علبة مكي كانت الاحوال بتبكي .
- عمر اعطيني وبالبحر ارميني .
- ماحدا بيصحللو لبن الضرف الا بيغرفو غرف .
- بحر ما بتعكرو ساقية .
- ساقية جارية ولا نهر مقطوع .
- البزاقة شافت بنتها عالحيط قالتلها تقبريني مثل اللولية بالخيط .
- بعد الكبرة جبة حمرا .
- لا تدعي لصاحبك بالسعادة بتخضرو .
- الطمع بالجامع .
- ضرب الحبيب زيب ولو كان حجر صوان .
- اللي بريدك ريدو واللي ما بريدك بالجفا زيدو .
- ما في طلعة الا وراها نزلة .
- ياللي بدو يلاعب القط بدو يلقا خراميشو .
- ياللي الو عمر ما بتهينو شدة .
- جوزوا طنة لرنة وشرطوا عليها شروط ، لابقة هالمسفقة لهااللعوط .
- طعمي التم بنستحي العين .
- تغدى وتمدى وتعشى وتمشى .
- مين استفقدني بعظمة كنت عندو عظيم .
- اللي بياكل على درسو بينفع نفسو .
- مين مالحك لا تخونو ولو كنت عبد خوان .
- الخبز والماء اكل العلماء .
- لو ريدك يا فخره ما اخدت عليك الرخرة .
- العيرة ما بتدفي وان دفت ما بتوفي .
- حلة نيل تصبغ المعلم مع الاجير .

- قبل ما خطب هير حطب ، عطا المغاني شروطها ووصى الدوماني
- على اللبن .
- اصبعتي مني ولو انقطعت وعيني مني ولو انقلعت .
- الحارة ديقة والحمار رفاس .
- سألوا الجمل شو بتشتغل قالهن بدق بالشبابة قالولو مبين من
- شفترك .
- الله ما نشاف لآكن بالعقل انعرف .
- الخوف بيقطع الجوف .
- الرطل بدو رطل ووقية .
- حط بطال وخط بيت مال .
- معك قرش بتسوى قرش .
- صاحب صاحب .
- تي تي تيتي مثل ما رحتي مثل ما اجيتي .
- مثل قطرميز مصر لا رقبة ولا خصر .
- يا سراج وشمعة يا عالغمة جمعة .
- اللي ما بيمثل للناس ما هو من الناس .
- وقت بتقع البقرة بتكثر سكاكينها .
- بتقولو تور بقولك احلبو .
- العصفور عم يتفلا والصيد عم يتقلا .
- عند جرن الحمام بتبان القرعة من ام الشعر .
- الجنازة حافلة والميت كلب .
- مثل الاطرش بالزفة .
- قدم بقدم لو كنتي ست ووراكي خدم .
- الست بدها جارية والجارية بدها ست .
- عين ما بتقاوم مخرز .
- عاشتك لا تاخديه ومطلقك لا ترديه .
- قالو ما متنا شفنا مين مات قبلنا .
- جوزي بيحبي قوية . اهلي بيحبوني غنية . جبراني بيحبوني
- ايدية سخية .
- الاعور بين العميان ملك .
- الرحمة مخصصة والبلا بيعم .
- الخير بخير والشر بغير .
- اذا شمينا ريحة ايدينا بترجع روحنا لينا .
- باللعب والامزاح تشتفي الارواح .

● بحفر البير بابرئين وبكنس درب الحج بريشستين ولا بعاشتر  
الحيوان بكلمتين .

● يا ربي من عشرة الحيوان خلصني ولادبح الحيوان واطبخ عليه  
يخني وان نر منو نقطة دهن عيبك على دقني .

● قالوا للقرد الله لسه بدو يمسحك قاللهن يمكن يساويني غزال .

وانتهت السهرة الطويلة بهذه المباراة اللطيفة الغزلية بين اثنتين من  
تربياتنا العجائز .

يا ريتني دالية لعرش على دارك .  
لاحمل عنب عاصي كرمال شانك .  
وياللي حرمني نومة حضانك  
يقع بعشقتك ما يصبر على نارك

✱

تفاح ما ناكلو حمرة خدودك فيه  
والبحر ما بنزلو سافر حبيبي فيه  
لما يجي المبشر يبشرني بسلامتكم  
عشرين ليرة لاعطيه .

✱

عيونك السود حاجبينك قوص  
وشفتينك عقايق بشهو البوس  
على ما روح على بيتك ودوسو دوس  
وأخذك بالحلال حبيبي .  
واشبع من خدودك بوس .

✱

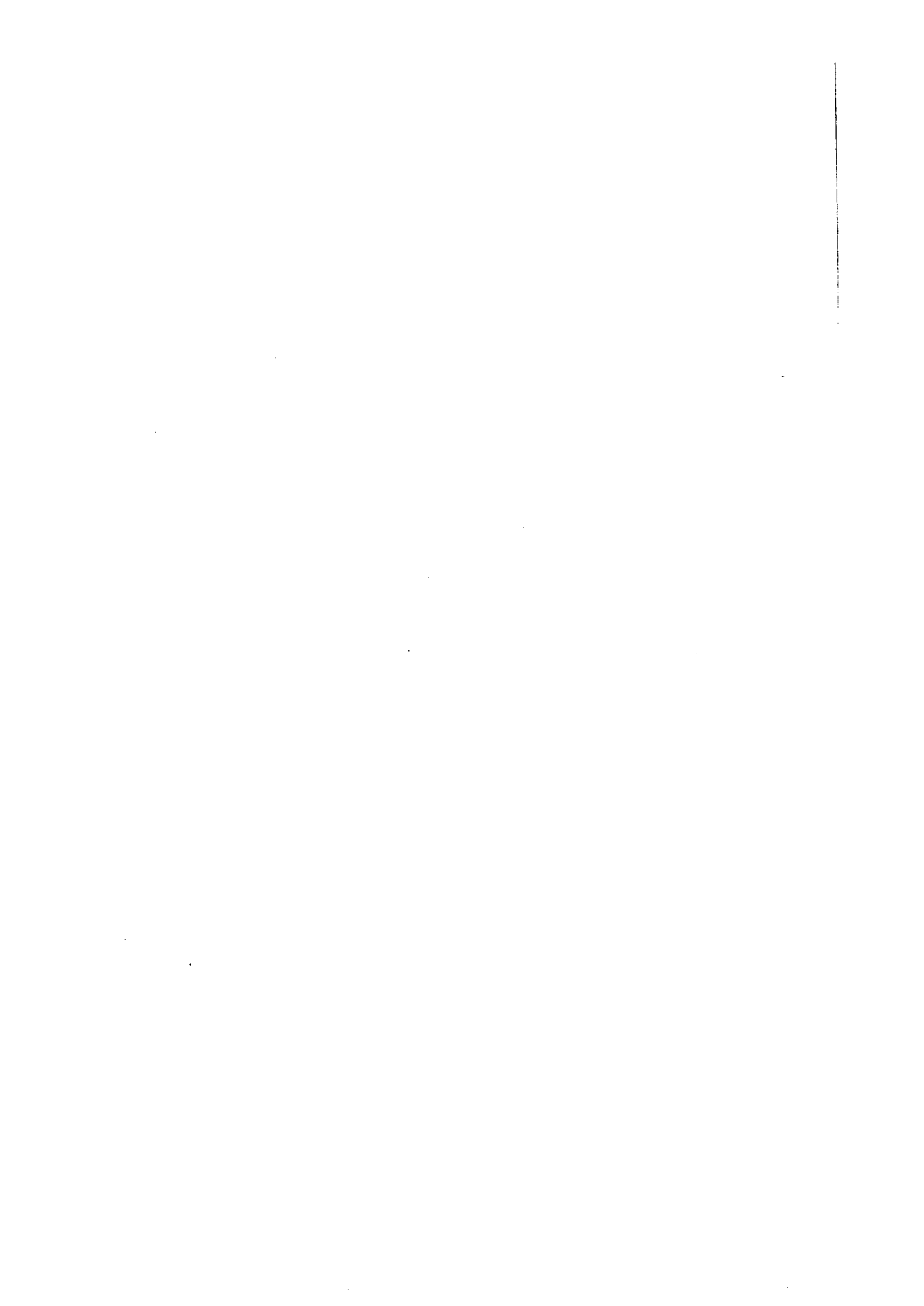
عيونك السود خلتنني أنا غني  
عيونك السود نستني ابي وامي  
بكون نايم باحلى النوم متهنني  
بيجي خيالك على بالي وبيجنني .

✱

وصرخ احد الحاضرين في السهرة :

- لك قوموا بقى . . . رح يادن الصبح خلينا نروح على بيوتنا . . .
- شو ابن خالتي منمشي سوا . . .؟ ثنو قاعدين فؤاد افندي . . .!!!
- اي والله بكير . . . لسة ما شبعنا منكن . . .!
- لا والله خلينا نمشي خيرها بغيرها .
- لا والله ونحنا ماشيين . . . اودعناكن . . . بيتكن عامر . . .
- عيدوها . . .!!
- منجي ما منستغني تقبروني . . . خاطركن تعو لعنا مو ما نشوفكن .!
- انتبه انتبه ابن خالتي ليقوم ينقط عليك « سطل » بوري الصوبا
- تعا هالنح امشي مع الحيط . . .
- والله هالحارة عتمة . . . مسيك معي هالولد يا رجال . . .
- او عي . . . او عي يا مرا هالطابوسة . . . الحارة كلها طين . . .
- نحنا رح نفرق من هالطريق . . . خاطركن يا جماعة خلينا نشوفكن
- بنت عمي . . . تصبحوا على خير .





موشامية

## قال لي أبي :

انا كنت قاعد بالكتاب بالبلطجية عند باب الجابية، حطنتني امي بالكتاب كنت ولد صغير . كانت القعدة على الدف علأرض وقدامنا رحالي خشب نحط عليها المصاحف . وكان الشيخ يقعد على طراحة محطوطة فوق الجلد وقدامو رحالية صغيرة مشان يسمع للولاد .

وكان الشيخ ظالم واذا واحد منا عمل برادة يضربو بقصبة طويلة على راسو . وكل ولد بيدفع « الخميسية » للشيخ يوم الخميس « ابو المية » . ويضل الولد بالكتاب من على بكرة لبعد العصر وكل ولد بجيب معو غداه بصرو بشقفة خرقة .

وكان صوت ولاد الكتاب يوصل لآخر الحسارة وهن عم يقولوا ورا الشيخ :

الف لاشن عليها ب واحدة من تحتات تنين من فوقات ثلاثة من فوقا ج واحدة من تحتاح لاشن عليها خ واحدة من فوقاد لاشن عليها ذ واحدة من فوقا ر لاشن عليها ز واحدة من فوقا س لاشن عليها ش ثلاثة من فوقا ....

ووقت ختمنا الصبرة قرانا الشيخ جزو عم وجزو تبارك وربيع ياسين . بعدين صرنا نقرا بالمصحف ووقت بيختم الولد القرآن بساوولوختيمة وبيفرح اهلو وبيعزموا الاهل والجيران والشيخ وولاد الكتاب . وكل ولد حسب ما الله يفتح عليه وفي ولاد بيختموا القرآن وبعيدوه سبع مرات .

وانا لما ختمت فرحت امي في ولبسوني قنباز حرير ابيض وطربوش مزين باللولو والاماس والورد . وطلعت من الكتاب مع الولاد من زقاق البركة عند باب سريجة لباب الجابية والدرويشية والمرجة هيك ورجعت غلبيت والولاد وراي عم يقرولي نشيدة :



الفنان نصير شوري — دمشق



1

يا برق شام بلغ سلامي      على محمد خير الانعام  
يا برق زورو واحظى بنورو      فاحت عطورو مسك الختام  
يا بدر واطلع في الليل والمسع      والمختار يشفع يوم الزحام  
ساروا المطايا جابوا العطايا      زاروا محمد خير الانعام

وفرتوا اهلي الشراب وصرر الملبس وعطوا لكل ولد من ولاد الكتاب  
ابو الخمسين .

وقعدت قرئت قدام الضيوف ببيتنا وشيخي قاعد ، من سورة البقرة .  
ولما وصلت لعند : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم خطف ولد من ولاد  
الكتاب طربوشي وركض لعند امي واخذ « الحلوان » .



## قالت لي أمي :

يا بنتي ايامنا ما كان في مدرسة . حطنتي امي عند خجا « تاجة » بزقاق البقارة بباب مصلى بالميدان . درستني خجاتي حتى ختمت . ايه الله يرحمها .

اول شي علمتنا الف لاشن عليها بكتاب « الصبرة » . كانت تقرينا ونقرا وراها : الف لاشن عليها ب واحدة من تحتات تفتين من فوقات ثلاثة من فوقات واحدة من تحتنا .

بعدين صارت تحفظنا الف ونصبة آصب آ الف وخفضة اخفض اي الف ورفعفة ارفع او . ب نصبه باصب ب . ب خفضة بخفض ب ، ب رفعفة برفع ب .

وعلمتنا نهجي القرآن الكريم كلمة كلمة . اول شي هجينا الفاتحة كلمة كلمة . « الحمد » كنا نهجها : الف أصب ا ، ال جازم ال ، ح حا نصب ح الد ، ام جازم ام ، الحم ، د رفعفة د ، الحمد .

الله : لام ولام وه . ل لخفض ل ، ل شدة ونصبة لا ، ه خفضة ه لله .

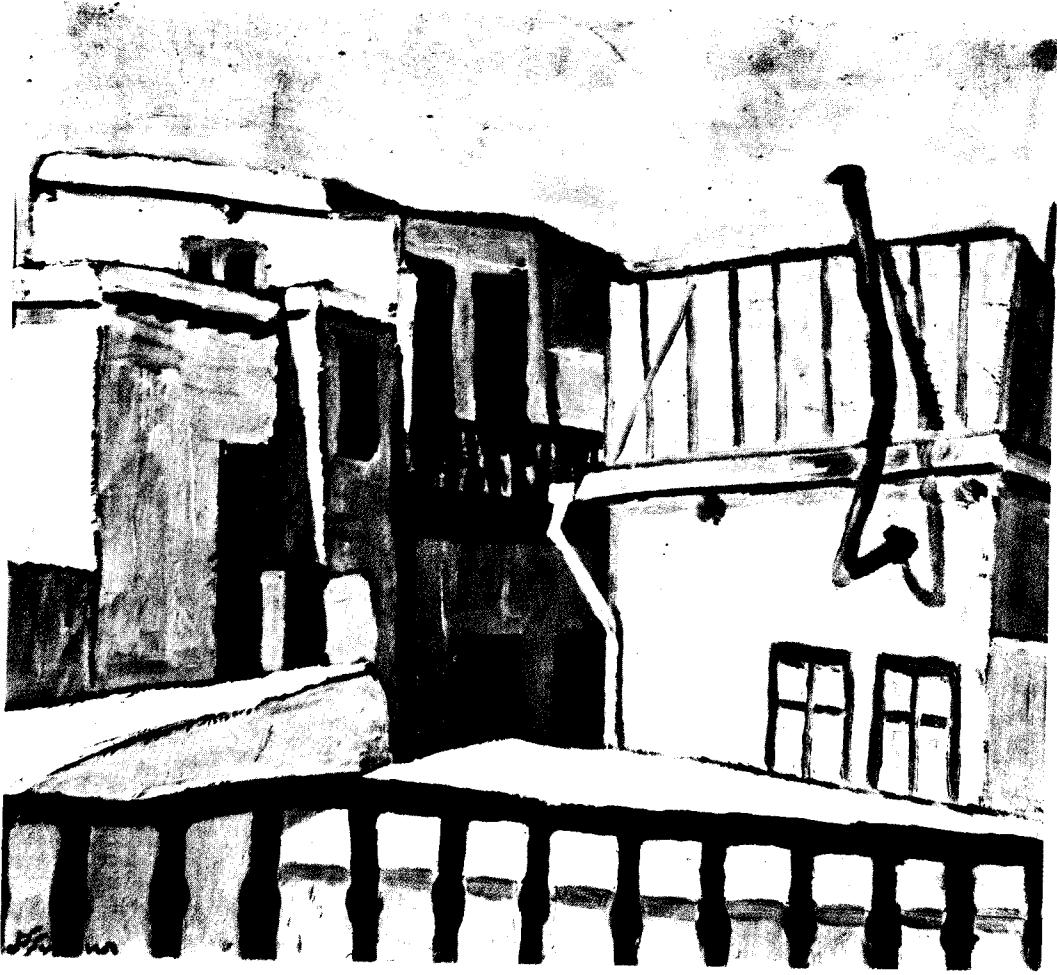
وعلمتنا خجاتي :

الف وشدة ونصبتين . الف وشدة ورفعتين . الف وشدة وخفضتين . ووقتت ختمنا الصبرة حفظنا ابجد هوز حطي كلم سفعص قرشت ثخذ ضزغن — والسلام .

وكمان علمتنا :

أب ، ام ، اخ ، عم ، جد ، فم ، كف ، لب ، ظل ، ند .

بعدين قرطنا جزو « عم » وجزو « تبارك » وجزو « قد سمع » وجزو « والزاريات » .



الفنان برهان كركوتلي - دمشق



- الفلاح** : كلي يا اما تدفع وركتين ونص يا را . . .
- الحكيم** : فهمت . يعني ما رضي منك اقل من هيك وانت ما معك وركتين ونص . .
- الفلاح** : اي بالله . داخل على الله وعليش سيدي وتجبلى دوا اكل من هيش .
- الحكيم** : انا كتبتك الراشيتة بالدوا يللي لازمك . بقاشو معك ما معك ؟ ما رح يلتقى بجيبك حق دوا لحفظ صحتك ؟
- الفلاح** : سيدي وحق الله ومحمد رسول الله كلتك ما معيش . ول انا مالي خلقه الله يا زلة ؟
- ابو ابراهيم** : ( من بعيد ) سيدي حسيت درسي كن وحكي نمل .
- الحكيم** : طيب . طيب ( للفلاح ) بقا قلتي ما معك حق دوا .
- الفلاح** : لا بالله ياسيدي ، الله يطول عمرش دبرني انا فقير .
- الحكيم** : طيب . اذن رح اكتبك على دوا بتروح بتاخدو من صيدلية البلدية مجانا .
- الفلاح** : نعم سيدي ؟
- الحكيم** : عم تلك رح بدبرك دواك تاخدو ببلاش .
- الفلاح** : آخذ دواي ببلاش سيدي ؟ الله يطول عمرش منين سيدي ؟
- الحكيم** : من صيدلية البلدية ما بتعرفها صيدلية البلدية ؟
- الفلاح** : لسع سيدي .
- ابو ابراهيم** : ( من بعيد قليلا ) سيدي حنكي خدر ووشي نمل .
- الحكيم** : طيب . طيب لحظة ( للفلاح ) مسيك هي راشيتة غيرها . فهمت كيف بدك تستعمل الدوا .
- الفلاح** : نعم سيدي ، تشمل ساعتين بتعرعر بالملي .
- الحكيم** : ايوه وبعد الغرغرة بتدهن من القنينة الصغرة لثتك بالقطنة .
- الفلاح** : ودهن ويش سيدي ؟
- الحكيم** : يعني بتدهن نيرة سنانك .
- الفلاح** : ها . اي اي نعم نعم سيدي نعم سيدي .
- الحكيم** : مع السلامة .
- الفلاح** : الله يسلمش سيدي ( مبتعدا ) خاطرش سيدي .
- ابو ابراهيم** : ( من بعيد قليلا ) سيدي حسيت ووشي مو مني وحكي منمل .

- طبيب جايه .. يا عفيفة . : **الحكيم**  
 نعم دكتور . : **المرضة**  
 حضري البنس ( لآبو ابراهيم ) شو قتلتي نملفك؟ : **الحكيم**  
 ( من قرب ) وما عدت حسيت بوشي كله . : **آبو ابراهيم**  
 تفضل دكتور . : **المرضة**  
 ( صوت وضع ادوات الجراحة ) . : **مؤثرات**  
 شو كل هاد ابرة البنج قوية سيدي ؟ : **آبو ابراهيم**  
 طبعا فتاح تمك لشوف . : **الحكيم**  
 دخلك دكتور خايف ليقوم يجعني . : **آبو ابراهيم**  
 ما بنجنالك ياه ليش خايف ؟ فتاح تمك . : **الحكيم**  
 سيدي خايف يجعني بالقطع . : **آبو ابراهيم**  
 لا تخاف لا تخاف ما بتشعر بشي ابدأ . فتاح تمك . : **الحكيم**  
 سيدي الله ي . . . : **آبو ابراهيم**  
 هو هو . . شو ولد صغير ؟ فتاح تمك . : **الحكيم**  
 هه ها . : **آبو ابراهيم**  
 فتحو كمان شبك خايف عم تزم شفتك ؟ : **الحكيم**  
 سيدي مالي خا . . ها ها : **آبو ابراهيم**  
 كمان . : **الحكيم**  
 ها ها ها . : **آبو ابراهيم**  
 كمان كمان . : **الحكيم**  
 ها ها ها . : **آبو ابراهيم**  
 ايوه ايوه لا تخاف كمان كمان . : **الحكيم**  
 ها ها رح ينشق حنكي ها ها . : **آبو ابراهيم**  
 ما بدها تفوت البنس بتمك ايوه برافو هه . : **الحكيم**  
 ااا (متوجعا) . : **آبو ابراهيم**  
 ها ها طلع . : **الحكيم**  
 شو شو نطلع سيدي . : **آبو ابراهيم**  
 طبعا . مالك شايف ما أكبر شرشو . : **الحكيم**  
 الله يسلم دياتك يا دكتور . : **آبو ابراهيم**  
 تمضمض هلا وبعدين بتحكي . : **الحكيم**  
 ( صوت وضع البنس على البللور ) شيلي هالادوات : **المرضة**  
 للتعقيم يا عفيفة . : **مؤثرات**  
 حاضر . : **مؤثرات**  
 ( صوت جمع الادوات تحت الكلام ) . : **مؤثرات**

- ابو ابراهيم : يعني اديش كنت متوهم يا دكتور . وهاكل هم قلعو .  
الحكيم : طبعا . هوة الوهم مؤلم اكثر من الوجع نفسو .  
ابو ابراهيم : الله يسلم دياتك الحقيقة انك ما شالله ايدك خفيفة .  
الحكيم : الله يحفظك . لا تنسى الغرغرة بالببيت كل شوية وشوية .
- ابو ابراهيم : امرك سيدي . الله لا يحرمننا ياك (مبتعدا) خاطر ك  
سيدي الحكيم .  
الحكيم : مع السلامة .. عفيفة ..  
المرضة : (من بعيد) نعم .  
الحكيم : شوفي بصالون الانتظار دور مين خليه يتفضل  
(يدمدم) لا لا لا لي .. م م م م ..  
ابو فهمي : (من بعيد مقتربا) آه ام اخ آه يا حنكي آه يا درسي  
سلامات سيدي .  
الحكيم : سلامات .  
ابو فهمي : آخ .. دخيل الله حكيم بيوس ايدك درسي !  
الحكيم : وليش هيك ملفف وشك بعشرين تمطة وشائمية؟  
ابو فهمي : سيدي حاطط لزقة نشا .  
الحكيم : (يضحك) وليش ملفف وشك كلو مو مبين غير  
عيونك ؟
- ابو فهمي : سيدي كترت النشيات حتى يكن درسي ماله اخاوص .  
الحكيم : طيب عود عندك عالكرسي .  
ابو فهمي : آخ دخيل الله حكيم لحقني بيوس ايدك .  
الحكيم : فك عن وشك هالطرد لشوف .  
ابو فهمي : آه يا حنكي آه . آه يا وداجاتي آه .  
الحكيم : عاونيه عفيفة بفك شرشف «اليوك» عن وشو .  
المرضة : هات دشر عنك يا عم .  
ابو فهمي : اي اي اي دخيل الله قلعتيلي جلدة وشي على مهلك .  
المرضة : لا تخاف هاي لزقة النشا يبسانة على خدك .  
ابو فهمي : آه .. والله حسيت طاسة راسي نقامت دخيل الله .  
الحكيم : حاجة بقي شو ولد صغير .  
ابو فهمي : دخيل الله صرلي تمن تيام ما نمت فيهن من وجعي  
ايدي بزنارك دكتور .
- الحكيم : وليش تارك حالك كل هالدة من غير حكمة ؟



- ابو فهمي : مين فلك سيدي تارك حالي من غير حكمة ؟ والله  
الحكيم : ما خليت حلاق بالحارة ما ورجيتو درسي .  
ابو فهمي : اف وشو خص الحلاق بالتهاب فكك ؟  
الحكيم : ليش حنكي ملتهب سيدي ؟  
ابو فهمي : طبعا مالك شايف وشك كيف صاير مثل الطبل !  
الحكيم : انو حلاق ساوى فيك هيك ؟  
ابو فهمي : سيدي عنا بالحارة .  
الحكيم : ماكنت تعرف لهلا انو في بالندية اطباء ومتخصصين  
ابو فهمي : كان لازم تستشير طبيب قبل ما تروح فكك .  
الحكيم : سيدي بعرف . لآكن قلعلي بلا ما حطلي ما فتح  
ابو فهمي : ورزق على درس مسوس مو محرز .  
الحكيم : مشان ما تدفع مبلغ بسيط تلهب فكك وتسم دمك  
ابو فهمي : ويمكن تتوفى يا غشيم ؟  
الحكيم : هلا رح بتوفى سيدي ؟  
ابو فهمي : يعني لو ما اجيت هلا وشفتك كان بعد يومين صار  
الحكيم : بفكك كنكرين ، وتسم دمك ورحت .  
ابو فهمي : ااشو هالحكي سيدي !  
الحكيم : طبعا مالك شايف خذك كيف مزرق .  
ابو فهمي : والله من اللزقة يللي حاظطها ما شفت وشني من  
الحكيم : جمعة .  
ابو فهمي : فتاح تمك لشوف .  
الحكيم : سيدي مالي غضران افتحو . حاسس عرق اللبن  
ابو فهمي : شادد من طبلة ادني لجحش حنكي .  
الحكيم : فتاح تمك على قدر الامكان لشوف الحلاق شو عامل  
ابو فهمي : بفكك من جوه .  
الحكيم : هه ها .. عا عا ..  
ابو فهمي : كمان فتاح .. كمان كمان .  
الحكيم : ها ها .. عا عا عا .  
ابو فهمي : شبك فتاح كمان .  
الحكيم : ها ها .. عا عا عا .  
ابو فهمي : لك يا عمي بس خليني دخل المراية وشوف مثل العالم .  
الحكيم : عا عا عا .  
ابو فهمي : هم . سكر هالمتحف بقى .  
الحكيم : آه .. ام .. شو شفتللي سيدي الدكتور ؟

وبعد ما ختمنا نقلتنا للمصحف الكريم . وانا ختمت المصحف يعني كان عمري شي تمن تسع سنين .

كنت اتعلم عند خجاتي وعلم . وكنا نروح علخجا من على بكرة للعصر . وكنت آخذ اكلي معي واتشارك مع رفقاتي واكل انا والبنات، وما في صريفة لبعده العصر . كانت الله يرحمها « بكريمة » واحدة وتربيتها منيحة وبالها طويل مو مثل خجا « زقزوق » بتاني حارة بتحط الولاد زرابة وما بتقري منيح . بس خجاتي والله كبرت وبحبها وكل ما مرقت من الميدان بتطلع عالحارة وبترحم عليها .

وبتذكر لحد هلا شلون عطنتي ولد حتى علمو لاني كنت شاطرة وعيني فتحة . ولد ما بيتعلم من رابع المستحيلات لهلق محروق قلبي منو . منوب منوب ما بي فهم اذا قريتو ، حتى داب قلبي منو . قمت رحت قلت لامي وكنت مدللة على امي ومالا غيري . قامت امي راحت لعند خجاتي وقالتلا وين رح تدوبيلي قلب البنات قامت خجاتي عطتو لغير بنت حتى تعلمو . والله بكل عمري مثل هالولد لسه ما شفت . اسمو سليم لهلا بتذكر اسمو .

ولهلا بتذكر شلون كنا نغني لخجاتنا تاجة عند العصر نترجهاها تصرفنا على بيوتنا ونقول :

« خجاتي صرفينا وما حلت مصارفنا والشميسة غابت وقلوبنا دابت بحياة سيدي خالد تصرفينا » .

وتصرفنا خجاتي كل تنين سوا . قباقينا بالعتبة نلبسها ونرجع لبيوتنا فرحانين .

ايه سقا الله وميت سقا الله والله كان العلم ايامنا الو قيمتو . وانا بعد ما ختمت القرآن صرت اقرا لحالي كتب الانبياء وكليلة ودمنة وابو زيد المهلهل والوزير سالم والمنفلوطي والملك الضاهر والف ليلة وليلة وقيس وليلى . كتب كتيرة كنت آخذها من عند صهري جوز خالتي ابو جعفر وصهري جوز عمتي الله يرحمو . والفضل لخجاتي تاجة ياللي علمتني القراية وخلتني اقرا كل شي .

ايه الله يرحمها . ولك بنتي ايامنا راحت والعلم تغير وهلا الدور الكن . الله يوفقن ويأخذ بيدكن ويعطيكن الحظ ليرضيكن .

## عند الحكيم

... عند الحكيم

تمثيلية اذاعية باللهجة الشامية العامية الفها الفنان المرحوم القصاص الشعبي حكمت محسن وضحكت لها دمشق كثيرا لانها كانت عملا من اعماله الكثيرة التي بدأت منذ سنوات طويلة ، واخذت تنتقد بصورة فكاهية عيوب المجتمع الدمشقي القديم ، وتسجل التراث الشعبي الدمشقي الفني خوفا عليه من الاندثار في موجة المدنية الجديدة الفائرة حتى على صور الجمال في حياة مجتمعا الذي يتوارى خلف طيات الزمن بكل ما فيه من عيوب وميزات دون ان يقدر شباب هذا الجيل خطر التخلي عن تقاليد وعاداته وقيمه الاصلية .

اخرج التمثيلية للاذاعة السورية الفنان تيسير السعدي احد تلاميذ واصدقاء حكمت محسن المخلصين واشترك بتمثيلها عدد من اهم ممثلي فرقة حكمت محسن الذين تحبهم دمشق وتقدرهم منذ بدأوا العمل معا كما اذكر منذ حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

قام حكمت محسن بدور « ابو رشدي » وتيسير السعدي بدور « الحكيم » وعبد السلام ابو الشامات بدور « ابو ابراهيم » وفهد كعيكاتي بدور « ابو فهمي » وانور البابا بدور « ام كامل » وطيبو الصيداوي بدور « الفلاح » وهدى صدقي بدور « المريضة » وهذه هي التمثيلية بنصها الحرفي :

نحن الان في عيادة طبيب الاسنان في دمشق :

**الفلاح** : سيدي كلته الله يطول عمرش ما معيش اذفع  
وركتين ونص حق الدوا ، انشان ترخص شوية  
كرامه لله ومحيد رسول الله .

**الحكيم** : ام ...

- الحكيم** : شو شفنتك . شفنتك الحلاق كاسرك فكك ؟
- ابو فهمي** : له . لك ..
- الحكيم** : كلو حتى جنابك لما نوجعت ركدت عالحلاق كانك عايش قبل ميت سنة .
- ابو فهمي** : سيدي قلعلي بلا ما تحطلك ما فتح ورزق هالأ عند الحلاق جاري بيقلعلي ياه بنص ورقة .
- الحكيم** : صحتك وحياتك ابدى واللا المصاري يا غشيم ؟
- ابو فهمي** : لادن دبساتو مراق ودرويش شو بيعمل بحالو سيدي ؟
- الحكيم** : ما بتعرف انو وزارة الصحة فاتحة مراكز للمداواة بكل حي مشانك ومشان غيرك يتطبب فيها مجاناً اذا حالتو ما بتساعد ؟
- ابو فهمي** : سيدي والله مالي دريان انو في هيك شي .
- الحكيم** : على كل حالتك تستوجب اني ابعثك عالمستشفى حالا . لازمك عملية مستعجلة .
- ابو فهمي** : له ، شو هالحكي سيدي ؟ دخيلك برقيتي عيال سيدي ما بغض اترك شغلي ونام بالمستشفى الله يطول عمرك .
- الحكيم** : اذا نمطك كم يوم بالمستشفى وطبت احسن واللا اذا نمت بالجبانة ؟
- ابو فهمي** : آه يا حوينتك يا ابو فهمي آه . آخ يا جحش حنكي آخ .. !!
- الحكيم** : تفضل طلاع انتظر بالصالون لبين ما تجي سيارة الاسعاف تاخذك .
- ابو فهمي** : آه يا كرسي خدودي آه .. روح ودع عيالي واجي سيدي ؟
- الحكيم** : لا ليش كل هاد توهيت ؟ هالأ بيعطوك بنسولين وادوية يرتفع عنك الخطر وبتطيب . يا عفيفة ؟!
- المرضة** : ( من بعيد ) نعم دكتور ؟
- الحكيم** : عملي هاتف للمركز بيعتوا سيارة بسرعة تعا وين طالع ؟
- ابو فهمي** : ( من بعيد قليلا ) ما قلتلي ستنى برة سيدي ؟
- الحكيم** : تعا قبل ما تروح عطيني اسم الحلاق وعنوانو .

- ابو فهمي : ( مقتريا ) ليش سيدي ؟ بدك تقلع درسك انت  
التاني بابا ؟
- الحكيم : ( يضحك ) لا . لآكن حتى نحيلو للمحاكمة ونجازيه .
- ابو فهمي : سيدي الله يطول عمرك الحق مو عليه .
- الحكيم : شلون مو عليه ؟ أنت قتلو كسرلي فكي ؟
- ابو فهمي : لا سيدي . لآكن هوة ما عم يقلع الدرسي بنص ورقة ؟
- الحكيم : ام ؟
- ابو فهمي : قمت انا شارطتو عالدرسين بتلت رباع الورقة .
- الحكيم : هنة كانوا درسين يللي عم يوجعوك ؟
- ابو فهمي : لا سيدي يللي عم يجعني واحد . لآكن لمن رضي  
يقلعلي التنين بتلت رباع الورقة قلعلي صارت  
المسألة رخيصة يا ولد قلاع تنين افرطك .
- الحكيم : أف ( يضحك ) اما عقلية غريبة . على كل طلاع  
انتظر سيارة الاسعاف .
- ابو فهمي : امرك سيدي ( مبتعدا ) آه يا حناكي آه يا كراسي  
خدودي آه ..
- الحكيم : عفيفة .
- المرضة : ( من بعيد ) نعم دكتور .
- الحكيم : شوفي بالصالون دور مين قليلو يتفضل ( يدمدم ) .
- أم كامل : ( من بعيد مقتربة ) آه يا سقف حلقي آه .. آه ..
- يا نيرة سناني آه .. ام .. آه .. السلام عليكن  
يا ابني .
- الحكيم : وعليكم السلام .. خير خير .. شبك حجة ؟
- أم كامل : الله يجعلك بخير . تقبرني نيرة سناني قابة علي  
وحاسستها عم تتقطع بعيد عنك آه ... ام ...
- الحكيم : بسيطة بسيطة عدي لشوف عالكرسي . امسكي  
ايدها عفيفة .
- أم كامل : يو الله يرضى عليكن ويأخذ بيدكن هم . هه ..
- المرضة : سندي ضهرك خالتي .
- أم كامل : يو الله يرضى عليكي ويبعثك عريس ابن حلال .
- المرضة : ( تضحك ) .
- الحكيم : شو صاير معك حجة !
- أم كامل : تقبرني سقف حلقي نرتي وحنكي وشقاتي وعضام  
وشي وبنات اداني و ..

- الحكيم : (مقاطعا ) طيب طولى بالك فتحي تمك لشوف .  
 أم كامل : (تفتح فمها ) ها ها ها .  
 الحكيم : كمان فتحي تمك مو باين شي .  
 أم كامل : هه . ها ها ها .  
 الحكيم : كمان حجة كمان .  
 أم كامل : يوه رح ينشق جلد وشي لك ابني .  
 الحكيم : لا تخافي فتحي لشوف .  
 أم كامل : هه . ها ها ها .  
 الحكيم : يا ستي ليش خايفة كل هاد ؟ فتحي تمك منيح بدى شوف سقف حلقك .
- أم كامل : هه اكثر من هيك بدى افتح تمى ؟ بينت معدتي مو سقف حلقي (تفتح فمها ) ها ها ها .  
 الحكيم : اف هادا طقم سنان يللي بتمك .  
 أم كامل : اي لكان . شوكنت مخمن طقم كنبات ؟  
 الحكيم : ( يضحك ) طالما ما في بتمك سنان ومركبة طقم بقا شو يللي عم يوجعك ؟
- أم كامل : تقبرني حاسة كل وشي عم يوجعني مدري الطقم كبير على تمى مدري صغير .  
 الحكيم : ما تراجعى الطبيب يللي ساوالك ياه ؟  
 أم كامل : تقبرني شترينو حاضر « مألن » .  
 الحكيم : اف حدا بيشتري طقم سنان مستعمل ؟  
 أم كامل : لقيتو رخيص تقبرني .  
 الحكيم : ( يضحك ) اما سمعة ما بتعرفي انو ما بجوز حدا يركب طقم سنان الثاني بتمو .
- أم كامل : يوه ليش ما بزوز يامو ؟ والله ما سمعتها بالدرس انو بزوز وما بزوز .  
 الحكيم : هي ما دخلت بالدرس ، لكان طبا وعلما ما بجوز .  
 أم كامل : ما بتعرفي انو في بالدنية ميكروب وامراض معدية ؟  
 أم كامل : يوه « قل هو الله واحد » .  
 الحكيم : لكان كيف ركبتيه بتمك ؟  
 أم كامل : تقبرني قبل ما ركبو غستلو بالصابون والطرايبة الحمرا وتشاهدت عليه سبع مرات وبعدين ركبتو .  
 الحكيم : لكان شو بتريدي جاية لعندي ؟

- أم كامل : قالولي جماعه خديه لعند حكيم سنان البلدية  
يصلحك ياه على قد تمك .
- الحكيم : (يضحك ) اما هي سمعة غريبة ، يللي ذلك غلطان  
يا خالتي واساسا طقومة السنان ما بتصلح وتتكبر  
وبتصغر . بدك طقم بتكلفي طبيب بيعملك ياه  
على قد تمك مطبوط . وقتها لا يعود بيلتهب فكك  
ولا بيوجعك تمك .
- أم كامل : تقبرني ان كان الجمل بقرش وقرش ما في شويعمل  
بحالي ؟
- الحكيم : وقتها بيعتك عالجامعة يعملوك طقمسنان مجاناً .  
أم كامل : يوه بيعتك الهنا على هالبشارة الحلوة .  
الحكيم : تكرمي يا حجة .  
أم كامل : يو الله ياخذ بيدك ويبيد كل منيح .  
الحكيم : وانا هلا بكتيلك كتاب بتاخديه بايدك يعثنوا فيكي .  
أم كامل : روح الله يجبر بخاطرك وخاطر كل ابن حلال بحن  
عالفقير .
- الحكيم : استني بصالون الانتظار . هلاً بيعتك الكتاب مع  
البنث .
- أم كامل : اي تقبرني عم بستنى برة (مبتعدة) خاطرك يامو .  
الحكيم : مع السلامة . أف . يا عفيفة .  
المرضة : (من بعيد ) نعم .  
الحكيم : شوفي بصالون الانتظار دور مين قليلو يتفضل  
(يدمدم باغنية ) .
- ابو رشدي : (مقتربا ) آه .. أخ .. ام .. يا درسي .. آخ ..  
السلام عليكم سيدي الدكتور .
- الحكيم : (من بعيد قليلا ) وعليكم السلام . تفضل جلوس  
عالكرسی جاية .
- ابو رشدي : ايه .. ام .. آخ دخيل الله درسي .. ايه .. ام  
.. آخ دخيل الله شقناتي .. ام آخ آخ آخ شي  
عم يلمع علي مثل السيف بدرسي .
- الحكيم : (من بعيد قليلا ) شو هاد يا عم ؟  
ابو رشدي : نعم سيدي .  
الحكيم : على مهلك بدي اعرف اكتب الورقة للحرمة شو  
هالغن هاد ؟

- ابو رشدي : غير عم عن من وجعي لك ابني ؟  
 الحكيم : وطبي صوتك مالك ولد .  
 ابو رشدي : ايه سكتنا . ام . . آه . . آه آه اخ اخ درسي .  
 الحكيم : هو هو . هلا ما رح تخليني اعرف اكتب هالسطرين ؟  
 ابو رشدي : سكتنا سيدي سكتنا . آه . ام . . اي اي اي .  
 يا حنكي آه .  
 الحكيم : وبعدين معك ؟  
 ابو رشدي : سكتنا سيدي سكتنا . ام . اخ . آه . اي اي اي .  
 الحكيم : هو هو ( يقترب ) هي دشرنا الكتابة مشانك شو  
 صاير معك ؟  
 ابو رشدي : درسي بعيد عنك طول الليل ما نيمني الشكوة لله .  
 الحكيم : فتاح تمك لشوف ؟  
 ابو رشدي : هه ( يفتح فيه ) ها ها ها .  
 الحكيم : هم . سكر تمك .  
 ابو رشدي : ايه . شو شفت سيدي ؟  
 الحكيم : شفت قصر يلدز شو بدي شوف ؟ هاتي هالبنس  
 يا عفيفة .





## من قاموس إشام

**السقاية** : مصدم مطرقة الباب وتكون من الحديد على شكل الحلقة او يد الانسان .

**باب خوخة** : باب البيت العربي الكبير المزدوج ، باب خشبي كبير وبقلبه باب صغير مزين بالمسامير .

**باب مصراعين** : باب عادي بردفتين .

**الدهلز** : ممر ضيق بين باب الدار وباحتها .

**الديار** : باحة البيت العربي ، وهي مفتوحة للسماء وسطها بحرة ماء وحولها احواض الشجر والازهار ، وتمر منها احيانا ساقية ماء . وللبيت العربي الكبير ديار براني وديار جواني .

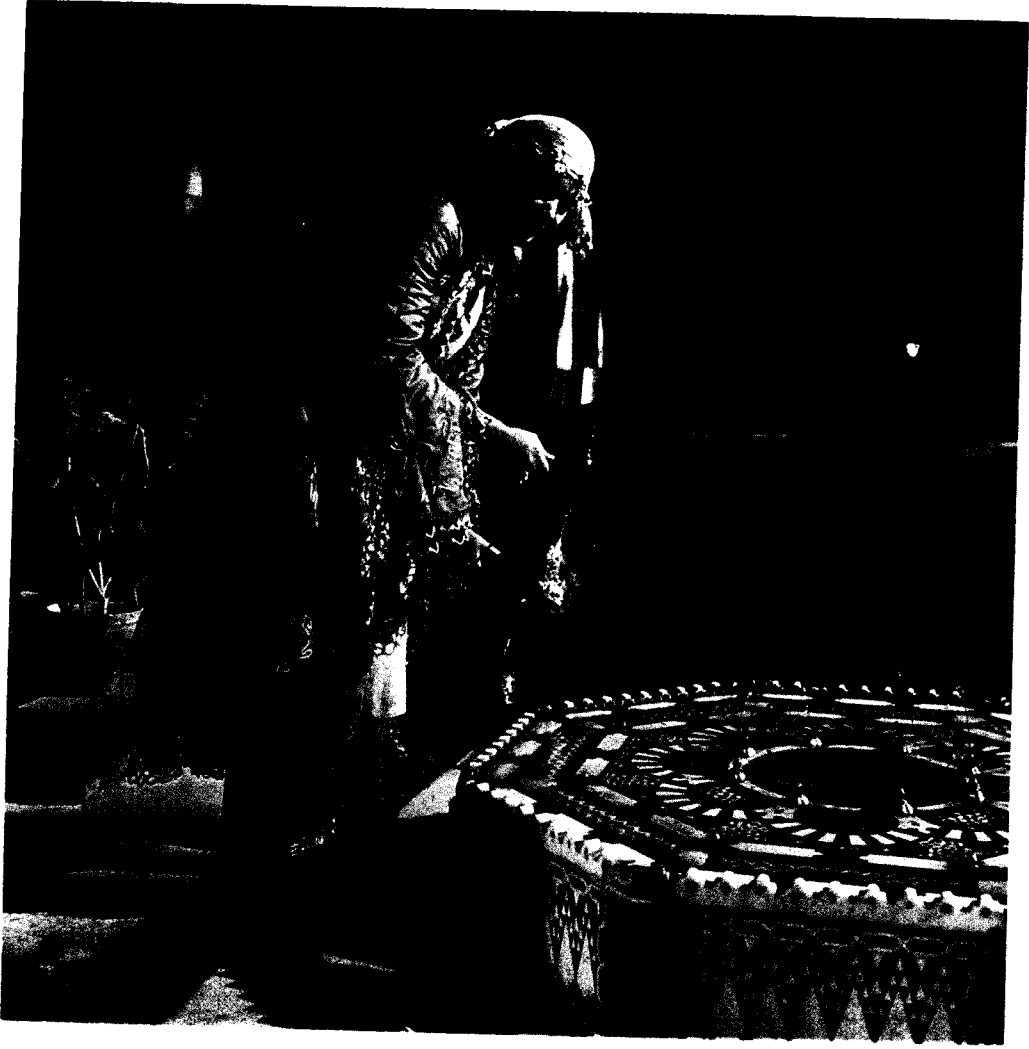
**القاعة** : غرفة كبيرة في البيت العربي جدرانها وسقفها من الخشب المطلي المزين بالزخارف العجمية ، ولها فستقية ماء في عتبها او فستقية ماء جدارية ، وهناك قاعة بطزر وقاعة بطزرين وثلاثة ، والطرز هو ما ارتفع عن ارض القاعة . كما يوجد في صدر عتبة القاعة « مصب » من الرخام الزخارف توضع فيه المرآة .

**المربع** : غرفة مربعة في الديار ولها عتبة وتسمى ايضا المخدع .

**الليوان** : القسم المستوف من باحة الدار . يطل على جهال البيت العربي ويستعمل للجلوس في الصيف لرطوبته .

**التكنة** : النصية ، الغرفة الصغيرة الواقعة في منتصف الدرج بين ارض الديار والفوقاني .

**الصالية** : غرفة عالية عن ارض الديار بثلاث او اربع درجات ، والصالية معربة عن الصالون . كما توجد الصالية بالطابق الفوقاني .



قصر العظم في دمشق

كاميرا الفنان عبد الكريم الاصغر - حماه

1

**النساس** : الانسان البارد القلب الذي يبعث على الضجر ، ويقال فلان نساس لان أسلوبه في الحديث يسبب الضيق لما يتضمنه من تعليقات باردة .

**السحنوك** : قدقود : النحيل الهزيل الذي يبعث هزاله على الضحك .

**النايط** : النعيان الانسان البارد البطيء .

**مجلوء** : مدلل . مائع . مفروط .

**مجلوع** : مشهون على الاكل . عنده شهوة ظاهرة للاكل . يقولون عينه جوعانة مجلوع .

**ممصوع** : نحيف جدا .

**ليكو** : ها هو .

**مرق علينا** : مر علينا .

**اجا لعنا وراح** : اتي لعندنا وذهب .

**جئر** : ودح : وقح وعنيد .

**الوتوتة** : الوشوشة : اثنان يتكلمان همسا .

**المظبطة** : عريضة موقعة من قبل عدد كبير من الناس تقدم للسلطات ودوائر الامن تحمل شكوى ضد ظاهرة مسيئة للسكان ، كمدخنة فرن .

**الكراكون** : المخفر .

**الشرشوحة** : المزرية : التي تعير بلباسها او اخلاقها .

**الشرنة** : الفوضوية غير المنظمة في بيتها .

**ام كمونة** : البخيلة .

**الجاجزومة** : امرأة ثرثارة وقوية .

**الباباحسن** : الرزيل .

**مدهرن** : اهرماني : اكبر من عمره ، صغير ويتكلم كلام الكبار .

**سرنوة** : خبيثة تخفي خبيثها بذكاء .

**الحيككة** : شحمة ترد . بخيل .

**الشنفير** : الكبير الذي لم يعد طفلا .

## العُمرُكُم

مقابل الحياة الموت .

لا فائدة .. لا بد من الموت ..

اكره الموت . أخاف الموت . لا يقهرني الا الموت .

انا أهرب من حوادث موت الآخرين . مذ كنت طفلة وبعد ان كبرت وانا اتجاهل واجباتي الاجتماعية تجاه أهل الذين ماتوا . وعندما يموت احد من جيراننا اهرب من البيت حتى لا اسمع اصوات البكاء وولولة النساء على النوافذ والشرفات ، وكلمات الوداع المفجعة للميت وهو يخرج من بيته بلا عودة . تقتلني كلمة ام الميت او زوجة الميت « مع السلامة » .. اية سلامة !! الكلمة خنجر في قلوبنا نحن الاحياء اما الميت فانه لا يسمع ولا يحس ولا يرى ولا يتذكر احدا ، ولن يجيب : الله يسلمكم ..!!!!

ومات زوج احدي صديقاتنا الغاليات . شابة جميلة وذكية وطيبة فقدت فجأة زوجها الشاب الوسيم المحب المرموق الطيب الذي كان يغمرها بالحب والدلال وكل ما تتمناه صبية . ذهب وتركها مع طفلها بلا عودة .

وحدثت في دمشق هزة . الرجل من أفضل شبان دمشق خلقا ومركزا وثقافة ورحل الرجل رحمه الله .

ولا بد من الوقوف مع بقية الصديقات الى جانب الصديقة في مصابها الاليم .

انا ... !! ؟

يا ربي كيف اجرؤ على دخول البيت السعيد بعد ان فقد سعادته الى الابد ..؟ واسم صاحب البيت على جرس الباب ..! كان هو الذي يفتح لضيوفه الباب مبتسما مرحبا .. والآن ..! في غرفة الضيوف الخمرية تغير كل شيء . ابن القلاطق الخمرية الساتان ! وأين الستائر الخمرية ..! وأين

الثريات اللامعة ! لا شيء . . . كراسي من الخيزران مصفوفة حول جدران الغرفة وفي صدر الغرفة الارملة الجميلة متشحة بالسواد تبكي بلا توقف بحرقة ، وصورة زوجها فوق رأسها تبتسم بسخرية من الحياة التي يهزمها الموت برفة عين .

الموت اقوى اذن . . !؟

ويقفز طفلها الصغير . . يسأل اين ابي .؟ متى يعود ابي يا ماما . . !؟  
لا . . الحياة اقوى . الطفل هو الاتوى .

لا بد من تأدية الواجبات الاجتماعية في حوادث الموت .

ولكنني بعيدة جدا عن تقاليد دمشق حيال الموت .

وقبل ان اذهب سألت سيدة عجوز من قريباتنا حتى لا اخطيء في سلوكي ، وبدأت تعلمني قائلة : يا بنتي للموت في دمشق تقاليد وعادات يجب ان تحترمها :

— اذا كان الميت صاحب البيت تكون المصيبة كبيرة وخاصة اذا كان شابا . ويحضر الى بيت الميت بعد نشر النعوة ، الاهل من قريبات الميت وقريبات زوجته والمقربات من الصديقات والجارات .

وبعد طلعة الميت . . . من بيته ، وبعد ان يرافقه الرجال حتى « جامع الاموي » او اي جامع آخر للصلاة عليه ، يشيعه الرجال للتربة للدفن اما في « الدحداح » واما في تربة « باب الصغير » وبعد دفنه يقف اهل الفقيد في التربة في صف ويقبلون التعازي من الناس .

فيقول المعزي :

— عظم الله اجرکم .

ويرد اهل الفقيد :

— شكر الله سعيكم .

ويدعو احد الاقرباء الناس الذين حضروا الجنازة للغداء وتعود بهم السيارات جميعا الى بيت الفقيد .

طبعا تكون احدى قريبات الفقيد قد حلفت على النساء اللواتي حضرن الى بيت الميت منذ معرفتهن بالخبر ، لتناول طعام الغداء ، اذا كانت طلعة الميت قبل الظهر ، ولتناول طعام العشاء اذا كانت طلعة الميت بعد الظهر . .

ويتكون طعام مائدة الميت من الاكل « السوتي » وهو « الاوزي » وهورقات من العجين تحشى بالرز واللحم والفسق والسنوبر ، ويقدم ايضا اللبن والحلويات الشامية والفواكه ، وعلى سفر الاغنياء تقدم انواع الماكل الشامية كالخبز والخضار ، وكل بيت يقدم حسب قدرته . ثم توزع القهوة المرة .

وتنام عند اهل الفقيد القريبات ، وكانت العادة في القديم ان يأخذ الرجال بالخاطر في الصبحية في التربة حيث تنصب خيمة فوق القبر ويقرا المشايخ القرآن الكريم وتوزع القهوة المرة . ولكن الايام تغيرت ، وتبدأ تعازي الرجال من اول يوم مساء بين المغرب والعشاء واسمها « تمساية » ويقولون عليها الصبحية احيانا ، وغالبا ما ينادي احدهم في المقبرة بعد دفن الميت قائلا : الصبحية مسامحة يا اخوان . وهذا يعني ان التعزية في البيت مساء .

وتعزية الرجال لا كتعزية النساء . يجلس اهل الفقيد على صف من الكراسي في اقرب نقطة من الباب حتى يروا الداخلين والخارجين من المعزين وكلما دخل احد المعزين يقفون له ، ويسلم بيده ويجلس مع الناس فترة قصيرة بينما المشايخ يقرأون القرآن . وتوزع القهوة المرة . وعندما تدخل مجموعة جديدة تخرج مجموعة ويصافح افرادها اهل الفقيد ويقول كل واحد لكل من يصافحه :

— عظم الله اجرکم .

ويرد اهل الفقيد :

— شكر الله سعيكم .

طبعا التمساية ثلاثة ايام متوالية لا بد منها .

اما عند النساء فيوم « الموتة » تدعو احدى قريبات الفقيد بعض القريبات جدا للوقوف في العصرية ، وتقف عادة العمات والخالات والحومات ( حماة البنات وحماة الصبي ) وبنات الاحما والكنان والسلايف وبنات الاخ وبنات الاخت واقرب القريبات . وطبعا تقف في العصرية الاكبر سنا . وهذه الدعوة تدل ان لصاحبها مكانة عند اهل الفقيد ودعوتهم لها دليل احترام وواجب وخاطر . وفي بعض الاحيان تقف في العصرية عشر سيدات وفي بعض الاحيان تقف في العصرية خمس واربعون سيدة ، طبعا حسب اهمية الميت وحسب المكان وغلاوة الفقيد .

وغرفة العصرية تجلل بالسناثر البيض او ذات اللون الرمادي

او الاسود . ولكن المتدينين لا يجلبون القلاطق والابواب والنوافذ بالاسود .  
وباب غرفة العصرية عبارة عن ستارة قطعة واحدة او ستارتان . وتصف  
حول الغرفة الكراسي الخيزران او القلاطق وتجلس في صدر الغرفة زوجة  
الفقيد وترتدي الاسود وعلى رأسها غطاء اسود وكذلك بناتها . اما اللواتي  
يقفن في العصرية فيرتدين الكحلي او الازرق او الرمادي وعلى رؤوسهن  
أغطية جورجيت موسلين بيضاء ويبدآن بقراءة الصمدية في قلوبهن . وعليهن  
قراءة آية « قل هو الله أحد » مئة الف مرة . كل سيدة تمسك بمسبحة الفية ،  
وتقرأ الآية الف مرة كل حبة مرة . وعند نهاية العصرية تكون السيدات العشر  
قد قرأن الصمدية على روح الميت .

وجو الغرفة على الاغلب معتم . والى يمين الغرفة ثلاثة كراسي فارغة  
للمعزيات . يدخلن دائما ثلاث . تدخلن اولا الاكبر سنا ثم الاصغر سنا ثم  
الاصغر ويكون مكانها الاقرب الى الباب . عند الدخول تقف لهن النساء بلا  
كلام ويجلسن جميعا . ويقرأن ثلاث مرات آية « قل هو الله احد » في قلوبهن  
ثم يقفن وتقف النساء جميعا وتخرج هذه المرة من الجهة الثانية للستارة  
الاكبر سنا ثم الاصغر فالاصغر .

ويكون الشيخ في غرفة مجاورة يقرأ القرآن . والعصرية تستمر ثلاثة  
أيام واول خميس بعد الوفاة . وبعض الناس يقلب السجاد ويغطي فرش  
البيت بالابيض او الرمادي ويغطي الثريات ويقلب المرايا ، ويغطي الخزائن  
لمدة سنة كاملة ، ولكن هذه العادات اخذت تخف مع الزمن لان الحزن في  
القلب لا في المظاهر . وعادة اللباس ان ترتدي زوجة الفقيد وبناتها غير  
المتزوجات الاسود وبناتها المتزوجات الكحلي او الرمادي والقريبات الكحلي  
او الرمادي او الازرق . ولا تغير زوجة الفقيد لباسها الاسود قبل السنة  
حتى يمر من يحلف عليها لترتدي الكحلي ثم الرمادي ثم الازرق او الابيض  
فبقية الالوان .

اما اخدان خاطر فهو اليوم الذي تعزي فيه النساء ويسمح فيه  
بالكلام القليل . وهو اليوم الذي يماثل اليوم الذي توفي فيه الفقيد . فاذا  
توفي صاحب البيت السبت فيكون اخدان خاطر كل سبت حتى الاربعين .  
وبعض الناس يستقبل المعزين كل اسبوع حتى تمر سنة . وخيمة القبر



تستمر حتى اول خميس للميت . كما انها تنصب في وقفة عيد الفطر وايامه الثلاثة وفي وقفة عيد الاضحى وايامه الاربعة ويستقبل اهل الفقيد المعزين في العيد في المقبرة وفي البيت ، ولا بد من زيارة الاموات في البرية في المواسم والاعیاد .

وفي اربعين الميت وسنويته يعزمون الاهل والمشايع والفقراء على حفلة غداء او عشاء ويحضرون فرقة ذكر . ويوزعون المال على المعوزين على روح الفقيد .

وبعد وفاة الزوج تدخل زوجته بالعدة اربعة اشهر وعشرة ايام لا ترى رجلا ولا يراها رجل ولا يسمع صوتها ولا يكلمها حتى تنتهي العدة .

وفي القديم كانت العادة ان يكون الحزن شديدا ، فكانوا يفكون السرير وينامون على الفرشبات « الممدودة » على الارض ويأكلون على الارض وزوجة الفقيد لا تنام على شرشف ، ولا تتوضأ من الابريق لانه « ذكر » ولا تمشط شعرها بمشط سن سمك لانه « ذكر » ولا تأكل بشوكة ولا ملعقة ولا تشرب بكأس ماء بل من الزبادي ولا تنشف يديها ببشكير ولا تجلس على كرسي بل على الطراحة . اما ملابس الفقيد فكانت تفرق على الفقراء ، رجال الكلاب الذين يحملون اغصان الآس والزهور وعلب الميت ، طبعا هذا كله قد بطل الآن ، واصبحت الجنازة متمشية مع الزمن . النعش يحمل على سيارة والآس والزهور تحمل على سيارات والمشيعون يركبون السيارات . تغيرت اشياء كثيرة في مدينتنا يا ابنتي ولكن من العيب ان تجهلي اصول العصرية واخذان خاطر . يا بنتي يجب ان نعرف قدر الناس ونلتقي لهم وقت الشدة والحزن حتى يعرفوا خاطرنا ويلتقوا انا . . . . . كان . . . . . الناس لبعضها . . . !!

ومن يومها . . . وانا لي ملابس غامقة الالوان جاهزة صيفية وشتوية وغطاء للرأس رمادي او ازرق حتى أقوم بواجباتي تجاه من احبهم عندما يفقدون عزيزا . دمشق مدينة تحترم الاموات ، فلماذا لا اكون عند حسن ظن دمشق !!

ولكنني اخاف الموت .

لست أخاف ان اموت . أخاف ان افقد من احبهم . ولا اطلب من الله  
الا ان اموت قبل الذين احبهم جميعا .

انانية !! لا بأس ليتعذبوا افضل من ان اتعذب . اتمنى ان ارحل  
وحبيبي الغالي يحيا .



## كركوز وعيواظ

في قهوة حمام « الجوزة » في سوقساروجة وعلى الكراسي القش  
الواطية ، سمعت مع بقية الاطفال في طفولتي هذا الحوار بين كركوز  
وعيواظ بصوت الفنان الشعبي المجهول « الكراكوزاتي » :

**عيواظ :** يا اخي لايمتى انا واياك لا شغلة ولاعمله بكرة اذا وقعتلها  
شي سرقة بالبلد بحطونا مسؤولين ..!!

**كركوز :** اي ماني شغل شو بدنا نشتغل ..!!

**عيواظ :** يا كركوز انت ما بتحب تشتغل انت زلة تعودت على  
الكسل .

**كركوز :** لاثيلنا شغلة حتى نشتغل ..!

**عيواظ :** تعا نشتغل صرفية ..!

**كركوز :** لحتى يقولوا عنا يهودي للبيع ..!!

**عيواظ :** تعا نشتغل بكار ابوك . قوت اسأل امك عن كار ابوك  
ومنشتغل بكار ابوك .

**كركوز :** يامو .. يا يامو .. شو كار ابي ؟

**امكركوز :** اوها وميت الحمدلله هاللي ابني صار عاقل ، وابني اجا  
عقل الرحمن لراسو ، ابني بكرة بدو يغنى ، ابني بكرة بدو  
يطوفر .. لي لي لي ليش .

**كركوز :** طيب شو كان كار ابي ؟

**امكركوز :** كان ابوك تصاص كلاب ..

**كركوز :** شو يعني ..؟

**امكركوز :** كان يشتري بعشر قروش خبز ، ويجمع الكلاب ويقص  
صوفاتهن ويبيعهها بخمس قروش .

**كركوز :** سمعان هيك كان كار ابي .

**عيواظ :** هادا مو كار يقطع عمرك انت وهالكار ..

**كركوز :** لكان شو بدنا نشتغل ..!

- عيواظ :** تما نعمل شحادين .  
**كركوز :** طيب ومين بدو يشحدنا نحنا التسين اذا ربطونا بسجرة  
 جوز منقلعها ..  
**عيواظ :** بالله .. هيك رح بشحدك!! انا عندي فاس بقطع ايدتينا،  
 وعندي بلطة بكسر رجلتينا وعندي مخرز بقلع عينتينا  
 وبدور فيك بشحد ..!!  
**كركوز :** امشي .. تضرب انت وهالمزح .  
**عيواظ :** « يغني »

كزل كزل دار  
 يا عيني دار  
 عجيبي دنايا  
 بش بش يابش بش

- كركوز :** امشي يا بش بش على الاموي .  
**عيواظ :** ( في الاموي ) طالب من الله ومن جود الله ومن كرم الله ملائكة  
 صحن الاموي ليرات خمسة مو كثير عليك يا الله ..!!  
**كركوز :** عدم عقلو باذن الله . شو هادا بش بش عدمت عقلك .  
**عيواظ :** لو اعرفك واطي النفس بهالصورة ما كنت شحدت معك .  
 شو بتريد اشحد لك خمسين الف ليرة ميت الف ليرة ..!!  
**كركوز :** لا شحاد مال الدنيا !! طلاع هالطلعة والله هالوش  
 فيه خير ..  
**عيواظ :** رح دق هالباب .  
**كركوز :** دق لنشوف بركي الله بيرزقنا .  
**حرمة :** مين ..!!?  
**عيواظ :** شو مين ... يلعن ابوكي على ابو اللي سكنك بهالحارة .  
 شايف لك اخي قال مين ..!!  
**كركوز :** شو بدها تقلك ..!  
**عيواظ :** ما بتعرفي انو كركوز وعيواظ حط فيهن الزمان وما بتي في  
 شي بالحال . هاتي شوفي عندك كنبايات سجاد فرشات  
 معليشي .  
**حرمة :** انا جوزي باسطنبول .  
**عيواظ :** طيب دقي لو تلغراف باللاسلكي ..  
**حرمة :** لك مطلقة انا .. لك مطلقة ..!!  
**كركوز :** ان شا الله خلصت العدة !!?

# كروتن

قال لي العجوز الدمشقي الظريف :

— يا بنتي بالشام في روح حلوة كثير وناس ظراف وزكرت . وكان النا  
ايام وقتن كنا شباب ، هالأ كبرنا وراحت علينا .

مرة بشبابي ايام الحكم التركي كنت ضابط بالجيش وكانت تركيا  
العثمانية مائعة تجارة السكر والدخان ، وكل واحد يبهر ب « سكر » وللا  
« تنن » بتكون عقوبتو الموت .

مرقت على خالي بسوق علي باشا . قاللي : يا خالي الله يرضى عليك  
بدي ياك تمشي مع هالولد من بعيد لبعيد حتى يوصل تنكة « التنن » لعند  
واحد تاجر ناح البزورية !! قتلو على عيني يا خالي امشي يا ولد . ومشينا  
مشينا حتى وصلنا لسوق مدحت باشا ولما قربنا نوصل للبزورية ما لاقيلك  
الا العالم عم تركض والعساكر التراك عم يلحقو الناس بدهن يكمشوهن .  
انا حسبت حساب « التنكة » وخفت يكمشونا رجعت الولد بالتنكة قوام .  
وعند مصلبة البزورية شفتلك العجقة جنازة حافلة ، لادن التابوت بالارض  
واللي كانوا طالعين ورا الجنازة هربوا واللي كانوا حاملين الميت والكلايب  
والأس كمان هربوا ، مشتل الركيد على ابو جنب ، مقلوبة الدنية واهل  
الميت عم ييكوا ، والعساكر التراك بدهن يفتحو النعش ، واهل الميت عم  
يحفو الف يمين انو النعش ما بينفتح على ابنهن الميت ، قام نط واحد من  
العساكر التراك قاللهن :

— بس بدي أنهم شلون بتطلع من بيت واحد عشر جنازات بيوم واحد  
ما عما تفوت بعقلي ..... !!

بالظاهر طلعت الجنازة من حارة جنب البزورية ، مسدودة وصغيرة



KUPENC

الفنان ميشيل كرشة - دمشق

1

وما فيها غير باب واحد . وبهداك النهار طلعت من هالجاب شي عشرجنازات  
قام انتبه الشرطي التركي .

— بدي أفتح النعش !! ما بتفتح النعش !! لا بدي اكسر التابوت !!  
الحاصل كسروا التابوت وفتحوه طلع مليون قوالب سكر عم تتهرب من بين  
البيوت وتروح على التربة وهنيك كانوا عم يخبوها بمغارة ومن هالمغارة عم  
ينقلوها ويتاجروا فيها . وهالقصة يا بنتي مضحكة وبنفس الوقت بتدل على  
انو الاستعمار ما كان يقدر يحكم الشام .

وفي قصص حلوة كثير ظريفة كنا نحنا ابطالها وقتن كنا شباب . في  
عادة بالشام قديمة انو اذا مات واحد فقير او واحدة فقيرة مستورة وما في  
عند اهلها مصاريف « الطلعة » كانوا زكرتية شباب الشام يحملوا ميزان  
ويحطوا بالكفة الواحدة صابونة ويدوروا على الدكاكين ويوقفوا عند دكان  
دكان حتى يحط صاحبها بالكفة الثانية اللي فيه النصيب واللي بتسمح نفسو  
فيه . وكان الميزان والصابونة بيعنوا بدون شرح وكلام انو في واحدة  
مستورة لازم نتبرعلها بمصاريف التغسيل والطلعة « لباب الصغير » او  
« الدحداح » . وهالعادة بتدل على طيبة اهل الشام . ووقتن كنا نصير  
طفرانين وما معنا مصاري لحتى نروح نسكرلنا شي سكرة ، كنا نحنا كم  
شب نحمل الميزان ونحط فيه صابونة وندور نجمع مصاري للميئة المستورة  
اللي ما بيجوز نذكر اسمها . ونسهر سهرة لطيفة ليلتها ونحنا عم نضحك  
ونترحم عالمرحومة .. شغل شباب ..

وكثير مرات كنا ندور نحمل الميزان نطلب من السدكاكين مساعدة  
لواحدة « مقطوعة » بالفرن . وطبعا ما في « مرا » مقطوعة بالفرن ، وكنا  
نساويها حيلة حتى نجيب لحمة « الصفيحة » المقطوعة بالفرن فعلا ولا بد  
من دفع حقها واجرتها حتى نتغدى غدا لطيف بالسيران على كتف بردى .  
طبعا على حساب الاجاويد .

شباب . . . سقا الله يا بنتي هديك الايام .

وبعرف قصة حلوة عن واحد شامي اسمو ابو احمد طلع مرة مع واحد  
بدوي بسفرة عن طريق البادية . بالطريق عطشوا قاموا وقفوا على بير مي  
كانت واقفة عليه عما تعبي بالدلو صبية حلوة .

قالها البدوي : مرحبا . . ما تسقيننا يا بنية . . !!  
قالتلو : اهلا بيكم .



ومدت الدلو للبير وعبتو مي وقدمتو للبدوي . شرب . قالتلو : لو  
اعرف اسمك لقولك هنيا . قاللها : « اسمي بوجهك » . قالتلو : هنيا يا  
« محسن » . قامت هية حملت الدلو وشربت . قاللها : لو اعرف اسمك  
لقولك هنيا . قالتلو : « قبضة يدك » قاللها : هنيا يا « خزنة » .

اجا ابو احمد حمل سطل المي ونزل شرب كر كر كر كع . . ونزل  
السطل وقال بصوت عالي عريض : الحمد لله . قالتلو البدوية . لو اعرف  
اسمك لقولك هنيا . .!! قاللها ابو احمد بلهجتو الشامية :  
« تعو لقلكن . . . انا ما بعرف بهالعلاك المصدي . . انا اسمي  
ابو احمد » .



## دشقي ودشقي

- قاللي واحد جاري اسمو ابو احمد :
- ابو احمد** : كان لازمنا يا شوكت لهالولاد كم شننة . شو لازمنا ؟  
تقلو :
- شوكت** : كم شننة ؟
- ابو احمد** : اخدنا الولاد ونزلنا على سوق الخجا . لوين نزلنا ؟
- شوكت** : على سوق الخجا .
- ابو احمد** : اشترينا تلت شناتي . شو شترينا ؟
- شوكت** : تلت شناتي .
- ابو احمد** : بعدين رحنا هيك ناح سوق القروام لوين رحنا ياشوكت ؟
- شوكت** : رحتو ناح سوق القروام سيدي .
- ابو احمد** : نازلة سجادة بالدلال . شو نازل ؟
- شوكت** : سجادة بالدلال .
- ابو احمد** : واصل مزادها للخمس تالاف ، لوين واصل ؟
- شوكت** : للخمس تالاف .
- ابو احمد** : ما سمعنا الا ادن العصر . شووة .. ؟
- شوكت** : ادن العصر .
- ابو احمد** : اخدنا الولاد ونزلنا علاموي صلينا العصر ، شو صلينا ؟
- شوكت** : سيدي صليتو العصر .. !!
- ابو احمد** : بعدين طلعتنا من باب البيزورية منين طلعتنا .. ؟
- شوكت** : من باب البيزورية .
- ابو احمد** : هيك واصل على سوق مدحت باشا . لوين رحنا .. ؟
- شوكت** : على دمر . . . . !!
- ابو احمد** : لكان مالك فهمان علي .. !! مالك معي !!
- شوكت** : لا .. انا تركتك بسوق الخجا !!!

## عنتر أبو لفوارس

حكواتي الشام المشهور أبو قاسم اللي كان يحكي قصص «عنتر وعبلة»  
بقهوة مصلبة باب سريجة ، صدف يوم من الايام حكى على حرب جرى مع  
عنتر ، حارب حارب بقى سيدي ووقع بالاسر . وحبسوه لعنتر . اي نعم .  
تركو ابو قاسم محبوس وقال هون اودعنا الكلام . وراح الحكواتي وراحت  
العالم . في بين هالعالم واحد مغرم بهالقصة ويحب عنتر ومن انصارو .  
راح عالييت اكل وشرب . اجا وقت النوم . قامت قائلو مرتو قوم نام  
يا رجال قائلها مو جاييني نوم لانو عنتر محبوس . فز بقى سيدي اخذ  
« صلاحو » وراح دوغري لبيت ابو قاسم الحكواتي ودق عليه الباب بعد  
نص الليل . نزل فتخلو . خير ان شاالله .؟! امور .!! قاللو : هيك  
بيجي من مروعتك انت تنام وعنتر محبوس !! والله اذا ما طالعنو الليلة من  
الحبس غير ما اطرتك سكين بچ كرشك !! غصين عن راسك بدك تطالع  
عنتر مشان يرجع لعند عبلة !

هادا الحكواتي عرفو شقي خاف منو قائلو تفضل ، عزمو عالييت وفتح  
كتاب «سيرة عنتر» قعد يقرالو حتى طلع عنتر من الحبس معزوز مكروم  
قام برد قلب صاحبنا وانبسط وراح نام مرتاح . اما شلون طلع عنتر من  
الحبس هي قصة طويلة حلوة قراها الحكواتي ابو قاسم الله يرحمو وقال  
بعد ما طار النوم من عيونو :

يا سادة يا كرام ...

« قال الراوي » فلما عبر ابو الدوح بالعساكر واستقام على الطريق  
المستقيمة حدثته نفسه باخذ ابنة عمه حليلة فسار يعلل نفسه وانشد يقول:

يا دهر ويحك ان بلغتني الاملا      ممن احب ويمسي الحب متصللا  
شكرت فضل اياديك التي سلفت      حتى اموت وتلقى النفس الاجلا



الفنان أبو صبحي التيناوي - دمشق



قالت حليلة اني فيك زاهدة      فاذهب واخل لبنت السادة فضلا  
قد عذبت بجفهاها مهجتي عجا      وصارعتني ولا اصغت لمن عذلا  
وعن قليل اجازيها بما فعلت      اذا رأت دارها قد اصبحت طلالا

سار وهو يعلل نفسه بالآمال وهو يقطع الروابي والتلال حتى قارب  
دمشق وبقي بينه وبينها يوم أو يومين قال للرجال الذين في صحبته اعلموا  
انني قد عولت على امر واقول اننا به نأمن الانكار وننال ما نحب ونختار اذ  
انتم وافقتموني عليه فقال له القوم وما هو فقال نأخذ من الديلم مع العجم  
الذين معنا ونشدهم على خيولهم عرضا ويكون معهم الف فارس من العرب  
المتنصرة وندور نحن بالف فارس آخر بهذه البيارق والصلبان ونشرف بهم  
على البلد وهم معنا في زي الاسارى حتى اذا ركب نائب عمي الى ملتقاتهم  
فلا ينكر حالنا احد ويتقدم الينا ويسأل عن اخبارنا وعساكرنا واجنادنا  
فأحدثه انا بما يشد قلبه واطول معه الحديث حتى يركض منكم خمسين فارس  
ونملك البلد والباب وقد هانت علينا نحن الامور الصعاب واضرب بعد ذلك  
رقبة نائب عمي ونبذل السيف في اصحابه ورفقته وقد بلغنا المراد مع اننا  
قضينا عرضا من اصحاب هذه البلاد فقتل المستمعون والله يا ابا الدوح لقد  
اشرت بالصواب وقلت قولا تقبله اصحاب العقول والالباب لان عمك اذا  
بلغه هذا الخبر انكسر ولو ان عسكره بعدد اوراق الشجر ونحن نعلم انهم  
منفردون وهم على الهرب عازمون وانه يعود على اثرنا في طلب البلد فتطمع  
فيه اصحابنا وكل احد ويعلمون بما قد فعلنا وههنا يكون هلاكه على ايدينا  
ونملك الشام من بعده ونهلك عسكره وجنده ثم ان القوم بنوا امرهم على  
هذا الترتيب وشدوا منهم الف فارس اسير وهم على خيولهم حتى شارفوا  
دمشق ووصلت اخبارهم الى عند حامد بن حفيظ وهو الذي كان خليفة  
الحارث الغساني على دمشق وكان عنده ثلثمائة فارس فركب وخرج ينظر  
اخبارهم فرآهم يتحادروا من سائر الاقطار الا انهم ما ابعدوا عن الاسوار  
حتى بانث لهم البيارق الصلبان والاسارى بينهم ينساقوا سوق الهوان فقال  
حامد بن حفيظ يا للعرب انكسرت وحق المسيح فرسان العراق وجاءتنا  
فرسانهم في الاصفاد والوثاق ثم جعل ينظر الى مقدم الجيش واذا به  
ابو الدوح فلما رآه صاح به ونادى لله درك يا ابا الدوح اخبرني وطيب  
قلبي بحق المسيح فقال له ابشر يا حامد بالنصر والغنى وبلوغ المنى فقد كسر  
عمي عساكر الملك كسرى واهلك منها خلق كثير لا تعد ولا تحصى واتبع  
آثارهم ليملك ديارهم وما عدت على هذه الحالة الا حتى اعرض هذه الاسارى  
عليكم واسلمهم اليكم لانهم من خواص العجم وابطال الديلم وقد امرني ان

اجمع كل رجال الشام والحقه بها الى بلاد العراق حتى يفتح بها بلاد وقلع عبدة النار لان الراجل انفع من الفارس عند الحصار ثم ان ابا الدوح تم مع حامد في الحديث وهو يحدثه بالمحال الى ان علم ان اصحابه قد وصلوا وفعلوا ما امرهم به فما استقر بهم القرار حتى سل ابو الدوح حسامه من غمده وضرب به حامدا طير رأسه عن بدنه وحملت بنو طي على الرجال بصحبته فسالوهم على أسنة الرماح شيلا واي شيل وقد انزلوا بهم البلا والويل وعدم منهم القوى والحيل وما سلم من الثلثمائة التي كانت من يخبر بخبر وكان ابو الدوح قد دخل على دمشق عند الصباح وقد اشرفت الشمس على الروابي والبطاح فما صارت الشمس في قبة الفلك حتى لاح لابي الدوح لائح النصر لانه بعد قتله لحامد بن حفيظ امر اصحابه فحلوا فرسان الديلم والعجم ودخل في باب البلد وهجم وقال للرجال والابطال يا ويلكم مكنوا السيوف من العوام والقوا الهيبة في قلوبهم حتى يتم لنا الامر ونادوا باسم الملك كسرى يا منصور « قال الراوي » فعندها حملت الفرس وتبعتها العرب ووضعوا السيف في اهل البلد وعلا صياحهم وانعدت وجرت الدماء من الاسواق وقام الحرب على قدم وساق وكانت الغلبة لاهل العراق لان اكثرهم هربوا في الدروب وفاتوا المال بين ناهب ومنهوب وفيهم من طلب الكفاح ودام القتال واشتدت الاحوال وتصايحت النسوان فزعا على الابطال والاطفال وكانت بوقات القوم قد ضربت على الاسوار فرحا بوصول الاسارى والنصر والظفر فعادت اخفتت وعدمت فزعا من الاعاجم وانطرحت عليهم العرب والعجم بالسيوف الصوارم وبذل ابو الدوح سيفه في الناس والعالم لانه كان صاحب قريحة واساس وقد حدث نفسه باخذ محبوبته حليلة بين تلك الناس فسطا ابو الدوح سطوة جبار على الاقارب والجوار وصاح في اهل دمشق يا ويلكم ارجعوا الى دوركم والمنازل وتخلصوا من هذا البلا النازل لانني سلمت البلد الى الملك كسرى ملك العرب والعجم لاجل ما فعل عمي في حقي وغدر وظلم وغدا تصبح عساكره متتابعة ورايات الفرس مقبلة وطالعة وتجازون على هذه المدافعة والممانعة الا ان ترموا سلاحكم وتطلبوا سلامة ارواحكم والا سببت منكم النساء والاولاد وفعلت بكم ما فعلت باجنادكم لان عمي قد انكسر بالجيش الذي معه واسر وهلك اكثرهم والسالمين منهم طلبوا انطاكية وانتم اليوم رعية الملك كسرى صاحب الايوان وملك العراق وخراسان والحاكم على جميع الاماكن والبلدان فتلافوا امركم قبل الندم ولا تقاتلوا من له الخدم تسبى عيالكم والحرم « قال الراوي » وما زال ابو الدوح يقول مثل هذا الكلام وهو يضرب في العوام بالحسام حتى

رموا من ايديهم العدد وما بقي للقوم صبر ولا جلد وطلبوا الامان واغلقوا ابوابهم واحتموا خلف الجدار وما امسى المسا وولى النهار بانوار الضيا وكان ابو الدوح برؤوس الدروب والمضايق من اصحابه الف فارس من اصحاب السيوف والمناطق وداروا من حول القصر بالف فارس آخر وكانت حليلة علمت بما جرى من اول النهار فلطمت هي ومن معها من الجوار وعلمت ان ابن عمها ما فعل هذه الفعال الا من اجلها وانتقع ظهرها وحاترت في امرها ونثرت شعرها ودقت صدرها وصارت تنادي من الفزع وهي ترجف من الخوف والهلع وكانت قد ظنت ان اباها قد هلك وفي الحقيقة قتلت نفسها مما لطمت على خدودها واشتد مضابها وندمت وتكررت فيما عملت ونادت الى اهلها وقد دارت بها بنات عمها فقالت من شدة خوفها وتحيرها من ابن عمها وحق المسيح لا بد ما اهلك نفسي ولا اترك ابن عمي يشمت بي ثم ان حليلة جذبت بعض سيوف ابيها ومكنته من فؤادها فلطمتها امها ومزقت اثوابها مما اصابها وقامت اليها ومسكتها بيديها وقالت لها يا بنتي انت اذا عرض عليك الزواج تقولي انا ما اريد رجالا وما اريد الا ابقي على حالتني حتى التى المسيح ابن مريم وانا كما ترى طاهرة دية ما يكون اعظم من هذا يا بنتي ثم ان امها قالت لها بحياتي عليك اصبري واسمعي مشورتني عليك ان كان لك فيها مصلحة وخبرة والا افعلي ما تريدي وتدبري ما تشتهي فقالت حليلة وقد زاد منها بكاهها وكثر شكواها تقولي يا امه ما عندك من الرأي حتى انظر ما اصنع ولشر هذا الولد الزنا عني ادفع والا اتلفت مهجتي وتطول على خطيئتي ولا يملك هذا الولد الزنا من ناحيتي فقالت لها امها المصلحة يا بنتي والصواب اننا نسير وننشر شعورنا وجميع ما في القصر من البنات والستات والجوار والمولدات وندخل كلنا على هؤلاء العرب والسادات الذين هم عندنا في الاسر ونحن باكيات نادبات وتمسك كل واحدة منا بذيل واحد منهم ونستجير بهم ونأخذ منهم الذمام ونبدي لهم ما جرى علينا من المصائب والاحكام ونضمن لهم الخلاص من الاسر وعودتهم الى اهلهم سالمين غانمين ونسألهم المعونة عن هذا الشيطان الرجيم الذي قد نافق علينا وحازانا بالنفاق واتى الينا بهؤلاء الاعجام من قفر ارض العراق واذا علمنا بذلك ما نطلق احد منهم حتى نأخذ عليهم العهد والميثاق فاذا نصرونا وخلصونا جازيناهم بالاطلاق ومكناهم في المال والسلاح والمسدد والريستاق وان هم هلكوا قتلنا نحن انفسنا ونكون قد بذلنا المجهود وما نسلم نفوسنا حتى نعجز عن ارواحنا فاني قد سمعت اباك مرارا يقول هؤلاء المحبوسين مالهم في الشجاعة نظير ولا في القتال والحرب والنزال وفي اعطاء



الذمام والصدق في الكلام ونحن واياهم قد أشرفنا على الهلاك على كل حال واطلاقتهم في هذه الكرة خير لنا من ان يكونوا في الاعتقال « قال الراوي » فلما سمعت حليلة هذا المقال تعلق قلبها باذيال السلامة وركنت الى كلام امها خوفا من العقوبة والندامة ثم انها جمعت كل من في القصر من البنات الابكار والستات والجوار وحدثتهم حليلة بما سمعته من كلام امها فاجابوها الى ذلك ونشرن شعورهن وهن احسن من البذور والولدان والخور ثم سارت بهن حليلة طالبة الحكمة التي فيها عنتر بن شداد واصحابه الاجواد وجميع الاسارى والكل ساهيات حيارى وقد نشرن شعورهن على اكتافهن « قال الراوي » لما ضرب البوق في البلد وقوى الزعاق وانعقد ومقععت العمد وراوا الذين كانوا موكلين بهم قد تصايحوا وخرجوا على صياح النساء والحريم وفي ذلك الوقت دخلوا على عنتر بن شداد في السجن وهم مهتكتات وكان عنتر كثير الغيرة على النساء والحريم فنكس عند ذلك رأسه لما نظر الى حليلة والى تلك النساء والجوار التي اتوا معها وقال لهن استرن يا حرائر وجوهكن واقلن من البكاء والانتحاب وحدثوني بما جرى على الحارث الوهاب وكيف طرقتكم هذه الامور والاسباب « قال الراوي » فاعادت عليه حليلة قصة ابن عمها ابو الدوح واخبرته بجميع ما جرى لها معه من الاول الى الآخر وباطن وظاهر واعلمته في الآخر انه قد احتال على البلد وملكها هو وطائفة من العجم وقد بذلوا السيف في القوم العوام وهتكوا يا مولاي الحرائر وكان في فعله جبار جائر وما فعل ذلك يا وجه العرب الا من اجلي حتى يملكني ويجري بيني وبينه ولا احل له لكوني بنت عمه وهذا حرام في دين المسيح وعند اهل المعمودية ويسن سنة تبيحة في دين النصرانية ثم انهم ضمنوا لهم الاطلاق من الوثاق والعودة الى اهلهم بالهدايا والتحف والاموال والخيول العتاق فقال لهم عنتر والله يا جويرات ويا ستات ان دخولكم الى وانتم على هذه الحالة والصفات قد انسانى ما انا فيه من الاسر والعذاب وقد بغضت نفسي الحياة لعظم هذا المصاب وانا اكشف عنكم هذه الاغلال والوثاق حتى لا يكون قد عملت معكم مكرمة وطلبت في مقابلتها الفضل والاطلاق لان الكرام لا يطلبون جزاء اذا جادوا بالعطاء ولا يذمون الدهر على ما قضى ولا يحملون هم النوازل التي تأتي من السما لان لنا ربا كريما يفعل في خلقه ما يشاء ويقدر الآجال والارزاق وقد تحيرت فيه العقول والاهوام وسلموا اليه الامر والاحكام ثم ان عنتر طيب قلبها ووعدا بالنصر على الاعدا وامرهم باحضار عددهم وازالة الحديد عنهم ففكوهم من الوثاق ففعلن ذلك ، وكذلك فعلت بولده ميسرة واخييه مازن وجميع

الاسارى وما فيهم الا من وعدھا ان يتلف مهجته ويضرب ابن عمھا بالسيف على قمته ويجتهد في قتله فقل عنهن البكا والخوف وباتوا طول الليل وهم ينقلون لعنتر ولاصحابه السلاح والعدد والسيوف والرماح والعمد ويفكوا قيود الرجال مع الاغلال حتى صار وقت الصباح واسفر عن وجهه الوضاح وفي ذلك الوقت زحف ابو الدوح الى القصر في جماعة من العرب والعجم وجبابرة الديلم وصارت تصرم الرقاب بالعمد وعلا صياحهم وانعقد « قال الراوي » وكان عنتر واصحابه قد لبسوا الزرد وتدرعوا بالحديد المنضد ووقفوا للرجال بالسيوف والدرق وقالوا لاهل القصر لا فيكم من يصيح ويزعق واتركوهم يدخلوا في ابواب القصر وانظروا ماذا ينزل عليهم من العذاب والحصر وكان الغلمان والخدم قد شدوا لهم على الخيول وقادوا لهم الجنائب ولم يركبوا بل قالوا هذه اتركوها حتى نقتل هؤلاء الانذال ونخرج خلف من يسلم منهم الى ظاهر البلد ويتسع علينا المجال « قال الراوي » وكان هذا التدبير من عنتر الا انه ما فرغ من المقال حتى كسرت الفرس الابواب ودخلت تتسابق الى نهب الاموال وسبي الكواعب الاتراب وازدحمت الرجال وارتفع لهم الصياح الذي يذهل عقل الانسان وكان ابو الدوح مقدمهم يصيح مثل الشيطان وينادي يا حليلة ابشري اليوم بالسبي والاذلال وذوقي العذاب والوبال والبلبال هذا وعنتر يمهلهم ويكف اصحابه عنهم حتى صاروا جماعة في القصر منهم اكثر من ثلثمائة فارس وفي ذلك الوقت زعق في ولده ميسرة وأخيه مازن وعروة بن الورد وابن عمه عمر وابوه شداد وباقي الرجال الاجواد وقد هزوا في ايديهم الصوارم الصقال وزعقوا في الاعاجم كما تزعق الجمال وضربوا في اطرافهم ضربا شديدا اشد من وقععات الصواعق اذا وقعت على صم الجبال فاول من قتل كان ابو الدوح الذي دبر هذا التدبير واحتال هذا الاحتيال الا ان ميسرة التقاه فحمل عليه وفاجأه وكان ابو الدوح قد صاح في ذا الوقت انا قتيل هوى حليلة وسقيم جفنيها السقيمة « قال الراوي » فلما سمع ميسرة كلامه علم انه رئيس القوم فضربه بالحسام جنب اذنه طير رأسه عن كتفيه واما عنتر بن شداد فانه حمل على طوائف العجم فنثر منها الجماجم والقمم ومحق ابطال الديلم وكذلك مازن وعروة ورجاله فانهم طلبوا القوم من ذلك الطريق والمخرج وقاتلوا قتالا يغم العدو ويفرح الصديق وصارت الناس تتزاحم عند الدخول ولم يعلموا ان الداخل في القصر مقتول والذي واقف لهم اسد اكل وكل ما عبر منهم قوم بعد قوم صارت رؤوسهم كوم جنب كوم وصياح القوم يسير ورؤوسهم تتناثر وتطير هذا وصياح النسوان قد ارتفع وعلموا ان البلا عنهم قد اندفع

وعلمت حليلة بقتل ابن عمها ابي الدوح ففرحت وعادت اليها الروح « قال الراوي » وما زالت الفرس والديلم وعرب العراق تدخل وبني عبس تمحقها محاقنا حتى تضاحى النهار وارتفعت الشمس وانقطع مددها وضعف جلدها فعادت على الاعقاب تطلب الابواب وهي هوازم هراب وصياح العوام عليها من كل جانب قد انعقد وما بقى فيهم احد ما يسأل على احد لان الحكام الذين في القصر نادوا من اعلاه وبشروا اهل دمشق بالنصر وبلوغ المنى واعلموهم بفكك الاسارى وبالامر الذي جرى فعندها تبادرت العوام على اصحاب كسرى واثمفوا منهم غليل كل قلب وضد وزجوا عليهم الاحجار من اعالي الجدران ورؤوس الدروب وما سلم وخرج منهم الى ظاهر البلد الا كل ضامر مهزول وكان للقوم يوم مهول « قال الراوي » هذا وعنتر واصحابه قد ركبوا عتاق الخيول وخرجوا خلف المنهزمين الى خارج المنازل والطلول وقطعوا باسيانهم الرقاب والنحور وصار الدم من جراحتهم يفور وما عاد عنتر عنهم حتى اهلك الباقين وتركهم في اقطار البر مطروحين ورجعوا يطلبون البلد وعروة بن الورد يقول لعنتر يا ابا الفوارس ايش في نيتك ان تفعل اتركنا حتى نأخذ الراحة وتتباعد عن الاعدا فقال له عنتر لا وحق باسط الارض ورافع السما اننا يا ابا الابيض لم نغدر بالنسوان الذين اطلقونا من الاغلال والقيود ولا نخلي حليلة تقول نقضوا العهد بل نعود الى البلد فان راينا الابواب على حالها وهي مفتوحة دخلنا الى البلد وحفظنا المكان الى ان ينكشف لنا اخبار صاحبه وما قد جرى له وان كانت الاخرى وان حليلة اغلقت الابواب وفزعنا على اهل البلد منا طلبنا اسما زوجة مجيد وناخذها معنا ونتوجه الى ارض الحجاز وعذرنا عند الناس واضح وميزاننا يحفظ الذمام والوعد راجح « قال الراوي » وكان الحارث قد انزل اسما في القصر عند اهله وابنته وامرهم باكرامها لاجل ما رأى منها من الحسن والجمال والعقل والكمال وكان قد عاتب ولده ميسرة واخاه مازن لاجلها وبسببها مرارا عديدة وهم في الاسر فاعتذر له مازن مما عملوا وندموا على ما فعلوا فشكى اليه ميسرة ما لاقى من حبتها وما كان قد جرى عليه من اجلها فعذره عنتر ورحمه لانه كان على اهل العشق شفق وبالمثيمين رفوق هذا وعروة بن الورد قد وافقه على الرجوع الى البلد لما سمع منه هذا الكلام وتبع عزيمته في الصدق والوفا والذمام وكذلك فعلت بنو عبس الكرام لانها علمت ان الطريق بين يديها بعيد وانها ما تعود سالمة الا بها واما ميسرة فقال لعمه مازن اطلب بنا نحن الفلاة والنجاه ودع الحاضرين يعايرونا بنقض العهد فاذا حضرت اعدانا يمكن يعيدونا في الاغلال والقيود « قال

الراوي « فقال له مازن يكفي ما مضى ولا عدت اتبع لك رأيا ابدا لانني ما رأيت من رأيك خير لا سيما في هذه النبوة كادت تضرب رقابنا وجهلنا القانا في الاسر والمصائب ولولا اعتذر له اخي وقبل عذرنا كان اهلكتنا وان تبحننا عليه مرة أخرى ما يرجع ابد الدهر يسمع منا مقال ولا يقبل منا احتيال ولم يزالوا على مثل ذلك حتى قاربوا ابواب البلد فأروها على حالها مفتحة الابواب والقوم يدعون لهم من اعلى الاسوار وصاروا يطلبون القصر والقسوس والرهبان قد تلقوهم وساروا بين يديهم وهم يتلون الانجيل حتى وصلوا الى الدهليز الاول في القصر فتلقتهم حليلة وحولها سائر الجوار وقد لبست ثياب الملك والافتخار ونثرت عليهم النثار واستقبلتهم بالفرح والاستبشار وقالت لعنتر يا ابا الفوارس انتم اليوم اصحاب البلد لانكم بسيوفكم خلصتم الجميع ولولاكم كانت بيوتنا خربت واصحابنا مع الاعداء سبيت وانا اسألكم ان تنزلوا في هذه الدار التي اخليتها لكم وتمنوا علي باحسانكم بالمهلة الى ان يأتي ابي سالم واضمن لكم ان يجازيكم على بعض افعالكم بالغنائم ويعتذر اليكم فيما فعل من الجرائم ويكون لكم ذخيرة على نوائب الزمان فقال عنتر والله يا حرة العرب من وقتها ما رجعنا الى البلد لا نريد منكم مجازاة ولا مال ولا اردنا الا الصدق في المقال لاننا وعدناكم ان نكشف عنكم الشدة ونرجع الى ما كنا . ها قد رجعنا فافعلوا ما شئتم وما تشتهون لان العبد ما يقدر ان يعارض مولاه فيما يفعل والصبر للقضا اجمل فلما سمعت حليلة ذلك تعجبت من هذا المقال وعلمت انه اعتقاد صحيح بعيد عن المحال وكانت قد اخلت لهم دارا كبيرة في القصر وانزلتهم فيها وامرت الخدم بالمواظبة في خدمتهم ليلا ونهارا وانفذت من وقتها النجابين خلف ابوها تعلمه بما جرى ثم ان القوم باتوا في النعيم وهم يتقلبون وبسلامة انفسهم يتباشرون لانهم كانوا في ذلك الاسر ينتظرون الهلاك فامسكوا يتحكمون على اعدائهم كما تحكم الملك في الاملاك .

وقال الحكواتي ابو قاسم وهو يتشاءب : الى هنا اودعنا الكلام .

وتنهذ صاحبنا . . وودع الحكواتي وراح على بيتو مرتاح البال ونام

ملات عيونو .

قليلة طلعة عنتر من الحبس !!؟



## أين تسكن دمشق

أنا من دمشق . بيتي دمشق . فاين تسكن دمشق ؟

نقرت على الابواب ... اسأل : هل تسكن مدينتي هنا ... ؟  
وفتحت بيوت الشعر في دمشق وجبل لبنان والقاهرة وبغداد ... واذهلنتي  
القصور الفخمة التي تعيش فيها مدينتي المدللة ، وفتنتني الاكواخ الهادئة  
الريحة التي تصيف فيها اثرتي الحبيبة تحت عرائش الياسمين والورد  
البلدي والبنفشى والليلك ، تظللها الزهرة العطرة من وهج الشمس وترش  
عليها الكلمة الخالدة اكسير الحياة والديمومة .

نقرت الابواب برفق أسأل :

— أنا أحب مدينتي .. فمن يحب معي مدينتي !؟

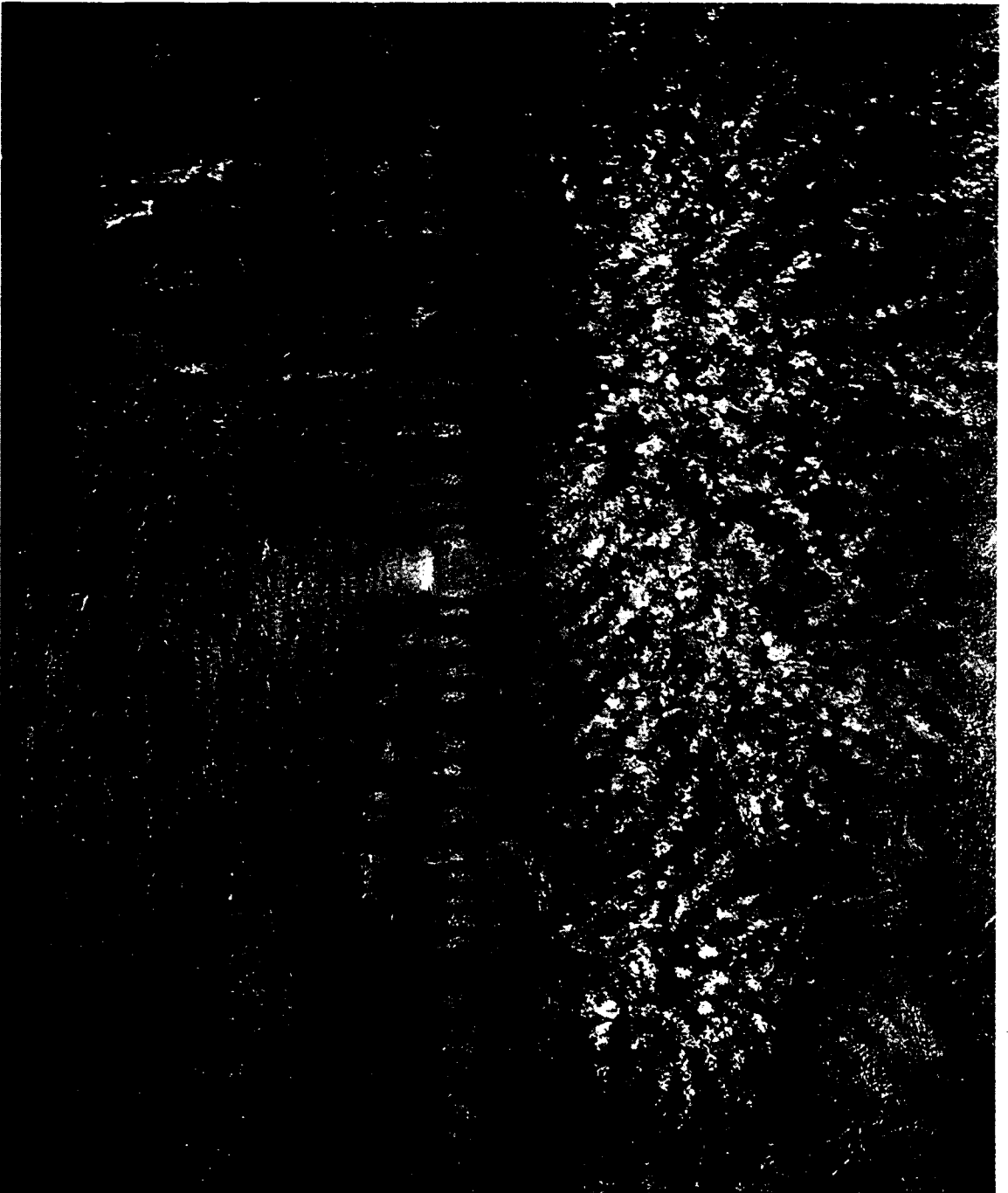
أنا أفهم دمشق .. فهل تفهمون دمشق مثلي !؟

نقرت على باب الشاعر احمد شوقي .. ورحب بي الرجل العظيم  
وقدم لي بيديه مفاتيح القصور التاريخية العظيمة التي عمرها لدمشق  
الخالدة ولاهها من احفاد بني امية وصلاح الدين الايوبي .

ضعت بين القصور .. واذهلنتي ثلاثة قصور كل قصر منها يضم  
عشرات البيوت المضمخة بعطر الفخار :

دخلت القصر الاول :

تم ناج جلق وانشد رسم من بانوا	مشت على الزمان احداث وازمان
هذا الاديم كتاب لاكفاء له	رث الصحائف باق منه عنوان
بنو امية للانبياء ما فتحوا	وللاحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكا سرير الشرق تحتهم	فهل سألت سرير الغرب ما كانوا



سیران فی عرواطہ دمشق

الکائن سمیعہ تفسیریں - دمشق

Vertical line on the right side of the page.

في كل ناحية ملك وسلطان  
ولا زهت ببني العباس بغداد  
هل بالمصلى او المحراب مروان  
على المنابر احرار وعبدان  
اذا تعالسى ولا الآذان آذان

عالين كالشمس في اطراف دولتها  
لولا دمشق لما كانت طليطلة  
مررت بالمسجد المحزون اسأله  
تغير المسجد المحزون واختلفت  
فلا الآذان آذان في منارته

وبنى شوقي لدمشق قصرا ثانيا :

ودمغ لا يكفكف يا دمشق  
جلال الرزء عن وصف يدق  
جراحات لها في القلب عمق  
ووجهك ضاحك القسمات طلق  
لهم في الفضل غايات وسبق  
انوف الاسد واضطرم المدق  
ابي من امية فيه عتق  
وقيل اصابها تلف وحرق  
ومرضعة الابوة لا تعق  
ولم يوسم بازين منه فرق  
أبين فؤاده والصخر فرق  
قلوب كالحجارة لا ترق  
بكل يد مخرجة يدق  
وعز الشرق اوله دمشق

سلام من صبا بردى ارق  
ومعذرة اليراعة والقوافي  
وبي مما رمتك به الليالي  
دخلتك والاصيل له ائتلاق  
وحولي فتية غر صباح  
غمزت اباهم حتى تلظت  
وضج من الشكيمة كل حر  
وقيل معالم التاريخ دكت  
الست دمشق للاسلام ظنرا  
صلاح الدين تاجك لم يجميل  
سلي من راع غيدك بعد وهن  
وللمستعمرين وان الانوا  
وللحرية الحمراء بساب  
جزاكم ذو الجلال بني دمشق

ورفع شوقي لاهل دمشق قصرا ثالثا :

لاهل الواجب ادخر الكمالا  
ولوعا بالصغائر واشتغالا  
ولكن انعم الاحياء بالالا  
وان قالوا فأكرمهم مقالا  
دما حرا وابناء ومالا  
بظاهر جلق ركب الرمالا

كأن الله اذ قسم المعالي  
ترى جدا ولست ترى عليهم  
وليسوا ارغد الاحياء عيشا  
اذا فعلوا فخير الناس فعلا  
وان سألتهم الاوطان أعطوا  
ساذكر ما حبيت جدار قبر



مقيم ما أقسامت « ميسلون »  
تغيب عظمة العظمت فيه  
إذا مرت به الأجيال تقرى  
تعلق في ضمائرهم صليبا  
يذكر مصرع الاسد الثيبالا  
واول سيد لقي النبىالا  
سمعت لها ازيزا وابتهاالا  
وحلق في سرائرهم هلالا

ونقرت على ابواب الشاعر حافظ ابراهيم وفتحت البيوت الفواحة  
بعطر الليمون والنانج . وقال الشاعر :

« أنا من يعرف الشام ويحبها ويحب أهلها » :

حيا بكور الحيا ارباع لبنان  
اهل الشام لقد طوتتمو عنقي  
اقر عيني اني قمت انثسدكم  
سبكنتم جنسة فيحاء ليس بها  
في سهلها واعاليها وسلسلها  
لابدع ان اخصبت فيها قرائحك  
من رام ان يشهد الفردوس مائلة  
وطالع اليمن من بالشام حياني  
بمنة خرجت عن طوق تبياني  
في معهد على العرفان مزدان  
عيب سوى انها في العالم الفاني  
برء العليل وسلوى العاشق العاني  
فاعةزت واعادت عهد حسان  
فليغش احياكم في شهر نيسان

ومررت على بيوت الشعراء في دمشق اسأل هل من يحبها اكثر مني؟  
وقال لي الشاعر خير الدين الزركلي انا :

بات يرعى النجم والنجم مطل  
ذكر الشام فاجرى دمغه  
عج على الشام وبلغ من بها  
يا ليالي بواد جلق  
وجنان « السفح » و « الربوة » من  
زعموا ان لربي جنسة  
حدها الاقصى منين فاذا  
يا خليلي اذكرا بالله ان  
اذكراني حيث يصفو لكما  
والجوى يسهر والحب يذل  
مستهلا وله في الشام اهل  
شيئا عن مستهام ليس يسلو  
هل ترى يتبع منك الوصل وصل  
كان يدري انني عنك اغل  
في فسيح الارض تؤوي وتظل  
أقبل المقبل راق العين « تل »  
جزتها « دمر » من كان يحل  
غسق المغيب والنجم يطل

وقال لي الشاعر بدوي الجبل بل انا :

قف بالشام مسائل اثارها  
اهوى الشام طريفها وتليدها  
مرحى لمن ام الشام وزارها  
فتيانها وكهولها وصغارها

أهوى أزهريها أحن لعهدهما      اشتاق بلبلها أجب هزاريها  
قضيت أيامي القصار بظلمها      جادت مدامع مقلتي قصاريها

وقال لي الشاعر عمر أبو ريشة بل أنا :

يا عروسا تنام ملء المحاجر      شيعي الحلم والطيوف السواجر  
ان ان تفتحي العيون الى النسو      ر وتلقي على الظلام الستائر  
طلع الوحي من مفارئك الغر      وبانت من راحتيه المآثر  
والنبيون فوق ثغرك اغفوا      والنبات ساهدات سواهر  
فانهضي فالصباح يلمس خدي      ك وينساب من خلال الضفائر  
سكب الحسن روحه فوق بردي      ك فاصبحت فتنة للنواظر  
يا بلادي وانت نهلة ظمأ      ن وشبابة على فم شاعر

وصعدت جبل لبنان الاخضر اتوكأ على السؤال ابحت بين الارز عن  
جواب . من يفهم دمشق اكثر مني ؟

ورد الشاعر سعيد عقل ردا حاسما : فتح لي الابواب عن دمشق التي  
تسكن عقله وضميره وقلبه في بيوت مترفة بارائك من الفهم والحب والتقدير  
وقال لي ردا على السؤال :

سائليني حين عطرت السلام      كيف غار الورد واعتل الخزام  
وانا لو رحت استرضي الشذا      لانثى لبنان عطرا يا شام  
ضفتك ارتاحتا في خاطري      واحتمى طيرك في الظن وحام  
نقلة في الزهر ام عندلة      أنت في الصحو وتصفيق يمام  
انا ان اودعت شعري سكرة      كنت انت السكب او كنت المدام  
ظمىء الشرق فيا شام اسكبي      واملاي الكأس له حتى الجمام  
اهلك التاريخ من فضلته      ذكرهم في عروة الدهر وسام  
امويون فان ضقت بهم      احقوا الدنيا ببستان هشام

وقال لي الشاعر بشارة الخوري عن حبه وفهمه للشام وبردى :

بردى نظمت لنا الزمان قصائدا      بيضا وحمرا من ندى وصفاح  
في كل رابية وكل حنية      عصماء تسطع بالشذا الفواح  
كم وقفلة لي في ذراك وجولة      شعرية وهوى الشام سلاحي  
فديت ليلك والكواكب في يدي      ولثمت بدرك والضياء وشاحي

ليسل حديدي النسيج كأنه  
وعلى الضغاف اذا تموجت الضحى  
والغصن في حضن الرياض وسادة  
متلازمين توجسا اثم الهوى  
شكوى الهوى وصباية الملتاح  
لونان من ارج ومن تصداح  
نمت على عنقنين من تفاح  
فتخوفنا طرف الضحى للملاح

ونقرت على بيوت الشاعر ايليا ابو ماضي يدفعني حب الفضول  
فردت بيوت الشاعر بكل ترحاب :  
هي الشام مهتدا وكتابا  
ليست قبابا ما رايت وانما  
فالثم بروحك ارضها تلثم عصورا  
واهبط على بردى يصفق ضاحكا  
والغوطة الخضراء والمحرابا  
عزم تمرد فاستطال قبابا  
للعلى سكنت حصى وترابا  
يستعطف التلعات والاعشابا

ودمشق تسكن بيوتا لا مثل لها بين بيوت العز والمجد عمرها لها من  
ذرات قلبه وعقله الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري :  
يا شام يا لمح الكواكب في دجى  
يا موئل الذكرى يغطي ارضها  
يا ام اقبال ومدرج امة  
يا أخت غسان ينادم رهطه  
يا بنت مروان يركز راية  
جل العلاء ابنت من اشلاء  
الله انت اكل يومك حاشد  
في اي جو عابس لم تبزغي  
وباي سوج مكارم لم يرتفع  
اليوم عيد الواهيين وفي غد  
قدما دمشق لسنة عودتها  
ياموكب الاعراس في صحراء  
وسماءها حشد من الاصداء  
وعرين اشبال وكهف رجاء  
يوما بجلق سيد الشعراء  
حمراء فوق رمالك السمراء  
ارفعت فوق جماجم ودماء  
برجولة ومروءة وفتاء  
ريا الجناب ندية الاجواء  
علم عليك مثلك الاجزاء  
عيد الفتوح وامس عيد جلاء  
في المجد من عود على ابداء

وقال نزار قباني بل انا من تسكن دمشق حنايا ضلوعه وتنمو في عقله  
وضميره فكرة ملتهبة بالحياة ، دمشق لا تسكن بيوت شعري ، بل تسري في  
عروق دمي تمنحني سر الحياة ، هي عصفور يخربش في جوانحي . استمعي  
الى حنيني لدمشق عندما كنت بالاندلس :

.. سلامات

.. سلامات

- الى بيت سقانا الحب والرحمة ..
- الى ازهارك البيضاء ..
- فرحة (ساحة النجمة) ..
- الى تختي ،
- الى كتيبي ،
- الى اطفال حارتنا ..
- وحيطان ملأناها
- بفوضى من كتابتنا ..
- الى قطف كسولات
- تنام على مشارقنا ..
- وليلكة معرشة
- على شباك جارتنا
- مضى عامان .. يا امي
- ووجه دمشق ..
- عصفور يخربش في جوانحنا ..
- يعض على ستائرنا ..
- وينقرنا ، برفق ، من اصابعنا ..
- مضى عامان يا امي ..
- وليل دمشق ..
- فل دمشق ..
- دور دمشق ..
- تسكن في خواطرننا ..
- مآذننا .. تضيء على مراكبنا ..

كأن مآذن الاموي قد زرعت بداخلنا  
كأن مشاتل التفاح تعبق في ضمائرنا .  
كأن الضوء والاحجار ..  
جاعت كلها معنا ..

★

أتى ايلول امه ..  
وجاء الحزن يحمل لي هداياه  
ويترك عند نافذتي  
مدامعه وشكواه  
أتى ايلول . اين دمشق ؟  
اين ابي وعيناه ؟  
واين حرير نظرته  
واين عبر قهوته  
سقى الرحمن مثواه  
واين رحاب منزلنا الكبير .. واين نعماه ؟ ؟  
واين مدارج الشمشير .. تضحك في زواياه ؟  
واين طفولتي فيه ..  
اجرجر ذيل قطبه  
وأكل من عريشته  
واقطف من (بنفشاه)  
دمشق . دمشق .  
يا شعرا ..  
على حدقات اعيننا كتيناه ..

ويا طفلا جميلا  
من ضفائره صلبناه  
جثونا عند ركبته  
وذبنا في محبته  
الى ان في محبتنا قتلناه . .



## يا عيني على قصر العظم

قلت لسائق التاكسي :

— هنا ... هنا من فضلك . شكرا .

ونزلت في قلب سوق البزورية ورائحة البخور والمقشآت والحبال والصابون والعمور والبن والسمن العربي والشاي والكمون واليانسون والطحين والرز والدخان والزيت البلدي ومربي الورد الجوري والمازهر والزعتر والجوز واكياس الجنيفيس والشمع والموايح والفاوكة المجففة ، تتعشق ثياب المارة والسواح والباعة ورؤوسهم ونفوسهم وجدران وسقف ودكاكين وخانات السوق .

فتستقبلك « رائحة الشام » رائحة سوق البزورية لو كنت متجهها « لقصر العظم » من سوق السلاح الذي ينتهي عند الصاغة القديمة المحترقة التي يطل عليها احد ابواب الجامع الاموي، او لو كنت قادما من حي القيمرية او من سوق مدحت باشا او منطقة الحريقة الجديدة او من باب شرقي .

الشام اشم رائحتها في البزورية فيهنني عطر مدينة التاريخ ، واشم رائحتها عندما انزل من الصحراء فجأة الى الجنة الوارفة الرطبة التي يظللها الحور والصفصاف عند الهامة ودمر والشادروان والربوة .

انا من جديد وجها لوجه امام القصر .

ودخلت من باب اجمل قصر عربي من قصور الشام والمشرق العربي . وفي مكتبة القصر الذي تحول الى متحف للتقاليد الشعبية السورية ، قرأت قصة القصر الحقيقية .

كان يا ما كان يا قديم الزمان تقول الحكاية :

قصر العظم او دار العظم تقع في مركز مدينة دمشق القديمة بالقرب من الجامع الاموي عند اول سوق « البزوريين » . ومكان القصر اليوم يقع داخل معبد جوبتر الروماني ولا زالت آثار جداره عند الباب الفاصل بين

سوق الحرير وسوق الخياطين . ويقال ان دار الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان كانت في هذا المكان او بالقرب منه او في جزء منه ولم تبدأ التحريات عنه ، ولكن المعروف من المصادر التاريخية انها دار الامير دنكر . وقد اثبتت الحفريات التي جرت في احد زوايا الدار عن وجود مستقبة عليها الرنك العائد للامير دنكر وهي من الموزاييك الرخامي ، كما انها كانت دارا اسمها « دار الذهب » عمرها الامير دنكر « تنكر » الذي عمر جامع دنكر في شارع النصر المؤدي الى سوق الحميدية .

وكانت تدعى قبله « دار الفلوس » حيث تضرب بها الفلوس او النقود . وجاء الامير دنكر فسمها دار الذهب وسكن فيها .

وفي سنة ١٧٤٩ م ( ١١٦٣ هـ ) اخذ هذه الدار حاكم دمشق اسعد باشا العظم والي الشام و امير الحج الذي كان مولعا بالعمارة وخلف آثارا عظيمة في حماه ودمشق ، وعمرها دارا لنفسه على الطراز العربي المعروف آنذاك .

جمع اسعد باشا العظم الفنانيين من بنائين ونجارين ودهانين مهرة . كما استولى على كثير من الاخشاب ومواد البناء والزخارف والاعمدة من دور دمشق والابنية الاثرية من اجل هذه الغاية . وانتهى بناء القصر في ثلاث سنوات واتى آية في الابداع وحسن الرياسة وجمال الزخرف ، وكان يهتم بالعمل بنفسه ليلا نهارا وتبرع له اهالي دمشق بكثير من المواد كالاخشاب والرخام والاحجار النادرة وقد ذكر ذلك مفصلا الشيخ احمد البديري الحلاق في يومياته ، وكان حلاقا دمشقيا ذكيا يسجل ما يجري في مدينة دمشق يوميا . وقد روى في كتابه حوادث دمشق اليومية ايام ولاية اسعد باشا العظم قصصا طريفة ، فيها شيء من المبالغة احيانا ، عن بناء هذه الدار وعن الاحداث التي كانت تمر بالبلدة ويعرفها من افواه الذين يرتادون محله كل يوم . كان الشيخ البديري بحكم هذه الصلة اليومية بالناس ، وبسبب ولعه بالزجل والموااليا والكتابة ، يجد حافزا لتسجيل هذه الحوادث كلها باللغة الشامية الدارجة ويشفعها بالموااليا كقولته في واقعة فتحي الدفترى الذي كان قد اساء الى حرم سليمان باشا العظم فلما تمكن منه اسعد باشا قتله قال ؟

يا ما فعل فتحي لما صار دفتردار  
غره زمانه وسعده حول داره دار  
دولاب عزه رقص يا ناس حتى دار  
لم يعتبر ان هذا اندهر به غدار



والحكم التركي كان واحدا ، والوزراء والولاية كانوا متشابهين بوجه عام في الاسلوب والسيرة ، والشعب الفقير كان يثن تحت وطأة غلاء يصنعه الاغنياء والتجار والولاية والحكام واتباعهم من الجند ( الدالاتية ) ومن المرتزقة ( القبقول ) ومن الانكشارية الذين كانوا يتقاتلون فيما بينهم ويخربون الاحياء تباعا وينهبونها ويحرقونها ويعتدون على الاموال والاعراض فيوما دور الميدان ويوما دور سوق صاروجا ويوما يحل البلاء بالقنوات .

ويصف البديري الحلاق تلك الايام فيقول :

« اشتد الغلاء في سائر الاشياء لا سيما المأكولات مع وجود الاغلال وغيرها . فمن عدم تفتيش الحكام صار البياعون يبيعون بما ارادوا ، غير ان الغنم كان قليلا جدا ، فصار الجزارون يذبحون الجاموس والجمال والماعز ، وصار يباع رطل اللحم الشامى بثلاثين مصرية ، والسمن رطل واوقيتان بقرش . وبقدوم شهر رمضان المبارك غلت الاسعار حتى الخضر . فقد كان قبل رمضان الكوسا كل مائة بمصرية ، فلما هل رمضان صار كل خمسة او اربعة بمصرية ، والباذنجان كان كل رطلين بمصرية فصار كل رطل بمصريتين ، واللحم عدم ، وكل ذلك من عدم تفتيش الحكام . . »

لقد كتب البديري الحلاق عن حياة دمشق اليومية ، يوميات انتهى منها منذ مئتي وخمس سنوات .

اما عن الدار فكتب يقول عن صاحبها الامير اسعد باشا العظم :

« قطع لها ، اي للدار جملة من الخشب ، اثنا عشر الف خشبة ، وذلك عدا ما ارسله له اكابر البلد من الاخشاب وغيرها . واشتغل بها غالب « معلمين » البلد ونجاريتها وكذلك الدهانين . وايضا وجد بلاط او رخام او غير ذلك مثل عواميد وفساقي يرسل يقلعها ويرسل القليل من ثمنها » . .

ثم يتحدث البديري عن المباني والاوابد والاسواق التي نقضها الامير لآخذ موادها الى ان يقول :

« . . . ويقول ائتوني بحجارة المرمز والرخام والسرو وتفننوا بالبناء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة . وكلما سمع بقطعة نادرة او تحفة من رخام او قيشاني او غيرها يرسل ويأتي بها ان رضي صاحبها او ابي . . . »

وانتهى البناء سنة ١٧٤٩ وسكن اسعد باشا في الدار مدة ( ١٤ ) سنة .

من هو صاحب هذه الدار العظيمة . . ؟

هو اسعد باشا ابن اسماعيل الوزير . مولده معرفة النعمان سنة ١١١٧ هـ . صار متسلما لوالده بالمعرة وحماه وعوقب مع والده ثم أفرج عنه . ثم ذهب الى عمه سليمان الوزير في طرابلس لبنان . ثم انعمت عليه الدولة العثمانية وعلى عمه « بمملكة » حماه وتوابعها مناصفة وذهب اليها وسار بها سيرا حسنا وعمر بها خانا وحمامات وبساتين ودورا ليس لها نظير في سائر البلاد الشامية .

وجاء في اعلام النبلاء للاستاذ محمد راغب الطباخ الجزء الثالث صفحة ٣٣٤ مانصه :

« ثم انعمت عليه الدولة بطوخين ( الطوخ ذنب فرس معلق على علم ) رتبة روملي ، ثم صار جرداويا لامر الحج علي باشا الوزير سنة ١١٥٣ هـ . وبعد عودته ولي صيدا فضاقت بها ذرعا لامور يطول شرحها فاستعفى وطلب حماه منصبا ودخلها سنة ١١٥٤ هـ وبذل الاموال الى ان جعلها ملكانة له بعناية الوزير الكبير بكر باشا . . »

وجاء في « حوادث دمشق اليومية » صفحة ٣٥ للبديري الحلاق :

« خلف سليمان باشا في ولاية الشام ابن اخيه اسعد باشا العظم وكان قبل ذلك حاكما بحماه . وقد اقام واليا في دمشق ١٤ عاما متواليه من سنة ١١٥٦ هـ — ١١٧٠ هـ فكان اطولهم حكما .

تولى اسعد باشا ولاية الشام في ظروف صعبة وقد نجح في الادارة والحكم وحاز كثيرا من المدح بالنسبة للولاة المتقدمين عليه . »

ويقول ميخائيل بريك الدمشقي في كتابه :

« قتل في سيواس بتركيا وصودرت متاعه وأمواله ومجوهراته » .

ويقول الاستاذ احمد عزت عبد الكريم الذي نشر البديري الحلاق :

« تنوعت الروايات في سبب مقتله، اي اسعد باشا ، الا اني اعتقد ان السبب الحقيقي هو ان الرجل انساق الى المصير الذي آل اليه اكثر ولاية الدولة العثمانية التي كانت تتركهم في ولاياتهم لاجل محدود يجمعون فيه المال ويكدسونه ويظنون انه مدعاة للسلام والطمأنينة ودرع يقبهم بطش السلطان وصروفه الليلي والايام ولم يفتنوا الى جلبه للقتل وصنوف البلاء» .

انجب اسعد باشا ولدين اسماء وقبلان . تزوجت اسماء من ابن عمها مصطفى بن فارس . ولم يتزوج قبلان ولم ينجب . وسكن اسعد باشا مع

جميع افراد عائلته وافراد عائلة ابراهيم باشا العظم الجد الاكبر . وبقيت الدار ملك آل العظم حتى سنة ١٩٢٠ حين باع ورثة اسعد باشا اكثر من نصفها للمعهد الفرنسي . ثم استلمتها الحكومة السورية سنة ١٩٤٥ واستمكت البقية الباقية وجعلتها متحفا للتقاليد الشعبية والصناعات اليدوية عام ١٩٥٣ بعد ان كانت مركزا لدراسة الفنون الشرقية .

يقوم قصر العظم على ارض مساحتها ( ٥٥٠٠ ) م<sup>٢</sup> وقد شيد على الطراز الشامى الذى انتهى اليه فن العمارة فى سورية خلال القرن الثانى عشر الهجرى الموافق للقرن الثامن عشر الميلادى .

ويلاحظ ان منظره الخارجى لا يدل على ما فى داخله من مظاهر الثراء . وبابه على اتساعه النسبى ذو زخارف متواضعة وهو يؤدى الى مدخل رئيسى واسع يتصل بالقسمين الاساسيين فى القصر وهما : « السلامك » او البرانى و « الحرملك » اى الجوانى .

المدخل الرئيسى يؤدى من الجهة اليمنى الى جناح السلامك وهو معد لاستقبال الزوار من الرجال فقط . وهو بشكل دار شرقية تحف قاعاتها بباحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة مستطيلة تدور بها اشجار الحمضيات والزينة ودوالي العنب . وهناك درج يصعد منه الى الطابق العلوى المخصص لبيت الضيوف .

اما جناح الحرملك فانه يتصل بالمدخل الرئيسى بثلاثة ابواب متتالية تؤدي الى الباحة الرحيبة التى تتوسط اجمل قاعات القصر واغناها . وكانت هذه الباحة الواسعة والبرك المتدفقة بالمياه والاشجار المتفة الظليلة فوقها هي متنفس الاسرة وخاصة النساء فى مجتمع يستنكر خروج النساء من بيوتهن الا فى احوال استثنائية ولضرورات قصوى .

الباحة الحرملك مستطيلة الشكل تمتد من الشرق الى الغرب وتطل عليها الاجزاء الرئيسية من البناء المؤلف من ست كتل كتلتين فى كل ضلع طويل . وتقوم الى يمين الداخل الى هذه الباحة الكتلة الاولى التى تضم قاعة الاستقبال الرئيسية وهي ذات ثلاثة طزرات تشكل حرف T باللاتينى وتطل من الخلف على البستان . ومن مميزات الكتلة الاولى الصعود الى قاعاتها بدرج مزدوج ، كما ان نوافذها وقماريها العالية المستطيلة والمستديرة والمزدوجة تؤلف وحدة تناظرية جميلة .

اما الكتلة الثانية بعدها الى يمين الداخل للباحة فلها فى واجهتها ابوان مرتفع وعلى يمينه وشماله قاعتان صغيرتان . والقسم الخلفى من البناء

يشكل حمام القصر ، وهو نموذج مصغر عن حمامات دمشق العامة يكفي لسكان القصر مؤلف من براني ووسطاني وجواني واربع مقاصير وقيم .

ومن القاعة اليمنى للكتلة الثانية يصعد درج الى الاعلى الى « القصر » الغرفة التي ينام فيها الباشا قديما وبها موقد جداري على الطراز التركي من الرخام الملون يوضع فيه منقل الفحم لخروج رائحة الغاز من مدخنته . ويعد « القصر » من اجمل غرف الدار بتناسقه ونسبه والوان زخرفته المطلية على خشب السرو .

ونلاحظ ان التناظر معدوم في واجهة هذه الوحدة الثانية من حيث عدد القماري والنوافذ ومن حيث الفراغات والخطوط ، ومع ذلك فهي تؤلف وحدة جميلة ترتاح لها العين وتشكل مع بقية وحدات البناء لوحة آية في الابداع . وهذا يدل على عبقرية « المعلم » الدمشقي المهندس المعماري والبناء الفنان الذي يتحسس الفن لا شعوريا .

ويشكل البناءان الواجهة الرئيسية لهذه الباحة السماوية الواسعة . اما الواجهة المقابلة لها وهي الشمالية فهي مؤلفة من جزئين ايضا جزء مؤلف من خمسة اقواس محملة على اربعة اعمدة منها من الغرانيت ومنها من المرمر ، والاقواس مزخرفة بالرسوم الهندسية الملونة « الابلق » .

والايوان الذي يتألف من هذه الاقواس يرتفع بطزرين يميني وشمالى في كل مرتفع فستقية من ثلاث طبقات يتدفق منها الماء بشكل انسيابي جميل . وفي الارضية بين الطزرين بحرة من طبقة واحدة من الموزايك الملون . وتطل على هذا الرواق ثلاث قاعات بنوافذها وقمرياتها وشماسيها . وتؤلف هذه الواجهة بهذه المجموعة مع المنظر الخلفي الذي تظهر فيه مأذنة عيسى من الجامع الاموي واشجار السرو حول القصر منظرا رائعا . وهذا الرواق الشمالي معد لايام الشتاء المشمس .

اما القسم المتم للواجهة الشمالية فهو بسيط نصفه اصم تماما ونصفه الآخر يحوي قاعة واحدة تعد بزخرفتها وسقفها ونوافذها وشماسيها تحفة من تحف القصر .

اما الكتلة الشرقية المطلة على باحة الحرملك فهي تصل بين القسمين الجنوبي والشمالي وتؤلف شكل طابقيين بسبب النوافذ المنخفضة والنوافذ العالية التي يفصل بينها زنار من رواق خشبي يبرز الى الامام لحماية الداخل الى القاعات من الامطار ويجعل ارتباط وحدة البناء بشكل وحدتين علوية وسفلية ، فتقوم داخلها ثلاث قاعات كبيرة زخرفت جدرانها بالخشب

المطلي بالذهب وبالالوان وزينت بابيات الشعر والقوائد الشهيرة كتصيدة  
البردة للبصري وغيره من الشعراء الدمشقيين المجهولين .

ووقفت اقرا على جدران احدى هذه القاعات بعض الابيات بمدح  
صاحب القصر والقصر مكتوبة « بالمادهب » :

يا جملة الناس تفوا وانظروا  
بيت اتى تاريخه للمنى  
بيت التهاني باسم مستنير  
شمس المعالي وسط افلاكه  
والسعد فيه لم يزل قائما  
يخدمه المجد ويأوي الى ابوابه  
يا اسعد الحظ ويا من له  
ساعذك الرحمن رب السما  
في دولة محفوظة سرمدا  
محاسنا جلت بناها الامير  
شيده اسعد باشا الوزير\*  
بني بتوفيق المعين القدير  
مشرقة ما ان لها من نظير  
في موسم الافراح فوق السرير  
والعز فهو السمر  
في ذروة الفخر مقام كبير  
ودمت محراس الجنان الخطير  
بحفظ آيات الكتاب المنير

والكتلة الغربية المطلة على باحة الحرمك يشكل قسم منها قاعة  
واحدة والباقي عبارة عن باحة تشكل المدخل الرئيسي وتظللها عرائش  
الورد البلدي والبنفشى .

ومن باحة الحرمك تنفذ الى الباحة الصغيرة التي تدعى باحة  
المطبخ وبها بحرة مستطيلة وبعض الاشجار المثمرة ، وبها مطبخ للطعام  
بكانونة كبيرة وعدة وجاقات ومطبخ للحلويات وغرف لسكن الخدم والجواري  
وبئر للماء .

وفي مدخل باحة الحرمك تستقبلك البحرة. النجمية الشكل وتتألف  
من ستة عشر ضلعا وفي وسطها نافورة يتدفق منها الماء بنغم رتيب يريح  
الاعصاب . تليها حديقة مستطيلة قسمتها ساقية ماء الى نصفين تعكس  
صفحتها ظلال اشجار السرو والحمضيات والورود المزروعة في هذه  
الحديقة الصغيرة . وترتبط هذه الحديقة ببحرة مستطيلة الشكل من الشمال  
الى الجنوب بشكل منخفض على محاذاة الارض وعلى محاذاة منتصف قوس  
الايوان الصيفي الكبير بشكل تسمح معه بانعكاس منظر قوس الايوان  
وسقفه الثري المزخرف على صفحتها الصافية كما تسمح للجالس على  
التخت الحجري بقربها ان يتمتع بشرب الشاي في ظلال عرائش الياسمين  
المعرشة عليه والتي تمتد على طول خط الاحواض الملاصقة للجبهتين

(\*) سنة ١١٦٢ هـ .

الشرقية والشمالية مشكلة في القصر زاوية زهرة الياسمين التي يحبها  
اهل الشام .

يبلغ طول الباحة ٤٥ م وعرضها ٢٦ م وهي مملأ بالاشجار الزهرة  
والثمرة والاحواض التي تتسلق منها جدران البيت شجيرات ترتاح على  
سقايل خشبية لها اشكالها التقليدية . واشجار القصر السامقة هي محط  
وماوى للعصافير التي تعود من رحلة النهار لتتلو قبل ان تنام سيمفونية  
المساء .

- اما القصر في الليل فكان ينار بالقناديل الزجاجية المملأ الى منتصفها  
بالزيت الحلو تشتعل داخلها فتيلة وتعلق بسلاسل بين الاقواس ، او  
بالكازات وتوضع في الكتابي الخاصة بها في القاعات وتحت الاروطة في  
الباحات . اما تحت المطر فكانت توضع الفوانيس الزجاجية الكبيرة .

ويضم قصر العظم ( ١٦ ) قاعة كبيرة و ( ١٩ ) غرفة في الطابق الارضي  
و ( ٩ ) غرف في الطابق العلوي و ( ٣ ) اواوين ، رواق بخمسة اقواس ،  
( ٤ ) اقنية كبيرة للحطب والمؤونة ، ( ٤ ) برك كبيرة تستمد ماءها من نهر  
القنوات احد فروع نهر بردى ، ( ١٩ ) فسقية ماء بين ارضية وجدارية ،  
( ٣ ) آبار لا تزال بئر منها تعمل حتى الآن ، و ( ٥ ) ادراج تصعد الى الطابق  
العلوي ، وفي كل قاعة من قاعات القصر تقريبا مدخل يؤدي منها الى درج  
يصعد الى الاعلى الى غرفة نوم صغيرة و احيانا تطل نوافذها على القاعة  
نفسها ، ومصلى بجانب الدار ضم الى دار ثائية ، ومخزن للمعربات حول الى  
مستودع ، واصطبل للخيل حول الى مخازن تجارية خارج القصر .

واجمل ما في قصر العظم الباحة الكبيرة في جناح الحرمك التي تشعر  
الانسان بالهدوء والراحة والطمأنينة بسبب هذه الوحدات التي توجي  
باصالة بعيدة الجذور في الفن العربي الذي يستمد ذاته من روح السدين  
الاسلامي الواضح المفتوح الى الاعلى وللجميع ، الذي يضع الانسان في لقاء  
مباشر مع الله .

و « المعلم » الفنان الدمشقي الذي وضع هندسة قصر العظم  
والمعماري والعمل والمزخرف والنقاش والنحات ، هم انفسهم متصلون  
باللانهاية .

هذا هو الشعور الذي امتلأ به قلبي عندما دخلت « قصر العظم »  
احد اشهر معالم دمشق الاثرية السياحية .  
وخرجت وانا اردد في قلبي واقول لكل من اصادفه بعيني :  
« يا عيني على قصر العظم » . .

## أبلق بجلسته

— سكوت يا ابو عزو .. ضاربك اليوم طير بيهزغ العقل . ابلق  
حلقاتو قد المجيدي ، الو « سيخ » ، عيونو كبار مثل الجمر ، جالس  
مثل الديك ..

— ورجينا ياه لنشوف .. طالعو من عبك ..

— تفضل .. تفرج .. شوف هالشوفة ..

— واطي وحلقاتو صغار .

— شو عما تقول . ولك انت شو فهمك بالسوسة .. حط عينك  
منيح .. اي شو جديد بالكار ..؟!

— انا جديد بالكار ..!!؟

— اي اي يا جماعة طولوا بالكن .. منحكم ابو صطيف اكبر واحد  
فينا . شو بتقول يا ابو صطيف ..؟

— معو حق ابو حميد ، واطي شوي وحلقاتو صغار .

— اي بتؤمر ابو صطيف انت معلمنا .

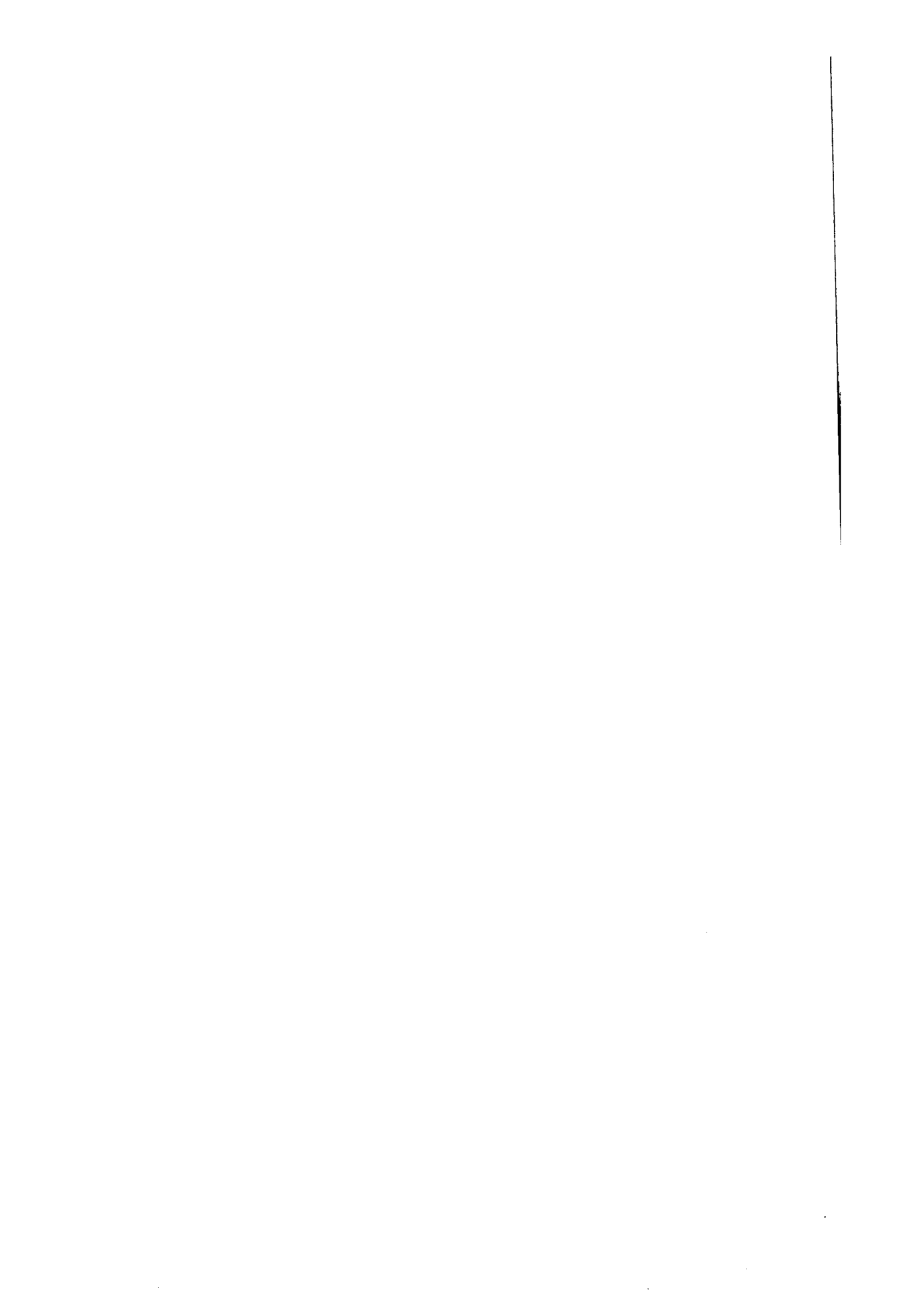
— والله يا جماعة كراشتلكن اليوم ابو صخر . نزلنا كراش انا  
واياه خدني جيتك خدني جيتك ساعتين ، علق معي « شكلي باسود »  
نزلت فيه فتل برم فتل برم عالبرمة شي ربع ساعة هلكتو كسرت ضهرو .  
قلبتو قام مسح رديت لبستو ردينا نزلنا فيه علبرمة ، كمان قلبتو مسح رديت  
لبستو ونزلت فيه فتل برم فتل برم قلبتو قام شنشل علمحط وحط ، شديت  
عليه وطلعت خلصتو وكفيت الشبك .

— عمي ابو حميد والله كانك عم تحاكييني بالتركي ما فهمت شي .



الفتان خزيمه علواني - حماه





شو يعني « كارشتك » فلان بلغة الحميماتية ، وشو يعني «لبستو»  
و « مسح » ونزلت فيه « عالبرمة » و « شنشل » و « عالخط » ..!!؟

— « كاراشتك » فلان يعني خلطت كشة الحمام تبغي بكشة الحمام  
تبعو . و « لبستو » يعني رديت لحقت الكشة بالطير اللي كان راح ينزل  
على الاسطوح مع بقية الطيور حتى تروح تجيبو و « مسح » يعني حطت كل  
الطيور علأسطوح ما حط معهن يعني منقول « زحل » .

و « البرمة » يعني دورة الطيور حوالين المحط . و « شنشل » يعني  
صار يحط رجليه عالخط من غير ما تعلق رجليه يعني ما وقف ابدا .

— يا عمي ابوحميد بقولوا الحميماتي مالو شهادة وما حد ابيرضى بجوزو  
بننو ، صحيح هالكلام . . ؟

يا ابني تقريبا صحيح ، لانو الحميماتي ، الطير عندو اغلى من كل  
الناس . وكش الحمام يا ابني سوسة بتاخذ وقت الحميماتي كلو . ويعرف  
واحد حميماتي طلق مرتو تلت مرات من تحت راس الطيور . ولما كانت  
مرتو تقولو يا انا يا هالطيور بالببيت كان يقولها لا الطيور !!

مرة راح حميماتي عالحدج وترك خمسين دهبه امانة عند جـارو  
الحميماتي بالحارة . بعد الحدج رجع طلب امانتو واخذها . بعد جمعة  
صاروا يتكارشوا بالحمام . قام الجار مسك للحجي طير . اجا الحجي قاللو:  
عطيني الابلق . .!! قاللوا : انو ابلق !؟ قاللو الابلق ياللي شديت عليه انا  
شايفك . .!! قاللو جارو : والله ما شفتو وما مسكت شي .

هون منشوف يا ابني شلون كذب الحميماتي مشان الطير لـاكن رجع  
الذهب لصاحبو لانو الطير عندو اغلى من الذهب .

ويا ابني في عنا نحنا الحميماتية طريقة حتى ما نلطف كذب ، ما حدا  
بيعرفها . مثلا في عندي سحاحير خشب كل سحارة الها اسم حارة بالشام .  
مثلا هي عمارة وهي سوقساروجة وهديك باب سريجة وهديك شويكته وهي  
مهاجرين . اذا مسكت طير لجاري وكننت صيد انا وصاحبو ، يعني ما في صلح  
بيناتنا ، اذا اخدلي طير ما يرجعو ، واذا اخدتلو طير ما يرجعلو ياه ، وصدف  
اجا لعندي بدو ياه ، بحط ايدي على السحارة ياللي فيها الطير وبلف انو  
الطير مو عندي والله مو عندي بالمهاجرين وبكون مخبي الطير بالسحارة  
ياللي اشرت عليها وياللي سميتها بقلبي المهاجرين .

شو فكرك يا ابني الطيور غالية واذا كان الحميماتي علأسطوح عم  
يكش وندهتلو مرتو ينزل اي ما بينزل لو اجا عزيز عينو .

والله مرة يبلب الجليبة بسقاق البرغل راح شرطي حتى يصادر الحمام  
لانو طلع امر بمنع كئش الحمام ، اي قامت الحارة وتمعدت . ومرة ثانية  
راح تلت اربع قتلى بدمر وبدوما مشان الطيور .

— اي ليش طلع امر المنع . . ؟!

— من رزالة الحميماتي احيانا . وجيران الحميماتي بيشتكو لانو  
الحميماتي دائما علاساطيح بيكشف البيوت اللي حواليه والحريرم بتتضايق  
من وجود رجال فوق الاساطيح . لآكن يا ابني الحقيقة انو الحميماتي ما  
بيطلع على النسوان ابدآ وعندو كل طير بيسوى خمسين مرا . وكمان  
الجيران بيتضايقوا من وسآخة الطيور ومن ريشها بالصيف ، ومن كتر  
ما بيضرب الحميماتي طيورو بالبطاطا وقشر الليمون والقنب اللي بيضربو  
بالنقيفة بتقوم بتنزل على بيوت الجيران بتوسخلن يآها بعد ما يكونوا  
شاطفين بيوتهن ، والجيران بيدعوا انو الحميماتي عم يضررب الطيور بالحجار  
بتقوم بتكسر قزآز الشبآبيك ، مع انو الحميماتي ما بيضرب الطيور بالحجار  
حتى ما تموت .

— لآكن ليش بصفر الحميماتي . . ؟!

— مشان تبعد الطيور ، وكمان اذا كان جآرو « صيد » وعلقو معو  
طير وراح يحط عندو بقوم الحميماتي بصفرلو بينقز الطير ويرجع وما بيحط  
عند الحميماتي الثاني .

وآذا كان الحميماتي بدو ينزل الطيور ومآلن عم ينزلوا بالطيرة ،  
بيقوم بيضرب بالكربسآج على تنكة بقوموا بيلعطو وبضربوا على وش  
الاسطوح وبينزلوا .

— ايمتى بيصير الكئش عمي ابو حميد . . ؟!

— الصبح والمسا . والطير الجديد منطيرو بعد المغرب ويكون جوعآن ،  
ومن كتر الجوع والعمتة بقوم بيرجع ما بيهرب بخآف من شي شوحة  
والآشآهين يآكلو .

— وشلون بتنزل الكئشة بعد ما بتطير . . ؟!

— منخبطلا بالطيرة . . لانو الكئشة بتكون كلها طيور . والطير بشوف  
الطيرة من علو خمستآلاف متر وبينزل مشآنها ، وكل ما بعدت الطيور وقدرت  
ترجع بياخذ صآحبها صيت وبقولوا « شقفة فلآن عم تمشي » يعني كئشة  
فلآن بتطير مسآفات بعيدة .

— شو بياكلو الطيور . . ؟

— درة صفرا وحمرا بالشتي ودره بيضا بالصيف وجلبانه لطيور الزق « التفريخ » والطيور منطعميه بالصيف شعير حتى ما يضعف ، والطيور الضعيف منطعميه « تمبز » . ووقتئ بيغلى اكل الطيور بترخص الطيور . والطيور بترخص بالصيف لانا ما بتطير منقصها وبيتبدل ريشها وبتكون مقصومة فترة « بريك » ووقتئ بتسقط ريشة بيخلق غيرها . وما بتسقط الريشة الثانية حتى تخلق الريشة الاولانية حتى يقدر الطير يطير . يعني الكش بدك تقول بييدا من اول ايلول لحد مايس اول الصيف .

— طيب شلون بيصير الكش . . ؟

— الطيرة بتكون مقصومة ما بتطير حتى ما تاخذ الطيور معها .

ومنخلي الطيور بسلا جواز محرومة حتى يطير الطير ويرجع وقت منصفلو بالطيرة . الحيماتي بكش الكشة « بالخيالة » وهية عصاية براسها خرقة سودا يا اما حمرا بتقوم بتختلط كشتي مع كشة جاري مثلا وبترجع يا اما معها طير جديد او اكثر ، يا بترجع ناقصة يا اما بترجع كلها .

— طيب منين بتشتروا الطيور . . ؟

— من عند « الجنابطة » بخان البطيخ يا اما من سوق الاحد بحارة اليهود يا اما عند الشيخ حسن في حي الميدان بالشام .

— طيب شلون بتصير المعاملة بين الحيماتية . . ؟

— ها . . لاقوللك ، يا اما « صلح » يا اما « شري » يا اما « صيد » .

— ما فهيت . . ؟!

— « الصلح » بتفق مع جاري على اساس مثل ما بعاملو بيعاملني يعني اذا مسك لي طير بيرجعو ، واذا مسكتلو طير برجعو . والصلح لازم تكون المسافة بينانا قريبة حتى يزعرلي طيورني اذا راحت لعندو وازعرلو طيورني اذا اجت لعندي وطعمني الطير اللي جاية من عندو لعندي قتلة حتى ما يرجع يعيدها .

— قتلة . . !!

— اي قتلة . . ! يعني بضربو بطريقة خاصة حتى ما يعود يعيد الذئب . يا اما بضربو بالطارة ، وهية قضيب من خشب التوت الطري والها شبكة . بخلي الطير يطير مترين وبمطادو بالطارة . يا اما بمسك الطير

ويتقبلو شحمة منقارو بريشة من ريشو، يا اما بدبوس ، وبتركلو الريشة بشحمتو حتى يصل لصاحبو علامة اني انا كمشتو وقتلتو ورجعتو .  
يا اما بفركلو رجليه بطراب الحيط حتى ينقشط جلدو الرقيق ويتكسح اربع خمستيام ما يعود يحسن يمشي بعددين بفلتو . يا اما بنتفلو ريشو داير مزبلو .

وطبعا « في » صلح بمصاري ورقة ورقتين ثلاثة حق الطير ، وفي صلح ببلاش اذا كانت الصحبة بين الحميماتية غميقة .

— والصيد ..!!

— ها . . الصيد يعني حرب . . لا بعمله في تفاهم ولا بواسطة في تفاهم . لو دفع لي جاري وكنت معو « صيد » على طير من طيور ووقس عندي عشر اضعاف حقو ما يعطيه ياه . يمكن بدبحو وما يرجعو لصاحبو حتى لو جابلي اكبر واسطة . ليش . . لانو منفاخ كبير وانا مالي قابضو .

— طيب والشري ..!!

— الشري يعني التعامل على قد ما بيسوى الطير . . ولك وين الشاي يا ولد مو شايف عنا ضيوف !! اي سيدي ، يعني ما في علاقات بيني وبين صاحب الطير لا بيعرفني ولا يعرفو . بيجي صديق عزيز علي واسطة بقوللي يا ابو صطيف بدنا هالطير الله يرضى عليك . . !! بقوللو انا بتؤمر امر . بقوللي شو بتريد ، بقوم انا بقوللو هللي بتريده انتو . يعني بيدفع صاحبو حق الطير وزيادة ، واذا ردت اني ما آخذ مصاري ما باخذ كرمال خاطر الواسطة .

— هالسوسة يا عمي ابو مصطفى مثل مالي شايف عما تكون مورد رزق للحميماتية مو هيك ..!!

— يا ابني بالماضي كان في حميماتية محترفين بياكلوا وبيشربو من ورا الطيور . ويتذكر بطلت هالشغلة من وقت ما طلع امر منع كس الحمام الزاجل سنة ١٩٣٨ . لادن هلا صفيانة الشغلة سوسة وهواية ولو تطلعت للسما فوق الشام بتشوف اكثر من كشة حلوة .

مثل ما قلتك كس الحمام صفيان هواية مثل الرسم والرقص والموسيقى عند شباب هالايام مو اكثر . والحقيقة سوسة كس الحمام خلقت حتى تمسكلي طير وامسك لك طير وتعارف العالم على بعضها . والمسألة مسألة اخلاق وكل حميماتي بيتصرف حسب اخلاقو . مرة كمشت « حلبي باحمر » لحميماتي اكابر . اجاني صديق عزيز واسطة سألني : انت

كامش « حلبي بأحمر » لفلان . . .؟! قتلوا اي والله . قال بدو ياه صاحبو وطلوب قد ما بتريد . قتلوا اعوذ بالله والله ما بددي شي . وعطيت الطير الحلو الحلبي باحمر للواسطة وراح رجعو لصاحبو . قام قالو والله ما بستلمو منك الا حتى يجي صاحبك وقدملو بدالو هدية طيرين بنقيهن على كيفو . وطبعاً ما رحنت لاني استحييت .

— طيب يا عمو . . . هالبنيات الجديدة العالية بالشام احسن والملا الاساطيح العتيقة تبع البيوت العربية . . .؟!

— يا ابني . . . والله هالبنيات العالية عمت قلب البيوت العربية لالكن الحميماتي بيفضل يستأجر اسطوح عالي .

— ما قتللي ثلون بينزل الطير الغريب مع طيورك . . .؟

— اذا كان جاية مع الكشة طير غريب بصفق انا للطيور بالطيرة بتقوم الكشة بتعمل برمة حوالين الاسطوح وبتجي لتخط فوق الاسطوح مترين ثلاثة بينكسر ضمير الطيور من التعب وبتمل بتقوم بتخط على اسطوحي بقوم بيحط معها الطير الغريب .

— طيب وثلون بتصير تربية الطيور . . .؟!

— كل حميماتي بيعرف هالشغلة وبيريبي طيورو على ايديه . ووقتني بيتجوز الطير من طيرة وبتبيض بتقوم الام بتقعد عليبيض من الصبح للعصر ومن العصر للصبح بيقعد الاب . والطير الصغير باول ايامو بتنفخو امو بمنقارو هوا ، بعدين بياكل تراب بعدين بياكل جلبانة ودره .

والله يا ابني مالك علي يمين ، مرة حدث معي حادث غريب . بتصدق انو بين الطيور في خالة مرت اب . . .!! يمكن ما بتصدق . . .!! اي سماع هالقصة . مرة هربت لي طيرة وما عادت رجعت من كتر ما تضايقت من تربية ولادها . الاب حنون صار يطعميهن ليل نهار . شافتو طيرة تانية صارت تحوم حواليه وتدور حواليه حتى بلفتو ولعبت بعقلو تجوزتو . وبعد ما تجوزتو فانتت على السحارة يللي فيها طيورو الصغار قدام عينو وقتلت ولادو من غيرتها يا لطيف بخشت راس الصغار بمنقارها لانهن مو ولادها وما بدها تربي ولاد غيرها . حدا بيصدق هالقصة . . .!! قصص شو بددي احكي لك . . .!!

— انا هلا بددي اعرف انواع الطيور . . .!!

— ايوة . . . هلا بددي اترك الحكي لعمك « برو » لانو سيد مين بيعرف بالطيور .

— عندك مانع يا عم برو . .

— ابدأ يا ابني اهلا وسهلا فيك لسهرتنا ، وانتو الجيل الجديد لازم تعرفو كل شي عن هالتقاليد القديمة ببلدكن . يا سيدي منين بدي ابدالك ؟؟  
عندك تلت انواع من الطيور : زاجل وحمام للكش وحمام تربية بيوت . ولازم تعرف يا ابني انو المهم بالطيور الحلوة الطبعة والحدود والعشر : يعني لازم يكون عدد الريش بالجناحين يا اما عشرة بعشرة يا اما تمانية بتمانية يا اما تسعة بتسعة يا اما تمانية بعشرة . هادا هوة العشر . واذا كان عشر الطير اقل بكون اسمو طير فالت او اعسر .

والطيور منزيتها عادة بخزام بالانف وبصنيجات برجليها مع اساور عقيق وشمع وباغة ونايلون وقرن جاموس . والطيرة بزوزقوها وبحمروها بدودة حمرا على خدودها حتى تصير حلوة وتنزل الكشة من السما مشانها . والطير المدلل الحلو بزينو صاحبو باللولو والخرز بكتافو ، يا اما بزينو بكردان قطعة حديد بتتعلق برقبة الطير وفيها حبات خرز ملون . يعني الطير الحلو كان يسوى بزمانو تلت ليرات ذهب واكثر .

— شي جلو . . . والله تمنيت شوف الطيور .

— قبل ما آخذك لعندي بكرة وارجيك طيوري رح عدلك اسامي الطيور وانواعها وصفاتها .

في عندك البغدادي باسود والبغدادي بابيض والبغدادي بازرق . عندك بندوق البغادة : ابوه بغدادي وامو من غير نوع . وفي عندك الريحاني ازرق على رمادي . والشرايبي ازرق على رمادي . والسكري ابيض مع اصفر فضي . والهزاز ابيض سادة واسود سادة ميزتو بيهتز دائما . وعندك النمساوي : نمساوي باصفر لونو اصفر وراسو ابيض وخدودو بيض . نمساوي بابيض كلو ابيض الو فروة حوالين راسو . وعندك الرؤوفي عداد بيشبه طيور الاموي على لون صفوي طبعا طيور الاموي زرق . وعندك المكاوي باحمر وكلو احمر والمكاوي باسود وكلو اسود والمكاوي بابيض وكلو ابيض . والمكاوي الو ريش طويل بيغطي اصابع رجليه والوقنبرة براسو . وعندك المسود : جسمو اسود وجناحو بيض . وفي المسود باحمر وكلو احمر وعشرو ابيض . وفي المسود باصفر .

وعندك الابلق وطبعا الابلق احسن من المسود لانو الو حلق بخدودو وطبعا بيضا على كل خد وحجمو كبير . وفي ابلق بعلسة لونو رصاصي وعشرو ابيض ، وفي ابلق بخضرة رصاصي سادة وعشرو ابيض ، وفي ابلق باحمر .

وعندك شكالي باحمر وشكالي باسود وشكالي بازرق . ويكون الطير لونو احمر مع تدنيرة ( يعني بياض على روس جناحاتو والغنب ) .

وعندك شخشرلي باسود وشخشرلي باحمر وشخشرلي بازرق . والشخشرلي حجبو صغير الو خدود وطبعة بالراس مع سمكتين ببيض بسفل بطنو .

وعندك بربريسي باحمر وبربريسي باصفر . والبربريسي كلو ابيض وكثافو حمر بالنسبة للاحمر وصفر بالنسبة للاصفر .

وعندك البني كلو ابيض وجناحو سود مع خدود وطبعة بيضا براسو وعشرو مطبوط .

وعندك التقلجي باسود والتقلجي باحمر والتقلجي باصفر . دنبو ابيض والو قنبرة براسو بتكون حسب لونو .

والحلي طبق الاصل عن التقلجي ما منفرقو وهوة عما يطير بالسما الا من جناحو لآكن منعرفو عالارض من عيونو ومنقارو . وفي عندك حلي باحمر وحلي باسود وحلي باصفر .

وعندك النوري باسود والنوري بازرق . والنوري يكون ازرق يا اسود ودينبو ابيض وحجمو صغير .

وعندك البوظ وهادا طير ابيض والو قضيبين سود على كتافو وتدنيرة للدنب لونها اسود .

وعندك العمري احلس كتافو مكلفة باسود والعمري الاخضر رصاصي فاتح على بياض .

وفي عندك يا سيدي بيلندي بابيض وبيلندي باحمر وبيلندي باسود ، وبيلندي سادة : الو تاج بصدرو من نفس لون القنبرة يللي شكلها شكل الشاكوش وعيونو واسعة طبعا والعيون الواسعة من مميزات الجمال عند الطير .

وفي عندك القويز ابيض ودينبو اسود مالو قنبرة . واسطنبولي رصاصي دنبو ازرق مكلف بسواد خفيف والو قضيبين بكتافو من نفس لونو بس على اغمق .

وعنا البلدي لون واحد كلو حجمو كبير مالو قنبرة .



وعندك احمر بلدي واصفر بلدي وازرق بلدي واسود بلدي . وفي طير  
مرقع امو نوع وابوه نوع وبياخذ الوانو من الام والاب .

والمنمر الاب احمر مثلا والام اصفر يبجي الطير منمر لون بين لونين  
يعني لا احمر ولا اصفر .

والابرش حجمو كبير . وفي عنا ابرش باسود وابرش بازرق . والابرش  
لونو ابيض والابرش الاسود دنبو اسود والابرش الازرق دنبو ازرق ويكون  
ضهرو كلو ابيض وریشو مجعد والو طبعة وخدين يا اما سود يا اما زرق .  
وعندك المفتل ابيض سادة وضهرو كلو ريش مفتل ومالو طبعات  
ولا حلق .

الدبائي والكشميري كل ريشة لون . ريشة حمرا وريشة بيضا . يا اما  
ريشة حمرا وريشة سودا .

الكركاطي كلو رصاصي ورقبتو افتح من لونو وفي منو ابو قنبرة وفي  
منو مالو قنبرة .

القرنفلي كلو اسود وكتافو حمر .

العرجاني كلو اسود على كتافو قضيين بني . وفي عندك عرجاني  
باسود وعرجاني بازرق .

النحاسي ازرق مع دقة بني بريش ضهرو .

البقدونسي كلو رصاصي والو خدود وطبعة وضهرو اغمق من جسمو  
على اسود « مبقج » .

الانكليزي ازرق والو برجليه ريش طويل مشخشر والو قنبرة .

البولوني كلو لون واحد ويختلف الدنب والو خدود وطبعة . وفي عندك  
البولوني باصفر والبولوني باحمر والبولوني باسود . والبولوني باصفر كلو  
ابيض دنبو اصفر والطبعة والخدود صفر وهادا طير حلو ونادر .

والبيرملي باسود كمان طير نادر وحلو كلو اسود وضهرو منقط بابيض،  
وعندك بيرملي بازرق رصاصي وضهرو منقط بنقط بيض ناعمة .

وعندك يا ابني النمساوي والتفاحي كلو ابيض وكتافو لا صفر ولا حمر  
بلون التفاح والو حلق وطبعة .

— والله شي حلو يا عم برو شو هاد انت موسوعة . . . والله شهيتني  
صير حميماتي لانو الحميماتي انسان فنان . .

— ليش يا ابني انت شو بتشتغل ..؟!

— صحفي .

— ايه الله يوفق . بقولوا يا ابني انو الادب والصحافة سوسة ..

صحيح ..؟!

— اي والله صحيح يا عمي .. وهلا انا بستاذن تصبحو على خير  
موعدنا بكرة الصبح ان شاء الله على اسطوح بيتكن عمي برو حتى شوف  
طيورك الحلوين واتعلم منك شلون بيصير كمش الحمام .

— اي ميت اهلين وسهلين .



# السفر برك

قال لي ابي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان بلهجته الدمشقية العامية  
العفوية :

- كنا ساكنين بببيت الألس . . . كان عمري خمس سنين لمن مات ابي .  
قبل امي تجوز عشرة واجا ولاد من ثلاثة . امي عائشة رمضان بنت سعيد  
آغا رمضان وجاب منها : مهيبة ومراد وفهمي . . . انا .

وتجوز قبل امي خالدية وجاب منها بنت بدرية وقبل خالدية كان متجوز  
واحدة شركسية وجابت منو اخي صبحي . . . وصبحي هوة أبو شفكي ام  
عذنان .

بعدين مات ابي صفيت يقيم . كان اخي صبحي بحمص باش شلوايش  
رديف لهون قال بدو ياخذنا على حمص انا واخي مراد . امي عطو  
مراد وختنتي عندها انا ومهيبية .

تجوزت امي واحد ختني غني . وضليت عندها لحتى كبرت . تعلمت  
صنعة الحرير . من ايش . . . ؟ اجا اخي مراد من حمص بعد ما كبر متعلم  
صنعة بحمص اجا قال تعلم هالصنعة هون بالشام في منها خانات وشيخ كار  
طويل عريض .

وفي بصنعة الحرير صنعة اسمها صنعة المسدي . وجابني اخي لعند  
المسدي . وعطاني عشر قروش اشتغلت عمري بيطلع عشر تناعشر سنة .  
تعلمت الصنعة وصرت صانع وصرت اشتغل بنص مجيدي كل يوم .  
اشتغلت عند الحلباوي بالخراب . . . وبعدين عند بيت الصواف معلم بالقيصرية .  
وصنعة المسدي يابنتي يعني بيلف عالذوارة . يعني بيلف قيمة ٢٥ كركر . . .  
بيلفن عالذوارة ، بتصير شقة مشان تروح للمصبغة بيصبغوها وبيساووها  
سدي وبتصير صايات « الأجه حرير » .



والدي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان

الفنان عبد القادر الشاب - أريحا - حلب



ضلينا نشتغل بصنعة الحرير هيك لحتى كبرنا لحد قريب عشرين سنة .  
 وكانت الاجرة عالرطل كم رطل بيشتغل بياخد . بيتنا كان بالبجصة مع  
 الشمس نروح لحد قبل المغرب . المغرب تمام نرجع ناخذ غدانا معنا نتغدى .  
 وكانوا يشتركو معنا بالغدا . . عندنا تحت فتالة . . يفتلو الحرير ويطلع  
 لعندنا كراكر ومنساويها شقات . الكار ياستي . . . اول شي بتجي من اوربا  
 شلل شلل حرير . هالشلة بيعطوها لكباية الحرير بالبيوت وبالضيع ، فيها  
 منصب بيغروها عليه ، وبلفو الخشن وحدو واللي طلع ارفع وحدو ، ما بين  
 حرير خشن وحرير ناعم بيساووه شموطة والشمط مدور بيرطوه بين القصب  
 وبعدين بقلوه بيصير شمط . الشمط بيجي لعند المعلم بيعطيه لعند الصنعية  
 الفتالة بيغروه عالكوفية وبلوه بالمى وبيدور مواسير صفار صفار وبيعطيه  
 للدولاب . في سياخ بشكو المواسير بساووهن كراكر هالكراكر بتطلع لعندنا  
 نحننا منساويها شقق . بتروح لعند المعلم . في شقة عددها كبير وشقة عددها  
 صغير . بتروح الشقق عالمصبغة كانوا يعطوها لمصابغ اليهود واحدة خضرا  
 سودا ليلكي . . لحتى هدول من حرير الخام بيصيرو حرير مصبورغ ناعم  
 بالمصبغة بتقطع خيطان وبيوصلوا الطيقان ياللي تقطعت وبعدين بيردوا  
 بلفوها على خشبات بعد مايخوها بمرقة الراس وكانوا بياخدوها من  
 الرواسين لحتى الطاق مايصير ناعم وبتقطع بلفوها كل شقة واحدة هالقد  
 وهالتخن . . هي بتروح لوين ، بيجو لعند المعلم . هي سودا مثلا الثانية  
 حمرا ، بينحطوا خمس ست سبع تيام حتى تطلع الصاية قلام قلام . من  
 هنيك بتروح لصنعة اسمها ملقي . بجيبو راس الشموط وفي مشط واحد .  
 بيقتد قدام واحد وورا واحد بيساووها بالمشط بصفوه من جنب بعض . بتخلص  
 من الملقى بتجي لعند المعلم خالصة صار اسمو سدي . بيجي الصانع الحايك . .  
 في محلات كبيرة بيقى فيها خمسين ستين نول كل مين بيجي لعند المعلم بياخذ  
 صاية وبيشتغل بالكوك وبيكبس برجليه حتى يطلع المشط وينزل ، وبيضل  
 عما يساووي هيك لحتى تخلص وتصير صاية .  
 بعدين بقصوها ويساووها المعلمين بسبع تضرع وتسع تضرع كانوا  
 بيعتوها لمصر لانها ثقيلة ، بيقى حقها خمس انكليزيات . التوب المصري  
 عريض وحريرو ثقيل .

قبل ماتصير صاية الها صنعة تانية . ووقت بتجي صاية من عند  
 الحايك لعند المعلم صاية خامية مبخوخة بالزفر . ياخدوها لحمام خصوصي  
 بالخراب بيغسلو فيه الصايات بترجع ناعمة . ماخلصت . هي وين بتروح . .  
 بتروح عالكنكة بيسحبوها من اولها لاخرها بيكووها كوي . بتطلع صاية  
 بتروح للحقاق بدقها عالخشب حتى تلمع وبيكووها وبيطبقوها ومن هنيك  
 بتروح للبيع . وهالصايات في منها صايات « ديم » صايات غزل .

وكل كار يابنتي الو شيخ كار والو ترتيب والصانع بيشتغل من تحت  
ايد شيخ الكار . اي عشرين كار ، لصنعة الحرير وحدها ، ونص البلد كانت  
تشتغل فيه .

صار عمري عشرين سنة اجا دور عسكرية مراد اكبر مني بخمس ست  
سنين بدن ياخدوه عسكري . اي نعم . طلع لامو معيل اخدوني انا وهذاك  
صني معيل .

كل سنة « بي » مجلس قرعة هالقرعة بسني سن العشرين . وكان يصير  
بكل حارة يعملو مجلس عسكرية رديف او بالسرايا وتجي هالعالم لهالمجلس  
حتى يكوفوه عسكر ( يقيدوه عسكري ) .

بعثو عسكري ومعو خبر . شيخ الحارة عندو دفتر قيد . انالسه ماصار  
سني عسكري طلبو أخي جيب اخوك جابوني . رحنت مع أخي لمجلس القرعة  
بالسرايا . فتننا جلسة طويلة عريضة قومندان ودفاتر . واخي صبحي كان  
باش شاويش رديف . ثبتو انو أخي معيل لامي مالها حدا قالولهن هي أخي .  
قالوا عمرك موتمنطمش . . عمرك عشرين ( لايقبلا ) بالتركي . صرت  
عسكري اخدوني قبل سنتين . رحنت عملت معاملة ودخلت باش شاويش فخري  
بدائرة الرديف بواسطة يحيى بك صدقي كان بالاركان حربية كانت امونفوس  
بننت الترجمان . الخلاصة ندهلو قاللو امتحنوا لشيت الرديف . باش شاويش  
رديف لابيخاد تعيين ولابيخاد معاش ورتبتو باش شاويش كاتب .

نسيت قللك . . كنت اتعلم وانا عم اشتغل بالصنعةكنت روح لدرسة بمسوق  
التين بالجزورية مشقبت حمام البزورية . كانت تعلم القراية والكتيبة  
مدرسة الشيخ كامل القصاب كان سياسي يعلم تركي وعربي . تعلمت القواعد  
التركية كلها فيها ضليت تلت سنين . خصصلي الشيخ كامل استاذ  
خصوصي ليعلمني .

لقيت حالي لايكتب ولايقرا ، وصنعتنا بدما حساب وبدما قراية .

كان الصانع بدو يكتب عالشقة قديش عددها قديش عدد طبقاتها . بدو  
يكتب الرطل حسابو مع المعلم . كان عمري بدك تقولي شي خمسطاعشر سنة  
وقتن صرنا نقرا تركي . الاسامي التركية : الشباك : بنجرا . الباب : كابو  
القلم : قلم . الطاولة : ماصا .

وتعلمنا الخط . . كنا نكتب بالخط السلس بقلم تخين باحرف مقطعة  
واحرف صحيحة . . بعدين صرنا نكتب بالخط الرفيع . كل واحد معوسفينة  
خطوطها عثمانية فيها كتابة اول الكلمات ومنتصفها وآخرها حفظونا لامية  
ابن الوردي . بتذكر منها :

اعتزل ذكرى الاغاني والغزل

وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لايام الصبا

فلايام الصبا نجم أفل

وعلمونا الصبرات والنشايذ والحساب القسمة والضرب والطرح والجمع  
وختمنا القرآن .

عدت صرت باش شاويش بدائرة الرديف بالسرايا ( الاحتياط ) يعني  
ياللي بيصير فيها مجلس القرعة .

السرايا كانت عند لفتة الفنون كانت المشيرية فيها وسراية المشيرية  
القديمة كان يسكن هون المشير حاكم الجيش . الوالي كان يسكن بسراية  
الحكومة بالمرجة . سراية المشيرية هنك الاركان حربية وبيت المشير جوه .  
ووقت اخذوني عسكري كان المشير الططر عثمان باشا . قعدت بالسرايا  
عسكري شهر زمان شهر القرعة وبعد شهر ثاني اعلنوا الحريسة ( حريات  
عدالات مساوات ) انقلاب انور باشا ونيازي ومحمود شوكت باشا على  
عبد الحميد .

وطلع امر الباش شاويش رديف لازم ياخذون عسكري . ردوا اخذونا  
عسكري . ردوا لغوها . رحنا دخلنا بلق التلغراف بطريق الصالحية محل نادي  
الضباط . . كان بلق التلغراف اربع سنين . كلهن ضباط عرب وضباط ترك .

تعلمت بالبلق التلغراف والهليوسطا يعني اللاسلكي عالضو وبالنهيار  
عالشمس . وتعلمنا التلغراف بالكهربا . كتبوا بتذاكر البلق بعد اربع سنين  
انو خلص عسكرية . اخذنا التذاكر حطيناهن بعينا . البلق كان فيه شبي  
ميتين زلة . تعليم تلغراف واملا وكتابة مانشوف الاجا امر قال هاتو التذاكر  
قال حرب البلقان . اي نعم . تحضرنا بقي سيدي البلق وحضرنا معداتو .  
ووقت صار الانقلاب صار كل يوم التعليم لعموم القطعات الموجودة بالقلعة  
الصبح . تعليم عالبارودة وعالنظام بالتركي .

الاري مرش يعني الى الامام .

صاغا دون يعني الى اليمين سر .

صولا دون يعني الى اليسار .



- غيريا دون يعني الى الورا سر •
- دور يعني قف • بعدين تعلمنا عالبارودة •
- صلاح إمطا يعني سلاح على الكتف •
- سلام دور •••

بالتلعة ضلينا نتمرن كل يوم حتى رحنا لحرب البلقان بالبلق بالنهار  
في تعليم بالبستان •

تحضر البلق عدو ميتين زلمة مع عربياتو ومع الآلات والعدد والاشرطة  
والماكينات والتلفونات • سافر البلق لحلب بالترين • كان لحد حلب واصل  
القطار ما كان ماشي على كلك بغازي • بحلب ضلينا عشر تيام نحنا  
والعربيات والبغال والمكارة والخيل مشينا على طريق انطاكية اسكندرون •  
نصل عشية نغام بالقرى • نمنا ليلة من الليالي بقرية فاضية مافيها حدا •  
نامت العسكر فزينا على بكره لقينالك كل العسكر بدنهن مثل الحق الازرق  
ماأخذنا وعطينا فيه حيوان عم يلدعنا من تعبنا ما حسينا • كان معنا عشي  
بالطريق بيساويلنا اكل بيطبخ • قازان عسكر للطبخ ماشي معنا • شوكننا  
ناكل •• خضرة وتزلو بيتنجان وبندورة وفليفلة وبصل ولحم شقف يسكبو  
بالقروانة لكل عشر تنفس الكبجاية قد سطل • الخبز يعجنوه ويساوه  
عالصاج العسكر • ياخذو طحين كل طقم بطقمو • وصلنا لاسكندرون  
باسكندرون تحضر البلق • قعدنا قيمة جمعة ونزلنا بالبحر مع فرقة عرب ٢٧  
قيمة عشر تالاف زلمة شكلوها • ونزلنا بالباخرة «إقدنز» • هيك دخلنا الدرنديل  
بغاز شفق قلعة • نزلنا بلقنا بلق التلغراف ببلدة ( بمايدوس ) وكان أيام  
تلج ومطر نصبنا الشوادر تشينا التلج ونصبناها عالارض • والفرقة مشيت  
على غاليبولي جزيرة كانت ولاية • قعدنا بمايدوس بدهن يقسمو بلقنا  
عالقطع الحربية لتأمين المخابرات • ليس • انتسبني انا قائد البلق انا  
وتناشر جندي ومعتا ماكينات وتليفونات وهليوسطات • نحنا مفرزة بعوتونا  
( بستيم بوت ) بابور صغير وقال الليوزباشي جيبولنا كم راس ممكن •  
مشينا طلعتنا على غاليبولي لقينا الساحل كلو مهاجرين اسلام بالارض مهاجرين  
من وش البلغار واليونان • من ادرنة مشي البلغار ورا جيشنا وكسروا حتى  
وصلوا لغاليبولي وكانت الاراضي نص اسلام ونص روم • صاروا بتفقوا  
الروم مع الجيش البلغاري واليوناني ويدبحوا ويزنوا بالاسلام •• صارت  
تدرا العالم هربت نزلت بعربات بقر على غاليبولي • نحنا قعدنا لقينا أمة  
لا اله الا الله •• الاراضي والازمة كلها مهاجرين • طلعتنا لعند مركز قومندان

تعذنا يومين ثلاثة كتبنا مظروف وحملنا غراضنا وماكيناتنا بمرية بقر وقالوا  
امشوا عالساحل . نحننا مالنا فهمانين وبين رايعين طلعلنا بهالوخل ماشيين  
عالساحل الساحل . ونحننا ماشيين المهاجرين راجعين على عرض الطريق .  
لك وين رايعين يقولوا رايعين معنا امر . قال اي انكسر الجيش والبلفسار  
قاعدين بتم الجزيرة والجيش جيش عباس باشا كلو رجع . انا احترت بامري .  
معي امر لوين بدي روح . . . . . بدي روح لعند القائد . بعدين وصلنا لضيعة  
اسمها «بولايير» عالسكة عالبحر . تطلعلنا لقينا عسكر وعالم راجعة . ولك  
مشكل . . نسال القائد وين ما حدا يعرف . . ونحننا ما عرفنا . . بعدين ماشوف  
الا قائد بينباشي ( عقيد ) راكب عالحصان وجاية مكسور مبين من حرب .  
قاللي عقلي سالوا ياولد . ضربتلو تمنى قتلو بالتركي : بيك افندي بوظرف  
كيما ونيردا او طور يور بو قومندان ؟ » .

يعني مالظرف لمن وصاحب مالظرف انو قومندان ؟ . قاللي صاحب  
الظرف عباس باشا قائد جيش استحكامات ضيعة بولايير فوق .

قتلوا بالتركي : بيك افندي ! افكرتو تركي . ماشوف الاجاويني بالعربي  
تاري ابن عرب . فرجيتو الظرف قال رجعو برجوع . . طلاع بطلوع عالجبيل .  
في طريق بالجبيل . تاري طالع كل الجيش عالجبيل هنيك في استحكامات .  
خايف ليقوم البلغار يضرب .

طلعلنا لفوق لقينا بناء واحد مثل الصرايا يرأس الجبل بيت صغير ومدافع  
اسمها يرلي طوب بتدور عالسكة وتلت مدافع كبيرة وطويلة عالسكة بتدور .  
هون مركز حرب قديم افكرتني شلون ؟ مركز دفاع قديم . ايه . طلع الجيش  
التركي ياللي راجع تمركز وتحصن والفرقة اختلطت بهداك الجيش كسلو  
وانتصبت الشوادر بها لجال وقعدنا .

انا بدي بدي امن نفسي انا ومفرزتي لمن المخابرة تبغي بدما تكون لانو  
جيش ؟ لانو قومندان ؟ بدنا ناكل بدنا يعطونا اكل . اجينا لباب السرايا  
بعنا نفوت . النوبتشي قال : يسق ممنوع . حمار ماكان يفهم مني . وقفت  
والبغال تبعنا والعرباية واقفة هيه والجنود تحت المطر . . والماكينات .  
النتيجة ماشوف الا ظابط عما يفوت ويطلع «بيشروش» . اجيت لعندو بترجك  
تنبيني مالظرف لمن . تطلع هيك . . قال لعباس باشا . هوة جوة فوت .  
فت معو دغري لقينتك رجل شعر شايب ختيار كبير قال انتو مفرزة تلفراف .  
قتللو نعم حضرة الباشا .

قالو : نافر افندي . . . . . نده للضابط . انقدم باشا حضرة لاري ؟

قالو : حالا عطو من شادر وخيمة هدول مفرزة انا طالبها لمخابرات  
الجيش .

كنا نشوف بروس الجبال البعيدة البلغار . انا حضرت آلة هليوسطا  
( مخابرة لاسلكي ) . واحدة بعنتناها للمدرعة وواحدة عندنا . انا صرت خابر  
المدرعة . يعطوا امر للمدرعة اضربي من مسافة كذا فلان كذا نقطة عند البلغار  
.. نشوفها نحنا بالدرين بالناصور تطلع « الكلة » من المدرعة عالبلغار  
نشوفها فين تنزل يعني هادا اسمو اشغال .

ماشوف الا القائد هنيك عباس باشا عطاني امر قال انت بماانك مخابرة  
وبتعرف بتمديد الاسلاك بدك تنزل عالبحر .. بيتحضرك بابور صغير انت  
وخمس ست نفار بتاخدو معكن ديناميت وبتمشو بالبغاز حتى اذا طلعا  
عالبر منلاقي البلغار بالجبال . قال بدكن تروحوا تدفنوا الديناميت بالقلعة  
ياللي قاعدين فيها قواد البلغار . سرايا صغيرة . دائما بالاستحکامات بيلتقى  
بناء صغير بيقدو فيه القواد . النتيجة نزلنا بهالبحر واخذنا معنا ( منياتو )  
مشان اذا مدينا الخطوط من بعد ندفن الديناميت منربط شريط فيها لعندنا في  
دينامو منربطها بزر الدينامو ومنفتل الدولاب الصغير مابتلاقي الا قدحت نار .  
نزلنا بالبحر بالليل « بستيم بوت » مشينا بالبغاز هيك على حدود  
البر . نحنا بالبحر والبلغار بالجبال . قربنا شوية شوية سرقة بالليل .  
نزلنا بقي ستي اخدنا الشريط واخذنا الديناميت وصرنا نتلطي بالوديان .  
مشينا في اضية البلغار فوانيس ، والمركز فهمانينو تمام طلعا على مهلنا  
قريبين للاسكلة على مهلنا . صرنا نتلطي بالوديان وبالشجر حتى وصلنا  
لفوق تطلعا لقينا نوبتشي رايع جاية خفر مصلح قدام القلعة . استنتينا لحتى  
قفي لسورا القلعة يمشي ورا البنا قيمة ربع ساعة ولهناح نص ساعة  
استتقيناها ونحنما نرحف على بطناحتى وصلنا لطرف البنا لقرنة مابشوفنا  
منها حفرنا هالطراب شوية وعما نحكي وشوشة . ليس . حطينا هالديناميت  
وظمرناه وسحبنا الشريط وكشينا الموت عن كتافنا لوشافنا النوبتجي رحنا  
قتلي . ربطنا الشريط وصرنا نكر الشريط من الكركر معنا ( شريط « قابل »  
كوتشوك ) نزلنا دوغري عالباور الستيم بوت . اخدت معنا هالشغلة قيمة  
ساعتين ونص قريب يادن الصبح . اكدي النقطة . اي نعم . ونزلنا للباور .  
حطينا المياطو ربطنا بماكينة المياطو الشريط وفتلنا الدولاب وانو يطلع  
حس لغم اعوذ بالله طويل عريض قرقع البرية والبغاز . نحنا سمعنا وقلنا  
يالله شغل بعيد عن الساحل اشتغل الضرب من فوق البحر حسبو تعرض من  
البحر . ماصابني شي ونفدنا ونفدنا ونفدنا . دهلي عباس باشا بعد  
مارجعنا وقاللي : عفرم سان قبضاي .. عفرم انت عسكري قوي وعطاني تقدير  
عفرم وبعثلي امر تشكر هالمهمة :

« مهمتني تماما يا بطن تشكر ادرم » . اي نعم .

رجعنا قعدنا بيطلع عشر قيام تحت الخيمة باستحكامات بولاير فوق  
والدشمان قعد بعيد عنا اربع ساعات . يا ابي دشمان البلغار واليونان . عملنا  
بقي جبهة نحنا وهنة قدام بعضنا . كان اجوهن قعدو بتعرفي منين ؟ من  
ادرنة عشرتقيام وحتى وصلوا لشبه جزيرة غاليبولي . هي بتدخل فيها  
استنبول وشنق قلعة والبوغاز شنق قلعة وسد البحر وكليت البحر ( قفل  
البحر ) شغلة معنة !! كلو موجود بهالجزيرة هنك حاطين المفرعات ماحدا  
بيقدر يدخل من المدرعات والبوابير . . .

- يا ابي انو بوابير ١٩٠٠

- بوابير البحر . ماحدا بيغضر يدخل فاجوا هدول قعدوا . طالعنا قطعة  
لقدام من الجيش من بولاير ومنها خفرات لقدام وكمان البلغار قطعوا الاخرانية  
وفيه خفرات لقدام . وبها مسافة ما بين الجيشين اسسنا بين الخفر والخفر  
ساعة زمان . هون عملنا تلفونات اذا لقينا حركة من الجيش منعطي خبر لورا  
للجيش . ووزعنا الماكينات على غير قطع . ندهلي الباشا قال يا الله حضروا  
حالكن بدكن تمشوا مسافة خمس ست ساعات لبلد اسمها القواقلي بدك  
توصل الجيش ببعضو . ومن القواقلي صرنا ناسس مخابرة تانية لغير قطعة .  
الخلاصة قعدنا هنك مدة قيمة ست تشهر في فرقة العرب . واسسوا فرقة  
تانية اسمها ( مرتب فرقة ) هدون فرقتين كل فرقة تنا عشر الف مانشوف  
الا جاية انور باشا رئيس الاركان حرب حاكم الجيش ومحمود شوكت باشا  
وزير الحربية . اجوا زاروا القطعات كلها الموجودة بجزيرة غاليبولي بعدما زاروا  
القطعات ورتبوا « الفرقة مرتب » ورتبوا مع « فرقة العرب » وعطوا  
معاشين معاشين للجنود . كانوا يعطوا الجندي النفر مجيدي والامباشي  
مجيدي ونص . والشاويش مجيديين والباش شاويش مجيديين ونص .  
انا كنت باش شاويش يعني قائد مفرزة تلفراف . وعطوا امر بالتعرض  
عالبلغار .

تحضروا الفرقتين بالليل ومشيت السواري ( الخيالة ) قدام الكل ومشيو  
وراها الجنود والمدافع . هادا تعرض جيش مثل حكاية الاستعراض يعني هيك  
مشينا . الصبح بالليل مشي هالجيش كلو وقال الكريم خود امطار اعوذ  
بالله . وهنيك مافي حجر ، كلو احراش وطراب احمر . غرقنا بالمطر . . .

مطر على طول الخط ما فترت . وهالجندي ماشي عالحرب بدو يلتقي مع  
البلغار . وقتن شاف البلغار انو جيش ماشي بسدا يضرب المدافع وطلعت  
طياراتو . في غنود طيارات بتنزل قنابل بتحفرف قد هالصندوق . من همدك

الزمان عندو طيارات أي والله يابنتي • ضل جيشنا عم يطلع عالجبال تحت الضرب • لمن يقربوا المدفع مايعود يفيد صاروا يضربوا مترليوزات هيك لحتى بآخر النهار بقي سنتي وصلنا ، عيضة اعوذ بالله • ورجعنا البلغار واستلمنا جبخانات علو جبل ومشقيتها طواب مدافع • إي نعم • ترك المدافع ورجع هرب •

عسكرنا ما في انتظام فلتت المسألة ما بقى ظابط يعرف جنودو من كتر ماراح قتلى •

مدافعنا ما طلعت معنا لفوق •• جبال وطين • بدل ما نستعمل مدافعنا مسكروها العسكر ولحشوها عالوادي •• انو ربحوا •• فرحانين •• هرب البلغار !! تاري الديوس رجح حضر قسوة تانية من ورا وارقد اعوذ بالله • العسكر هنيكة في قرية صاروا يكمشوا الجاج بدهن ياكلو • النتيجة بدل ما يستعملو الجبخانات والمدافع فترت المسألة والتهوا بالاكل والجاج • رجح البلغار علينا هوة والعسكر ونزل فينا الضرب اعوذ بالله • رجعت العسكر ردت انكتت من الجبال عالسهول ونزل فينا شل • رجح من ارباعشرين الف جندي ميتين عسكري • كلو صفي بالارض • وهالميتين عسكري وصلوا لبولايير بدهن يلحقوا طريق غاليبولي ويهربوا مع المهاجرين • كان زكي بك العظمة قائد ببولايير ماسك الجبهة هوة وعباس باشا • صار الجندي ياللي بدو يرجع لغاليبولي ويستلم طريق غاليبولي بدهن يقوصوه • مد العسكر هالميتين نفر من البحر للبحر جندي بعد جندي بعد جندي ميتين نفر صهفهن بمسافة هالساعة زمان بين البحرين من هالنح البغاز البحر ومن هديك الناح ( كرفز ) جزيرة غاليبولي •

نمنا هديك الليلة بقلق مهول • نحنا رجعنا مع الميتين نفر • لعلا بكرة اشتغلت المخابرات مع استنبول بالليل • طوال الليل مخابرات مع انور باشا ومحمود شوكت باشا انو الجيش انكسر • بعرف صبح الصبح نحنا قاعدين عالي اسكلة غاليبولي منشونها •• تطلعنا لقنا قيمة اربعين بابور عسكر اجر بالليل من استنبول على اسكلة غاليبولي • ضلت العسكر جمعة تطلع من البحر واجت مدرعات مشان توقف بالبغاز مشان تحمي طلوع العسكر اذا تعرضلها البلغار • البلغار خافوا ما اجوا • تطلعت بقي سيدي خمسا وتلاتين اربعين بابور عسكر قيمة سباعشرين فرقة عسكر الجبال انتلت شوادر • وتركنت الجيوش بالجبال والاحراش قدام دشمان •

اي طلوعوا الطيارات كشفوا لقوا جيش عرمرم ما تعرضوا ضلوا قاعدين بارضهن حزري قديش قعدنا بعدن منها ست تشهر هالجيش قاعدة ونحنا بهالشوادر

والاحراش ست تشهر بدهن يعملوا تعرض ثاني • قضينا مدة ست تشهر تحت الثلج الشوادر كلها انطمرت بالثلج الجندي يطلع ربع ساعة بس اذا تأخر يروحوا يلاقوه يابس • الحرس ربع ساعة • كشفت الدنية من الثلج وصار وش الصيف قالوا « تعرض » وفزت هالجيش مثل ما فزت بالاول الصباح تمام • كلها كانت مخربة الشوادر • قلنا بدنا ناكلها يالطيب • بس جيوش عرمرم • سباعشرين فرقة عسكر كل فرقة عشر تناعشر الف قيمة مية مية وخمسين الف جندي • والقائد كان عباس وعموم الاركان حرب تبع الفرق كانوا عرب وفي منهن باشاوات عرب مثل سليم بك الجزائري ميرالي كان قائد فرقة اركان حرب • ومثل رضا بك الكناني كان بيمباشي اركان حرب تحت ايد قائد الفرقة • ومثل زكي بك العظمة كان قائد ( آلي ) اربع طوابير عسكر كل طابور الف • الخلاصة مشينا ضلينا ماشيين بهالبر حتى طلنا عالجال سبقتنا السواري كشفت البلغار لقتو هريان لقت الدشمان هريان • ضلينا ماشيين وراه نخط عشية ونفز على بكرة نلحقو • ننام بهالقرى بهالطريق ياللي كانت للسرور يايلى دبحو الاسلام • ورجعت المهاجرين معنا ولحقت الجيش وصار كل مين يروح لضيعتو لبلدو • كل ماشافوا جندي بلغاري مقصر يقتلوه يحرقوه • بعدين قاللهم القائد لاتحرقوا احدا ولا تحرقوا الضيع • ضلينا عشرتيام ماشيين على هالمعدل حتى وصلنا ادرنة • وصلنا ادرنة هذول سباعشرين فرقة فاتوا مسكوا الجبهة وكان وقتها آلي اكراد متطوعين اربعنا لاف سواري خيالة اجو وقتها مع فرقة العرب واجا متطوعين من الحجاز مع الامير فيصل بس هذولة مساكين مشيو قدام الكل راحوا ماتوا كلهم • هداك آلي الاكراد مشيو راحوا يفتحوا صوفيا عاصمة البلغار • وقام الانكليز اعترض وقتها وقاللهم وقفو • وقفوا وقعدنا بادرنه ست تشهر كمان وهنة يقولوا صلح صلح صلح متاركه (هدنة) يعني ما في حرب هدنة • وبيولاير عملنا هانتركه هه • بهالست تشهر بعدين ما اتفقوا مشينا عليهن • بقي كانت البلغار احتلت ادرنة صاروا اهل ادرنة يشكروا البلغار • انهن نضاف • بالحكومة في قانون نظام للنظافة وخدمة البلد كانوا يقولوا جماعة نظاميين • الخلاصة لمن قال الانكليز متاركة متاركة متاركة ضلينا ست تشهر بادرنه • اجا علينا نشتي هنريك اعوذ بالله ملعون • بعدين قالوا ( صلح إمظا لان مشتر ) يعني انمضا الصلح وقعوه • وقتها عملوا الحدود جسر مصطفى باشا ما بين البلغار وادرنة • اي نعم • والبلغار عطوهن قطعة منطقة اسمها فرق كليساكنيسا • يعني اربعين كنيسة • وقتها حجزوها من الاتراك وعطوهن ياما هيك رأي الانكليز وقتها • وصار الصلح • نحنا مركزنا بالطبع البلق تبعدنا مركزو الشام • قال انتو العسكر كلها ترخصت اخذو منها ( الصلاح ) وكلها فرقة العرب ياللي بقي منها • ركبونا ببابور اسمو اندنز بالبحر ونحن صغينا بلقنا مسلح بوسط البابور محافظة • في سبع

تالاف مترخص كل واحد أخذ تذكرة وصار سيويل . محافظة حتى مايصير  
خنايق . مشينا ستا عشر يوم ليل ونهار بالبحر . لحتى وصلنا اسكلة بيروت  
نحننا وهالجيش . اجت الاطباء بقى سيدي من بيروت بدهن يعملو فحص  
عالبابور ملوت عطو تقرير انو في مرض قوليرا مايجوز ينزلوا . قال لازم يرجع  
البابور لحيفا ويعملوا هنيك كرانتيينا . نحننا ستا عشر يوم طلعت روحنا ونحننا  
طول هالطريق عما نعالج بامة لا اله الا الله . الحنفيات كسروها بدو واحد  
ياخد مي قبل الثاني . والاكل بقسماط وعجوة . البقسماط كعك مدور يابس  
يعني مرقدة يابسة بما انهن مرخصين كل مين اخذ وعبا . نحننا عم  
نطبخ وناكل . العسكر مايقالها ارزاق كل مين عما ياكل من عبو مثل الحجاج .  
النتيجة بنتنا هديك الليلة باسكلة بيروت فزينا على بكرة مالاقينا حدا بالبابور  
منوب . اجت الفلايك بهالليل عبت وتهرب من البابور . يلحشو حالهن  
بالفلوكة على بكرة مابقى حدا . قالوا لكان بلق التلغراف لازم ينزل حضرونا  
مركز القومندان ببيروت - تابعة لتركيا - ترين مخصوص مشان العسكر  
والدواب والمعدات والماكينات . عبينا ومشينا بهالليل وصلنا لطلعة سرغايا  
هنيك طلوع ماشوف بهالليل وراسي انطرق وتكسر البللور شوفي؟! قال نطت  
الماكيئة وتلت فراكين عن الخط . وبرد . ضلينا بهالبرد لعلى بكرة . بحكمة  
الله من الامطار والتلوج هرولت صخرة من الجبل واجت بنص السكة والترين  
طالع موشايفها وانو يطرق فيها كسر عشرين عارضة من السكة . وطلعت  
الماكيئة وتلت فراكين . ضلينا لعلى بكرة بهالبرد . اجا ترين ثاني من  
الشام نقل العسكر البلق واجا ترين من بيروت ونقلوا فيه التليل والبغال  
لبيروت حتى صلحوا السكة ورد رجع للشام . رحنا للشام كتبولنا تذاكر من  
جديد ردوا كتبوا فيها ( بلقان محارب سي تذكر سي ) كل مين اخذ تذكرتو  
وفودسنا ٠٠٠ كل مين راح لبيتو لبلدو لضيعتو . نحننا فرعتنا ياللي خلصت  
مدتها ردوا عطوها تذاكر ترخيص انو خلصت عسكريتو . قعدنا قيمة ست  
تشهر بالشام ماشوف الااعلن الحرب العامة الاولى وقالوا ياللي مايبسلم نفسه  
بارباعشرين ساعة رميا بالرصاص . ونحننا بما انو ( تلغراف بلق موجودو )  
بدو يصير كبير بدل مية وخمسين جندي بدو يصير الف . عطت امر الموشيرية  
انو كل اللي استبدلوا بتلغراف بلق يرجعوا للبلق بزاتو . رجعنا للبلق بزاتو .  
ضلينا قاعدين بالبلق قيمة شهرين ثلاثة وكان محلو بطريق الصالحية مطرح  
نادي الضباط هلا . وبسراية الموشيرية عما يدبحوا خواريف ويشعلوا النار  
ويقلوا الخواريف بالدهن بالحلل حتى يساواوا قاورمة يابسة ويعبوا حتى  
يطعموها للعسكر بالحرب .

تعدنا بالشام قيمة ست تشهر . رجعت لصنعة الحرير مسدي بالحرير .  
اي نعم . وانا عم باشتغل بالصنعة سكنا وقتها بالبطنجية عند باب الجابية  
بيت ابو الشامات انا وامي وجوز امي . تضمانى عندو محمص وولاد تنين  
بيشتغلوا معو . محمصو بالشاغور . هوة من باب السلام . انا استاجرت  
البيت من ابو الشامات كل شهر بليرة ذهب . جرت معي مسالة ما شوف الا  
اعلنوا من الحكومة بطلب بوالليس بيعرفو بمصلحة التلفون . انا بالطبع  
اشتغلت ست سنين ببلق التلفون وتلغراف يعرف مالصنعة تماما .  
تمديد الخطوط وماشابه ذلك . يعرف مخابرة هليوسطا مخابرة اليكترىك  
ومخابرة تلفون .

قدمت استدعا بطلب استخدامى بدائرة الديوليس وفرجيتهن تذكرة  
عسكريتي انو انا من حرب البلقان ( وحرب جبل الدروز قبل البلقان وطوشة  
الكرك قبل البلقان ) عصي جبل الدروز وقتها على تركيا واجا سامي باشا  
ومعو تلت طوابير لتأديب جبل الدروز وبعد ما اصطح جبل الدروز وبعدما  
شنقوا المشايخ كمشهن سامي باشا واحتل جبل الدروز . واجينا للشام  
طاشت الكرك . العربان حرقوا الكرك وقتها فرضوا عليهم جنديّة وطلع عبد  
الرحمن باشا والايوبي والباشاوات مشان ينصحوا الكرك وقاموا  
بمحطة المسمية هجمت عليهم العربان وقتلت عبد الرحمن باشا وقتلت كم  
واحد من الباشاوات . اي نعم . وهرب الباشا الايوبي وقتها . لبس بدوي  
وهربتو الكنجية التجار بعدن منها نفذ من القتل . وكان قائد حملة الكرك  
قومندان اربع طوابير سوارى . الكحالة كان وقتها قائمقام . واجا امر لبلقنا  
انسو يلتحق بالكرك لتمديد الخطوط من محطة القطرانة للكرك .  
محطة ترين مشان يتصل الجيش بالسكة بالترين . في قوة بالقطرانة وطلعت  
القوة . ويعرف دخلنا الكرك لقينا الكرك مو باقى فيها لاسقف ولاشباك  
وعموم الاهالي بالمامورين بالعسكر الموجودين محاصرين بالقلعة حاصرتهن  
البدو . البدو حرقوا الكرك واخذوا النسوان . انتهت الكرك رجعنا عالشام .

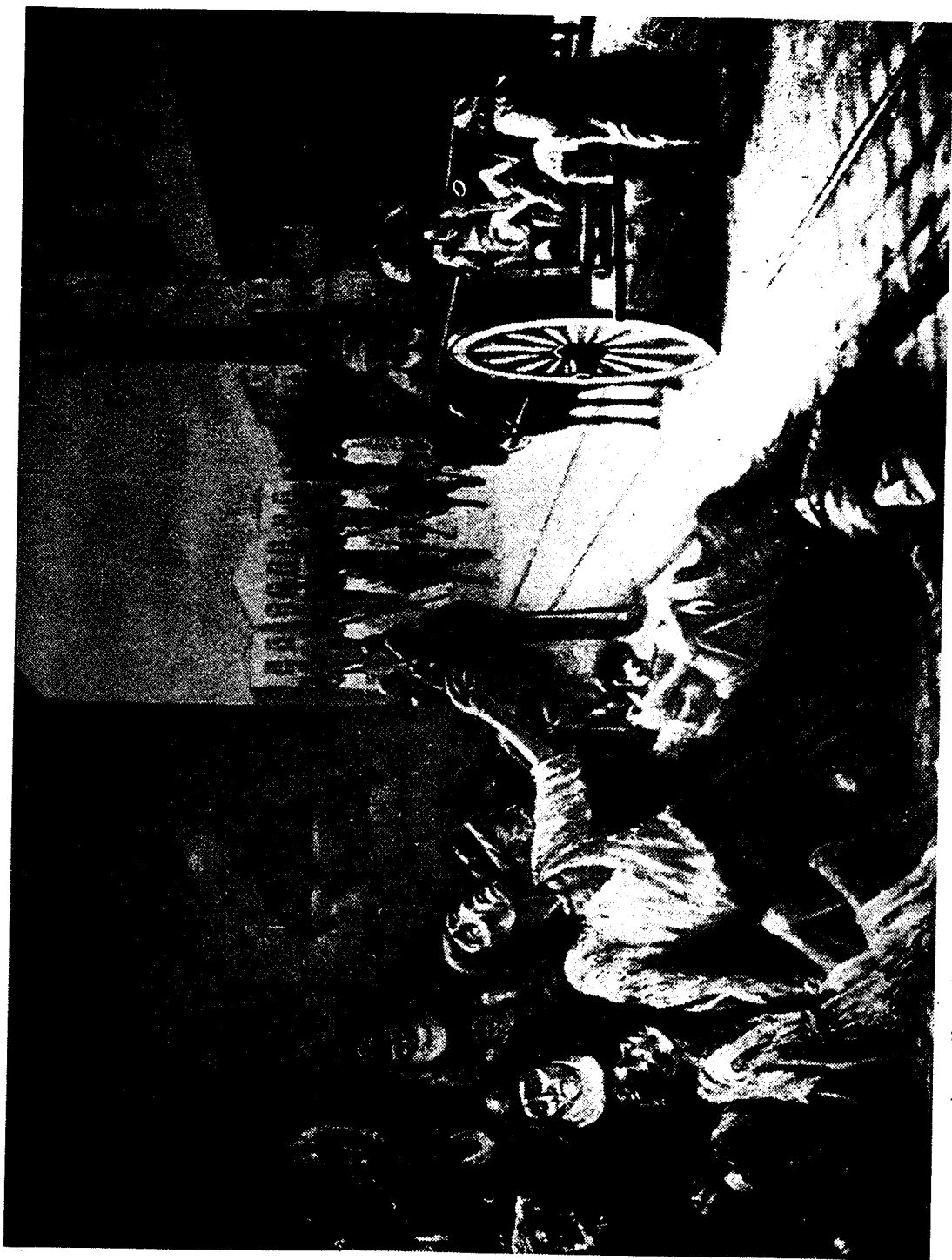


# الحرب العامة الأولى

بعد ست تشهر تمام من بعد حرب البلقان مانسوف الا اعلنت الحرب العامة الاولى .

بيرجع مرجوعنا لوظيفة الشرطة . وقتن اعلنت الحكومة مشان الشرطة قدمت استدعا وكان مدير شرطة الاتراك عزيز بك . قدمنالو استدعا قال مقبولة عطينا ورقة نفوسك . بقي اجينا لورقة النفوس . كان تولدي ٣٠٦ رومي . ساوا مجلس القرعة ٣٠٣ رومي وأخدوني «لايقبلا» عالعسكرية . ومجلس القرعة ماعطا تقرير لدائرة النفوس بانو صححنا تولدو . بقي تولدي بالنفوس ٣٠٦ رومي وبالعسكرية ٣٠٣ رومي . كان تاريخ الحكومة التركية قريب للعربي . انا لمن شفت بتذكرة العسكرية ٣٠٣ تولدي واضح وبورقة النفوس ٣٠٦ واضح شو بدي ساوي . قلت والله لحكها . رح بعمل : «سخطة» . رحنا لعند واحد بدائرة النفوس . صححنا ياها !! قال بدما وقت . قاللي عقلي ساويها ٣٠٦ لحالك ياولد مادام ورقة عسكرية مايبينتهو . قدمنا ورقة النفوس محكوكة لمدير الشرطة . قام صفن فيها . . . . قال : هي اظن محكوكة الاكثر تبدلا . طالع ورقة جديدة المهله عشر تيام . طالعت ورقة جديدة طلعت ستة . اجيت لمدير البوليس . قال وين العتيقة . ليكا . قال هي سخطة لف التنتين مع الاضبارة وبعنتني عالعديلية محفوظا . سلمني . حظوني بالفقفس الدنية المسا وشر البوليس ومشي . قريب المغرب رح يصير الدنية عشية قلت الله يلعن الوظيفة ويلعن يومها . كان ابن عمتي عزت بك الاستاذ عضو بمحكمة الجزا . قلت على بكرة منقول لابن عمتي مندبرها . مرق ابوه لعزات . . . اسعد افندي صهري جوز اختي كان مباشر بالمحكمة . ندهتلو اجا . لك شو جابك لهون قتلو القضية كذا كذا . راح عمل سند كفالة وطالعني . حاكموني الخلاصة سألني رئيس المحكمة منو ساواها . قتلو والله المسالة كذا كذا . رحنت لدائرة النفوس في الي صاحب اسمو كامل افندي صحطي ياها . قال حكها .

حالكون كذب . وهالزلة كان عامل سخطات كتير وهريان لمصر . عملوا منع محاكمة . تبرينا انا تبريت من هون وانا ماعاد بدي شي لا وظيفة ولا شرطة قرفت رجعت لصنعتي مسدي حرير .



الفنان سعيد تميم - دمشق

مخاض السفربرك في دمشق

Vertical line on the right side of the page.

لمن اعلن الحرب العامة الاولى طلبوني صرت عسكري . اتقيدينا بنفس  
البلق تلغراف تبعنا وصرنا ناخذ تعيين كل يوم تلت ترغفة والبلق عم يطبخ  
بك تما كول مابك روح لبيتك . وبتت الحكومة تحضر تنكات وتدبح غنم  
وتعمل قاورمة « بالصرايا » ضلت اكثر من شهر تدبح غنم وتساي قاورمة  
وتعبي بالتتك وتحضر صناديق عجوة .

بهذاك الحرب اتفق الالمان والاتراك . والانكليز قالها لتركيا عدي عالحياد  
لاتدخل مع المانيا ونحن منعطيكي حصتك وخدي مصاري قد مابك . رفضت  
تركيا الا بدما تحارب مع المانيا . الخلاصة ما في الا يحضروا جمال يجيبوا  
من هالبادية جمال ويحضروها .

ايه الخلاصة . مشينا على فلسطين هيك عالناصره وحيفا وهديك الجهات  
وجبل الكرمل وتل الشام . يعني من هون راحت عالحرب « فرقة العرب »  
فرقة عسكر . قعدنا مع الجيش بالناصره لحتى التم الجيش . قالوا حركة .  
يا الله على صحراء سينا بدنا نفتح مصر مشان يخفوا الضغط عن بوغاز شنق  
قلعة من المدرعات الحربية الانكليزية والحكومات المتفقة معها . بدهن  
يتعرضوا لمصر . مشينا هيك على بير السبع . من بير السبع على حفيرة  
العوجة آخر اليابسة . بعدن منها رمال صحراء التيه كل يوم نمشي ١٨ ساعة .  
نحط بالليل ونفز الصبح نمشي . ومعنا طابور استحكام ( الف زلة ) قائده  
المانى يحفر آبار بالطريق مشان الجيش . مشان المي عملي شونات مراكز .  
مشان الارزاق وتنكات القاورمة والقورما والعجوة والمي كان يحمل الجمل تمن  
تنكات مي . لكل جندي يعطونا المي بالوزن وننفة عجوة وتلت بقسماطات كل  
يوم . وكل عسكري معو مطرة يعبولو ياها . هي هية . نبعث المكارة والذواب  
للمركز يعبو مي بالضرورة بالتنكات نجيب ارزاق .

نحننا حملتنا فرقة عسكر يعني عشرين سباعشرين الف . القائد كان  
اسمو الدالي فؤاد رتبتو لواء باشا الدالي فؤاد . هوة القائد على هالحملة  
كلها وكان تعرضنا من نص الصحرا عالسماعيلية وفي جيوش غيرنا عالمين  
وعالشمال . الصحرا عريضة ارباوعشرين ساعة . والترعة طولها ٢٤ ساعة  
جيوش قسموها شي من ناح اليمين شي من ناح الشمال نحننا جيشنا من نص  
الصحرا . وقبل ما نطلع من الشام كنا مصطنعين فلما من توتية اسمها  
طنبازات بهذاك الزمان . طول الواحدة خمساوعشرين متر واكبر . وساوولا  
عربيات عريضة على قدما وطبوها عالعربية طب . هدول الطنبازات رايعين  
معنا خمساوتلاتين واحدة عم نتماون بجرمن العسكر والبقر البغل مايمشي .  
كان كل حركتنا جمال مية الف جمل بهالتعرض هاد . الجمال اكثر من

العسكر • تعلمو عالطنبازات ببحرة المليحة ينصبوا جسر عالمليحة ويحفروا آبار ويساووا جسورا • هادا القومندان الالمانى هي صنعتو موظف خاص كان عندو الف عسكري يسبقوا الجيش لقدام • الجيش يستريح يومين لبين ما يحفروا آبار لقدام • هنة يحفروا البيارة وينظموا الجيش ينتقل لعند البيارة لحتى امنوا السفره بهاالصورة وهالطنبازات مطبوبة وعماييسحبوها بهالرمل وحاطين ضيان عريض حديد عالحولاب شيت العرباية عرض نص ضراع مشان اذا مشي عالرمل مايغرز كان الطنبازة ثقيلة •

ضلينا قيمة ستين يوم والله نمشي تمنقاعشر ساعة وننام ونفز الصبح ونمشي وعلى هالبقسماط والعجوة والمي مالحة مية بحر • كان كانت هالصحرا بحر مافي جبل • النتيجة وصلنا لنص الصحرا بهديك الجبال في جبل اسمو جبل الجفجافة بهديك الرمال مافي غيرو • امروني انا وعشر تفار من بلقنا انو نروح للجبل مشان نأمن مخابرات الجيش • اوامر ليطلب جبخانه من بير السبع ارزاق • جيش بدو مخابرات هليوسطا بالليل بتمشي عالضو بالنهار بتمشي عالشمس • ضلينا قيمة عشرين ثلاثين يوم لبين ماقطع الجيش وبعد مامشي لقدام انتقلنا مع الجيش محل اسمو « المحدس » (المحدث) هادا آخر محطة الترة قريب للترعة قيمة مسافة عشر ساعات • صرنا نخابر الجيش • انتقلنا مشينا صرنا على حافة القنال قريب من القنال قيمة تلت ساعات • حطينا ماكينسة هليوسطا صرنا نخابر لورا للمحدث مركز شونا مشان ارزاق ماء للجيش لانو فيه جمع ماء • واجا جمال باشا الكبير وقتها نصب تلت شوادر وتعد على كنار هالماء مشان يراقب الجيش •

الخلاصة جمال باشا رجع ونحنا مشينا مع الجيش لحد الترة • بجبال الرمال حفروا استحكامات العسكر وقعدوا بدهن يتعرضوا عالترعة قعدنا تلت تيام هنيك • بعد تلت تيام امروا بالتعرض بالمشي عالترعة لينا دشروا الاستحكامات براس القنال ونزلوا ضوغري عالترعة ومعهن الطنبازات مشان نصب الطنبازات وفوق منها خشب وحديد بيعملو جسر • وصلنا للترعة بالليل • سكوت عالنصت • لاحدا بيشر بسيكاره ولاحدا بيحكى والرمل مايبينسمع حدا عم يمشي عليها الارض كلا رمل • مانشوف الا اجا الالمانى • نزلوا الطنبازتين حطوهن بالبحر تلوا الواحدة عسكر واخدها الالمانى ومشي بالترعة • نحنا عما نعبي الثانية عسكر • راح غاب لتاني جهة قيمة ساعة زمان ورجع بهالليل سكوت • أخذ طنبازة تانية حط الفاضية واخذ الملائنة • رد رجح حط الفاضية واخذ الملائنة وعلى هالمعدل وزع بتاني طرف الترة ميتين وخمسين جندي • اذا كان بدهن ينصبوا الجسر لازم يكون في قوة اذا حدا طلع لازم يدافعوا عنو • بالطنبازة الساتة اخدها ومشي وصلوا لنص المي • انا

حافر جورة انا والتلفون والخطوط ممدودة عالرمال مشان نخابر الخلف . قال القائد خابر للشام انو فتحنا الترة . ضربنا تلغراف راح التلغراف بدو يبتقل حتى يصل للشام . قامت زينت الشام وصارت عراضات انو فتحنا الترة هوة التلغراف راح اي نعمم وكانت سانت طنبازة ماشية بالبحر . وفجأة قامت القيامة اعوذ بالله . طلع علينا رشاش يعني من فوق الالف رشاش ما منعرف منين عم يطلعوا صارت مية الترة تبتقبق مثل كانها مي وعم تغلي ياللي هنيك صاروا يقوصوا ماعدنا عرفنا شو صار فيهن وياللي بالبحر انبختت الطنبازة وغرقت وياللي سبج رجع وياللي مابيعرف يسبج اختنق . الالمانى سبج لحش حالو بالبحر ورجع . اجا امر للعسكر انو لحقو تبات الرمل . الاستحكامات ياللي كنتو فيها قبل ما يطلع الضو والا بيروح الجيش كلو . واشتغل الركيد . في استحكامات بتبات الرمل صبحنا الصبح تطلعنا لقينا اعوذ بالله بالترعة سبج مدرعات مصفوفين مثل السمك . وطلعت الطيارات علينا وصاروا يضربوا كلل من البواخر . وكل مدرعة فيها خمسا وتلاتين مدفع ، الكلة طولي . تنزل عنا تحفر شي يطق وشي ما يطق . ونحننا قاعدين تحت الضرب . انا نصبت الماكينات وصرت خابر لورا صرت خابر المحدث وما لادافع عم تشتغل فينا .

#### تطلع الكلة من الترة وتجي علينا .

ايه نهارها طلع النهار معدنا . لك اي بعرف الجيش الو حركة . تبات رمل قدامنا مافي حركة . مافي الا صناديق جبخانه ملحوشة . تاري الجيش مع وصلتو كتب للقطعة تبعو حتى تعمل حركة . وبعقولنا عسكري لحتى نعمل حركة نحنا الرخار . انا نهارا قاعد ماحدا وصل لعندنا . تاري الجيش عمل حركة بالليل وبعقلنا زلة تاري الزلة تاه ولحق الجيش وتركنا . نحنا عشر تنفس معنا عدد وماكينات وتلت جمال وعما نخابر الخلف . هالديوس ياللي بعقولنا ياه ماوصل . تاري الجيش مشي ومشى معهن .

انا بعث المكارة مشان يجيبولنا مي من المحدث راحوا مارجمو . لك صفينا بلا مي وبلا اكل هيك لعشبة . عشبة عما طلع ماحدا مابين مافي حركة شعلنا نار صار برد حفرنا جورة بها الرمل . قتلنو لواحد وصال جبلنا كم صندوق جبخانه . وانا قاعد عم انتظر المي والاكل وناموا الولاد وحطيت البارودة قدامي وقعدت نوبتجي ماشوف الا من تبة رمل بعيدة شخصين عما يبينو ويخطو . العمى . فزيت على حيلي وقفت ماشوف الا طلوعوا . . ونزلوا من تبة الرمل وطلعوا لعنا .

بدو كما مهن عراض كانهن مصاروة . قال شلون ان شاء الله موفقين .  
 عما اتجهور قتلنو الجيش بمصر . قال الله يوفق الله يوفق . تاري العرصات  
 جواسيس . شو جابكن لهون . قال والله نحنا مندفن صناديق عجرة بها الجبل .  
 اجينا مالا تيناها . من أنو ديرة قال من ديرة شمال . خاطرك . قال  
 بدهن سيكاره مامي . نزل اسعد عما يرعى تلت جمال شايغو ماشوفهن الاطلعوا  
 من عندهن . ليقوموا يشلحوه الجمال . حملت فلنطة البارودة وديكتتها سبع  
 ضروب قاللي عقلي منلدعهن . بسطوا عندو بعدين مشيو . بعد ما اجا اسعد .  
 منوه دول قال تين معهن بواريد . تاري قبل ما يطلعوا لعندي دفنو بواريدهن بالرمل  
 صارت الدنيا مسا والبرية كانه . وقلت هدول مخبايين من المدافع . حفرنا  
 جورة صار برد . كسرنا الصناديق وشعلناهن . ونحن عما نخفا ماشوف  
 الا فتح ضو هليوسطا من الخلف . اجا النوبتجي قال مخابرة . فزيت فتحت  
 عليه سالتو شو اسمك ؟ قال اسمي احمد . احمد انا بعرفو مع الجيش . وين  
 المحدث تمن ساعات لورا . لك شوهاد لاتلعب احمد . منو انت . احمد لك  
 شو جابك لهنيك . قاللي ما عندك خبر . بعتنا لك خبر الجيش رجع من مبارح  
 ونحن اليوم بالمحدث خبروني بالليل بعد المغرب وهي تلفراف من القومندان  
 عما يقولك عميل حركة حالا مع المعدات . قتلنو اي طيب خليك فاتح الضو  
 حتى استهدي عليه وامشي ناحك . وانا حسبت حساب الجواسيس يطلعوا  
 علينا ما بقى حدا غيرنا . جيش عمرم رجع .

وتاري الجيش بالليل مشي وضاع عن الطريق وضل ماشي لتاني يوم  
 على بكرة والجيش مثل الميت .

لك انا شلون بدي اعمل حركة . جيش تاه ومعو دللة ( ادلاء ) . اسعد  
 قال بعرف الطريق مقاطعة بدنا ننزل ناح القرعة قيمة عشر دقائق بعدين  
 بدنا ناخذ طريق الدوس تبع الجمال . وفي مدافع وبيضل اثر لو طلعت زوية .  
 قتلنو اسعد من هون الطريق . اسعد قال من هالتبة بطلع بساعتين منوصل .  
 لك يا اسعد لنقوم نضبح !! قال انا ابن بر . والله قولي سقنا هالجمال وقلنا  
 على بركات الله . نحنا معنا عشر بواريد كل واحد معو ثلاثميت ضرب فشك  
 ومامنا لقمة بقسماط انا قوام طفيت النار . حطيت صاج الخبز فوق النار  
 انظفت قلت قوموا يا الله الجيش مشي . اجتهن النخوة . حمل عشر جمال  
 حملناه على تلت جمال . قلنا لو امشي لاسعد توكل على الله . ما في الا نطلع  
 تبة رمل وننزل تبة رمل . ولك وين الطريق اسعد يقول قدام قدام . ولك  
 وين قدام . قال والله يا اخي ضعت . بقولتو ضعت رايح ناولو فشكة ضيعو .  
 صحراء التيها مامها ملعبة . ونحن جايين القرعة تلت قوال جمال كل قول  
 تسعين جمل مع عسكري ورازقهم وضباطهن ضاعوا بالصحرا وضاعوا وضاعوا

وضاعوا . اجت عليهن زوبعة طمرتھن . قتلوا يخرب بيتك شلون نحابدنا نوصل .  
 لو استلمنا طريق الدوس كنا على كل هلا وصلنا . مشينا ونحنا ماشيين  
 برك اول جمل . تشو . . قوم . . فز . . مابقي يفز . قمنا الغراض حملناها  
 عالجملين . مشينا برك الثاني . ونحنا لسه مااجتمعنا بالطريق . بعد نص  
 الليل بدو يطلع علينا النهار وتقدح الشمس ونموت عطش . تشو . . تشو . .  
 الجمل الثاني مابيفز . قمنا حملنا هالغراض عالجمل الثالث وجربان وضعيف .  
 تشو تشو . . الله قواه الظاهر فز مشي . شديناه من دنبو عاوناه رفعنا  
 رسنو فز وقف وقف لاكن بدنا الطريق . ماشي . . لاكن ماشي على عيوني كل مالي  
 عما غمق بالصحرا . والبورجكتورات عما تضرب علينا من القنال . خفت  
 لروح ناح القنال بصير بايد دشمان . اني كنت اعرف شلون بدني امشي  
 بقينا كل واحد ماسك قلبو بايدو على بكرة بدو يموت . ونحنا عما نبسمل  
 باسم الله الله الله . . ماشفلك الا والطريق طلح قدامنا نزلنا من التبة .  
 رجعت حياة عشرتنفس . قتلهن بركو الجمل . عنا درادير خبز طعمينا ياهن  
 مع مي بلعهن . ريحناه شوية اخدنا نفس . كانت الساعة تنتن ونص بعد  
 نص ليل . بس قلبي مطمئن وصرنا نغني موالات وميتين من جوعنا . ليس .  
 فزونا الجمل تشو تشو الله عانو فز وقف وعليه كل الحمل . مشينا عالطريق  
 تطلعت لقيت كل مالنا عما ننحرف من مشقيت الترة وطوال مالنا ماشيين  
 جمال عم تبصبع بوع بوع باركين عطشانين . يعني ليلة وحشة مالانظير ابداء .  
 الجمال عما تبصبع بصحراء التيه تاركينها باركة ونحنا ماشيين خيال .  
 ضلينا ماشيين للصبح . الصبح بين علينا سراجات الجيش . بدنا ندخل  
 شافو خيالنا وسمعوا حسنا خفرات خايفين خمونا دشمان وقف . . ماصدقوا  
 حتى اجا واحد مع مترليوز حط بيل بوشنا فهمنا انو نحنا تلفراف . فتننا  
 لقينا العسكر بالسطيح عالرمال . قال هلا وصلنا ضعنا يومين بالرمل نحنا  
 والدلة . ليس . طلبني القومندان . رحنا لعندو . تطلع فيني قالي شلون  
 وصلتو شو اخركن . قتلوا ياللي اخرنا ماحدا عطانا خبر . قال شلون قدرت  
 تصل . قتلوا الله وصلني . قضيتنا كذا كذا قال سبحان الله جيش طويل  
 عريض ضاع .

بعرف ساوالي كاسة شاي بتسوى ليرة ذهب وعطاني كعكة من الشام  
 قالي نفدت حالك والجنود وماكينات مخابرات الجيش . قتلوا الله ساعد  
 الجمل لازم نخدمو . رأسا امر بقطران دهنوه الجنود بقطران وحطولوا علف  
 اكل اكل لشبع . ( واختنق هنا صوت أبي بدموع الشيخوخة التي تعبر عن  
 فرح شبابه من أجل مكافأة القومندان للجمل المريض الشجاع . . واختنقت  
 دموع في حلقي وحلق القلم ، وسأظل أبكي كأبي كلما قرأت كلامه عن الجمل) .



والله خدمنا وحتى وصلنا للسبع . مشينا . ننام عشية ونفز على بكرة .  
مي ناخذ من الآبار مابقى . . اكل بدهن اكل . . بدهن لحم . . بيخشوا فخذ  
الجمل وهوة طيب قاعد عما بيعبع وعما ينحفر فخذو تاركينو بالارض . صرنا  
ناكل من لحم الجمال وهية طيبة ، نحطو بالشيح بها النار ونبلع كل شقفة  
بشقفتها . يالله قيم يوم جيب يوم قيم يوم جيب يوم وصلنا لحفيرة العوجة  
مثل اشقياء عجلون دقني وصلت لزناري يالطيب على هديك الحالة . بحفيرة  
العوجة في آبار . العسكر استهدت عالآبار صاروا ياكلو ويشربو . في شادر  
عتيق نصبتو وسخنت تنكتين مي وحلقت شعري وراسي وصدري بالموس  
قمل عما ييدي دبي فينا مثل النمل اعوذ بالله . بعرف عملت حمام بهالنتنكة  
ماعمرى دقت مثل هداك الحمام بعمرى . ضليت نايم بالشادر عالكليسم  
خمساعشر ساعة .

فعدنا بيطلع جمعة . استراحت العسكر . مانشوف الا طلق  
رصاص طلع . لحقو طلق . مانشوف الا اجا الدشمان . تاري فلتت معو رصاصه  
لحقو الثاني والثالث لبعده ساعتين حتى فهمنا انو مو العدو الدشمان  
غلط من الجيش . رصاصه فلتت بالفظ من واحد من عساكرنا . رجعنا بعن  
منها هيك لبيرالسبع . وحفيرة العوجة بلد طويلة عريضة قد الشام . صارت  
خرابة اثارا مبينة . آخر الرمل نزلنا على بير السبع . من بير السبع هيك  
ضلينا شاحطين للناصره .

فعدنا بالناصره قيمة سنة زمان ونصبت وقتها مخابرات ماين بالناصره  
والبحر بجبال الكرمل . حطيت ماكينة بجبل الكرمل بدير المحرقة طلعت مفرزة  
تخابر من الناصره للجيش ياللي حارس البحر . هداك كان درك . كانوا  
يخافوا من البحر كانت تجي مدرعات فرنساوية توقف بعيد وتطلع منها  
طائرات تجي تضرب الجيش على كفسار البحر وبالكرمل والناصره . مشان  
هالمراقبة بعنونا مفرزة لجبل الكرمل عالي بيطل عالبحر وعلى مرج ابن عامر  
لحد الناصره .

صرنا ناخذ من القومندان تبع الساحل تقارير نعطيها للناصره . وقتن  
تطلع طائرة يعطينا خبر ونحن نعطي خبر للناصره والناصره تعطينا نعطي  
لداية الكرمل . وفي فرن برات الدير . قلعنا الرهبان . عطاني امر قال بتستلم  
الدير وبتطالع الرهبان باشيائهن الذاتية كانهن فرنساوية . فتنا لهالدير  
فرشات صوف وذخيرة وخمر ونبيت ومونة مية بندورة وجوز . وفوق  
بضهر الجبل مزرعة بطاطا وجاج وطيور ويط وصرنا ناكل وانبسطنا . قعدت  
بيطلع اكثر من سنة ونص وكان في بينا وبين الشام امانات ومكاتب .

بمدين اجا امر نلتحق للناصره . والناصره عطاوا امر بالليل بقى . . .  
 جهزوا الجيش على بير السبع . طلع الجيش كان قائد الجيش عصمت اينونو .  
 وبجبهه غزة عالبحر قومندان الجيوش كان فونكرس باشا ألماني وكل جيوش  
 فلسطين تابعة إلو . نحنا كنا ببير السبع مع اينونو . الانكليز حشدمدراعاتو  
 على جبهة غزة خمساوتلاتين مدرعة ورااد انو يطالع جنود عالبحر ويحتل جبهة  
 غزة كان فيها سبع استحكامات والجبهة كانت قوية هنيك . اي نعم . الانكليز  
 اعتمد على انو يعمل ( بومبار دومان ) يعني انو يضرب الجبهة بالمدرعات  
 مشان يخرب الاستحكامات بدو يتعرض على جبهة غزة . نحنا نشوف البحر  
 من عندنا يلمع . تلمع المدافع مثل ضو الليل مليون لمعة . تطلع المدافع سوا .  
 تغتر دقيقة ماتلاقي الا ب ب ب على جبهة غزة جمعة ليل مع نهار ماهدي  
 الضرب بمدين طالع جنود . من بعد ما ضرب هالضرب القوي طالع جنود . هادا  
 عدا عن الطيارات بالنهار . النتيجة . الجبهة قوية طلع الجيش الانكليزي قوي  
 واما تعينو المدافع والطيارات . مشي أخذ أول استحكام وتاني وتالت ورابع  
 وخامس . صفي استحكامين . يعني صدف جوعانة العسكر . جندي من  
 جنود الاتراك ضرب جندي انكليزي قتلو بهاالليل . من جوعو اخذ الطربة شبيت  
 الاكل وشلحو البصطار والواعي وصار عسكري انكليزي . لك شو هاد . قال  
 قتلنو من جوعي . من هالزلة هاد رجعت قوة العسكر من الجوع عالانكليز . بهاالليلة  
 دبحو تناعشر الف عسكري انكليزي . كان الجيش التركي حافي وبالقرعة  
 صبح انكليزي . شلحو من وصفيو بالزلط . بدو يدفا العسكري وكل واحد  
 معو طربة اكل لحم وقضامة وبقسماط . طلعت الطيارات تاني مرة والانكليز  
 طلعو من البحر لقوا كل العسكر سطيح . وقتا كتبوا لفونكرس باشا . رموا  
 خطاب مناشير لفونكرس باشا : لو اعلمتنا موجود عسكرك لبعثنا لك الهن  
 اكل ولبس احسن ماتشلحو الموتى . وهددوا وقالوا سوف ننتقم بس عطينا  
 مهلة حتى نرجع الموتى للبحر . عطا من مهلة والله لولا هالجندي راحت الجبهة  
 وراحت فلسطين من هداك الوقت . الخلاصة طلعت بقى سيدي هيئة الصحة  
 الانكليزية صارت تلم هالموتى بالسيارات عالبحر . نضفوا الجبهة .

ركنت هديك الجبهة مابقي حرب . صفي الحرب هلا تينية عما نحافظ  
 عالسبع . طلع الانكليز ماعاد عمل حرب ، شغل ميت الف عسكري مصري عامل  
 ومد خطين حديد من مصر لجبهة غزة . واحد رايح واحد جاية . وعلى طرفهن  
 خراطيم مي من بحر النيل سنة كاملة . اي نعم .

نحنا بمدة هالسنة سنة ونص كنا كل ليلة نعطي تقارير لجبهة السبع  
 انو في عدو لقينا دورية عدو . لقينا العدو عما يتلصلص بكذا نقطة . هادا  
 ( احانص ) اسمو على خطة الحرب . مضت الايام الى أن ليلة من الليالي

كثرت التقارير • عما يقولوا عما نسمع حس الدشمان قريب كثير • طلح عصمت اينونو خابر فونكرس باشا قاللو الدشمان ناوي التمرض والقوة مو كافية بجنا امدادات • يجاوبو امدادات مايفي على كل حافظوا عالجبهة •

بدو عسكر كمان مايبعتلو • ليلتها كثرت ( الرابورات ) يقولو بجنا قوة يقولو ( حربا دوام ) خليكن ثابتين عال حرب مايفي قوة • خابروه ليلتها صارت تصل التقارير عندنا بالمية خمسين تلف بينا وبين العدو • ليلتها هجم علينا الانكليز متعرض • يقولهن حربا دوام • حضروا الجبهة طالعوا الجبخانة بس لاتضربو • بعدين على بكرة قالولهن اضربوا طلعت الطيارات واشتغلت المدافع • لقينا جيش عرمرم امام جببة السبع انكليزي • ضرب حوقة جببة السبع وجبال السبع وعما يطلع عليها • والضرب عم يشتغل من عندنا وهوة بالطيارات وبالمدافع • قالولو بالمية سبعين تلف • قاللهن حربا دوام • ضلت الجبهة عما تحارب هيك لبعده العصر مثل هلا • انا نزلت عطا امر بحريق الارزاق كلها • كثر عليها زيت كاز وحرقوها • قالوا احرقوا ( الاغزلق ) • الاثقال بعقولهن سيارات كبيرة المانية صارت تحمل وترجع لورا • تقطعت المخابرات والاتصالات مع الجبهة • اجا مظروف • اي نم • بعتهاه مع الخيالة اعوذ بالله والمدافع عما يضرب والكللة نازلة فوق السبع وبعده السبع صفينا وسط اتون نار • ابي بطارية مدافع باحد الجبال ( بطارية باربع مدافع ) عطوا امر تضرب • ضربت اول ضرب • ومدافع الانكليز والطيارات محوا هديك القرنة بساعة واحدة • تقطعت المخابرات بين القوة ياللي بالسبع وعصمت اينونو وبين الجبهة • كتبوا مظروف وبعتهاه مع خيالة امر لموموم القطعات ضلو عما تحاربو لبعده المغرب وبعده المغرب انسحبوا ليلا من الجبهة • ماشوف الانزل اركان حرب عصمت اينونو وعصمت اينونو راكبين على حصانين ومشيو بقلب سوق السبع ياللي عم يشعل عالطرفين • حرقيه وضربوا الابار وحرقوا المستودعات وحرقوا الحنطة ياللي علو جبل الصالحية كلها الكياس بقدر بقللك قد الملعب البلدي تشعل فيها النيران • بقي انا نزلت مايقى مخابرات • السنترال تقطع ونزوت لارض السرايا عماطلع على هالحالة وعلى بير السبع نزل القومندان واينونو ومشيو بقلب النار على مهلهن حتى آخر السوق وغطوا ماعادوا بينوا • الجبهة الضباط وبقية القومندان بالسرايا كل مين محضر حالو والاحصنة للهربية الجبهة صارت كلها نار • نزلت عما طلع ماشفت الاخيالين من الترصد راكدين مثل النار على هالخيل • اجو لتقدم السرايا لحشو حالهن وطلعوا عالدرج • انا لحقتهم • في ركدة ، طلعت لنفوق ضربوا تمنى للقومندان سالحين وتقدمهن الخرايط • قاللهن واحد من الخيالة بالتركي :

( بيه افندي لار دشمان سبعة كبر مشتر )

يعني دشمان دخل السبع عمل التفاف من ناح الخلصة ودخل كلو  
 عالخيل قسم كبير يعني بيطلع قيمة الف جندي وبايديهن كل فرد نص ضراع  
 والدفنكة برقتبتو . ماشفت الا القومندان ياللي اخذ سترتو والقلب البرنيطة .  
 شي دشر شي اخذ . انا رابط الحصان تبغي تحت للهربية . لمن اجو ماعدنا  
 وعينا . انا في تلفون الماني قطعتمو ونزلت ركيد . كل مين ركب حصانو وقال  
 يا ايحكم . مالقيت الحصان واحد نتشو . صفيت راكد ناح المحطة انا وجملة  
 ناس راكدين . المدفع عما يشتغل والطيارة عما تشتغل والخيالة وانا . ركنا  
 ماين السبع وماين المحطة في سهلة كبيرة يعني في كيلومتر . نحنا بنص السهل  
 منطلق اربعين زلة راكدين هربانين خلص العدو دخل وهديك ريشة الخيل تبع  
 القومندان سبتتنا متى ماوصلوا للمحطة في جبال بيتخبو . ونحنا راكدين  
 بهالنص مانشوف الا الرصاص يطق ورا ادني . التفت العمى زوحي طلعت  
 لقيت مية وخمسين خيال انكليزي عما يضربوا عالي راكدين ضرب قتل .  
 وقفنا يخرب بيتكن رحنا قتل وقفنا رفعا ايدينا صفر صفرتين نزل تسين  
 بايديهن فرود هذك ضللو لاحقين الضباط . قتلوا خيالين وقائد الفرقة والياور  
 تبعن قتلوا الاحصنة ورجعوا اسرى . وجابوا كم واحد وفي رئيس المستشفى  
 واقف برة . صحة . على جنبو فردو . كمان اخذو الفرد وقالولن قعدوا معهن .  
 قعدنا . صارت الدنية صفاري شمس . اجتمعنا بيطلع ميت زلة صاروا يلملما  
 ويقعدوا عنا ما في الا خيالة انكليز عم تتبع جيش طويل عريض ضلينا قاعدين  
 لبعده الغرب . ونيموهن ليلتها بالسهل وضربوا جنزير بلق انكليزي كلهم  
 خيالة حرس . بالين الصباح الجبهة راحت والسبع راحت مع الانكليز والجيش  
 كلو راح اسير ماصفي حدا . يعني لقاء الضرب ياللي ضربناهن ياه ، ضربونا  
 مالضربة . ماقللهن سننتقم . . . .

صبح الصباح على بكرة كان كل الجيش اسير بهديك النقطة هوة  
 وضباطو بهالسهلة . مانشوف الا جاية قومندان انكليزي على حصانو ومعو  
 واحد ترجمان مصري ضابط مشان الترجمة . اجا لعنا . . بقي نحنا الضباط  
 مع جنب والجنود مع جنب . اجا لعنا قال لا تواخذونا بدنا نقدم لكن اكل  
 الاكل لجنودنا ماوصل ، وعليه انا رح قدم لكن من تعييني صندوقين بقسماط  
 تكسرو الصفرة . . للضباط عما يقوللهم . بعث زلم جابو صندوقين بقسماط  
 من تعيين هالقومندان . وقاللو للضابط المصري قول للجنود خليهن يوقفو  
 اربعة اربعة لحتى نعدمن . ياخوانا وقفو اربعة اربعة فزت الجنود على حيلها  
 صاروا مثل طرش المعزة ماعدوا يعرفوا يوقفوا . ياللي حاظط براسو كيس  
 منتفين مقلين مزمتين حالة بتقرف . وكان بجبهة الضباط فخري البارودي

الله يرحمو . قولى انو كانوا يمشو اربعة اربعة مع المصري عبث . قاللو قول  
لظابط من ظباطهن حتى يعطيهن اشارة . . قوللو اربعة اربعة انتظام . فز  
واحد بالتركي عطاهن قومندا بالتركي :

« دردار دردار ضرنز » ما حدا سمع فلتانة . هداك الانكليزي عما يطلع  
على هالامة وعلى هالنور . . بعدين تنازق . دار الحصان وراح وهوة عما  
يقول « فكن » . بعث جنود خيالة . . مشونا الظباط والجنود وراه جيش كلو  
اسير . مشينالبير السبع . ببير السبع في خان كبير . لقينا تنين فوبتجية  
عالباب . قال اربعة اربعة ادخلوا . دخلنا قعدنا مع جنب وصارت تدخل  
هالجنود . دخل الجيش كلو لوسط الخان عدوهن اخدو العدد . اية بقى ببير  
السبع بقيان كياس بقسماط بالمستودعات . امر الانكليز خدولهن للعسكر  
خليها تاكل من بقسماطهن لبين ماتجي الارزاق اخدوا جنديين وحملوهن ودخل  
ظابط مصري ووزع علينا البقسماط . وزع اول واحد وتاني واحد . هجمت  
العسكر طارت الكياس . جوعانين . قاللهن الظابط المصري داهية تاخذكو .  
صفي المسكين تحت الكياس . راح من ورا الدك تبع الخان صار يكمش  
ويلحش من فوق . وسقونا مي . ضلينا قاعدين بهالخان لبعده المغرب بعد  
المغرب قال قومو طلعو . طلعا لقينا صف خيالة من هون ومن هون بيطلعو  
تلاتميت خيال دخلنا بين الصفين اربعات اربعات بانتظام قال نالاله مارش امشو  
مشي الجيش طوال الليل لعلى بكرة ماشيين على رجلينا . صار ضحوة نهار  
للصهر ماشيين على رجلينا طريق بعيد وهالطريق كلو عسكر انكليز وشونات  
وخيالة ميت الف خيال انكليزي دخلوا بهديك الجبهة كلها من هالخيل القطنا  
خيل كبيرة رجليها عريضة وما في عندهن حصن كلها طواشية لابيخانقو ولا  
بيقتلو بعضهن بتلاقي الحصان مطيع مثل الغنمة . ضلينا ماشيين لحتى بعد  
الصهر عطشنا وجعنا الجيش كلو مع ضباطو هيك لحتى وصلنا للمحطة  
العمومية تبع غزة ياللي عليها الترينات . تطلعنا لقينا طنبازة بالمحطة مساوينها  
بحرة وعما يعبو فيها مي خرطوم من النيل . اربع طنبازات والمي عليهن عم  
تدلق يقولوا عشرة عشرة كل عشرة على واحدة يوقفوا يغسلوا ويتنشقوا وياخدوا  
روح ويشربو ليشبمو . دوز دوغري بالمحطة سهلة كبيرة . صاروا يحطوهن  
قوالب قوالب اربعة بخمسة عشرين صبة واحدة . بركو باركين واحدة ورا  
واحدة . صفوهن كانوا رياضة . وهالترينات عما تصفر . ترينات فراكين  
للكب ما في كلها فراكين شحن . مانشوف الا لكل قطعة باركة مثل قالب الجبنة  
او قالب الصابون ، تنين مصريين حاملين كل واحد صندوق يكسروهن يعطو  
لكل واحد علبة لحمة وقد مابدو بقسماط . شوفي الانتظام الاكل علبة لحمة  
كونسروة . يكسر الصندوق ويلحش بخصن العسكري قد مابدو . على ماتعملي  
هيك وزعوا لكل الجيش . لكل زلة بعثا تنين . طعموا الجيش فرد مرة . بدت

العسكر عما تاكل . حمدنا الله وشربنا مي . بعد ماخلص الاكل قيمة ساعة ونص  
استرحنا باركين ما احدا يغضر يتحرك . مانشوف الا اجا ظابط انكليزي قال للقطعة  
الاولانية قال ( كامون ) امشو مشينا الظباط على فركون فحم تلت فراكين .  
طلعوا اربعين باربعين باربعين ظابط مية وعشرين ظابط وبالجملة انا كان معنا  
الله يرحم عيونو فخري البارودي . طبقو باب الفركون . مية ميتين فركون عيو  
هالعسكر قبل ما عبونا . صفروا الترينات وقالوا يا ايديكم . الترين خمسين  
فركون . ترين سريع عريض مو مثل خط الحجاز . تلت فراكين للظباط بعدين  
بقية القطار عسكر حتى انتهت بساعة زمان كل هالعالم ركبت . بالاصول .  
ضرب الجرس مشي القطار . مشينا بهالطريق رايجين لمصر بالترين عالساحل  
تبع صحراء التيه طوال مالنا ماشين نلاقي على هالرمال شونات ومستودعات  
ارزاق وصواوين خيم كبيرة مستشفيات كلو انكليزي وقطع عسكرية بكل  
محطة كلها بغاية الانتظام . ماشين « بالظلو » بالشورت شوب ماشين  
الشمس عم تلدهن . يجو لعنا يقولو « هالو » شي يعطينا شو كولاطة سكرة .  
مشينا هيك وقف برفح . برفح نزلو الظباط كلهن . نزلنا كلياتنا برفح ضو غري  
عالكرنطينا عاملين شريط عالدابر وقلبات من خشب مشان الواحد ينام وشوادر  
بس محصور بشريط كرانطينا تلت تيام . فخري بك البارودي كان قرايبو  
بيت البكري التحقو بثورة فيصل بالحجاز . وكانت الثورة تشكلت بالحجاز  
بواسطة فيصل وابوه ملك عالمدينة . خبروا اذا اجاسم فخري بك بعقولناياه  
سريع . بقى نحنا مو فهمانين الخبر . مانشوف الا القائد برفح طلب فخري  
البارودي طلع قاللو نعم . تعا كلم القومندان . اخدوا جندي محافظة . عما  
ننتظرو هلا بيجي وشوية بيجي راح ما عااد رجع . بقى نحنا قلنا الظاهر  
ضربوه قتلوه قوصوه اسير . بعدين فهمنا طالبوا الامير فيصل . ليس .  
كملنا تلت تيام وردوا نقلونا من رفح وعطونا بطانيات . يكسروا البالات قد  
ما بدك حطي تحتك وفوقك . تلت تيام كرانطينا بعدين اخدونا عالاسكندرية  
سيدي بشر اسر الظباط العمومي . الجنود اخدوها لهيوبوليس لمصر افكرتني  
شلون !! فننا بقى سيدي عالكرنطينا بالاسر . قامب مخصوص للكرنطينا .  
اي نعم . . الظباط عدهن مية وعشرين . العسكر قيمة عشرين الف . وشلحونا  
كل اواعينا اللي علينا دوغري عالاتوماكينا التبخير وكل واحد قميص وكلسون  
وبدلة عسكرية سودا وحموننا بقى سيدي بالبراميل ( بقريوولين ) ومن هنك  
عالحمام والواعي عما تتبخر بالماكينات . من هنك على قامب العرب . العرب  
كان الها قامب وحدو . الاتراك لحالهن والعرب بلحالهن دائما يتخانقو . كان  
عملنا عليهن ثورة .

قمعنا بسيدي بشر عاملين براقات ( براكات ) مثل فركون بتقوتي من  
الباب بتلاقي اوض كل اوضة تلت تخوت بتلت ظباط . بمباشي راس الالف

مقدم الوشادر لحالو • قائمقام اكبر ميرالاي صيوان اكبر متسل البيت •  
يوزباشي رئيس يعني ملازم اول ملازم ثاني وكيل ظابط ( نام زيت ) • كل  
واحد حسب رتبتو • بالاسر على بكرة ابي خيم • قيمة عشرين خيمة همدول  
لجنود اترك وعرب همدول لخدمة القمبات • بكل قامب عشرين خيمة وشاويش  
انكليزي هوة الأمر • أنت روح كنس انت روح عميل كذا • قامبات الرمل  
يمشطوها بالمشاط • يحطوا حجار بالعربية تغرس بالرمل يجروها وهيمة  
ماشية تلم اوساخ •

الخلاصة الجنود خيم للخدمة • عشية كل يوم يوقلما • تصفر الصغيرة  
كل مين يوقف قدام بيتو • يمرق الطابط الانكليزي ياخذ تحية قبل مايدخل  
يفهم انو بدو يدخل • الطباط يوقفوا وقفة عسكر يمرق بعدهن وكل مين يروح  
لاوضتو • صدف بصفنا كان عنا ظابط يهودي وقتن يمرق الطابط الانكليزي  
يجي لعندو يوشوشو يقللو أنت يهودي ؟ عما يسالو أنت يهودي ؟ الانكليزي  
نفر قاللوا نو نو انكلش انكلش •

وبتذكر كان معنا وقتها يوزباشي من طرابلس الغرب يجي الطابط يوقف  
فرشخة • هوة يوزباشي تركي يوم الواحد وقف عندو قاللو ليش مابتاخد  
احترام • ليش مابتحترم القانون العسكري • قاللو انا مابتعرف بالجيش  
انكليزي انا يوزباشي أنت ظابط انا وفتلك !! كتب اسمو وراح بعد ماخلص  
اليوقلما ( التتقد يعني ) بربع ساعة مانشوف الاجايين لنص الرمل جنود  
انكليز • جابو شادر ونصبوه وعلى داير الخيمة عملو شريط خوازيق بعرض  
متر وربطوا عليها شريط شوكي وجابوا نوبتجي بصلاح انكليزي وقفوه على  
باب المدخل ليش هادا ؟ مانشوف الا جاية الطابط مع جنود تتين • قاللو  
كامون دوغري عالشادر • اخدولو تخت ضل ثلاث تشهر يدور حوالين الشادر  
بعدين نقلوه من هنريك لويين مامنعرف لحتى يربوا غيرو • النتيجة قعدنا هالدة  
اي نعم • ايداعشر شهر بالاسر • مانشوف الا اجا بعض الطباط من جيش  
الشريف حسين دخلوا الاسر وصاروا اسرى معنا • تاري مشان الدعاية انو  
الجيش العربي تشكل وتشكلت حكومة عربية وياللي بدو يطلع بدينا نطوع  
ظباط العرب بدينا نقيد اسامينا كل واحد يعمل استدعا لقائد القامب انو انا  
بدي التحق بالجيش العربي مشان اخدم وطني ضد الاتراك • ضلوا يقدموا  
استدعايات حتى صاروا ميتت ظابط • مانشوف الا اجا نيشان ارمني ترجمان  
تبع قائد الاسرى كلها انكليزي يمكن اسمو كوتس • جايه نيشان مرق بين الاسرى  
بلغ ياللي طلع اسمو بدو يسافر • اخدوا قيمة خمسواتلاتين اسم حضروالكن  
بكرة قبل الشمس بدكن تكونوا على باب القامب • بيفتح النوبتجي بتفتوتوا  
سرقة ما حدا بينتبه من الاتراك بس انتبهوا • وصاروا يسبوننا ونسبهن •

تلت بوسطات ورا بعضهن البعض بين البوسطة والبوسطة قيمة عشرين  
نحنا البوسطة الثالثة . ركبونا بالسيارات على سويس مصر . اجا ياللي  
استلمنا من قبل فيصل . حسن مهمي بك وحسن حمادة بك واحد شامي وواحد  
بيروتي . مرسلين من قبل الامير فيصل مشان يستلموا الاسرى من الانكليز .  
وصل الانكليزي على اوتيل من اوتيلات السويس مصولو للظابط الانكليزي  
انسو استلمناهن . وصفينا نحننا حرين بالسويس . هون  
بتنامو وهون بتاكلو لبن مامنفصلكن بدلات عسكرية على حساب الشريف على  
حساب جيش الحجاز . رحنا لخياط اخدو قياساتنا وانتظرنا بهالاوتيل  
ستاعشر يومننام بالاوتيل وناكل بالمطعم على حساب فيصل . والندوبين نقرونا  
كل واحد خمسين انكليزية خمسين انكليزية عالماشي اكرامية بخشيش مشان  
نصرف . بعد ستاعشر يوم مانشوف الا حضروا حالكن عالمشي . اجت  
سيارات كبيرة كل واحد عندو صندوق صندوقين حطينا غراضنا . كلا جنود  
مصاروة سيويل نتمو هالصناديق عالسيارات ضوغري عالاسكلة بالاسكلة  
لقينا البابور ضوغري عالبابور ركبنا هيك عالعقبة . بالعقبة طلع لا قالنا  
الامير ناصر اخو فيصل واحترمنا وقال خدوا كل واحد شادر . خمسواتلاتين  
شادر جديد . نزلنا تلت تيام اكل وشرب وكل شي تمام . من هنيك قال  
يا الله . عطانا امر اجت الجمال حملت غراضنا مشينا بالبر تلت تيام على  
ابا اللسن جبال قدام معان هنيك الجيش العربي تشكل . واقفين قدام محطة الاتراك  
فيها . كل يوم نتناوش نحننا والاتراك . بمحل اسمو الجنوبية والسخنة  
الشمالية جيش وعربان ومشايخ والقائد كان نوري السعيد كان قواد الجيش  
العربي عراقيين والباقي سوريين ولبنانيين وعربان . جيش مشكل عطونا  
بطانيات شواد رز سكر اكل هاللي بدك ياه موجود . اختلف معنا الحال .  
معاشات كلو ذهب . انا كنت آخود تمن انكليزيات ذهب . ابن عمي توفيق الترجمان  
كان ظابط واخي كان بالعقبة مع الجيش التركي اناسر والتحق بالجيش ولقيتو  
وكيل ظابط . ابن عمي توفيق كان يوزباشي قائد فوج وكان صبحي المحتشم  
صهري جوز بنت اختي كمان ظابط بنجمة اي نعم . الخلاصة نحننا طابور  
وكل ظابط على بلق ميت زلة وقائد الطابور ابن عمي . نتناوش نحننا والاتراك  
بمحطة معان . كل يوم نتضارب نحننا وياهن . الى ان فيصل شكل من  
الظباط جيش صغيركلو هجانة ونزل على درعا بدهن يتعرضوا هوة والانكليز  
بنابلس وفلسطين . الانكليز احتل فلسطين كلا ونحننا محتلين الحجاز . راح  
لدرعا بدهن يتعرضوا للشام نزل فيصل مع هالهجين قيمة مية ميتين ظابط  
مشان يدخل هوة والانكليز عالشام . دخلوا وهربت الاتراك .  
ونحننا انا وابن عمي وطابور ابن عمي صفينا بابا اللسن . وقتن سقطت  
الشام عملنا حركة على معان احتلينا معان وهربت الاتراك . لقيناها فاضية



قمعنا يومين بقي سيدي بعمان . وقالوا ياالله امشوا عالكرك مشينا بطريق الحج . جروف الدروايش وديان طريق الحج كلها . من هداك الطريق مشينا خمس تيام لحتى وصلنا لعمان . ضلينا بعمان حتى ترتب الجيش بالشام . الضباط راكبة خيل والعسكر ماشية عالارض . عشية ن نصب سوادر وننام . على بكرة نمشي . ضلينا بعمان حتى ترتب الجيش بالشام والحكومة . قالولنا اجاكن تبديل بعقولنا قطع عسكرية وبعقوا ضباط محلنا ونحنا نزلنا عالشام .

وقت وصلنا قابلنا قائد الجيش كان ياسين باشا الهاشمي . كل مين عطوه وظيفة عسكرية . انا بعقوني عالمنزل سراية عزت باشا العابد . قائد البلق تبعنا قائد القطعات الفنية ( ابن الجندي ) بعقوني لعندو . حمصي واخوه كان ظابط ، انا بديت اشتغل عندو بسرماية العابد . شكل قيمة ميت جندي للكهربا وتمديد الخطوط والتلفونات انا رئيسها انا ظابط رهنط البرق والتلفون .

اجاني امر قال روح بدل شريط الحبوس بالقلمة بالكهرباء . اخدت الجنود عندي تسعين جندي .

اجاني امر بدل خطوط الجامعة ( اشله الحميدية ) بدلتها من اولها لآخرها . بدللت كل اشربة الدوائر تبع التلفونات . ضليت لابس عسكري لحتى صار سنة ٢٠ . انا بهالمصلحة اجا امر ساقونا قال وكلاء الضباط كلها لازم تدخل الحربية . اجانا الدور دخلنا المدرسة الحربية تنمة التحصيل انا واخي . المدرسة الحربية جامع دنكز . وياللي ورا جامع البحصنة كانت للرشدية . هدون ياللي بدو يلبس عسكري . الولد الصغير يلبسوه زرار عسكري متى ماخلص شهادتو بيعتوه للحربية . يعلمون تعليم عسكري . وفي مدرسة للمدني اسمها مكتب عنبر بالخرابسوق الاحد . بيطلع من هنيك تعيين مدير الناحية والقائمقام قضاء ايام تركيا .

بالحربية تعلمنا صرنا ناخذ دروس عال حرب . ياسين باشا الهاشمي كان غريق . يجي يعطينا دروس كان رئيس ديوان الشورى الحربي . وكان الاول بصفنا عريف عراقي كان ذكي كثير يمكن اسمو فهمي الله والعليم .

كانوا يعطونا الهندسة التعبئة العسكرية . النيشان دروس ديانه . كان عبد القادر المبارك يعطي درس بالعربي . قعدنا قيمة ست تشهر راح اخي هوة وتوفيق الحلبي ابن خالتي استعفا من الجيش ومشى راح لميسلون . ضليت بالمدرسة الحربية . ماشوف الا اجا امر بحقي اعزازوني . قائد القطعات الفنية توفيق بك الجندي تضايق بدو ظابط فني . طلب من رئيس ديوان الشورى الحربي ارجاعي للبلق من المدرسة . رجعت والله اجا الامر . اي نعم . مدير المدرسة كان اللهم صلي على النبي ميرالاي عبيد . النتيجة طلعت التحقت

بقطعتي بالسرايا ببناية العابد . بقى انا تضايقت ومابقالها قيمة وكيل ظابط  
بما اني انا ظابط فني بلق تلغراف قدمت استدعا لحسن بك الحكيم كان بزمانو  
مدير عام البوسطة لقبول استخدامي بالبوسطة عالانشاءات . قبلها حول  
الاستدعاء لرئيس ديوان الشورى الحربى . وكيل الظابط الموما اليه يطلب  
الاستخدام بدائرتنا الرجا اعلامنا عن سيرته اثناء خدمته بالجيش ودرجة  
اقتداره وكنيته الاصلية وهل بأس من استخدامو ؟؟

ايه . اجا الامر بالرفض . انا عقبتم الاستدعا النتيجة توقفت الله  
يرحمو . بطلت شغلة وكيل ظابط وصفيت بلا معاش شهرين ثلاثة بلامعاش  
قال ما في انقطعت . توفيق بك الزالق رئيس اللوازم مارضى يعطي معاش  
ضليت ست تشهر بلامعاش . قدمت استدعا لرئيس ديوان الشورى الحربى  
ياسين باشا . انو انا عم اخدم بالجيش وانقطع معاشي طبعا قدمتها بواسطة  
توفيق بك الجندي . ياسين باشا حولها لرئيس الاركان تبعو يوسف بك  
العظمة . يوسف بك العظمة كتب لرئيس ديوان الشورى الحربى لزوم  
اعطائه رواتب حيث خدم هالاشهر بموجب تصديق قائد المقطعات الفنية .  
عطوني معاشاتي قبضت ست تشهر معاش تمن ليرات ذهب كل شهر .  
والاستدعا تبعي مشيت مشان طلب البوسطة . قال لا بأس من استخدامو  
بدائرتكم من رئيس ديوان الشورى الحربى للعظمة للجندي انو انقطعت  
علاقتمو لمدير البوسطة . ماشوف الاباعتلي خير عالبيت مدير البوسطة باعتلي  
موزع قوم استلم . رجعت مدني بالبوسطة . ضليت موظف فيها لحتى طلعت  
عالتقاعد وقتها كنا بصقاق البركة . رجعت صفيت انا وامي تجوزنا بصقاق  
البركة عند باب سريجة هنيك صار عرسي انا وامك . بعدين انتقلنا  
لسوق ساروجة للبيت ياللي عند الفيحة براس طلعة جوزة الحدبا جنب  
الفرن .

- بس يالبي نسيت تحكيلى حكاية البدوي ياللي شفتو بالسفر برلك  
على حبتها شو قصة هالبدوي وايمتى شفتو ووين ؟

- شفتو بمحطة جروف الدراويش . بوقف الترينجي . بتجي هالبدو  
بدها تشحد . اجاني بدوي مقطوعة رجلو قال اديلنا قطعة عيش . تطلعت  
برجلو زعلت لك شلون انقطعت رجلو مسكين . قتلو مين قطعك رجلك .  
قال اتركني ياخوي حكاية طويلة . قتلو حكى لي ياها لاعطيك قرص عيش  
وقرص عيش الو قيمتمو بطريق المدينة . دقتر السيكاارة بربع مجيدي منبيمو  
بالطريق والله وظيفة مربحة . خمسين لسيرة ذهب اسحب روحة جيه نتفة  
بضاعة منبيمها بالمحطات . لاهابوب ولا دابوب لابياع ولاشرا .  
محطة صغيرة . بيقيموا مبين مساكين . والله يابنتسي قاللي

انا حببت واحدة من الدجو من عشيرتي اهلها ما عطوني ياها . هية بتحبني  
خطفنا وهربت لحلات ما فيها زلم بالجبل . حطيتها بالمغارة كل يوم انزل  
اغزي اسرق غنم وجيب اكل ناكل بالمغارة يوم من الايام نزلت لجيب راس  
غنم . . نزلت شلح قلنالو طيب . قال سرقت ورجعت . راس غنم وشلحت .  
وصلت للمغارة لقيت مراتي لافف عليها حنش غلض زندي ( غلظ زندي يعني )  
ومفوت راسو وذنبو بالبخشبدو يسحبا وعيونا مفنجرة بدو يسحبها ويساويها  
نصين طار عقلي سحبت السيف وضربتو حس بالحامي شد عليها وقطعها  
نصين . انا صرت مثل المجنون الحنش هرب . دفنتها ومشيت بهالبرية مثل  
المجنون . انا ماشي بهالبرية مالي وعيان لقيت جمل بهالبرية وهاجم علي .  
قتلنو الجمل ليش يهجم قال الجمل اذا هاج بيدشروه بالبرية بيصير كاسر .  
شافني لحتني هربت منو انا اركد وهوة يركد لقيت شقفة جبل عليت . عما  
يطلع علي ضليت واقف . صخرة مزحلقة . . التفنتت ناح فوق الصخرة لقيتها  
صفحة . ماشوف الا عقرب قد سطل لافف زنيفتو واقف . لا بقت اقدر اطلع  
لهوق عقرب ولا انزل بي جمل . قال وانا عما اتحير ماشوف الا العقرب شمم  
ريحتي تحرك ونزل عالصخرة ناحي وتزحلق العقرب ودرج قلب ضرب علي  
ضهري من ضهري عالارض الله خلصني من العقرب . نزل الجمل راسا بدو  
يعضو لدعو للجمل . ماشوف الا العقرب والجمل تسطحو بالارض لا العقرب  
يتحرك . ولا الجمل يتحرك . انتظرت فهمت انهن ماتوا سموا بعضهن . نزلت لحتت  
ما بيخلصني امشي عملت هيك للجمل برجلي بدو شوفو طيب ماشوف الارجلي  
فاتت بالجمل بلحم الجمل وانطرت بالعضم انجرت لعب السم صار يمشي شوية  
شوية فهمت اني بدو موت متلن سحبت السيف وقطعت رجلي وكويتها وطابت  
وبقيت عم اشحد بين العربيان برجل واحدة مثل مالك شايفني . اي والله  
يابنتي .

وقالت لي اُمي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري بلهجتها  
الشامية الحلوة تحدثني عن حالة الشام أيام السفر برك :

- وقتن اجا السفربر والله كنت صغيرة ياسهام يعني شي ( تلطمش  
اربطعشر ) سنة وقتها بسفر بر مات ابي يبي علي قامتي . زعل نزلت نقطة  
على دماغوتاني يوم مات ، ماضعف والله ابدا . ولايوم . موكبير بيطلع  
عمرو خمسا وخمسين ستين سنة ، كنا ساكنين ببيت ابي « بصقاق » عسقلان .  
عسقلان « ولي » ابن خاله النبي . والله كنت صغيرة صغيرة وقت مرقت  
المحلة بدهن يدخلو الارض . قامت وقفت المدحلة سبع تيام ماضي زلمة  
ما جرب حالو يمسيها ما حسنوا . لحتي دبحولوا راس غنم ودفولوا نوبة  
وتغولوا مولد قامت مشيت . حضروا المشايخ وقروا على روجو واستاذنوه . .  
والرجا ياللي ترجوه لحتي مشيت . . مشيت لحالها . ولد صغير مشاها .

وميدان ، وكانت وقتها بسيطرتها وقتها كانوا بدهن يساوا « السكة »  
• يمكن •

بالسفربر أهلي ماجاعوا كانوا عم يشتغلوا بالصوف • كانوا يشتروه  
ويعطوه للشغالات بيغزلوه وينزلوه يبيعه • ومرت خالي بدرية كانت عند  
امي وخالتي • كان خالي ابو راشد مسافر قعد أربع سنين مسافر • واشتغلوا  
عالم بالصوف كثير ، كانوا ينزلوه لسوق الصوف وسوق القطن ويبيعه  
ويطالعوا معيشتهم ما في رجال • الدكاكين كلها مفتوحة وقاعدة للكلاب الكلاب  
يناموا فيها •

راحو الرجال عسكر • الغلا • الغلا • يبيعوا من تحتهم أواعين •  
الخبز بالموسيقة • من نص الليل تنصف العالم عالفن حتى تاخذ خبز قلبو  
أسود مثل الفحمة •

وكانت الفران تشتغل ليل نهار بقسماط للعسكر ليعتوه للحرب •  
والجوامع كلها صارت مشان يصادروا العسكر للسوقيات • وبالحمام  
بالسنجقدار « حمام الراس » كانوا يحلقولهن « قلط » ويغسلوهن ويبيعتهن  
على قطعهن •

يجمعوهن، بجامع الملق بين الحواصل وجامع السادات حتى يبعتهن  
عالسوقيات • انساقت « العالم » ماصفي الا ابن تمانين سنة •

النسوان كان يبعتهن ببيع قش الكراسي ياللي بالدرويشية « القش »  
يساوا منو كراسي قش واطية وعالية، يقششوه وياخدوا « كراه » هادا بباب  
مصلى بالميدان وبالسويقة •

والنسوان عند بحرة المدورة • وين بحرة المدورة اصبري لقلك وين ياسهام  
شفتي مطرح ماكنت تفوتي لخان الزيت برة عالجادة مطرح ما بتمشي السكة •  
شفتي سوق العتيق وقت منطلع من آخرو بدك تطعي عالجادة قبل ماتصلي  
لسوق الهال بمصلبة الزرابلية، هنك كنتي تشوي حلة كوسا محشي ومرقة •  
وحدة مرا تحط كوسا وتبيع • حاطة ملاية وتكشف على وشها « ختيارة »  
ولادها كلهن عسكر مخليلها كناينها وولادهم تطبخ وتطعميهن • ومواجه  
القلعة ، الحارة ياللي مواجه القلعة هنك واحدة كانت تشوي كبة • وبباب  
الجابية كانت واحدة تساوي معاليق تشوي كبة وتبيع • وبالميدان يشتغلوا  
حصر دباجية • يعني مو مثل الحصرة العادة • الحصرة ياللي بيطلع من  
وراها قش • الها وش ، بس مرتب ، دباجية لانها سمكة « آيا » •  
• بياخدوها للبساتين •

ماصفي شي يا حسرتي ما باعوه النسوان . اخدوا الرجال كلها ما عاد صفي  
بالبيت حدا . رجال بالسبعين بالثمانين ما يلتقي .

والله العظيم « شوبك » !! كلهن اخدوهن عالسوقيات . الجامع ياللي  
بعد سوق الهال . جامع الملق بين الحواصل مخصص للعسكر كلهن بيعتوهن  
من هنك للسوقيات ، تجي القرعات ويفرقوا ويبعتوا . كل واحد ونصيبو  
ومتل ما الله كتبوا وكانوا متفقين المانيا والنمسا وتركيا كلهن جبهة واحدة .

ولي على قلبي شو تعذبت النسوان بالشام لقولك شو السبب . التراك  
بيظلمهن من « الكوبراتيف » . والنسوان التراك اللحم ياللي كان يجيهن  
والبضاعة والسكر . والله «العالم» اذا شافوا شققة سكرة يحسيوها تهريب .  
والقمح ، والله والله تحملو امي بالبقجة مطرح ما يشتره تهريب من البواكية .  
البواكية صادرولهن القمح . صاروا يخبوا القمح ويبيعوه بالسرقة . واللي  
تشوي درة بالصقات وتطعمي ولادها . قالبين مثل الشحادين . الوسخ .  
بصلة ما في بالبلد . ولك الملح شو قيمة الملح ما بقى ملح بالبلد . ابوكي قاللي  
بعد مات جوزني وخلصت الحرب : صرت يامرني حط بدكة لباسي شوية ملح  
خايف عليهن . « لك » اصبعني بالملح من خوفي ليخلصوا الملح .

تعذبوا كثير اضرب .

وقت خلص السفر بر وهربت التراك والامان اهل الشام قتلوا الالمان  
اللي كان متفق هوة والنمسا وتركيا . اجو الالمان صاروا يعملوا كونسروة .  
ماخلوا بالبلد خضر . يعملوا كونسروة للعسكر . الاهالي عما تموت بالصقات .  
عم يقولك جوعان جوعان تاني يوم يقوموا يلاقوه يابس .

الولاد يموتوا بالصقات . ياللي ماتوا وتشردوا . فوضى بالبلد ما بقى  
شي مرتب . وولاد الفقرا كانوا كلهن فلتانين بسوق الخيل وهون وهون  
ويروحوا لعند العسكر ماكانوا يعطوهن غير البقسماط . الرغيف ماكانوا  
يحصلوا عليه . تموا بهالحالة مدري سنة السنة مدري سنة السبعة حتى اجا  
الانكليز وطالع تركيا والالمان . والذهب عبوه بدهن ياخوده بالبواير .  
وصلوا لدمر طلوعوا الدمامرة كسروا البواير واخذوا الذهب والالمان هربت  
وتركيا هربت واللي قتل قتل واللي راح راح . زرار الالمان كاتين عليهن انو  
الدمامرة اخدت الذهب بدهن ينتقموا لانو قتلوهن دبوهن واخذوا الذهب .

والله يومها رحنا عالحمام حمام الدرب رحنا عم « نتخسل » ونحننا  
عم «نتخسل» ياسهامالنا عرفانين انو انكسر الالمان ورح يهرب . وقاموا صاروا  
يشعلوا الجبخانة مدري بالكسوة مدري بقرنة تانية . صار الحمام بيرج فينا .

ليلتها بالليل هجمت العسكر وطلع النهار كان فات الانكليز حرقوا الجبخانه  
ياسهام لانو الاهالي صارت تقوم ضدهن . حرقوا الخبانه حتى ماتتلهن  
العالم صارت الناس تاخذ بواريدهن وتقتلهن . ليلتها قتل  
تلاتة من بيت النوري شباب يا حسرتي . الحاصل ليلة منيلة . ثاني يوم  
اجا الانكليز وانتشر ياسهام بهالبلد . كل حصان واقف تقولي ملك موحسان .  
يعبو السكر بايديهن ويطعموا الحصان . اهل البلد شافوا هالشوفة وزحل  
عقلهن . ويركدوا يخدموا الانكليز . صاروا يعطوهن ليرات ذهب . شهرين  
تلاتة وصارت ترجع العسكر وفات فيصل . واجا فيصل . واجالك هالكرم  
من هالانكليز وهالخير والفرح ياللي صار على زمان فيصل وقتن اجا . من  
يوم خلقت الدنيا ماشفت منو . بتمشي من هون لهنيك سبع ليالي مع سبع تيام  
مغاني ورقص بالشوارع . البلد ماشية وانفرجت العالم وصار يجيبهين رز  
وسكر وخبز واللي مات مات واللي عاش عاش . فيصل تعد سنتين والله انا  
تفرجت عليه لبسوه التاج بالبلدية بالمرجة احدثني ابي فرجتني . الفراح اللي  
صارت بجية فيصل بالكائنات ماصار منها . بتعرفني ليش اجت العسكر كلها  
ياللي صفى طيب . والله انا وقفت تفرجت عليه وقتن توجه بالبلدية مطرح  
ماهدوها . عابلكون تبع البلدية حطولو التاج فوق راسو . شافتو «العالم»  
ماتشموني الا الزلاغيط والزين . وبعدين لك ابي ماشفت بعمري سبع تيام مع  
سبع ليالي الرقص مشتغل والسهرات . تخوت منصوبة وسجاد معلق وزين  
مفروشة . بتروحي لباب الجابية وباب سريجة والميدان والشاغور والعمارة  
والقنوات . بالله العظيم انا تفرجت على كراكوز بالقنوات فوق النهر قدام  
بيت الشيخ شريف . اللي صار ماصار بحياتو . بعمرو ماشافت الشام والزين  
مشتغلة والمدافع مشتغلة واللي كانوا بالحبس طالعوهن واللي كانوا محكومين  
بالاعدام نزلوهن الحكومية ، واجا الانكليز وقت فيصل وفاتت الانكليز  
عالشام . عما قلك اذا الصباط مسحولو ياه يعطيهن تلت ليرات ليرة ليرتين  
ذهب اكرامية . الانكليز شغل البلاد . الاحصنة الاحصنة الانكليزيحط بكفو  
السكر ويطعميها . الاحصنة عما تلمع لواياتها وفخادها وضهرها . الحصان  
الانكليزي قطعوا كبيرة عما يمشي مثل البرنس مابتقولي حصان . ايه شفنا  
ايام سودا تنذكر ماتنعاد يابنتي .

والله فرجها عالشام وراح الانكليز وراحت تركيا وراح الامان وراح  
الفرنساوي . والشام الله حارسها .

لك بنتي شو جاب على بالك هلا سيرة السفر برك ؟

## يوميات فتاة دمشقية

لي صديقة ضاعت مني في ليل المعركة .. كما ضاع مني كل الناس ..  
ومرت الايام السود .. والتقيت بصديقتي . كان فكري عندها .. كنت  
اتوقع حالتها .. كنت اموت رعبا من فكرة تداهمني .. ماذا لو خطفت منها  
المعركة خطيبها الضابط ، الرجل الذي تحبه فوق الحب ، وترتبط به ارتباطها  
بالحياة .. !!؟

مددت يدي اصافحها .. ونظرت في وجهها الباهت وصمتها المريب ..  
وسألتها بلهفة : ما الاخبار .. كيف حالك .. ما اخباره .. !!؟

وفتحت درج مكتبها .. واخرجت مجموعة من الاوراق .. وقالت لي  
بهدوء وصوت مبجوح :

— لا املك القدرة على الكلام بعد .. فهل تملكين القدرة على  
القراءة .. !!؟ اليك يومياتي .. كتبتها على نور شمعة بخط يرتجف قلبي ..

### الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧ :

دخل علينا احد الزملاء ملهوفاً وقال بسرعة : افتحوا الراديو افتحوا  
الراديو ، بدأت المعركة ، الطائرات الاسرائيلية تغير على القاهرة ، والقوات  
المصرية بدأت تقصف اسرائيل من سيناء .

رأيت من نافذتي بعد مرور فترة على الخبر عددا كبيرا من طائراتنا  
« الميج » يندفع بسرعة مجنونة نحو خط الجبهة في الجنوب .

فرحت بمظاهرة طائراتنا في السماء وتيقنت من انها ذاهبة لتضرب  
العدو الذي يضرب الشقيقة مصر ، وخفت . بكيت من الخوف والفرح .  
قرأت للطيارين « آية الكرسي » ونفختها في السماء خلف سرب الطائرات .

بقيت في مكتبي احرق في الانق البعيد كأنني انتظر طيرا يحمل لي بشرى



الغسان غازي الخالدي - دمشق





النصر في لمح البصر ، وكنت ادرك ان غارتنا الجوية على اسرائيل سوف ترتد  
اليانا من طائرات العدو فوراً .

ضرب زموح الخطر بعد بدء الغارة الجوية الاولى مع الاسف .

دمشق بعد الثانية ظهراً ، والطائرات الاسرائيلية تقصفها ، والمدافع  
المضادة للطائرات تهز اركان مدينتي وسماءها هذا مرعباً . بدأت اتصرف  
بذكاء مع نفسي واميز بصورة اقرب الى الصحة بين اصوات انفجارات  
قتابل المدفعية المضادة للطائرات وقتابل العدو فاخفف عن نفسي وعمن  
حولي هول للحظات المرعبة لاي انسان مهما كان شجاعاً .

تكررت الغارات ، ومن نافذة القبو الذي هربنا اليه مع الجيران في  
الحي ، كنت اسمع صراخ الشباب في الحارة وتصفيقهم بعد مشاهدة سقوط  
طائرة اسرائيلية تحترق . لم يهرب الشباب الى الخابيء . . الناس كلهم قد  
اندمجوا في المعركة واصبحت مشاعرهم متوحدة ضد عدو خطير واحد . هذا  
يؤكد ان الناس في المعركة الحقيقية الكبرى تجاه العدو الخارجي ينسون  
احقادهم .

جاءني احد ابناء اختي يؤكد لي صعود عامود من الدخان قريباً منا .  
واصبحت برجفة رعب هائل ، تسري في جسمي وتشله عن القدرة على  
الوقوف او الحركة او المشي .

كلهم خائفون من صوت الانفجارات التي لم تنقطع الا انا . . فقد  
كان الخوف عليه يكتسح كياني وتفكري وبيتلغ صوتي وكلامي العالي ،  
يبتلغ حتى خوفي على نفسي . يقولون : الروح غالية . وانا اقول : روح  
من نحبه هي الغالية .

ولم أعد اطيع الانتظار . صعدت من القبو لارى من اي منطقة في  
دمشق يتصاعد اللهب علني اتدرك مكانه ، ولكنني لم أر شيئاً وعدت اكثر  
قلقا ورعباً .

ما قيمتي في الحياة من غيره . . !! ياربي انا لا اريد غيره . نمنا في  
القبو الليلة . وانا مجبرة على النوم مع اهلي اينما حل اهلي ، ولكن قلبي  
معه . وقبل ان يحل الليل المطبق فوق دمشق ، ذهبت بسرعة الى بيتنا  
العالي ، وطلبته هاتفياً ولم يرد احد وشعرت باطمئنان ، فما دام هاتفه يرن  
فهذا يعني ان غرفته لم تصب والا لكان الهاتف قد قطع . وطلبت رقم بيت  
اهله حتى اسمع صوت احدهم يقول « الو » واغلق السماعة بهدوء بعد

ان اطمئن من لهجته العادية الحيادية على ان رجلي الحبيب ، ابنهم الطيب ، بخير .

يجب علي ان افكر واتصرف بعقل امام اهلي .

### الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٦٧ :

اليوم الثاني للمعركة . كانت ليلة امس اصعب ليلة عرفتها في حياتي كلها . نمت على الاخبار وصحوت باكرا اسأل امي ما الاخبار . عطشي للاخبار لا يرتوي .

لم اذهب للعمل بقيت في المنزل ، تضايقت واحسست انني سجيئة وأنا في البيت بلا عمل بلا حركة . مشلولة في زاوية الغرفة كالكرسي ، واكتشفت ان المرأة التي تخاف من الحرب مصيبة وحجر عثرة في طريق المحاربين . وادركت ان اقل عمل يجب ان تقوم به المرأة بلا خوف ان تقدم شريانها وتتبرع بدمها لجريح قد ينزف الآن او غدا .

طلبتة بعد الظهر وهاتفه يرن بلا جواب . ما اتعسني وانا بعيدة عنه لا اعرف كيف ينام وكيف يصحو وماذا يعمل واين يقيم !! اعرف انني الآن بالنسبة اليه لا شيء .. لا شيء .. المعركة اهم شيء في حاضره ومستقبله ..

بدأت كلماته تنتشر في رأسي ، وبدأت تدوي في رأسي كلمة قالها مرة :

« سأقاتل في الشوارع ضد العدو الصهيوني » . بدأت اخاف . نعم انا اخاف عليه لانني فتاة تحب ، والحب ضد الموت . الحب هو الحياة ، الحب هو الطفل الذي يغلي في عروقنا ، الطفل هو استمرار الحياة .

من محطة الى محطة .. انا التصق بالراديو الذي غدا اعز شيء في البيت .

ابنة اختي الصغيرة ، وعمرها سنة ونصف ، اخذت تنتقل في العتمة الموحشة من حضن الى حضن . تقبل بشفتيها الصغيرتين كل حضن وكل ركلة تصل اليها وكل يد تلامس وجهها في الظلام المطبق ، ثم تعود الصغيرة الى الراديو وتتساءل بغيرة من المناسف الجديده الغامض : دادو ..؟! دادو ..؟! وكأنها تسألنا لماذا تحبون « الراديو » كلكم اكثر مني ؟ ثم لماذا تجلسون في الظلام ؟ اين وجوهكم وعيونكم المحبة ؟ لا ارى من عواطفكم الا الكلمات الحلوة واللمسات الطيبة الحنون .

وهدرت غارة مفاجئة ، ودوى صوت القنابل في انحاء المدينة، وعرفت

الطفلة الصغيرة اننا في خطر بحسها الفطري ، واخذت تبكي من هول القنابل المنفجرة وتقول وهي تلتصق بامها : ماما .. هوا ... هوا ... ماما هوا !!!

الاناشيد الحماسية من دمشق وبغداد وعمان والقاهرة تدلني على المحطات الاذاعية العربية . لكل عاصمة عربية تقاوم العدو المشترك « اسرائيل » ، اناشيد حماسية خاصة . اثر بي من القاهرة نشيد عبد الحليم حافظ « اضرب » ، وهزني من دمشق تكبير صباح فخري على صوت طبول الحرب ، وهللت « لعراضة » على الطريقة الحماسية الدمشقية القديمة .

بدأت اصوات المذيعين تفقد حماستها وجنونها . ما الذي يجري؟! كان المذيع في المحطات العربية يقفز الى ملايين المستمعين العرب حسب ما لديه من اخبار جديدة هامة ... الاعصاب متوترة والناس يتلهفون للخبر . ولكن ما الذي جرى لجبهاتنا الثلاث .

سمعت الخبر المروع : ضربت مطاراتنا السورية . وطائرات العدو قد ضربت ايضا مطارات مصر والاردن والعراق .

تقول محطات الاذاعة ان مجلس الامن بالاتفاق مع روسيا قد قرر وقف اطلاق النار في المنطقة .

سمعت من أحد ضباطنا اليوم ان العرب لن يتوقفوا عن القتال وستسمى الحرب الآن حرب التحرير الشعبية . وفرحت . ورغم خوفي من الحرب ان تأخذ مني من أحب ، فقد رفضت اعماقي كأنسانة عربية ان ننكسر وتعود قواتنا الى قواعدها بلا انتصارات .

جرحت حتى القلب لخبر انتصار اسرائيل في احتلال القدس العتيقة . هل تسمعين معي يا فيروز .. لقد اخذوا قدسنا العتيقة !!

### الاربعاء ٧ حزيران ١٩٦٧ :

اليوم الثالث للمعركة . دمشق في الليل . دمشق قطعة ليل فاحم بلا نجوم .. حتى النجوم ارتدت حلا زرقاء خوفا علينا من قنابل العدو ، ماذا جرى لدمشق الطيبة! ..

دمشق في الليل قطعة من الهم والترقب ، ودمشق في النهار قطعة ملتهبة من الانتظار والتوق المتأجج لآخبار الانتصارات العربية في المعركة . اجهزة الراديو في البيوت ودكاكين الخضار والبقاليات والافران مفتوحة على آخرها تثير الحماسة والقلق معا .

قبل الظهر طلبته عدة مرات وهاتفه لا يرحمني . وبعد الظهر حاولت ان اسمع صوته فخاب املي .

سألني اليوم اخي : ما بك . . ؟

ونفيت شك اخي الذكي ، واخفيت ما في اعماقي من خوف على من احب ، وعزوت لون وجهي الباهت الى مرضي وخوفي من الغارات . . اما اخي الطيب فقد كان يسألني وهو متأكد مما يجول في قلبي ، علني اخبر « اخي صديقي » وارتاح . اما بقية اخوتي الشباب فقد ظنوا انني مريضة . حاولت ان اضع على وجهي حمرة الشفاه والكحل لاغير منظرني المخيف .

زارنا احد الاقارب وقال جملة اعجبني . كان كلامه عن المعركة منطقياً وعلنيا ، قال :

« ليس اصعب على الانسان من أن يكون مزدوج الشخصية يقول ما لا يؤمن به ويصدق ما لا يصدقه فعلا » .

اعجبني ان تكون فرنسا على الحياد . في الليل وقفت عند تعليق سياسي على مستوى عال سمعته من راديو بيروت أذكر منه هذه الكلمات :

— ان معركة البترول ستؤثر على الغرب في المدى الطويل .

— يجب ان يعرف الغرب ان دوام الظلم يسبب انفجار الحرب .

جننت فرحا بخبر تبرع الكويت والسودان للقيادة العربية المشتركة بمبالغ كبيرة . وسرتني جدا دعوة الباكستان ، الدولة المسلمة ، للعرب ، بان يطلبوا من الباكستان كل ما يحتاجون اليه في معركتهم مع اسرائيل .

### الخميس ٨ حزيران ١٩٦٧ :

من القاهرة استمعت للمرة الخمسين لاثوى نشيد في معركة العرب مع العدو لبساطة كلماته وسرعة تأثيره وقوته :

لاجل الصغار

لاجل الكبار

لاجل النهار

لاجل البلاد

لاجل العباد

لاجل الولاد

لاجل البنات والامهات  
لاجل النبات  
لاجل الربيع  
لاجل الجميع  
لاجل الورود  
لاجل الوجود  
لاجل السلام والابتسام  
اضرب كمان واخلق امان  
لاجل الحياة ولاجل عشاق الحياة  
لاجل الحياة ولاجل صناع الحياة

خبر عظيم يؤكد وصول قوات الجزائر الى الجبهة المصرية التي يقولون انها سقطت في يد العدو . وخبر هام يؤكد تطوع الف رجل من الصومال الى جانبنا .

رأيت امس حلما غريبا . رأيت ان قوات المغاوير العدو تركض آخذة اماكنها في الثوارع . وصلوا الى شارعنا رأيتهم من النوافذ المنخفضة للقبو اشتد الرعب في نفسي وافقت في قلب الليل المطبق وصدري يعلو ويهبط ، وحلتي يقطعني .

ذهبت صباح اليوم الى عملي ، الجنود في كل مكان ما يزالون يعبثون الاكياس بالتراب والرمل ويوزعونها على نوافذ البيوت . جدار عال من اكياس الرمل امام نوافذ البناء الكبير . سلمت على المجند « الحرس » بيدي وابتسمت فرحة به وبخوذته الحديدية وبنديته التي يحرس بها باب البناء .

قالت لي صديقتي امثال زوجة احد الضباط على الهاتف وهي تشرق بدموعها من شدة قلقها على زوجها الحبيب الغائب قبل بدء المعركة بايام في قطعه ولا تعرف في اي مكان يحارب :

— والله اتمنى لو يعود لي حيا حتى لو قطعت يداه ورجلاه .

هزنتي كلماتها وبكينا معا على الهاتف .

سمعت من اذاعة دمشق تعليقا صغيرا اعجبني لانه كان كلاما علميا وليس صراخا في الهواء :

كل اسلحتنا في المعركة : البترول ، قناة السويس ، عمال الموانئ مقاطعة امريكا وانكلترا ، ضرباتنا المتلاحقة .

دمعت عيني وخنقتني الدمعة . كان الاقبال على بنك الدم منقطع النظر . يقولون للمتبرع بدمه دورك بعد غد . طلبوا من الناس في الراديو ان يتوقفوا عن التبرعات بدمائهم لفترة . ارسلوا الفتي زجاجة الى الاردن والفتي زجاجة لجرحي جبهتنا السورية .

هل هناك وحدة اكبر واعظم من وحدة دمائنا العربية . ؟!

خير هام قراته في نشرة ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي اليومية :

فتاة صغيرة تدعي سنا اكبر من سنها ليسمح لها بالتبرع بدمها . عندما اكتشفوا من هويتها « الكذبة البيضاء » رفضوا طلبها وشكروها . اخذت تبكي بحرقة وظلت واقفة عند باب بنك الدم تبكي لانهم منعوها من تأدية واجبها في المعركة .

### ليلة الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٧ :

حلمت اني عدت طفلة صغيرة تحكي لي جدتي « ام عزيزة » هذه الحكاية المثيرة :

« كان يا ما كان يا قديم الزمان لحتى كان . كان في معزاية وعندها تلت ولاد صفار حلوين كثير . قامت اجت هالمعزاية قائلتهن لولادها . . يا ولاد . . يا ولاد انا رايحة جيبلكن اكل لا تفتحوا الباب لحدا ! اصحكن تفتحوا الباب « للقول » . . .!! قالولها لا يا امي ما منفتحوا .

راحت امهن عالبرية اكلت الحشيش وشربت المي وصاروا بزازها كلهن حليب . وقامت رجعت هالمعزاية عالبيت ودقت الباب . . دق دق . . قالولها : مين ؟ قائلتهن : فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب ببزيراتي فتحولها الباب حطت ولادها وطعمتهن ورضعتهن وناموا .

قامت ثاني يوم ، قائلتهن لا تفتحوا الباب لحدا بغيايبي ، وراحت لحتى تجيبهن اكل . مين شافها . شافها الغول خلاها لراحت واجا دق الباب . قالولو المعزايات الصفار مين عم يدي الباب قائلتهن بصوتو التخين فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب ببزيراتي . قالولو روح انت غول مالك امنا ، امنا صوتها رفيع انت صوتك تخين . راح هالغول لعند النجار قالو نجرلي صوتي . نجرلو صوتو وعطاه سكر نبات حتى صار صوتو رفيع مثل صوت المعزاية ورجع دق الباب وقائلتهن : فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب ببزيراتي . . مثل امهن . قاموا حسبو امهن وفتحولو الباب ، اجا خطفهن واخذهن معو عالمغارة وحظهن بالمغارة لانو كان شعبان

قال لحالو بكرة باكلهن . اجت امهن المعزاية تطلعت لقت الباب مفتوح ،  
فانت دورت دورت ما لقت ولادها . تطلعت بالارض لقت دعسات « الغول »  
لحقت الدعسة لوصلت لبيتو عالمغارة . وطلعت على اسطوح بيتو وصارت  
تدبك . كان الغول تعبان ونايم قام فاق قال : مين دبك على سطحي رمى  
الطراب على طبخي رمى الحجر كسر مخي؟! قالتلو : انا العنزة عنيزية  
ام قرون حديدية واللي اكل ولادي يلحقني عالبرية .

قالها الغول : بايش بدى غالبك انا ما عندي قرون ، قالتلو ما بعرف  
روح ساوي قرون وتعا غالبني . راح جبل قرون من طين وحط قرن من  
هون وقرن من هون وقعد بالشمس حتى نشفو قرونو ووقف بالساحة  
بالبرية قدام المعزاية قالها يا الله تعي اضربي!! قالتلو لا انت ضروب بالاول .  
راح لبعيد تحمى وركد وضربها بقرونو على بطنها قامو انكسروا  
قرونو . قالها يا الله اضربي .. قالتلو : بالله ..!! راحت لبعيد واتحمت  
اتحمت وضربتو بقرونها قام انشق بطنو وطق ومات .

وراحت عالمغارة اخدت ولادها وقالتلن :

يا وليداتي يا حبيباتي ما قتلكن لا تفتحوا الباب لحدا ! شفتو شلون  
اجا « الغول » وخطفكن !!

قالولها : خلص يا امي ما عدنا نفتح الباب لحدا . توتة توتة خلصت  
الحدوتة « ..

وتلاشى طيف جدتي .

صحوت في الليل مذعورة ... وجدت امي مستيقظة قلت لها :

— رأيت ستي الله يرحمها بالمنام تحكي لي حكاية « الغول » ..!!

— خير ان شالله يا بنتي .

— قديش الساعة يا ترى ..؟!

— لسة ما ادن الصبح نامي .

— وائت ...؟

— مو جاييني نوم يا بنتي . راحت ايام النوم !!

**الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٧ :**

الخبر الذي هز العالم العربي خبر تخلي الرئيس جمال عبد الناصر  
عن الحكم .



## السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧ :

تراجع رئيس الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر عن قراره تحت ضغط الجماهير العربية في شوارع القاهرة وفي العواصم العربية ليلة الامس .

سمعت من لندن صدمة نبأ احتلال رجال المظلات الاسرائيليين للقنيطرة في الجبهة السورية .

اعلن راديو دمشق نبأ احتلال العدو للقنيطرة وبدا على دمشق ذعر لا مثيل له . اذن فالصهاينة يتقدمون نحو دمشق . . .!!؟

وبدا خوف هائل يمزقني . بدأت كلماته تكبر في نفسي وعلا طنينها في اذني : سوف اقاتل العدو في الشوارع لو حاول ان يحتل الشام ، لن يأخذ جندي اسرائيلي مكاني قبل ان اموت .

دقت بابنا بلهفة فتاتان من الاتحاد النسائي العام بلباس الفتوة الخاكي تطلبان برجاء ولطف من السكان شراشف بيضاء نظيفة وقمصان رجالية وبيجامات للمستشفيات العسكرية .

وركضت الى امي والى غرفة ابي . اعطتني امي الشراشف واخذت من ابي القمصان النظيفة البيضاء وبيجاما من بيجاماته الجديدة ، اعطاتي ابي ملابسه ودموعه دموع الرجل العجوز الذي دخل اكثر من حرب ، تنحدر فوق الملابس ، وحبست دموعي امامه وانا اتظاهر بالسرعة .

اخذت الفتاتان الشجاعتان الملابس بفرح ، اغلقت الباب وعدت الى الكرسي وانفجرت ببكاء عال وصل حتى درجة الشهيق الحاد . سقطت مني ارادتي نهائيا . بكيت امام اهلي بشدة ، فانا اضعف بكثير من ان احتمل بعد ، او ان امثل امامهم بانني قوية وشجاعة . لست قوية انا ضعيفة جدا . . انا خائفة عليه . . لي رجل يحارب بين الرجال واخاف بل واموت عليه خوفا . من يدري ربما يكون جريحا الان في احدى المستشفيات . .!؟

لاحظ اهلي بكائي . دهشوا . وصمتوا .

على المائدة التي لم تجمعنا منذ ايام ، اقترح احدهم ان نغادر دمشق الى ضاحية من ضواحي دمشق قبل ان يدخلها الصهاينة . قلت : اذهبوا كلكم انا لن اغادر دمشق ، سأموت في بيتي ، اذهبوا واتركوني . حياتي ليست غالية علي الى درجة الهرب ، لست متمسكة بحياتي ما دام الصهاينة سيأخذون مدينتي ويقتلون ابناء وطني وحببي . ولم اكن اتظاهر بالوطنية ، كان «هو»

الوطن بأسره ، لن اهرب واتركه وسط المعركة التي قد تحدث في دمشق .  
وبدأت اتساءل :

— لماذا نخاف العدو .؟ لماذا نهرب من مدينتنا .؟

الى اين نهرب .؟ الى الورا .؟ . . .؟ لياخذ العدو ارضنا . .؟ لنعيش  
في الخيام تحت العراء .؟ من يحب مدينته يجب ان يدافع عنها حتى الموت .  
لن اهرب لن تأخذ صهيونية بيتي ومدينتي وملعب طفولتي . سوف اقاتل  
من النوافذ في الحارات في الشوارع . . . غريب بدأت اقتنع بكلماته واعتنقها  
لا لانها كلماته بل لانها كلمات الانسان الحقيقي الذي كبر في نفسي  
تحت الخطر .

بعد الغداء رن الهاتف . . وركضت كالمجنونة . فقدت اتزانني في البيت  
وحيائي . . ليعرفوا جميعهم الحقيقة . . نعم انا احبه بجنون . لا سر بعد  
اليوم في بيتنا . السر فضحته ملامحي ودموعي ولهفتي . وكان صوته  
الحبيب . قلت : الو . . . بتحفز وامل وشوق وقال : مرحبا . ولكنها كانت  
جافة تطقطق حروفها في حلقة تحمل لي الخجل والاسى كل الاسى والاختناق  
والخيبة والجرح والموت الذي اصاب رجال جيشنا .

اذكر المخابرة :

قلت :

— اهلين وسهلين اين انت من اين تتكلم ؟

— وصلت الآن فقط .

— من اين تتكلم ؟

— من البيت وصلت الآن . .

وسكت لا اعرف ما اقول !! وقال :

— مع السلامة .

فرحت بكلماته على قلتها وعدت اليهم اكررها لهم وانا اشعر بالزهو  
والفرح امامهم ، بينما الالم يعتمر قلبي من اجل خسارته في المعركة كرجل  
يمتليء كبرياء ولم يكن يتوقع هذه الخسارة العربية الفادحة فالموت عليه  
اهون من هذه النكسة .

الفرح ايضا كان اقوى هذه المرة من ارادتي كالالم تماما . لم استطع  
ان اخفيه . شعرت بقوة خارقة تمنعني من تمثيل الدور الحياضي . ابتسامتي  
في طرف شففتي وفي عيني كانت خبرا عظيما لكل من يريد ان يعرف الحقيقة .  
لقد عاد لي حيا .

## الجمعة ١٦ حزيران ١٩٦٧ :

زرت جرحي النابالم في المستشفى العسكري في المزة . بكيت بحرقة  
من اجل جنودنا المصابين المشوهين المتألمين من الجروح الرهيبة البالغة .  
كتل من الفحم في الاسرة البيضاء .

ليتني امزق الطيار الاسرائيلي الذي تذف بالقنابل المحرقة باظافري .  
طائراتهم الحديثة تقودها وحوش كاسرة ويقولون للعالم بكل مسكنة بانهم  
دعاة سلام في المنطقة .

جرحى النابالم لا ينامون وانا لا انام . احترقت جلودهم وتلونت بلون  
الفحم ، واحترق شعوري وتلون بلون الفحم . انا المصابة بالنابالم  
وليسوا هم .

ليتهم يعلمون اني لم انم حتى الفجر وانا اتصورهم ، ربما يكون في هذا  
شيء يبرد قلوبهم .

احترقوا . . . ولم تعد لنا فلسطين . . . وهذا حرق بليغ يكوي قلبي  
وعقلي . ومن صميم الجرح اثور لا اقبل بهذه النتيجة لا نقبلها كلنا، وسنعمل  
حتما في المستقبل ما يعوض خسارتنا .

## السبت ١٧ حزيران ١٩٦٧ :

قبل وجه الصبح افقت مذعورة على حلم يكاد يخنقني بصورة المرعبة :  
رايت ان ليل دمشق المطبق قد امتلأت سماؤه بالصواريخ .  
وبالقناديل الحمر والزرق . وقيل لي ان هؤلاء هم رجال المظلات الاسرائيليين  
يهبطون بشكل سري على دمشق . وكان منظرا مرعبا . المظلي والمظلة  
مختفيان في الظلام .

ونظرت الى الشوارع فرايت الجنود الاسرائيليين الذين وصلوا الى  
الارض يحملون بايديهم الفوانيس الحمر والزرق ويركضون بخطوات غير  
مسموعة نحو مبنى قيادة جيشنا . خفت وركضت الى الهاتف اطلب رقم  
القيادة لاخبرهم بما رايت حتى يستعدوا للعدو الزاحف كالاتاعي ، ولم تجب  
الارقام . لا احد يرد . لا احد يرد . وفهمت ، الجنود والضباط في مراكزهم  
لا احد في مكتبه ، لن يغدر الصهاينة بقواتنا لن تنجح الخطة ، ستصطادهم  
قواتنا كالفئران . . .

وافقت مذعورة . . . مرت لحظات وصدري يعلو ويهبط وانفاسي  
مقطعة وانا احمد الله انه حلم .  
شربت كأس ماء ونمت .

الاثنين ١٩ حزيران ١٩٦٧ :

قررت ان اكتب علني ارتاح :

في لهيب المعركة انصهرت الشوائب وظهرت الحقيقة بلون واحد .  
في خلية النحل ضاعت الملكة ، وتحولت كل نحلة الى ملكة وكل ملكة الى نحلة  
عاملة نشيطة .

تحت صوت القنابل سككت اصواتنا وارتفعت الاعمال العربية الى  
مستوى القمة .

في عتمة ليل المعركة المطبق انطفأ لهب نور الشمعة وانكسر القلم في  
يدي وجف الريق في حلقي ولجأت الى سكون السكوت المطلق اقرأ ما يكتب  
في اعماقي .

قرأت سطورا كثيرة ...

سطر ابيض يتبعه سطر اسود يتبعه سطر أحمر يتبعه سطر أخضر ،  
وكان لا بد ان تكتب المعركة بهذه الالوان التي تشرب حقيقتها من جذورنا  
السعيدة والمتألمة المجروحة والمتفائلة .

هذه الالوان كانت تنسكب كشلال على قلوبنا وعلى حدودنا العربية  
المتلاحمة مع العدو .

في عتمة ليل الغارة المحرقة لمنجزاتنا خلال عشرين سنة كنت أخاف  
الهزيمة واتوق الى النصر .

وكانت النتيجة هزيمة في معركة الحديد ، ونصرا في معركة الالوان  
الاربعية مع فكرة العدوان والاستعمار .

اسرائيل .. لنقل هذه الكلمة بشجاعة ، استعمار قديم ندم على  
رحيله من بلادنا الخضراء التي تسبح فوق بحيرة من الذهب الاسود ،  
وتعانقها البحار ولا تفارقها الشمس وتنام فيها عيون الرسل والانبياء ،  
فقرر العودة .

ولكن العودة بالاسماء القديمة الرومانية والصليبية والعثمانية  
والفرنسية والانكليزية وحتى الامريكية امر يدعو للخجل ..!! وتم اختراع  
جديد انطلق كصاروخ من النار الى ارضنا واستقر في قاعدة رسمت عليها  
نجمة اسرائيل .

كنا نعرف اننا سنحارب امريكا وانكلترا قبل المعركة ، وكنا نعلن هذه المعرفة على الدنيا كلها . ووقعت المعركة وتمت مساعدة امريكا وانكلترا لاسرائيل ضد العرب .

تأكدت الحقيقة اثناء المعركة وبعدها ، على خطوط النار امس ، وغدا في مجلس الامن وفي هيئة الامم المتحدة .

وتوقف العدوان بقوة الكلمة لا بقوة الحديد .

كان جوابنا على الهزيمة العسكرية في المعركة غير المتكافئة مثلا شعيبا بسيطا : « عين ما بتقاوم مخرز » .

وكان جوابنا في معركة الحق : كلمة تطحن دبابة وحق يسقط « ميراج » .

اكتب الآن مع انني خرجت من التجربة بدرس عظيم :

« ان اسكت استعدادا للمعركة خير من ان اتكلم كثيرا بلا استعداد » .

ان اطالب منذ اليوم بتعلم قيادة دبابة وطائرة وحقق ابرة وطبخ لقمة ، خير من ان اجلس وراء المكتب القوي الاوامر وانفخ الكلمات الرنانة في بالون كبير سرعان ما ينفجر في الهواء .

في معركة العرب من أجل استعادة فلسطين سنة ١٩٤٧ كنا صغارا ، ولم يكن لنا حق المطالبة بحمل مسؤولية معركة ستقع بعد عشرين سنة لاسترداد فلسطين .

واليوم . . نشعر بان علينا ان نشترك في حمل المسؤولية للمعركة المقبلة . مسؤولية اعداد انفسنا من جديد ومسؤولية اعداد الصغار بطريقة علمية تغلب فيها صورة المعادلة الرياضية على صوت النشيد الحماسي الساذج ينطلق من حنجرة المطرب بلا رصيد .

### ٣٠ حزيران ١٩٦٧ :

قال احد جنودنا البدو العائدين من ارض المعركة لن حوله يشرح هول المعركة بلهجته البدوية العفوية الطيبة عندما سألوه ماذا رأيت :

« تحل علي امي ، شفت بالسما شي احمر واخضر واصفر ما ندري الا والسما طيارات » .

تضايقت من الحادثة رغم عفويتها وبساطتها . تأملت لسأذا صعق

جنودنا بمفاجآت الغارات الجوية الكثيرة لماذا لا يعد الجندي كما يعد الضابط  
لمعرفة وتوقع اسلحة العدو؟ الم جديد فوق الآمي .

### السبت ٢١ تشرين اول ١٩٦٧ الساعة ٣٠ مساء

اغرقت القوات البحرية العربية المصرية المدمرة الاسرائيلية الكبيرة  
« ايلات » وهي تحاول اختراق المياه الاتليمية للجمهورية العربية المتحدة .  
خبر عظيم قامت له البلاد العربية وتعدت . التهاني في كل مكان .  
النصر لكل الوطن العربي . العالم كله يتحدث عن اغراق المدمرة الاسرائيلية  
ايلات . اكثر بحارتها غرقوا . يا سلام على هذا الخبر انه يبرد القلوب في  
هذا الصيف الحار الحافل بالاحداث الساخنة .

سمع الناس اذاعة اسرائيل تجري مقابلة مع قبطان المدمرة الذي نجا  
باعجوبة . قال في مقابلة صحفية واذاعية ما معناه :

« لا ادري . . . رأينا شيئاً اخضر اللون ، نراه لأول مرة في عمرنا ،  
يندفع نحو المدمرة بجنون ويشطرها الى نصفين ويفرقها في ثوان !! » .

كم انت كريم يا رب . . كم ضحكت من هذا القبطان الاسرائيلي وكم  
فرحت لما حدث له ولمدمرته ، انه في دهشة . . . انه في ذعر من هذا  
الشيء الاخضر المجهول الذي اغتال مدمرته في لحظات . . . !!

كم أنت كريم يارب . . لقد تأرت هذه الحادثة العظيمة في معركتنا  
المستمرة مع العدو ، لجندينا السوري البدوي الطيب الذي فوجيء بألوان  
الطائرات الاسرائيلية الحمراء والصفراء والخضراء .

انا متأكدة . . لقد بدأت اسرائيل « تلحمس » على رأسها !!

وسوف نحرر الاراضي العربية المغتصبة ونسترجع فلسطين الخضراء،  
ولن يطأ اليهود أرض الشام .

### الخميس ٢١ آذار ١٩٦٨

في عيد الام . .

قبلت امي في الصباح ، وابتلعت كلمات التهئة مع الدموع وهربت  
بسرعة الى عملي .

في عيد الام . . العدو الاسرائيلي يضرب الاردن .

في عيد الام .. موسى ديان في خطر الموت بين لحظة واخرى في  
المستشفى . قالوا أصابه حجر وهو يبحث عن الآثار !!!

وقلبي يضحك ، لان موسى ديان أصيب حتما بضربة فدائي عربي  
فلسطيني ، هكذا يقول قلبي الواعي .

في هذه اللحظات الوطن العربي كله عين واذن على العدو .. وقلب  
على الام العربية الطيبة التي تضع الهدية الجميلة الى جانبها وتتمم بالدعاء  
وتبتهل الى الله :

« الله يوفتكم .. الله ينصرنا على العدو الله يخليلي ياكم » .

احب كلمات الامهات .. وهي قوة دافعة جبارة لاقوى رجل . « الله  
يرضى عليك يا ابني » هي اصبع ديناميت تتفجر من يد ابنا العربي في صدر  
العدو الصهيوني المتحفز كالذئب الكاسر في وجه « الضاد العربية » .

العدو غايته عندنا الضاد العربية ، الارض العربية ، الانسان  
العربي . هذا امر اصبحنا نعرفه جيدا . يعرفه الطفل عندنا الذي يقرأ الالف  
والباء وتعرفه الام العامية .

أتأرجح .. انوس بين امي وامتي . منهما اتيت ، اليهما انتمي ،  
وعنهما سوف ارد الخطة الجهنمية مهما كانت قوتي ضعيفة . لن يأخذوا  
الفرات ولن يأخذوا النيل .

ان كنت اجهل عملية حقن الابرة في عرق جندي ، فسوف اساعد في  
حمل علب المؤونة . ان كنت مقعدة فسوف اخطط قميصا رجاليا بالابرة  
والخيط . ان كنت ارتعد من صوت الرصاص ، فسوف احضر نفسي  
لسماعه ، فتخف الصدمة وتنتفي المفاجأة . وبشدة الحذر والوعي وكامل  
الانتظار والترقب سوف اغتال كل حادثة سيئة ممكنة محتملة .

عيني على امي الحبيبة وعيني على خط الحدود ، على خط الحياة او  
الموت ، خط الوجود او اللاوجود .

كل لحظة بالنسبة لي لحظة ترقب لعدوان مفاجيء ، وساعة الصفر  
عند العدو ليست ساعة سرية ، لانني في كل ساعة اتوقع العدوان . في كل  
لحظة انا في حالة استنفار دائم يشير الى مئة بالمئة .

وانا لست انا . انا .. انتم .. انا الضاد العربية .

وامي ليست امي .. امي هي امتي .

وبيتنا ليس بيتنا .. انه خريطة الوطن العربي .  
وعيد الام العربية يمر على ديارنا العربية هذا العام الذي يلي نكسة  
الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ليشهد ولادة حرية جديدة يصنعها مقابل  
حياته فدائي عربي .

ويأكل الخوف والذعر قلب الاسرائيلي الصهيوني الذي أحس بأن  
الارض تحته تهتز بعنف ... يهزها زلزال عربي معاصر يزمجر من باطن  
الارض العربية .. من المائع الناري العربي الهادر الطالع من قلب الارض  
العربية الفلسطينية ليكتسح في طريقه كل فنون الصهيونية النابالية .

ويتصايح الصهاينة ... الزلزال ... الزلزال ... ويتراخضون هربا  
من الزلزال العربي الذي لم يحسب له جغرافيو الاستعمار الحديث حسابا  
علميا دقيقا ، لانه خارج توقعات العلم .

لا فائدة ... فلسطين ليست لكم ...

هذه كلمة نهائية .. يقولها كل فدائي عربي وهو على استعداد لان  
يحققها مقابل حياته .

لا فائدة من الماطلة والانتظار ...

الزلزال العربي انتشر ... الزلزال هو الحل .

المائع الناري العربي يتفجر من كل مكان عربي ... يسيل نحو  
العدو نهرا ناريا محرقا يبتلع كل ما في طريقه من نجومات سداسية .

لا فائدة من مقاومة الزلزال العربي الفدائي .. لا فائدة من حواجز  
واهية يخترعها العلماء الصهاينة في مخابر الاستعمار الحديث .





## فلسفة ..

اشارت باضافتها اللؤلؤية الى ثلاث نقاط على شواطئ ثلاث قارات  
كبيرة تتمدد بكبرياء فوق الخارطة الزرقاء وقالت :

— هنا اتمنى أن اكون الآن .. او هنا .. او هناك ..!!

قال :

— ولكنها نهايات العالم ...

قالت :

— اهدافي الحقيقية دائما بعيدة .. يحملني اليها جناح الخيال .

قال :

— الخيال خيال وليس حقيقة .

قالت :

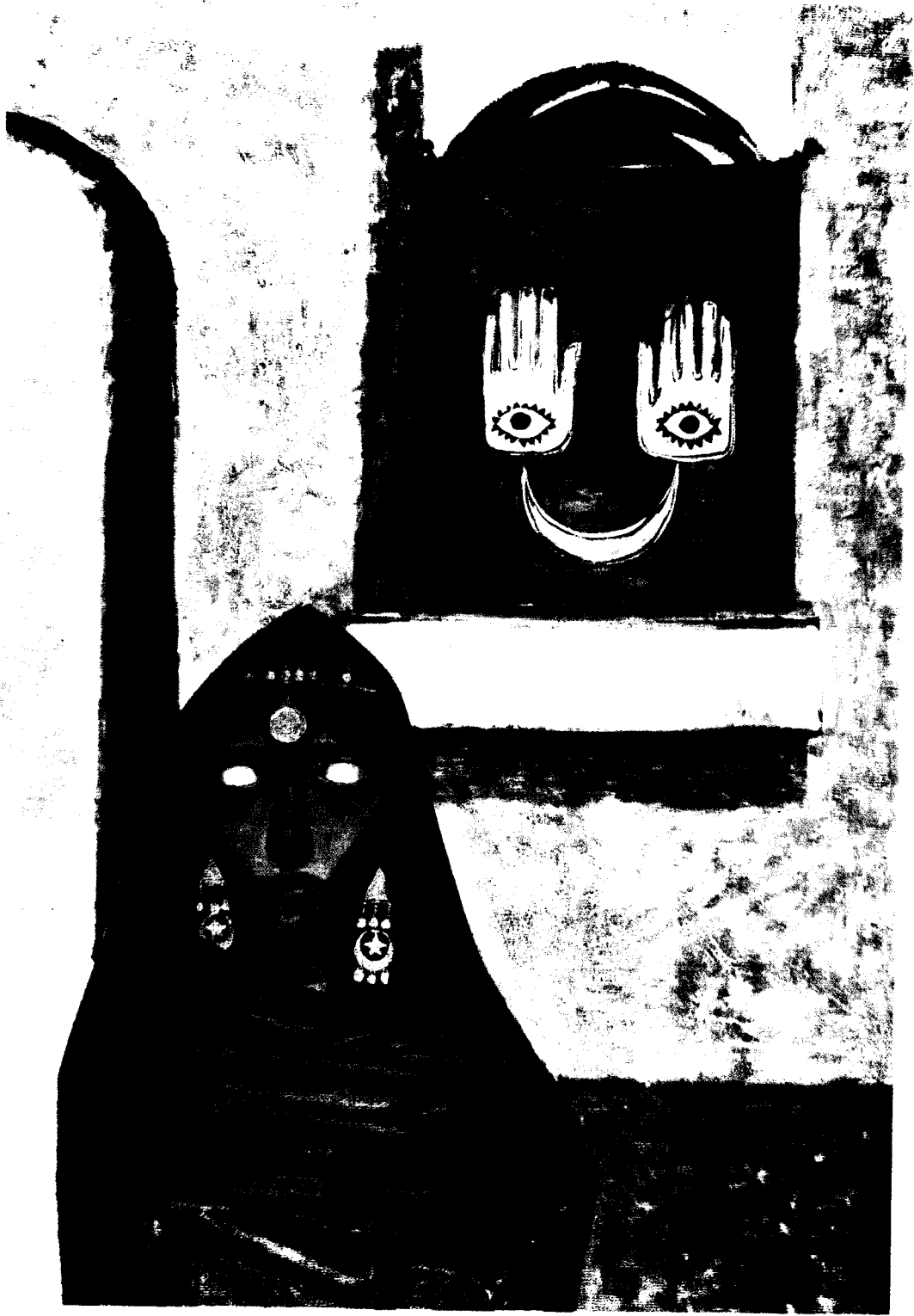
— كثيرا ما نتمنى اشياء مستحيلة يعجز عن تقديمها الواقع ويفلج  
الخيال .

قال :

— مثلا ..؟!

قالت :

— لو قلت لك .. لاتهممني بالجنون .



الفنان نذير نبعمة - دمشق

Vertical line on the right side of the page.

قال :

— قولي اذن ..!!

قالت :

— دع المزاح .. فانها رغبة في اعماقي هائلة ومثيرة وعنيفة .. انظر  
معي الى الخارطة .. اترى هذا العالم .. هذه اليابسة وهذه البحار ..  
هذه المدن وتلك الموانئ .. اترى معي البحر الابيض المتوسط وهذه  
النوافذ التي تطل عليه منذ فجر التاريخ ..؟!؟

قال وصبره يكاد ينفد :

— نعم ارى .. ارى ..

قالت :

— اتمنى لو تضعني الحياة في نافذة الامنيات المطلة على هذا العالم ..  
لارى دون ان يراني احد حقيقة الحياة التي عاشها الناس عبر العصور ..  
اتمنى لو اشم رائحة الغبار الذي اثارته حرب طروادة .. والتقي بالعاشقين  
هيلين وباريس .. اتمنى لو اسمع الموسيقى التي كان ينام عليها قيصر ..  
اتمنى لو اسمع سهيل جواد طارق بن زياد وهو يعبر قارة الى قارة ..  
اتمنى ان ارى اسراب حسان اليونان بملابسهن السحرية التي غلبت  
التاريخ واستمرت عبر ايامه .. اريد ان اسمع صوت خالد بن الوليد ..  
وقيثارة الفارابي .. واركب سفينة عربية عتيقة لاطل من وراء شراعها  
على نافذة من هذه النوافذ التي كانت تطل على البحر المتوسط قبل ان تتغير  
خريطة العالم .. اتمنى لو التقى بالخضر عليه السلام وجها لوجه فأطلب منه  
ان يحقق لي امنياتي .. فأغدو بلمسة من يده على رأسي امرأة جميلة  
سعيدة تربة يحبها زوجها وتنجب الصبيان والبنات ..

أريد ...

قال :

— كفى كفى .. أفهم ما تريد ..

قالت :

— ربما ..

قال :

— انت كفتاة البحيرات املى برونتي .

قالت :

— هي رومانسية . . وانا واقعية تلبس رداء رومانسيا .

قال :

— انت مثلها ..

قالت :

— لقد سحبها الحلم من الواقع . . وتعيدني احلامي الى الواقع ،  
احلامي مشبعة بالواقع تشرب منه ، واشعر دائما برغبة في الطيران . . .  
اشعر انني دائما وابدا في تطبيق مستمر يفرضه علي شعور ينبع من ذراتي  
التي تجسدني امامك انسانة من لحم ودم .

قال :

— وما الفائدة .. ؟

قالت :

— الحياة ..

قال :

— أين .. ؟

قالت :

— هنا في نهايات العالم .. وهناك في اعماق التاريخ وسراديب الماضي .

قال :

— والحاضر .. ؟

قالت :

— ارفضه بشدة .. فهو الذي رفع اقدامي عن الارض .. وجعل  
اظافري الطويلة المطلية باللون اللؤلؤي تبحث عن كنوز الطمانينة المرمية  
باهمال على شواطئ القارات .. وهو الذي سمح لروحي بالبحث عن  
الانسان في اساطير الغابرين .

قال :

— فيلسوفة صغيرة .

قالت :

— ربما ..



## الشتاء ..

انا لا احب الصيف . ليشهق الآخرون وليرفعوا اهدابهم دهشة  
وليبتسموا ابتسامة فيها الف معنى .. انني افهم .. مجنونة ..!! لكن انا  
مجنونة بالشتاء ، واكاد أفقد عقلي وقلبي في الخريف .  
ليت الصيف لا يعود .. انني منقبضة ، بدأت الايام الهاربة من الصيف  
الى شتائي العذب تقلقني ، وبدأت اتمسك باذيال الشتاء كمن يمسك  
باغصان شجرة « المستحية » خوفا من السقوط في الماء .

بدا الربيع ينقر بأصابعه الملونة على رأسي .. ويدق دقات خجول  
مترددة على قلوب المراهقين من الناس، ويهرع الكبار الى نوافذهم يغلقونها  
في وجه الشاب المغرور الذي يبدو لهم كمهرج في سيرك جوال ، بثيابه  
المزركشة الملونة ، ووجهه الضاحك دائما بقوة الاصباغ ، انهم لا يحبون  
الا الضحكة الخلسة لصاحبها وللآخرين ، وعندما يتكلم الربيع يغري عددا  
كبيرا من الناس ، وعندما يتكلم الشتاء فان الحلقة تصفر فالمريدون هم  
الخاصة . لقد بلغوا من الترف النفسي ما يسمح لهم بفهم الشتاء ، كالفقير  
الذي اثرى ثم بدأ يدرك ان بيته الطيني في الحي العتيق من المدينة هو المكان  
الوحيد في العالم الذي يمنحه عفوية السعادة ويحميه من سام الحضارة  
والالوان ويمنعه من السقوط في بورجوازية النفس والفكر والجيب . فان  
كان الربيع بورجوازيا يخدم مصالح الصيف ، فان الخريف في رأبي ثري  
أدرك ان الاطمئنان الحقيقي للنفس لن يكون الا مع فقر الشتاء .

اكتب والريح تعصف في ليل المدينة النائمة .. تريد ان تقتلع المنازل  
والاشجار والناس من جذورهم . المرأة في الغرفة تكاد من فرط سعادتي  
بالريح ان تقول كلمتها رغم الظلام ، وكأن سعادتي نور ينبعث من وجهي .  
الشتاء لي .. أنا أعلم .. وقد يكون لبعض الآخرين من الجانين  
امثالي ، وتسالون : لماذا لا احب الربيع ..؟ وسأجيبكم بسؤال : لماذا  
تريدونني ان لا احب الشتاء ..؟  
كأني بالربيع يريدنا ان نقدم للطبيعة أطفالا .. وبالصيف يهيب بنا



المفان عدنان أرناؤوط — دمشق





ان نأكل ، ونظل نوازع الفكر والمحبة والانسانية من اعمال الخريف  
والشتاء .

هذه ليست نظرية ، انها احساسيسي ومشاعري والاحاسيس والمشاعر  
لا تخضع لمنطق ارسطو .

من منا يتعامل مع الطبيعة في الشتاء ؟ أنا .. وربما انتم .

أتمنى لو أسير وأسير في دروب الضيعة في بلادي ، وحدي ، يداي في  
جيبتي وخطواتي هادئة ، وقدمي تدوس برفق غصنا يتقصف تحتها بالم  
لذيذ .. الاشجار العارية حولي تسير معي على الدرب ، ورأسي يثقل  
عليها التفكير والحب القوي الهاديء الحقيقي في حياتي ، كل شجرة عارية  
تسألني عنه بحياء ، وكل ورقة يابسة ترمقني بنظرات حاسدة احيانا ومهينة  
أحيانا .. الكل يطلب مني ان يكون بيتنا هنا في حضن الطبيعة البعيدة عن  
المدينة المتلألئة بانوار الاعلانات .

في هذه الدرب وصورته في عقلي وقلبي ، اشعر بأهني كبرت وانني  
تحولت الى بالون أزرق ينمو ويكبر ويكبر حتى يلامس سطح القبة  
السماوية ، وتختلط على هذا البالون حقيقته هل هي من السماء أم من  
التراب ، يريد ان يتخلص فيضم في اعماقه بشرة الارض وجوهرها ، وان يمتد  
فيلامس سطح القبة الزرقاء وسرها ، وكان المسافة بين كرة الانسان وقبة  
الاله قد ضاعت . فأدرك من احساساتي البسيطة ان الشتاء طريق من  
طرق الصوفية تحملني الى مرحلة عالية من مراحل الخلاص . وابتسم هذه  
المررة ابتساما لا تشبه ابتسامة مهرج السيرك الدائمة .

الريح .. تعصف عندما تمر امام نافذتي وتصفر ، تؤكد لي انني  
ضعيفة ، ولكنني لا أخاف .. أخرج اليها وأفتح لها صدري واسمح ان  
تداعب خصلات شعري وتعاملها بعنف ، علني مع الريح اطيروكورة يابسة .  
ولكن الريح العظيمة لا تأخذ معها في رحلتها الراقية الا من تمت دورة  
حياتهم .

ليت الصيف لا يعود فأنعم بالشتاء البارد وأحس بحرارة الحياة  
تسري في عروقي وعروق الاشجار العارية . وان كانت زهرة  
الياسمين الرقيقة هي ميزة الصيف الوحيدة ، الا ان الشتاء يظل فصل  
زهرة البنفسج الناعمة التي تخلص بلونها ورائحتها ودقتها لمعنى الشتاء  
الغامض . ان الشتاء يحقق لي صورا لا تنتهي ، ويمدني بافكار وعواطف  
لا تنضب . ليت الصيف الغبي البليد لا يعود .

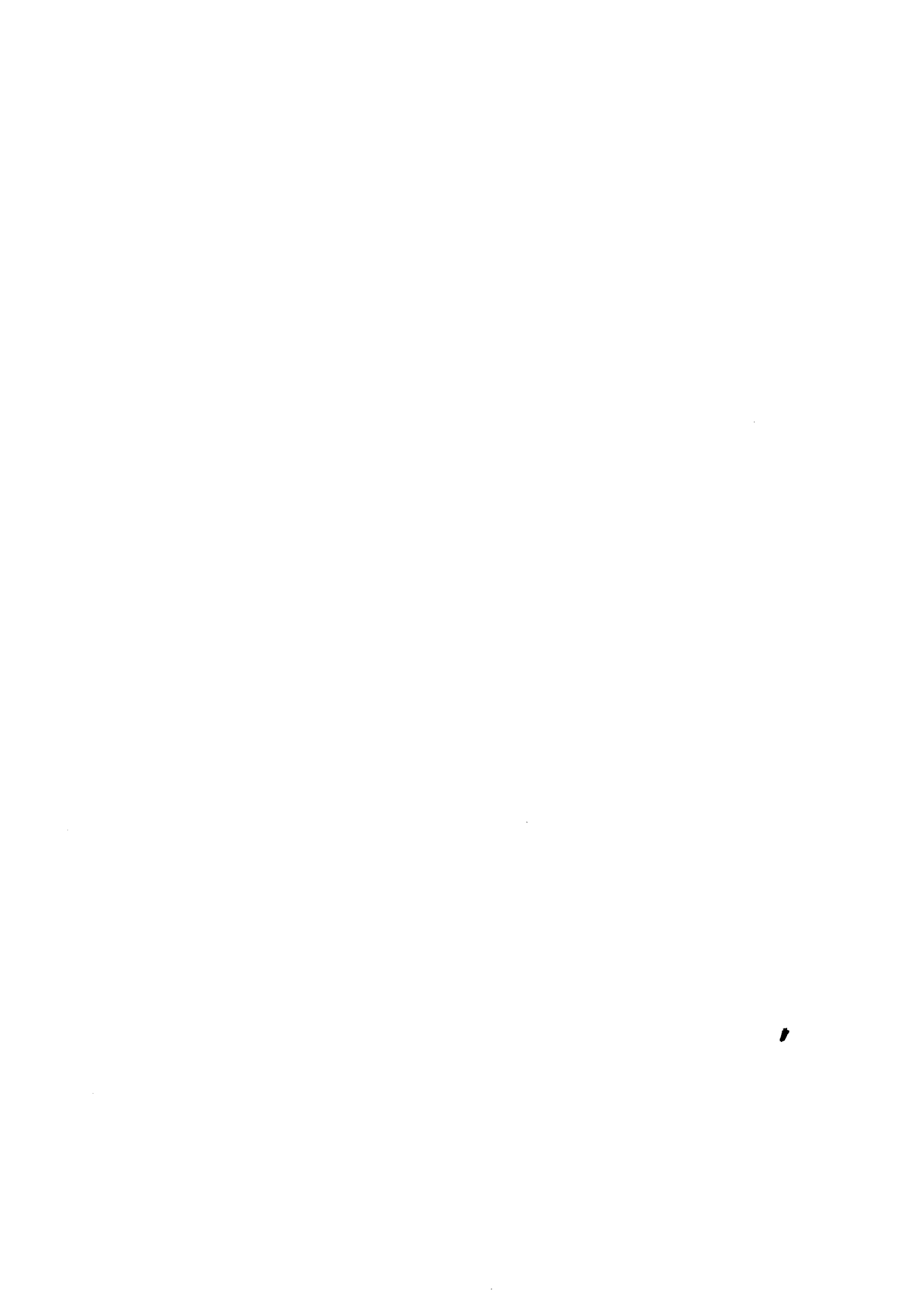
انني مع الشتاء انسانة .. انثى ضعيفة .. رغبتني في الابقاء على  
ضعفي الاول لا تحققها الا هذه الريح الهادئة الباردة .. وامامها وحدها  
تتلاشى قوتي التي منحها لي بترف صيف الحضارة .

## لوحة تليزية

بعد منتصف الليل .. وصيف حزينان يتوهج ، يهدد آخر ما تبقى لي  
من اتصال مع ايار ونوار .. ونهر صغير يخرب بهدوء بعد ان تحول قسرا الى  
بحيرة اصطناعية حلزونية الشكل جارية تحت ارجل البط والوز .. وغناء  
صرصور .. وثقيق ضفدع يسلي الليل .. وحوار يصل الى درجة الشجار  
العالي بين بطة وزوجها .. وصوت سيارة يشق الهدوء .. وخط باص  
نائم .. و« اطلال » أم كلثوم .. وغمزة من ضوء اصفر على سفح قاسيون ..  
وتناؤب احمر من هوائي التلفزيون على قمة الجبل .. وخط رفيع باهت  
يفصل الجبل الاسود عن السماء الفضية المعتمة .. وأهل الكهف يغطون  
في نوم عميق : ونور يتلأل وحده قرب العتمة كشمعة ، يصعد الجبل الاجرد  
كل ليلة ويهبط مع مطلع الشمس يذكرني بالمسكين سيزيف .. ونسمة تهب  
فجأة فترطب وجهي وشعري وطرف يدي .. واوراق على الشجر تتحرك ..  
وخصلة شعر متمردة تحاول الهرب مني مع النسمة النادرة .. وملامح  
رجل حبيب يختفي في طيات الليل .. والايام الصعبة الماضية .. والحرب  
الباردة بين قلبين حارين .. وورق يخشخش هاربا من غضب ريح عصبية  
تهب على الطريق تتحدى صمت الصيف .. وشرفة تنطفئ .. وناموسة  
تطن قرب اذني .. وصوت دراجة نارية تتوقف قسرا كي لا تقتل قطة بيضاء  
تقطع الشارع الى « تنكة » زباله قلبها أحدهم بقوة الى جانب الرصيف ..  
وسعال متعب من جارنا المريض .. وصدى ضربة عصا الحارس الليلي  
يأتي من رأس الطريق .. وهدير طائرة عائدة الى المطار الوطن ..  
وضحكات اسرة مارة تختلط ببكاء طفل يمشي جرا .. وشرفات مضيئة  
يسهر فيها نعاس وتعب وهم وأمل في اجتياز امتحانات الغد .. ورنين هاتف  
في بيت الجيران .. وكروسي حارس حارتنا وكوخه الخشبي ودراجته ..  
ومدخل سفارة شرقية « بولونية » يشد العين الرومانتيكية .. عدة درجات  
رخامية وباب حديدي انيق وقنديلان حاملان ونباتات مزهرة تتسلق



الشارع همام المدمر - دمشق



السفارة .. وسكون في البناء . . ونوافذ نائمة .. وأحلام بولونية ..  
وسماء صافية بلا نجوم .. وقمر طيب القلب رغم الاعتداء الثاني عليه ..  
وعينا سيارة تشعان فجأة من الجبل كعيني ارنبة حامل مذعورة في حقول  
الفرات خوفا من رصاصة صياد غادر في ليل الارانب .. وذكرى رحلة  
شهر الى الجزيرة والفرات وحلب واللاذقية وحماه وحمص .. وامواج  
تتلاطم على جبل قانسيون المتألبيء كتاج عروس دمشقية .. جبل وذكرى  
بحر معا .. ومنازة في قلعة ارواد .. ومائدة للفرسان في قلعة الحصن ..  
وأطراف ثوب تتطاير من هواء بحيرة قطينة .. وطيران مفاجيء لاسر البط  
والوز هربا من قطة مأكرة تتحفز .. وكأس ماء تتحرك فيها قطعة ثلج ..  
وتمقم ماء زهر النارنج والليمون والبرتقال في طرابلس لبنان .. وفنجان  
قهوة أزرق .. وقرنفلة خمرية واحدة في زهرية فخار صغيرة .. وارطاسيا  
في شرفتنا .. وشمعة تنثر في عز الليل رائحة بهارات الشرق من زهرات  
مخملية ناعمة زهرية شمعية يعشقها النحل عشقا .. وغصن « خميسة »  
يتدلى من سقف الشرفة القرميدي كنسناس صغير عابث يتحدى قانون  
الجازبية .. وظل رأس كبير كبير يملأ أرض الشارع يسهر صاحبه مثلي ..  
وسيارات بيضاء ورمادية وكحلية وفستقية تلتصق بكثف الرصيف التماسا  
للراحة والبرودة . . وترانزستور في يد انسان عابر .. وساعة في يدي  
تشير الى الواحدة والنصف .. وتثاؤب . . وخوف داخلي من ارق الليل ..  
وأمل خفي بهاتف غير منتظر ... وهو .. وأنا ... والليل .. والصيف ..  
والمدينة النائمة وبحيرة البط الساهر ، والفكر يروي لقاسيون قصة الانسان  
الذي لا يهدأ . يريد ويتمنى ويفلي وينصت في السكون الى صوت الطبيعة  
والى هدير اعماقه ، وتظل الحقيقة بعيدة كلما اقترب منها فرت هاربة .  
وكانها صببة حسناء لعوب تعبث بعواطف شاب مراهق بين اشجار الغابة  
الغامضة السحيقة ، تمد رأسها ثم تختفي خلف جذع شجرة عجوز ، وصوت  
ضحكتها المغرية الساخرة يدمر لهفته اليها ، تلوح له بضميرتها ثم تغيب في  
طيات الظلال ... !!

وانا أتساءل ما سر هذه اللعبة ؟

وهل حصولنا على جزء من الحقيقة يهددنا بضياعها من جديد ..؟!؟

وهل كتب على الانسان البحث الدائم ..؟ وكأني بهذا الانسان قد  
رضي لنفسه هذا المصير ، وآثر الحياة في غابة الضباب لان النور الباهر  
يحرم النفس من الظهور الكامل ، ويحرمها من لقاءها مع احلامها  
المتوردة ... !!

في النهار نرى من نحب ونلبس قناعا يخفي ملامح المحبة في تقاطيعنا .  
نبتسم ، ولا نبتسم .

وتطير الانكار المجنحة بالعواطف مع هبوط الليل طيران « سندريللا »  
السعيدة الى اميرها ، حرة طليقة لان العيون الجريئة .. عيون النهار ..  
قد نامت عنها حتى الاغماء .

لكن .. هل ينعم القلب بالفرح ، حين تنام عيون الآخرين .. وهو  
يتلمس امنياته ، وتضيق المسافات في ثوان ..! الا تظل عين القلب ساهرة  
على نفسها ..؟!

لقد اكتشفت ، وقد لا اكون الاولى ، السر الكامن وراء تعاسة  
الانسان في هذه المدينة . وعرفت ان العين التي تراقبه وتحرمه متعة اللقاء  
التام ، هي عينه هو على نفسه .

عندما نكون مع من نحب لا ننسى اننا معه .

نضحك وندرك اننا نضحك ، تلتهب مشاعرنا وندرك اننا نبردها  
ونثلجها ونقتلها في حركة عصبية جانبية تكاد فيها نأملنا تفرط عقد مفاتيح  
السيارة والخزانة والمكتب والبيت .

نخفق في اداء المعنى الحقيقي امامه ، ونعرف ان وجوده المفاجيء  
كان سبب تلمننا الفكري .

تلهث انفاسنا لدى سماع صوته على الهاتف ، ونسمعها كما يسمعها  
هو واكثر .

الانسان الساذج فينا يفعل ، والانسان القوي يقف كالمارد ليقدم  
لنا اشرطة تسجيل ملونة على شاشة مقابلة لاموتية ، تذكرنا بالصورة  
الطبيعية التي ترتسم على وجوهنا في كل لحظة .

نحن نعرف هذا ، ونعرف اننا نعرف ايضا باننا تعساء دائما ومنظل .

اعتقد ان هذه الحقيقة في نفسي على الاقل ، حقيقة انسانية يثبتها  
وجودي الانساني الذي وعدني به الفيلسوف ديكارت . انها حقيقة « الاسى  
لأننا نعرف » التي ترافق انسان العصر الحاضر بينما ارتاح منها انسان العصر  
الماضي الذي لم يسمع « بعقدة » فرويد ولم يتعرف « بكين » جان بول سارتر  
ولم يمر مع من مروا على « جسر » ايفو أندريتش ، ولم يعان « عشق »  
سيمون دوبوفوار ولم يصفر اعجابا « بجوستين » لورانس داريل .

الحياة الانسانية شقاء عندما يسيطر عليها الفكر ، وهي شقاء بلا  
فكر . والانسان بين هذين الحدين يتأرجح ، فكر ام لم يفكر و لن يعثر  
على الحقيقة الا في الموت كما يبدو .

وعادت البحيرة برفة عين .. وعادت انثى البط توشوش في اذن  
ذكرها قصة حب عنيفة وهادئة تحملها له وستحملها ابدا . وتؤكد له بان  
حبها له هو الحقيقة الوحيدة في حياتها . واخذت تنظر الى وجهه في عتمة  
الليل الندية المطبقة ، وهي تحلم بان تمنح هذا الوجه الى الطبيعة والى  
شواطئ هذه البحيرة ، اكثر من مرة .. اكثر من مرة ..!! اكثر من صغير  
لها .. واكثر من صغيرة ..!! وستكبر اسرتها .. وستسبح هذه الصور  
الصغيرة العزيزة امامها بخفة ويأدب ويثقة .. وستظل هذه البطة كما هي ،  
سعيدة وتدرك ، كالانسان ، انها سعيدة ، وسيظل زوجها الذي اختارته  
دائما كما هو ، ينظر الى عينيها بلهفة يلفها القلق ، ويدرك في اعماقه  
« السابحة » ان عين نفسه ترقب نفسه العاشقة دائما .

هل يفكر البط حقيقة ..!! ام انني احمله حقيقة الانسان المرة العذبة ،  
الانسان الذي لا يلتقي مع من يحب الا في الليل ، الانسان الذي يسير في شارع  
النهار يرتدي انسانا آخر !!!





## حوار ..

**قال :** لا تكتبي عن حزنك اكتبي عن الحزن . لا تكتبي عن فرحك ، اكتبي عن لفرح .

**قلت :** تريدني ان اكتب عن قضية .

**قال :** نعم .

**قلت :** وانا اعجز عن الارتفاع الى مستوى الكتابة عن قضية ، وتظل ريشتي كالنعامة تطمر رأسها في رمال ارض ، نهاياتها حدودي وابعادها ابعادي والكل فيها لا يتعالى عن جزئياتي . لم املك بعد يا صديقي قدرة على الخلاص من « الانسا » التي تلون الوجود باللوانها ، وما زلت ارسم بذهني الشجرة شجرة وأحدق في لوحات بيكاسو ببلاهة وبلادة دب ابيض .

**قال :** اذن اكتبي عن نفسك .. !

**قلت :** انت تناقض نفسك .

**قال :** ابدأ .. انا اعتبر الانسان قضية .

**قلت :** يبدو اننا سنلتقي بتواضع منك ونزوع مني .

**قال :** اكتبي ، لم هذا التوقف الاخير المفاجيء في ينبوعك الثر .. ؟  
كنت أقرأ لك باستمرار ولم أعد أقرأ !!

**قلت :** انا مستمرة لانني اقرأ .



الفنان فاتح المدرس - حلب



**قال :** القراءة بنظري خطوة الى الامام وخطوة الى الوراء .

**قلت :** القراءة تحملني على الخوف من الكتابة .

**قال :** ولهذا السبب تصبح القراءة عملا سلبيا في بعض الاحيان .

**قلت :** لا اشعر احيانا برغبة في الكتابة لا املك ما أقوله صدقتني .  
الكتابة امر يحيرني كنفسي ، انا اخضع لنداء القلم لما سأكتب  
وانتظر بارادة مسلوقة ارتفاع الموجة العالية الصاعدة من  
محيطات النفس البعيدة حتى تتكسر عند النهاية ، عند فم  
الريشة وشاطيء الكلمة الابيض . انا امة الكلمة ولست  
السيدة رغم زوال الرق ، انسا لا املك الا انتظار نفسي  
المقبلة .

**قال :** هل سنقرأ لك قريبا .؟

**قلت :** انت تحرك الجمر تحت الرماد . الواقع اشعر بان فكرة  
جديدة بدأت تكتسحني مؤخرا بشكل لا مثيل له في حياتي  
السابقة واعتقد انها فكرة انسانية بقدر ما هي حالة انسان  
واحد واعتقد ايضا انها الحالة التي تعني القضية اكثر مما  
تعينني ، وهذا ما تريدني ان ارتفع اليه .

**قال :** قولي .. ما هي ..؟

**قلت :** الزمن .

**قال :** الزمن ؟

**قلت :** والجنس .

**قال :** الجنس ؟

**قلت :** انتظر ، كل شيء في الوجود قديم ، وكل ما نقوله او سوف  
نقوله قد قيل ، ولكن علينا ان نساعد الذين قالوا قبلنا على  
تفسير انفسنا .

**قال :** تفضلي .

**قلت :** هل تشعر مثلي بان الزمن مرعب ، وانك وانت جالس امامي الآن ، تركض تندفع الى الامام بقوة خارقة مذهلة مجنونة نحو الغد لالتقاط الغد .. ؟

**قال :** . . . . .

**قلت :** هل تفسر مثلي ظاهرة الجوع الجنسي عند المثقف المعاصر بالذات ، رغم توفر الجنسيين معا ، بانها ظاهرة تنبع من احساسنا الهائل بدقائق الزمن الهارب وثواتيه .. ؟

**قال :** . . . . .

**قلت :** اني اربط هذه الظاهرة ، ظاهرة الجوع الجنسي عند المثقفين بفكرة الزمن الهارب ، واللمس مدى تشبثنا نحن الشباب بأيامنا المتبقية لنا ، واغبط الانسان العادي الذي لم يتعلم القراءة ويعيش مقتنعا بنصيبه من زوجته ، وابكي بدموع ناشفة على اليوم الذي يمر بي لانه يمتطي صاروخا لا يعرف معنى النهاية ، ولن يكون له مدار يرتاح اليه ، فاجد نفسي وأنا جالسة معك الآن اركض ، اجري ، أسرع ، الهك ، أتمسك باذيال الدقيقة الهاربة حتى لا تتركني بقسوة حبيب غادر ، للدقيقة التالية ، تدوسني بقدمها اللامبالية وتمضي وكأنني في كابوس من احلامي المزعجة ، اركض مع الراكضين ثم اسقط ، وتتابع القافلة قفزاتها ، تدوس فوق عنقي ، تحطم عظامي ، تشل حركتي ، اصرخ وليس من يسمع « اللاصوت » احاول الوقوف والجري وليس من يركض مع « كسيح » .

أنا في الحقيقة تحت وهج النهار ، وأنا جالسة امامك الآن اتكلم بهدوء ، تملأ كما أنا في الحلم وتحت طيات الليل ، اركض وأنا واقفة ، وامد يدي الى اهدافي الرائعة دون ان

اطولها ، واعتقد اني سأظل هكذا مشبوحة الى قدر جيل  
بكامله ، جيل يستمع معي الى نشرة الاخبار العالمية اليومية.

**قال :** شكرا ، لانك سوف تكتبين عني .



## ارجعي يا الفـنـبلـة

لا اشك ان في اعماقي بدوية سمراء حارة الدماء ملوحة الخدين مكحلة  
العينين حافية القدمين متمردة على كل ملامح الصورة الطافية على  
سطح الحاضر .

بدوية عنيدة تنتشل نفسها ، في كل لحظة تنفرد فيها بنفسها، من حذاء  
مدبب وثوب ضيق واطافر طويلة ملونة وبشرة ياسمينية ، كي تنطرح على  
رمال الصحراء البعيدة التي يفرق فيها صوت الكعب العالي وضجيج  
الالوان .

بدوية ثائرة تنتشل نفسها الغارقة على سطح الحياة الحاضرة الطافية  
كجثة زهرة بيضاء ، كي تفرسها في الماضي الذي ينعم حتى الآن بدفء  
الرمال وطراوة الحركة في ذراتها العربية القاسية .

لا ارنو الى الصحراء الافريقية او الاسترالية بل الى الصحراء العربية  
الصاعدة من نجد حتى شطآن الفرات . ولا ادري لم تلح علي هذه الفكرة  
كثيرا مع انني لم اصل ذروة الحضارة كي ابدأ بالانحدار والحنين الى  
الصحراء !!

ومع ذلك فأنا اعتبر انحداري صعودا .

حنيني للصحراء .. للاطلال .. للنخيل .. لطعم التمر ، وماء البئر ..  
لقافلة الابل وحذاء حاديها .. للمضارب العربية تلعب في جنباتها الريح ،  
وتسهر فيها عيون حادة سوداء كعيون الصقور، وعيون مكحلة كعيون المها ،



الفنان محمود حماد - دمشق



1

يحلو لها السهر على نغم المهباج ، ولهيب نار الحطب ، ورائحة القهوة  
المرّة ، وعذاب الربابة ، وصهيل الجواد الاثقر ، وصوت الراوي في هدوء  
الصحراء يروي قصة العاشقين العربيين تيسر ولىلى ، اسطورة العشق  
العربي .

هذا الحنين يقتل كل صلتي بالحاضر ، بالحديقة المرسومة بالرصيف  
بجدران البيت ، بالابنية الواقفة في وجهي ، بالعيون الضائعة ، برائحة  
دخان المازوت ، بالقهوة الحلوة ، بالسيارة ، بالطائرة ، بالصاروخ ،  
بسفينة الفضاء ، بقنابل النابالم ، برؤوس الخنافس ، بالكلمة الحراء ،  
بالميني جوب ، بزعيق الجاز ، بأدب الدود والعفن .

واتلفت حولي .. لا .. بل انا ارنو الى البعيد البعيد ، كي اسمع  
صدى صوت قادم من البادية ، من خط اللانهاية ، يؤكد لي صفاء  
الحرف العربي .

فنجان قهوة مرّة ، انتشلني من هوة السطح الى ذروة الاعماق ،  
وغبت عن الناس الذين كنت معهم ، ورحت أتأمل جوانب الفنجان !!  
من منا ينظر الى فنجان القهوة العربية المرّة ..!! ربما كلنا ..  
وربما لا أحد .

كانت على جوانب الفنجان رموز الحياة التي اشناق اليها  
شوقا ملتها .

ليل ابيض .. نجمتان ذهبيتان .. خطان متوازيان ذهبيان ، تنبع من  
احدهما ثلاث نخلات ذهبيات .

الليل .. والصحراء . والنخيل .. والنجوم بلون الذهب ، ولماذا  
الذهب ؟!! هكذا أراد صانع الفنجان ، وربما كانت ارادته نوعا من تقويم  
تلك الحياة الغابرة الذهبية تقييما لا شعوريا . ولو سألتني لقلت له : يا عم ..  
أنا افضل الماس .

ونظرت الى داخل الفنجان .. الى القهوة المرة ، الى عصير حضارة  
عربية ترتشفه في لحظة فأحسست بفرح حقيقي ، وسمعت صدى رنين  
الاجراس الصغيرة النحاسية في رقبة جمل يتهادى في الليل العربي ، يحمل  
على ظهره هودجا جدرانه من الشعر، يضم برفق بدوية رائعة الحسن يشع  
من عينيها ضوء ذكي ، وترن في قدميها المرتاحتين مع حركة خفي الجمل  
المتعبين ، خلاخيل فضية تثير جنون فارسها بها .

ليل .. وصحراء .. ورجل وامرة .. وجمل يتهادى .. وطريق نحو  
المستقبل ..!! واردة في الوصول ..!!

حياة عذبة غارت في لاشعور الحياة العربية الحديثة ، ولكنها تعود  
حارة متدفقة كماء شريان احمر الى واقعنا الغافل ، كي نفتحذنسنا من تعب  
الركض والسأم واليأس وتحملنا على اجنحة شفافة الى حقيقتنا الانسانية  
المتميزة ..

انا اهرب دائما .. اهرب من نفسي الحاضرة ، لا الى نفسي المقبلة ،  
بل الى نفسي الماضية ، وفي نفسي الماضية التي تجاوز عمرها مئسات  
السنين ، يضحك بسعادة حقيقية سن بدوية طويلة الضفائر ، عارية  
القدمين ، حرة القلب والعقل .

انا اهرب .. اهرب الى نفسي المسلوبة مني ، المتمردة علي ،  
وساظل الحق بها ، ولو كلفني ذلك ضياع نفسي المقبلة .

وكلما غنت لي فيروز :

ارجعي يا الف ليلة

غيمة العطر

فالهوى يروي غليله

من ندى الزهر

ان اشواقى الطويلة

قصرت عمري

وحكاياك خميلة

في مدى الدهر

تتراقص في عيني دمة الحنين ، واخلع حذائي ، واغمض عيني ،  
اتخيل نجمتين فضيتين ، وليلا حالكا ، ورمالا دافئة، وثلاث نخلات، وعاشقين  
واربع عيون ، عيني صقر وعيني مهابة .



# ملكت ..

تالت :

كما استطاع جورجيو ان يفسر لي لوحات « بيكاسو » المشوهة وتمثيل « جياكومتي » المقددة في روايته « الساعة الخامسة والعشرون » فيبرر لي ملامح التشويه التي أصابت انسان العصر بسبب انتصار الآلة ، وشارات الجوع التي اثبتت ان الانسان يتدحرج ، فان حادثة الامس استطاعت على بساطتها وسذاجتها وفرديتها ، ان تفسر لي ايضا زوايا جديدة مختبئة في نفس الانسان عن الانسان، زوايا صغيرة تؤكد ان الانسان كلما توغل في حديقة المدنية المعاصرة التي تسلبه اهم ما في انسانيته ، هذا الانسان يربح أكثر مما يخسر ، ويصعد بقدر ما يتدحرج . ان جوعه الهائل لتحقيق نفسه برقق ماهيته حتى ليغدو نقطة انسانية محبة مفكرة على سطر في صفحة الحياة المقبلة .

وفي ايامنا المعاصرة .. ابتعدنا كثيرا عن الجزئيات واصبح التجريد سيد حياتنا ، واعتقد ان اليوم الذي ستصبح فيه لغة الانسان نغمات موسيقية ، وطعامه حبوبا فيتامينية ، وشجاره ومعاركه خطوطا مستقيمة ومنكسرة ومنحنية ، هذا اليوم لن يكون بعيدا جدا ، وقد تتوقف الكرة الارضية عن الدوران حول نفسها وحول غيرها ، لان من يدب عليها من بني البشر قد قطع درجات عديدة عالية على سلالم افلاطون .

امس .. عندما بلغت الازمة في نفسي قممتها ، عرفت ان لا سبيل الى النوم الا اذا انتهت الازمة التي تطن في نفسي وتزن كخطة سجيبة في كأس زجاج مقلوبة ، تناضل كي تملك حريتها على الورق أرض الحرية .

ضغطت على زر من أزرار الحضارة ، فاستجاب النور كشمس لا تخيب امل النهار ابدا . وتحولت في ثوان الى انسانة صاحبة تماما ،



الفنان عبد القادر أرناؤوط — دمشق

1

جالسة وراء المكتب وكأنها ما تمددت على السرير ابدا ، عيناها تقأرجحان بين راحتها في العتمة وقلقهما في النور ، قدمها حافيتان الا من احساسها بالطراوة ، في يدها قلم وفي رأسها تغلي العواطف ، وفي قلبها تتماسك عجينة الانكار ، وكأن القلب عندها لا يشرب الا من الفكر وبانبوب خفي لم تكتشفه بعد عيون الطب المعاصر .

وأضحك بلا صوت .. هه ..

اسمع صوت الضحكة في حلقي ولست نائمة ولا واهمة .

الورقة .. !!

رأيت على المكتب الورقة التي دونت ازمة التوأم قلبي وعقلي في النهار ، وهي الآن في عيني صورة مضحكة عن قلقي ، يخيل الى من يراها — لا سمح الله — انني بحاجة لطبيب نفساني .

قد اكتشفت اني ملاكمة خطيرة اين منها محمد علي كلاي . هذه الخطوط المعقدة المتشابكة التي كانت تبحث برأس القلم عن اهدافها ، ليست الا قوتي الهائلة التي حاربت بها في النهار ظلال الازمة المورقة التي ما زالت حتى الآن تهدد جانبا قويا من ارادتي ، والتي جعلتني ادوخ في دوامة كادت تبتلعني .

لم تكن الخطوط الصغيرة والكبيرة ، الفاتحة والداكنة ، الالكلمات قاضية كنت اضرب بها اهدافا غير مسماة غير مرئية ، وكانت في الوقت نفسه صورة دموية فاجرة لكدمات وجروح واصوات استغاثة ، ويظهر انني عندما شبعت ضربا بالذي دفعني الى فم الدوامة — الازمة ؛ توقفت عن الضرب وظلت على الورقة فراغات بيضاء محظوظة ، واستحالت دموعي على الورقة مع جروحه الحمراء ، الى دماء زرقاء تلتخ بياض الصفحة .

حدث كل هذا ولم يسمع صوت ضربات الملاكمة النائرة الجلادة المنتقمة انسان ، ولا من يلبي نداء المعذب . حتى هو .. اعتقد انه كان في لحظة انتصاري عليه وانسياب دمائه امام عيني ، يشرب فنجانا من القهوة على الشرفة دون ان يحس بلسعات القلم الذي كان يثأر لآلامي الكبيرة الصامتة .

ولانه تركني وحدي اناضل ضد الازمة التي قد تضعه على جبل وتنفيني الى جبل آخر ، ولانه رد على الخبر بهدوء قائلا :



— من يكون ذلك الرجل .. لن يأخذك احد مني ما دمت مصممة على  
أن أكون أنا رجلك الوحيد .

ولانه لم يسألني بفروسية رجال العصور الوسطى من يكون الرجل ..  
أريد اسمه .. سأحاربه وأحارب العالم لتكوني لي .. لانه قال ما قال ..  
ولم يقل ما يجب ان يقال شعرت ان القلم المهذب تحول بين اتاملي الناعمة  
الانيقة التي يعبدها ، الى سوط لاذع في يد خشنة اعتادت التعذيب لا الإبداع  
الفني والحنان .

الرجل .. ينسى ان القطة قد تتحول الى نمره اذا اقترب احد من  
اطفالها الذين يرضعون من اثدائها المتفجرة بالحليب والحنان .. وهو ينسى  
ايضا ان عاطفة المرأة نحو من تحب هي دفاع الانثى الكاملة عن اطفالها الذين  
لم يخلقوا بعد . تريد اطفالا من رجلها الذي اختارته ، تمنى ان يكونوا  
صورا عنه ، وكأنها تنتظر ان تتكرر صورة حبيبها في الحياة اكثر من مرة .

والسؤال الآن .. هل يناضل الرجل من اجل ان تكون ابنته صورة  
ثانية عن حبيبته !! ام انه يتركها تخطط وحدها وتحارب العالم لتحقيق  
اهدافها الواعية واهداف رجلها اللاواعية ، بينما هو يمضي غير مبال  
الى مقهاه يستمتع من اجل « دوشيش » والى ندوة فكرية يناضل من اجل  
وجهة نظر خاصة والى ميدان العمل يحارب الصخر لتأمين رغيف الخبز  
وحبات الزيتون ، ولا يملك الا ان يقبل زوجته في المساء !!؟

ويعد .. فهل زالت الازمة ؟ وهل يعود الانسان بعد الملائكة السي  
النوم العميق ؟ وهل ستنتهي ملاكياتي عندما ينام طفلي الجميل .. صورة  
من أحب ، الى جانبي ويرضع من ثدي امه التي حاربت ، حتى الهواء ، من  
اجل ان يكون !!؟

هل ستكون راحتي الحتمية المقبلة مرحلة من مراحل التجريد التي  
يصعد اليها الانسان بعيدا عن جداول النضال الانساني الجزئي ، ام انها  
ستكون جزءا من حياتي في الغد . ولا بد ان اهب ليلة من فرائشي الذي ينام  
فيه الى جانبي ابني ، صورة من احبه ، كي اضغط زر الحضارة المعاصرة  
وابدأ في رسم خطوط جديدة تعبر عن ازمة انسانية كبيرة تلاحقني باصرار  
من اجل الوصول لاهداف انسانية اكبر !!؟؟

سأقرأ من جديد رواية جورجيو « الساعة الخامسة والعشرون »

ربما وجدت فيها صورتي الى جانب تمثال جياكومتي الجائع وانسان بيكاسو  
المشوه . ترى كيف ستكون صورتي ؟

هل ستكون صورتي المقبلة « نقطة » واحدة على سطر في صفحة  
الحياة الطالعة في نموها وتوقها الى المطلق ؟

انني خائفة من صورتي يا جورجيو !!!



## المطروان

وليكن . . فلتغرب الشمس ، وسأسجل نفسي على ضوء شمعة ربما استطاع لهبها المتردد ان ينقذني من الصور اليومية اللاهثة وراء اهتمامات الانسان بها ، كالاعلانات الضوئية المستجدية في ليل المدينة الساهر .

حركة يومية بسيطة نرفع معها غطاء الفراش لنطرب به رؤوسنا ونسمع وحدنا صوت اعماقنا ، وتشوينا انفسنا الساخنة ، ونستسلم لصورنا الداخلية العنيفة التي تحمل آخر صورة لنا مسافرة على سكة الحياة، صورة لالون لها ولا صوت ولا حركة ، ولا يعترف بها العالم الخارجي من حولنا ، الا انها حثيية مترعة بالمعنى .

الشمعة تعيدني الى نفسي ، وغطاء الفراش يؤكد لي وجودي ، والمطر يمسخ من امامي العالم .

هطلت الامطار ، وكنت في الطريق ، وهرب الناس ، ولم أهرب ، فهذه الايام المبللة خلقت من اجلي ، ولست أنانية في ذلك .

الفلاح يفرح بها لانها تروي حبة القمح الجائعة العطشى تحت التراب ، اما أنا ففرحي بالمطر يكاد يكون الهيا ، ربما لانني لست جائعة وعطشى كحبة القمح ، وربما لانني املك في جوانحي روحا قوتها تفوق قوة المعدة .

في المطر . . أسير وأسير ، لا أسمع الا صوت نفسي ، وصوت فكري ، وصوت خطواتي ، لا ادري كيف يعاملني المطر ، انه يعاملني بصورة خاصة جدا وأنا أقدر له هذه العناية وافرغ . الناس يلتصقون بجدران الشارع هربا من المطر ، وأنا أهرب من الناس ومن جدران الشارع من أجل لقاء انتظرتة ايام الربيع المغرور والصيف الغبي .

لماذا يخاف الناس ؟ لماذا يخافون المطر والعاصفة والثلج والرييح العاتية والبرد والشجر العاري والاوراق اليابسة والغيوم الداكنة ، ماذا



انفنان حزقیال طوروس — حلب

Vertical line on the right side of the page.

في الصيف غير شمس محرقة تلاحق الانسان في كل خطوة ، وسماء غبية باهتة لا تملك اي حس فني تزخر به ريشة الخريف الناعمة ويد الشتاء العنيفة المتمردة المتفجرة بالحيوية ، الحاملة جوهر الحركة والحياة .

ولماذا اناقش الناس فيما يحبون وما لا يحبون ، لادعهم ، لن ادلهم على ما أحب حتى يكون لي وللقلة من امثالي . اللوحات الفنية امام الناس وبين ايديهم ، فليعرفوا منها وحدهم ، فالاحساس الفني شعور صادق ينبع من الداخل ويتفجر بقوة الارادة ، ولا تشير اليه عصا معلم .

والحياة معرض كبير ، نتفرج فيه على لوحات كثيرة ، احيانا نرسمها نحن ، و احيانا يرسمها غيرنا ، المهم ان ندخل المعرض وان نقف طويلا امام انفسنا وامام الآخرين في لقاءهم مع الطبيعة . اما الطبيعة الساحرة التي تشدني اليها في الخريف والشتاء ، فانها في نظري بشرية ، اراها من خلال طبيعتي وطبيعة من حولي ، من احبهم ومن لا احبهم .

المطر ، والشمعة ، والغطاء ، والشجرة العارية ، هي وسيلة لقائي بيدي وشعري ونفسي وأفكاري وأنفاسي ، انني تحت المطر التصق بنفسي واسمع لهائي واشعر بحرارة الحياة تشع في عروقي .

ان الانسان في رأبي لا يبرز امام مرآة النفس الا في الخريف والشتاء .

انظر الى المدينة تحت المطر فأراها مدينتين ، واحدة فوق الارض وواحدة تحتها ، اما أنا تحت المطر فاغدو واحدة ، واحدة حقيقية ، وتختفي المزيفة ..



## فترة الطخيرة

لي صفحة احبها . . كنت احررها في مجلة « الجندي » الحبيبة الى نفسي والتي كانت اكبر وأهم مجلة في سورية تصدر عن ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في الجيش العربي السوري .

وخلال عشر سنوات من حياتي الصحفية السعيدة في مجلة رسمية هامة كانت صفحتي التي كنت احررها للمرأة ، تسير في قافلة تطور صفحات المجلة ، وكانت تحمل بين فترة واخرى اسما جديدا يتلاءم مع خطة التحرير الاخيرة .

واذكر ان صفحتي أخذت الاسماء التالية : طريق السعادة . هذه الصفحة لك يا سيدتي . للمرأة . خاص بحواء . آدم وحواء . جنة آدم . مجلة الاسرة . الاسرة . المرأة .

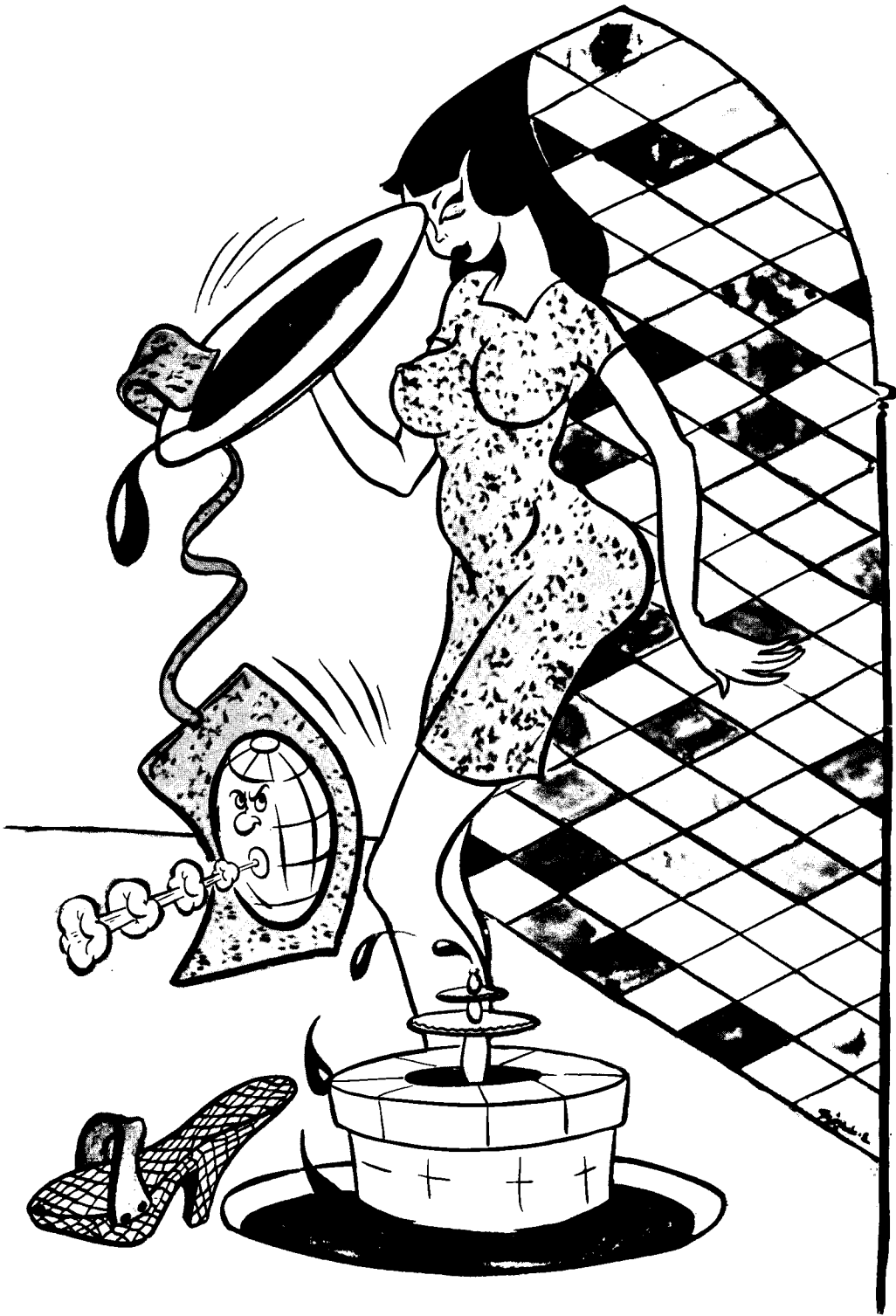
وفي الفترة التي لبست فيها صفحتي وشاحا جديدا كتب على طرفه « خاص بحواء » ، حدث لي وللصفحة حادث مثير ظلمت اكرم امره حتى عن اقرب الناس الي وزمنا طويلا يتجاوز السنوات ، لاعتبارات سياسية ودولية .

بدأت خيوط قصة « الخرقة المثيرة » عندما ظهر العدد رقم ( ٥٥٨ ) الثلاثاء في ١٩ حزيران عام ١٩٦٢ .

عدد جيد من أعداد مجلة الجندي فيه صفحة لي تحت عنوان « خاص بحواء » حرصت ان تكون صفحة مفيدة لربة المنزل بافكارها المبتكرة .

فكتبت تحت عنوان صغير : فكرة جديدة للمطبخ . . الكلمة التالية :

« حملتان للطناجر والاعوية الساخنة مصنوعتان من القماش القطني على شكل كيس تدخل فيه اليد ويساعد على حمل الاعوية الساخنة جدا . يمكن صنع الحملتين من اقمشة مربعة ملونة وتكون محشوة بقماش قطني ، ومدربة على الماكينة كما تلاحظين في الصورة . انها فكرة عملية وسهلة ولن



الفنان عبد اللطيف مارييني - دمشق





تكلفك شيئاً ، وستشعرين براحة كبيرة بتطبيقها « . وطبعاً كانت ترافق الكلمة صورة للحمالتين .

وفي اليوم التالي لصدور العدد وصلتني مع المجلد المراسل رسالة مغلقة .

فتحتها .. فإذا هو خط احد الزملاء الاصدقاء الذين اعترض بهم ، لما يتمتع به من وعي سياسي عربي وثقافة ناضجة وروح مرححة ذكية وقلب يتوهج بالاخلاق والصفاء والطيبة كحجر من الماس .

بدأت أقرأ .. وأنا اتوقع مفاجأة من مفاجآته ..!! وكانت الرسالة « مقالة » غاية في الرصانة والجد والتحليل الواعي . قرأت الرسالة حتى آخرها .. واخذت ارتجف بشدة ( سوف تعلمون سبب هذه الظاهرة ، ظاهرة الارتجاف ، عندما تنتهون من قراءة كلماته ) .

طويت الصفحات برفق ، واعدتها الى مغلفها ، وحفظتها في مكتبي كوثيقة سرية هامة ، ستضعني دائماً وجها لوجه امام الصديق البعيد الذي اعترض بصداقته رغم كل ما كتبه عني في الرسالة ورغم كل « الدس الرخيص » الذي سوف يكتشفه الناس عند اعلان هذه الوثيقة لأول مرة ، طبعاً الدس ضد صفحتي الحبيبة .. التي لم تعبأ بحقد الحاقدين وكيد الدساسين فاستمرت تسير الى الامام بخطى ثابتة ..!!! والله الموفق ..!!

واني اذ اسمح لنفسي اليوم بنشر هذه القطعة ، اجد نفسي قد تخطيت مرحلة الخوف من نشرها ، لانني اصبحت وأثقت من ان اصحاب العلاقة جميعهم من سياسيين ورؤساء دول عربية واجنبية ، قد تخطوا مرحلة خشية نقد فرد من الافراد ، بعد ان اعلنوا جميعاً تمسكهم بمبدأ حرية الكلمة، ولثقتي بانهم على مستوى يسمح بانتشار الكاريكاتور السياسي الهادف . وارجو ان يكون في نشر هذه القطعة ما يبرر ثقتي بانهم سيصفحون ويضحكون .

تحت عنوان « خرقة الطنجرة » كتب الصديق ما يلي :

« كان لنشر « خرقة الطنجرة » في مجلة الجندي في العدد رقم ٥٥٨ الصادر يوم الثلاثاء ١٩ - ٦ - ١٩٦٢ وفي صفحة « خاص بحواء » دوي مفاجيء في الاوساط المنزلية في جميع انحاء العالم . وقد تعدت صورة « خرقة الطنجرة » الاوساط المنزلية الى الاوساط الاقتصادية والصناعية

الكبرى ، وليس هذا فحسب ، بل ان بيوتات الازياء التتطت الاختراع وعكفت على دراسة تأثيره في ازياء المرأة للموسم القادم . . !!

ان « خرقة الطنجرة » قد اثارت من النقاش الفكري والاقتصادي مالم يسبق له مثل في تاريخ الابتكارات منذ عصر العجلة حتى عصر الصاروخ . ولعل ناشرة الفكرة المشرفة على باب « خاص بحواء » في مجلة الجندي العربي السوري ، هي اول صحفية في القرون الثلاثة الماضية ولا نقول القرنين الماضيين ، قد سببت في نشرها لهذه الفكرة ارتباكا اقتصاديا لم يسبق له مثل في سرعة ذبوعه وانتشاره، بما اثاره من جدل لم يكن في حسابان الصحفية الذكية ، ولا في حسابان المسؤولين عن مجلة الجندي التي زاد معدل توزيعها بعد نشر صورة « خرقة الطنجرة » مباشرة . فني نيويورك تنادت الاتحادات النسائية لعقد المؤتمرات للتداول في اثر هذا الابداع على الاسرة الامريكية ، وقد القت المسز كارولين هيرفي محاضرة سجلتها جميع شركات التلفزيون وقالت فيها :

— لعل اعداء العرب يعيدون النظر بمعلوماتهم عن الشعب العربي، تلك المعلومات التي تمادت الصهيونية في ادخالها في اذهاننا نحن الامريكين لاغراض خاصة مسمومة ومغرضة . وهذه هي المرأة العربية تعود ثانية لتؤكد ان حواء هي حواء في كل زمان ومكان .

وقالت : ان الاسرة في العالم الذي نعيش فيه دخلت في عصر نستطيع ان نطلق عليه منذ الآن : « عصر الخروق » .

وكانت مؤسسة « فاير اوف انديانا » قد بعثت الى الرئيس كينيدي برسالة تطالب فيها بوقف دخول مجلة الجندي الى امريكا كماطالبت الرئيس الامريكي باتخاذ اجراء سريع لنزع صفحة « خاص بحواء » من هذه المجلة على الاقل اذا كانت خطط وزارة الخارجية الامريكية تتعارض ومنع دخول المجلة الى الولايات المتحدة الامريكية . وادعت الشركة من ان لفت نظر البيوتات الامريكية الى « خرقة الطنجرة » هذه قد اضر بمصالح الشركة التي انزلت الى الاسواق منذ مدة كميات ضخمة من قفازات المطاط التي لا تتأثر بالحرارة عند استعمالها من قبل ربات البيوت ، وان نزولا ملحوظا في بيع هذه القفازات قد حدث في اليوم الثاني لتوزيع مجلة الجندي بالقارة الامريكية .

وكتبت المسز هيثلي طومسون محررة الشؤون المنزلية في الهيرالد تريبيون والمعروفة بميولها الصهيونية تقول :

— هذه هي نتيجة سياسة التسامح مع العرب التي انتهجتها وزارة الخارجية الامريكية مؤخرا . ففي رأي كثير من العلماء انه لن يكون من السهل في المستقبل وقف اندلاع الافكار العربية على القارة الامريكية والغرب بصورة عامة بعد الآن . لقد سمحنا للافكار الشيوعية ان تنتشر في ربوعنا ولكننا لن نسكت عن مثل « خرقة الطنجرة » هذه في المستقبل !!

وفي باريس تناولت محلات كريستيان ديور بالاشترك مع بيوتات الازياء الشهيرة في باريس وروما ولندن الفكرة وشرعت فوراً بالتفنن بتزيين وخياطة الحبل الموصول بين « الخرقتين » بما يلائم ازياء هذا الصيف .

اما في الشرق الاقصى فكان للفكرة وقع صاعق . . ففي بورما والملايو والفيليبين تداعت الاوساط الاقتصادية الى تبادل البرقيات لعقد مؤتمر لدراسة هذا الاختراع وما سيحدثه من اثر على هبوط الكميات المصدرة من المطاط . وقد حدث في الهند ان اصحاب محال الخياطة قد بدأوا يواجهون المتاعب مع الزبائن الذين اخذوا يدققون في السؤال عن فضلات القماش المتبقية من بدلهم للاستفادة من هذه الفضلات في صنع « خرقة الطنجرة » .

ان « خرقة الطنجرة » لم تستحوذ على اهتمام الاقتصاديين وربات البيوت في العالم وحسب ، بل شغلت الاوساط السياسية والدبلوماسية ايضا .

ففي موسكو ادخل خروتشوف « خرقة الطنجرة » نهائيا في برنامج اعمال مؤتمر الحزب الشيوعي القادم وصدرت الاوامر حالا لجمع كافة الخرق لصالح الشعب والجمهير الكادحة من الشغيلة السوفيات . كما ان المجلس الاعلى لدول السوق الاوروبية المشتركة قد الفى اجازات اعضائه وعكف على دراسة هذه الخرقة التي ظهرت ابان ازمة قبول انكلترا في دول السوق .

اما في الاوساط العربية والشرق الاوسط فنجد ان المسؤولين في تل ابيب عن دولة العصابات قد تظاهروا حتى الآن بعدم الاكتراث وان كان مراسل لوموند الفرنسية يؤكد الذعر الذي بدا في الدوائر الحكومية من سخرية الشعب الاسرائيلي من علماء اليهود . ويتوقع المراقبون ان تكون « خرقة الطنجرة » عاملا حاسما في الانتخابات القادمة باسرائيل .

وفي القاهرة قالت صحيفة الجمهورية شبه الرسمية بان الوحدة التي كانت قائمة بين مصر وسورية كرسست جزءا عظيما من اعمال التوجيه القومي لاثارة المواهب الكامنة ، وهذه هي ثمرات خطة التنمية الاقتصادية .

وقد كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل في صفحته الاسبوعية في الاهرام يقول معلقا على نشر صورة « خرقة الطنجرة » في مجلة الجندي السورية قائلا :

« في تصوري ان الانفصاليين في سورية قد افلتوا زمام المراقبة والكتب ، فقد طغنت الادبية والكتابة الصحفية الداعين لتكريس الانفصال بالصميم عندما نشرت صورة الخرقة بجزئها وهي واثقة بان كل جزء من جزئي الخرقة « خرقة الطنجرة » يرمز الى اقليم من اقليمي الجمهورية العربية المتحدة ، وكان الحبل الواصل بين جزئي « خرقة الطنجرة » واضحا في الصورة كما اراده الرئيس جمال عبد الناصر « انشودة المشنقة » لاعداء الوحدة داخل اراضي الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من الرجعيين والانتهازيين .

ومضى هيكل يقول :

لم تصور يد الاشتراكية التعاونية كما صورتها « خرقة الطنجرة » فان كل جزء من جزئي الخرقة يعاون الآخر ( بلا شك ) وبنفس الوقت يدفع عن الايدي المؤمنة البناء سخونة ليست في تصوري من السخونات العادية التي يعمل الرئيس جمال عبد الناصر على القضاء عليها بكل افكاره واعصابه حتى تنقلب الى برودة في المنطقة العربية وتمتد الى افريقيا وآسيا .

واستطرد الاستاذ هيكل يقول : ان ادعاء محترفي السياسة في اقليم سورية بان سياسة عدم الانحياز التي نادى بها الجمهورية العربية المتحدة، فكرة خيالية ، اصبحت الآن حقيقة واقعة اثبتتها لنا صاحبة باب « خاص بحواء » الذكية بصورة « خرقة الطنجرة » حيث بدا جليا واضحا بان « خرقة الطنجرة » لا تتحيز في الاهداف التي اخترعت من اجلها ، فهي لا تميل الى الطنجرة ولا الى الايدي الناعمة .. لا للشرق ولا للغرب .

واختتم الكاتب الكبير مقاله الضافي بقوله :

يكفي ان الرئيس جمال عبد الناصر قال عندما سمع بالفكرة ما يلي بالحرف الواحد : « هذا الاختراع ... حاجة مش معقولة » .

انتهى كلام الرئيس جمال عبد الناصر ولم اجلب شيئا من عندي .

اما في سورية نفسها فان الوجوديين اعتبروا نشر الفكرة فكرة « خرقة الطنجرة » في هذا الوقت بالذات تحديا للذين يسمون انفسهم باصحاب الفعاليات الاقتصادية .

وقال الاستاذ ميشيل عفلق السياسي المعروف بان المد الوحدوي ينبعث ثانية على نطاق جماهيري عربي صرف وهو غير مستورد ولا مترجم لان الناشرة لم تترجمه عن مصدر غير عربي .

ومن جهة اخرى صرح السيد عزت الطرابلسي وهو حجة في الامور الاقتصادية ومعروف بميوله اليمينية المضادة للاشتراكية الناصرية بان الجهد الفردي والمبادهة الشخصية والراسمال الخاص يجب ان لا يقيد بعد الآن على حساب الوحدة العربية لان في ذلك خير الامة العربية . وان الوحدة في دما ونحن اول من نادى بها وتعشقها . ( يقصد الوحدة وليس خرقة الطنجرة ) .



$$٣ + ١٥ + ٣٠ + ٧٠ = \text{للانهاية}$$

مليون امرأة يتدافعن كعاملات النحل في خلية عسل . كل واحدة تريد أن تكون وحدها امام الرجل .

الطفلة بنت الثالثة ، والمراهقة بنت الخامسة عشرة ، والناضجة بنت الثلاثين ، والعجوز بنت السبعين . الفتاة . . الغاضبة والراضية ، العفوية والمفكرة ، المتألمة والسعيدة ، الباكية والضاحكة . الساخرة والساذجة ، المتعجرفة والمنهارة ، الضعيفة والقوية ، الطيبة والمماكرة . . . ال . . . وعند « المماكرة » توقف هو طويلا ، او لنقل توقف الرجل المماكر فيه بين مليون رجل يتدافعون تحت بشرته تدافع افراد كتبية فرسان مقاتلة لنيل شرف الاستشهاد ، او النصر في ارض المماكرة ، ارض المعركة .

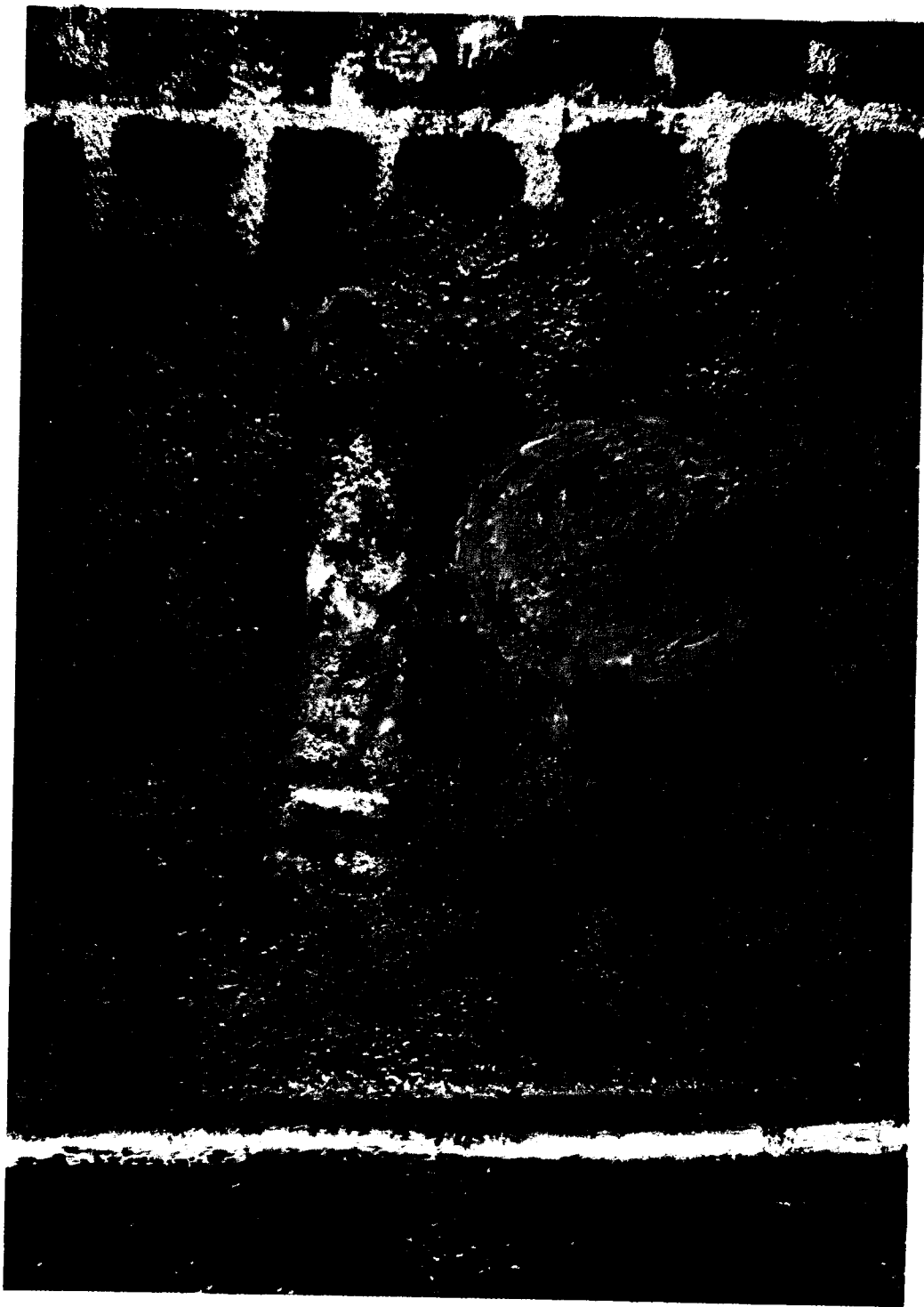
توقف عند المماكرة واعجب بها ، وهو يعرف ان مكرها مزيج من الذكاء والثقافة والعاطفة والخبرة في اناء شفاف اسمه المرأة ، كما يعرف ايضا انها ليست مامرة مكر الثعلب لانها ليست من فصيلة الثعالب .

اطلق عليها لقب مامرة واعجب به ، وفتح لهذه المامرة النافذة المغلقة على داخله . قال لها اشياء كثيرة كثيرة ووعدا ووعد نفسه بالتحدث اليها عن اشياء اكثر .

اعترف . لا فائدة من الانكار . لقد استشفيت عن بعد الجانب الاخر فيه ، البعد الثالث ، وهي لهذا السبب ستحق ان تسمع كل شيء عنه بلا تحفظ . يريد الآن ان ينتقل الى اعماقها عبر احاديثه عن نفسه ، يحترم آلامه بشكل لم يعد يحتمل معه ان يخفيها عن هذه الصديقة ، فمن الآلام برأيه يصنع الانسان الحقيقي .

ويقول :

يستطيع الانسان ان يلبس قناع الوجه الضاحك ولكنه يعجز امام



الفنان فاتح المدرس - حلب



Vertical line on the right side of the page.

مشاعر الالم ، يعجز عن رسمها على وجهه اذا لم تكن حقيقية ، والالم لهذا  
السبب اكثر اصالة في جوهرة من الفرح .

سيزرع في قاع نفسها السحيفة جذور اعشاب قصصه وحكاياته التي  
صنعت منه مليون رجل في رجل .

يقف امامها الآن بكل ضعف وقوة ليقول :

— لا فائدة يا مليون امرأة .. يا من ابحت عنها كل عمري .. لا  
فائدة .. أنت مصري .

— ما عمرك ..؟

— ثلاثة أيام .

وسألها :

— وما عمرك ..؟

قالت :

— أنا .. أنا طفلة في الثالثة .. وأنا صبية مراهقة .. وأنا انسانية  
جدية .. وأنا عجوز شمطاء في السبعين .. اما عمري الحقيقي فلا اذكر  
انني عشته ابدا . أنا أتأرجح بين البداية واللانهاية .. وليس بين لحظات  
حياتي معان مطلقة وحدود نهائية .. من يدري ربما كنت ابنة اللانهاية .

قال :

— دعيني أتحدث اليك عن الشمس .. والقدر .. والحقيقة .. دعيني  
أتحدث عنك وأهرب .. سأهرب للمرة الاولى في حياتي قبل ان يفوت أوان  
الهرب . لا تسألني لماذا لانني لا أعرف . اشعر برغبة هائلة في الفرار منك .

— أغبطك .. لانك تملك شعورا واحدا .

— ماذا تعنين ..؟

قالت :

— أحمل لك في صدري شعورين .

قال بلهفة :

— ما هما ..؟

— شعور الطفلة الغريرة التي تريد ان تركض اليك .. وشعور  
الطفلة العاقلة التي تتمنى ان تركض بعيدا عنك .

— أنت ممزقة ..

— بين رجلين ..

— من هما ..؟؟

— أنت .. وأنت .

قال :

— هل تذكرين شارة اللانهاية ؟

قالت : . . . . .

قال :

— انها تشدني نحو الاله ..

قالت : . . . . .

قال :

— عندما كنت صغيرا .. كنت اقف عند ضفة الفرات ارقب مغيب  
الشمس ، وتتفجر أمنياتي رغبة مستحيلة . ومن أمنياتي ان أسير فوق سطح  
النهر العظيم بخطوات واثقة لا تخاف الغرق الى ان اصل السى الشمس  
وأمسكها .. كرة ملتهبة من الذهب لي أنا .. لعب بها قليلا .. ثم أئنرها  
قطعاً ذهبية نادرة فوق طين الضفتين .. فتزدهر الضفتان .. ويرقص  
النهر طرباً في عروق الأرض وتراجع الصحراء وتتوارى خجلاً ، ويبقى على  
« الجزيرة » الورد والنخيل والقطن والقمح وخروف سمين وابتسامة حب .

قالت :

— تذكرني بلوحة « عشنار تزور سد الفرات » للفنان فاتح المدرس .  
تؤكد نبوءة فناننا ان الهة الخصب والحب والجمال في حضارتنا القديمة  
« عشنار » ستزور قريباً نهر الفرات وضفتي الفرات ، وسيترك خفها  
الذهبي آثار خطواتها السحرية بعد ان تمشي على الطين الاحمر ، وستلمس  
بعصاها الذهبية سد الفرات فتحيله الى سد من الذهب الخالص .. وستمر  
بعرق اخضر على التراب الاحمر ويغور التراب وترتفع سنبله وشجرة  
وزهرة ووجه يتفجر القا وعافية .

قال :

— آه .. ليت الحلم يصحو ، وليت عشتار تعود إلينا .

قالت :

— وهل تحققت الأمنية ولمست وجه الشمس .. ؟

قال :

— أنا .. أبدا .. كبرت .. وكبر النهر العظيم وكبرت الشمس  
وكبرت الأمنية دون أن تملك قدمي الجراة على السير خطوة فوق التيارات  
الرهيبة المغرية التي ستقدمني للشمس قريبا منتشيا ملتها بالحياة والفرح  
والخلاص ..

قالت :

— لآنك بشر . أما عشتار فأظنها ستصل ، وستسير بخفيها الذهبيين  
فوق سطح النهر دون أن تخشى الموت .

قال :

— اعرف . وأتمنى . ولكنني كأنسان اهفو إلى المطلق وتقليد الآلهة  
لمعرفة الحقيقة .

قالت :

— أظن أن الوصول إلى الحقيقة يكلفنا حياتنا دائما .

قال :

— وهل نملك الحياة حتى ندفعها ثمنا للحقيقة .. ؟

قالت :

— لا أظن أنك تكلمني من العالم الآخر .. !

قال :

— تأكدي .. لم يبق مني إلا هذا الجسد ..

— والروح !!

— أبدا .. إنها نائمة في كهف بعيد ، كفتاة عربية شرقية محجبة حلوة

التقاطيع طويلة الضفائر خلية البال تنتظر ان تمتد اليها اليد المحبة لتومظها  
من سبات فرضه عليها الزمان والمكان فحرمها من الحياة .

قالت :

— ومع ذلك فانت تمارس الحياة .

— أنت رهيبة ..

— بل أنا عادية جدا .

— هل تعرفين بانني ارى الحقيقة في دروب لا يمشي عليها الناس ؟

— أعرف .

— هل تصدقين بان أروع لحظة في حياة رجل مثلي كانت لحظة غروب

شمس أحد الايام عن دمشق الحبيبة ، ولم تكن لحظة لقاء بامرأة تعجبني ؟

— اصدق جدا .

— كنت في حالة راكب عادي في أحد الباصات ، وفجأة بهرتني لحظة

انفذ من السحر . غابت الشمس عن دمشق ، برقت اشعتها كحلم بسين

اوراق الشجر ورؤوس المآذن وسطوح البيوت وعلى زجاج النوافذ ، بدأت

وانتهت برفة عين ، ففقدت نفسي وفقدت العالم الباهت الذي خلفته تلك

اللحظة الباهرة . هل تصدقين بان تلك اللحظة الغريبة قد منحني اقصى

فرح يطمح اليه انسان ؟؟ وانها ظلت تلازمي في كل حالة ؟؟ عندما أتكلم في

الهاتف او اكتب او اقرأ او اغازل امرأة او اتلقى خبرا سارا ...

قالت :

— .....

قال : هل تصدقين انني اسهر لياالي بطولها انتظر مطلع الشمس على

سطح منزلي !؟

قالت : .....

قال :

— لماذا لا تتكلمين ..؟

— أنا أسمع .

— أقول تفاهات ربما ..!!

— هل يحملك التفاؤل على الظن بانني سأنكر عليك ذلك ..؟!

ضحك من اعماقه وقال :

— من أنت ..؟

— انا انت .. ولكن في الجنس الآخر .

قال :

— عندما ادخل الاماكن الاثرية التاريخية اشعر برهبة .. واجد نفسي اقدم لها الطقوس والقرايين قبل ان ادخلها خاشعا . زرت ايوان كسرى فشعرت برهبة غريبة . هل تدركين معنى هذا السر في نفسي؟!

— انا انت .. ولكن في الجنس الآخر .

قال :

— يخالجنني شعور الرهبة هذا عندما اتحدث اليك .

قالت :

— . . . . .

قال :

— تكلمي .. أريد ان اسمعك ..!

قالت :

— انا أتكلم .. لماذا لا تسمع الصمت ..!

قال :

— اسمعك .. واعيش انفاسك وكم اتمنى لو ارى الان عينيك ..؟!

— تريد ان ترى نفسك فيهما .

— ربما ..!!

قالت :

— انك تراهما من خلال الاثر .. انا اعتقد ان الانسان بعينه

وانفاسه وشفتيه ويديه وصوته ..

— تكلمي .. قلولي اي شيء ..

— لم اسكت معك لحظة واحدة، حتى في لحظات صمتي كنت أتكلم ..

وسوف اتكلم وانت سبب نفسك كتبت تلعب بالحصى الملساء ، وفجأة تفجر  
الينبوع .. انه ينبوع . . تذكر . . وليس بئرا .

اذهب . . اهرب . . ولكن احدا غيرك لن يشرب من الينبوع لانه  
لا يتوق مثلك الى اللانهاية . . ولانه لم يعان تجربة التوق للسير الى  
الشمس فوق التيارات الرهيبة في سرير النهر العظيم الراحل نحو الشرق .

قال :

— . . . . .

قالت :

— هذا الينبوع هو الجانب الآخر مني .

قال :

— أنت أنا . . ولكن في الجنس الآخر .

قالت :

— . . . . .

قال :

— سأهرب . . الآن .

قالت :

— . . . . .

قال :

— ارجوك . . دعيني اذهب . . ساعديني . . سكوتك رفض .

قالت :

— ان شارة اللانهاية تعذبني . . فأنا لا املك يدي حتى تعيدك الى  
مكانك . لا استطيع ان احطم شعور الامتداد الذي ينمو في اعماقي نحو  
بضربة صغيرة انيقة من عصا الامثال للطلب .

ولكن صوتا رن في اذنه اولا . . . ثم في اذنها ، يعلن الانتقال من  
اللانهاية الى النهاية .

ورغم تلك النهاية ، ستظل قطعة من دمشق التي يحبها اكثر مما

تحبها ابنة دمشق ، ستظل بين لانهاية ولانهاية . ينسام في بيوتها  
اناس سعداء لم تقلقهم الى حد بعيد المشاعر الانسانية المختلطة بارتجافات  
اللانهاية التي عاشت في صدر مليون امرأة ومليون رجل .  
ليهرب .. لا فائدة .. لقد امتدت جذورها الى ترابه الاحمر، واشرابت  
اغصانها الى سمائه الزرقاء .  
ورفعت كتفيها .. ونامت .





## الشيطان ذو القرنين الفضيّن

كتبت في يومياتها :

« تركت القلم . . . وانضمت بهذه الحركة البسيطة اوراق جديدة الى يومياتي . وفي اليوم التالي ، وأنا في جلسة خاصة مع نفسي اثموي يدي ووجهي وركبتي على حرارة الجمر المتوهج من « منقل » نحاسي عربي في ليلة باردة ، لمعت في ذهني فكرة ساخنة :

ما الذي يمنعني من البحث عن الوجه الآخر للصورة ؟ لماذا لا أتجاوز حدودي وأقلب اوراقه السرية وأقرأ ما لعله قد كتبه عن اللقاء الفكري الذي كان بيننا في جلسة عابرة ، والذي تم فيه صنع وجهي الصورة ؟ عندي وجه واحد للصورة سجلته في يومياتي ، ويختفي بين اوراقه الوجه الآخر؟! . . .

ويفكر ذهني بالعامية وابتسم :

قالوا لكثير الغلبة نص الدنيا لك ، قاللهن : والنص الثاني لمن؟! . . .  
وعدت أفكر واكتب على جوانب ذهني :

— ومن هنا انطلقت أحاكي « كثير الغلبة » ، ولن اهتم لو اكتشفت بان الوجه الآخر للقمر مظلم ، لانني سوف احدث في العتمة الواسعة واناعلى يقين بأنني احدث في الموجود . واتساءل!! هل يعقل ان تكون اللحظة بيننا على مستوى واحد من النضج والقوة؟! . . .

ويرتد لي سؤالني ثم يعود لينطلق « مني — الي » من جديد دون ان يخامرني شعور بالغرور الساذج :

ترى هل تنطبق على صورتينا فكرة العامة عن الانسان الجيد: « وشك وفتاك مثل ليرة الذهب »؟! . . .



الفنان نعيم اسماعيل - انطاكية



وقبل ان اقرا ما كتبه عني ، لم يكن معقولا ان انكر انه وجه الليرة الذهبية ، وربما اكون انا ظهرها .

الرجل وجه الليرة الذهبية والمرأة ظهرها، ويظل الليرة عندما نقلبها بين اناملنا وجهان من معدن واحد ثمين ، وصورتان من شكلين مختلفين . « هو » النقش و « هي » الطرة ، والفرق لا بد موجود . والقيمة الاكبر له ، حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، وسوف تؤكدها تجربتي ، تجربة الاطلاع على ما يكتبه الطرفان « هو وهي » عن لحظة لقاء فكرية واحدة في زمان واحد ومكان واحد .

كتبت انا في يومياتي عن لقائنا الفكري :

قلت وانا احببه :

— اين أنت .. الازلت غارقا في بحيرة الصمت ، البحيرة الهادئة التي لا تسبح فيها الاسماك ، ولا تتحرك حول شواطئها اوراق الاشجار ، ولا تنفق في ليلها الضفادع الساهرة ، ولا ترزق في صبحها العصافير النشيطة !..

قال :

— اذن فهي اشجار وعصافير واسماك وطفادع اصطناعية !!

— لا .. انها طبيعية كما تبدو لي ، ولكنها تصمت احتراماً لصمت البحيرة ..

— الصمت معك أسلم .

— سوف تتغير الامور .. وسوف اضحك عند شواطئ الثرثرة ، وأبداً بتعلم السباحة في بحيرة الصمت .

ويمر صمت .. ثم يتغلب عليه ويقول :

— ما هذا .. ارى انك عثرت اخيراً على زهرة البنفسج!! كنت ابحث لك عنها من بائع لبائع .. ولكن .. لا بنفسج .. لم ينزل البنفسج .. وسبقتنني بالعثور على زهرتك المفضلة ، وحرمتني من متعة كنت انتظرها ثلاثة فصول طويلة .

— اتمنى لو يتحول ماء البحر الى لون البنفسج لاسبح فيه واصبح مطلية بلون البنفسج واتخلص من لوني . صحيح .. قل لي .. لماذا لم يوجد بين البشر ذوو العرق البنفسجي !!..

— حبك لهذا اللون كما يحلل شبنجر الالوان يدل على شعورك بالتميز  
والارستقراطية . وقد قال شبنجر عن الذهب انه لون العرب ، ويدل على  
تطلعهم الى عالم مثالي يودون صنعه لم يوجد بعد . كما فسر تطلع اوروبا  
للون الرمادي والازرق الداكن بالرغبة في البحث عن المجهول .

لاحظت ان حديثنا يتميز هذه المرة بالاضطراب وخاصة حديثي انسا .  
وكان يعنى النظر الى وكأنه يكتشف جزءا من العالم الذهبي الذي يتطلع اليه  
العرب . وتجاهلت نظرتي لامتاع من زاوية خفية بمزيد من دهشته ، ولاترك  
له حرية الاستغراق في النظر الي دون ان اقطعها بنظرة « الادراك » الوائتة  
بما يدور في اعماقه من ضعف الاستسلام للفكرة العاطفية الجديدة، القديمة .

واذكر انه قال :

— هذا ما يميزك .. ان زوجتي لا تفهم ما اقول .

قلت :

— اتعلم .. لقد اكتشفت الآن انني اتأثر بالكلمة التي تطري ذهني  
وتفكري ، وكأنها كلمة غزل حارة تطري جمالي . واشعر الآن ان وجهي  
قد احمر .

لقد تطور مفهوم الانوثة عندي وتطور عندك على مستوى واحد  
وبدرجة واحدة . ومن هنا تبدأ الكارثة ، كارثة من تعيش في مجتمع يرى  
رجالها في « المرأة الانثى » ساقا جميلة متناسقة ورأسا جميلا مزخرفا  
بلا حشو .

اما انت ..!! ما الفائدة !! لقد غدرت بي قبل ان تعرفني ، والتصقت  
برأس مزخرف مطلي بماء الذهب المزيف دون ان تصبر على الزمن حتى  
يعطيك « الكلمة الانثى » .

لا بأس .. أنت صديق .. وسوف انتظر الزمن المقبل لارى كيف  
ستكبر صورة صديقي .

— لن اكون شيئا .

— ستصبح شيئا كبيرا . اما أنا فسوف تجرني انوثتي الغالبة وأمومتي  
الراكدة عندما تسيل ، الى صورة عادية تحاكي صور بقية النساء . رأس  
مزخرف وبطن منفوخ وذهن مشغول بتدبير امور الرز والسمن واللحم  
والبقدونس والمازوت . وملل يرسم بأمانة تجاعيد البشرة التي لا تخفي

تحتها الا صدى الماضي الفتى ابدا « الكلمة الانثى » وصوت الحاضر البليد  
« المرأة الانثى » .

— اخاف من الجذب والتوقف والنضوب .

— لا يمكن ان تنضب لانك لا تتوقف مثلي عن تناول طعامك اليومي .  
انت تتغذى لا عن جوع فحسب بل عن تخطيط. ولا بد ان تستمر فترة طويلة  
قبل ان تستسلم للموت الفعلي الذي سيقتله خلودك الفني .

— فترة الجذب الصغيرة عانيتها واخاف ان تستطيل كدكان لعب  
الاطفال في العيد تتجاوز الباب وتستأثر بالرصيف .

— لا يمكن .. والمقارنة غير صحيحة . استطالة الجذب عندك نهاية.  
وامتداد دكان اللعب رغبة شرهة في حياة اطول .

— مرة ثانية عندما واجهك اشعر برغبة في العودة الى بحيرتي ، لو  
صحت تسميتك .

— مرة ثانية ، بحيرتك ستصبح بحيرتي، ولن أدعك تصمت بعد الآن،  
حتى اسد بيدي ثغرة خساراتي السابقة ، وانقذ مدينتي النامية من طوفان  
صمتك ، بأنانيتي ، لا بتضحيتي . اريد ان اروي بطوفان كلماتك جدران  
نفسي العطشى . فعندما تتكلم اجد نفسي ، وأتأكد انني لست مجنونة .  
ولان لوني المفضل في رأيك ، هو شعور بالتميز غير المغرور ، لا دليل  
« الانانية » كما يؤكد لي رجل آخر يبحث عن رأس مزخرف بشعر مستعار  
ميت ، لانك تعتقد بذلك وتفهم حقيقتي فانا لن أسكت عن صمتك وأسكت  
عندما تتكلم » .

توهجت الغرفة .. وذهب قبل ان ينتهي فنجان القهوة .

وكتب « هو » في دفتر مذكراته عن اللحظة الفكرية نفسها فكان كلامه  
شيئا خاصا طلق باللحظة الى وجه الليرة الذهب :

« رائع الجبال كان هذا الشيطان الصغير الذي يقف بيني وبينها .  
اشتر الشعر في قرنيه النديين تتجمع اشعة الشمس الفضية ، وزرقة  
البحار البعيدة في عينيه ، وعلى بشرته الخارقة لون الورد والذهب .

— كيف هي بحيرة الصمت ، قالت لي ...

انتقلت ببلادة الى بحيرة سحرية يظلها الصنفاص وتصورت جسدين

بين الاسماك والطحالب يختصران اسرار الخلق . كنت انظر الى الفراغ  
وأسمع حديث ظل وقع على الجدار عندما سألتني :

— وكيف رأيتهما . .!!؟!

كان الخبيث هذا الشيطان الصغير ما يزال يهمس في اذنها يحكي لها  
عن كل ما اتصوره بالاسلوب الذي يحلو له . ها هو يخونني الملعون شأنه  
في كل مرة . لقد اشتهرت له اللعب واطعمته الشوكولاته كي لا ينقل تصوراتي  
لاحد ولكنه ما ان يعطب اللعب ويشبع من الشوكولاتة حتى ينسى ان شرطاً  
كان قد قام بيننا . . ويحكي ما يجوز وما لا يجوز ويزيد ويحرف ويصيغ  
الكلمات والعبارات كما يشاء . انه شاعر نبت هو والشعر في حبة واحدة .

وطالت الهمسات بينها وبين الشيطان الصغير وأخذت تتلمس قرنيه  
الفضيين وخصلات شعره الاثغر بوجد عجيب أثار في غيرة لا حد لها حتى  
كدت أختنق ، واندفعت لاقطع عليهما هذه النشوة :

— ان ما أقوله لك لا يمكنني ان أقوله لانسان آخر . لكن هذا الكلام  
خصص لك انت وحدك اتعلمين ذلك ؟

علا وجنتيها الاحمر وتناثرت على البحيرة زهرات لا عداد لها من  
الليلك والبنفسج . وفجأة انتقل الي الشيطان ذو القرنين الفضيين وقال  
لي مداعبا :

— انت أطعمتي الشوكولاتة هذا الصباح .

— ابعده عني ايها الملعون قلت ، فأنا لم أعد اصدقك ، ثم ادرت له  
اذني وهمس :

— . . . . وكانت الاميرة في شرفتها المرصعة بالصدف والياقوت  
ترقب من بعيد عازف الناي وهو يتجول بين اشجار الصفصاف وتستمع اليه  
ودفء غريب يملأ صدرها الى ان . . .

قاطعته :

— وهل طلبت منك ان تحكي الحكايا يا عفريت ؟ اذهب عني .

وأمسكت بأنفه الصغير لئلا يذهب . . لقد كان في نبرة صوته جاذبية  
وحرارة . .

— انت اشتهرت لي اللعب الجميلة هذا الصباح . . .

قال ...

ثم تابع همساته :

— وكانت الارض قطعة من اللهب ومجموعة من البراكين عندما  
انفصلت عن امها الشمس ...

دفعته عني . لقد كان يضحك علي . ابتعد وعانتها وهي تلقي السي  
نظرة كدت الا افهمها لولا انني تذكرت مشاهد بزوغ الشمس على  
طريق قريني .

قالت :

— انني انثى .. اولا واخيرا .  
ولم أعد اشعر بعدها بالغيرة « .

★ ★ ★

خف وهج الحرارة ... وعدت احرك الجمر وازيل الرماد بعود  
صغير ... وابتسم . الآن تأكدت بان العقل يعشق . انني اعشق عقله .  
انني اعشق الوجه الآخر لليرة الذهب .





## قشة الدوامة

« الفيلسوف كما يقولون لا يخاف الموت ، وأنا اقول : الفيلسوف لا يخاف الحياة ، لان الحي مهدد في كل لحظة بالموت بالاضافة الى شقاء الحياة نفسها » .

كلمة قالها احد الاصدقاء ومضى . وقبل ان يمضي سألني عن سري فقلت :

— نعم .. لقد اصبحت المرأة تطالعني بأفضل صورة من صوري الماضية ، التي كنت تعرفها ، وذلك لانني اكتشفت سر الخلاص ، وغدوت قشة صغيرة واقعة في دوامة العبث ، تدور وتعي هذا الدوران اللامجدي الابددي . عرفت ان لا شيء حقيقي وان لا سبيل الى الوصول لحل . فنحن في كل لحظة اسرى تهديد الموت والآخرين . نحن رموش تهتز رعبا من هذا المصير ، الموت والآخرين . فنسيت الموت لبرهة قصيرة لا تتعدى سنوات عمري الكاملة ، واحببت الحياة كما هي ووضعت الآخرين خارج قوسي . لا شيء .. ابدا .. لا انسان يأخذني كلية . له الجزء والباقي لي .. للايام التي سوف يغدرني بها ويرحل . وسأظل واقفة من دونه ولن أتع ، فقد بقيت لي نفسي عمودا من الرمر الاصيل .

وهم كبير مضحك ان نحب انسانا ونموت في سبيله وحده من اول الدرب حتى آخره . فالحياة تقدم لنا في كل يوم « انا » جديدة واهدانا جديدة سينتهي امامها رفيق الدرب الذي كنا نصلي له امس ، ان لم يسبقنا اليوم « بأناه » ، باهدافه .



الفنان عفيف بهنسي - دمشق

1

انا كالنبته .. انمو .. وغدا سأزدهر .. وعلي « رجلي » ان يحافظ علي بحفاظته على نفسه في قناعتي . عليه ان ينمو مثلي ، بل اكثر ، لاني امرأة ضعيفة تريد عندما تزداد قوة ان تقتل « ضعفها القوي » بوجود رجل قوي الي جانبها لا يضعف يؤكد ضعفها ويحمي هذا الضعف الانثوي الجديد من أن يتغير ويصبح معافى وبصحة جيدة . يجب ان تظل المسافة دائما واحدة بينهما عندما يستطيل الزمن ويمتد ، وعليهما ان يحافظا على ايقاع سرعة الخطوات ، والا فان المسافة ستكبر ويصبح بقاؤنا في قلوبنا صعبا ، ويقترب احتمال انطفاء الصورة الغالية المقابلة التي كانت تحمل وهما فكرة المثالية .

سأحب انسانا يحب امرأة تمشي ولا تتوقف عند الانثى فيها .. عند الام .. وعند الحبيبة ، وعند الضعيفة .

ما نعرفه يقتلني ، وما لا نعرفه يفتح الورد الاحمر في شراييني ويلهب الفكر الازرق في رأسي ، ويدفعني للخروج من الفرد « الانا » الى المجموع « البشرية » ، كي أحييا من خلالها ، واسهم في تنمية الحسن العام بالحياة فيها . سأحب انسانا يحب في هذا التوق للنمو .

لن أخاف الموت ولن أخاف الحياة .. فأنا لست فيلسوفة اذن ، ولست امرأة عابرة . سأتصرف بطريقة مغايرة .

سأقهر الموت بحبي للحياة ، وسأحيا عبر الموت وبعده كما حيت واحيا قبله . سأنتصر بفكرة الحياة عن طريق طفلي وشيء آخر . سأعيش غدا في طفلي وسأعيش على رف مكتبة في كتاب صغير .. ربما !! من يبحث عني يجдени ، يلمسني ، يراني ، يحبني ، يكرهني ، يتحدث الي ، ويسمع نبرات صوتي الحية رغم آلاف السنين التي سوف تمر على ترابي .

الموت امامنا !!

لا .. .

الحياة امامنا .. لاننا نحبها ، لاننا نحب انفسنا ونحب جنسنا . وسيتحرك الذين ماتوا على سطح الكرة باشكال وصور متجددة فيها شيء

كثير من ملامح الذين رحلوا . وسوف تنتشر افكارهم عبر تموجات الزمن ان قدر لها ان تكتب او تسجل او تقال يوما ، تماما كانتشار الصوت في الطبيعة . قد يبتعد الصوت عنا ، ولكنه موجود في الطبيعة ، وعندما نتمكن من تحسين قوانا السمعية سوف نتحقق امامنا بصورة مادية نبوءة لانوازييه ، وسوف ينتفي الموت بصورة اكيدة ، لانه لا شيء يولد في الطبيعة ولا شيء يفنى .

نعم ايها الصديق . ارتدت لي عافيتي عندما بلغت هذه المرحلة من القدرة على الفهم . انها مرحلة خلاصي ، فأنا في العالم ، وأنا في برج المراقبة ، والعالم يتحرك تحت انظاري . انا معلقة في الهواء ومن الصعب جدا ان يتذوقني الثعلب وسيقول عني بكبرياء مكشوف مزور :

انها مرة !!

ولكني حلوة وصعبة المنال وبعيدة . فأنا قشة الدوامة التي تدور وتعرف انها تدور . أنا انسان جديد يأكل الخبز والزيتون ويتغذى من الكلمة الحلوة الذكية ويرفض انصاف الحلول ، وتأسره الاسر كله عفوية سائق العربة الساذج الطيب ، ويحذر غدر الآخرين ، يعطيهم ظهره ولا يسمح لهم بدفعه الى فم الهاوية ، ويعي ايضا كونه انسانا ينتمي الى كامو .

كامو .. هو أنا .. ولم يميت كامو . من يبحث عنه يجده حتى في قلب افريقيا ورأس القطب وصدر الهند واطراف الجزيرة العربية .

فهل سأفعل في غدي ما يبرر انتمائي الى كامو؟ وهل سأكشف لمن معي الآن ولن سيأتي بعدي عن سر جديد من اسرار النفس « الغريبة » يجعل الصور الجديدة لنا على الارض تؤكد غدا للاجيال من بعدها صارخة بصوت واحد : نحن ننتمي اليها ..؟!

وضحكت .. فكرة فيها كثير من الغرور المضحك ..!! وتفزت قطتي .. وتذكرت .. تذكرت من أنا الآن .. تذكرت لماذا بدأت الكتابة . قال لي انه سيأتي .. وبدأت أنتظر . مر الزمن .. وبلغت الصفحة الخامسة ولم يحضر وخفت ان تنتهي لحظات الانتظار قبل ان انتهي من الكلام ، لان حضوره سيجعلني اسكت لاسمع .

لم يحضر ، لا بأس . كنت أعيش . غيابه يعذبني وحضوره يجعلني  
اسكر من كثرة الشبع .

الجوع هو ضالتي . لم يحضر !! ليكن . ان الجانب الآخر في جاهز .  
في غيابه احيا واسجل على الورق شيئا من نفسي التي ستنام باطمئنان  
يوما على رف مكتبة .

وعندما يحضر بشكل نهائي ، سأمنح الحياة طفلا يحمل صورتي  
وصورته ودمي ودمه .

وبه وحده . في حضوره وفي غيابه سأظل حية رغم رقم جديد يدق على  
بابي يعلن لي تفتح زهرة عام جديد على أغصاني .



## لعبة التناقض المريعة

بالحب يحيا الانسان وبالخبز .

والانسان في صورتيه المرأة والرجل يعطي الحب ويأخذه ، وتتفجر طاقاته الانسانية المبدعة عندما تلامس شفاه الحب حياته فتحيل رمادها الى تراب احمر تتحرك في احشائه قوة الحياة .

الحب قوة الهية تخترق الانسان الى الانسان والى الاشياء فتصنع حياة الانسان ، تصنع الطفل ، وترسم لوحة جديدة ملونة بالوان قوس قزح للطبيعة وللوجود . ان حياة الانسان بلا حب موت بطيء للانسان . وان حياة التراب الاحمر دون حب النبات لهذا التراب الاحمر هو ايضا موت للطبيعة .

الحب .. انني أحب تسلطه علينا ، واكره ان نموت الا تحت سيطاه وقبلاته . فأنا اؤمن بان في الحب الحياة وفي الحب الفناء . وحبه التمتع السمينية لا تملك علينا ما يملكه الحب . قد نأكل حبة البطاطا ان اكلت الدجاجة حبة القمح لتقدم لنا بكل حب واخلاص ذرية لا تنقطع من اسرة الدجاج . ولكن ماذا نأكل لو التهمت الصدفة السيئة عواطفنا ، وابتلع المستحيل رغباتنا ، ماذا نأكل ؟ والطعام في ايدينا احيانا وفي داخلنا محرم علينا ، لا نستطيع ان نقول كلمتنا ولا نملك حتى ان نسمع كلمة الآخرين .

ماذا نأكل .. ولماذا يلعب الحب لعبة التناقض المريعة ، ولماذا ينتشر هذا التوزيع غير العادل بين القلوب ؟؟

اسئلة لن نجد وراءها اكثر من دموع انثوية صامتا يبتلعها القطن الطري تحت الرؤوس الجميلة في الظلام ، وحلقات من الدخان تسافر معها الى المجهول انفاس الخيبة وتنهيدات الصدور المجروحة ، ويتناثر فيها رماد الاعصاب المحترقة .

رجال ونساء .. المائدة امامنا وكتب علينا في « اللوح المحفوظ » ان



الفنان يوسف أبويي - دمشق





لا نأكل الا باذن . لسنا في حالة شلل او جبن او ضعف ارادة او تصور عأطفة ، ابدأ ، بل نحن امام الواقع الذي يحمل في احشائه ضرورة التناقض . لك قلب وممنوع ان تحب . انت تحب هذه الانسانية ولكنها تحب انسانا غيرك قد يكون هو بدوره متيما بحب انسانية لا تدري بعذاب قلبه . والله يعلم ما يجري في قلب من تحبك .

ما رسمته لنا حياتنا هو غير ما نريده ونتمناه ، فارادة الحياة اقوى واكثر أهمية .

وافكر احيانا ، لو التقى المحبون كلهم على الارض ، في ارض واحدة ، لمالت الكرة الارضية ورمت الى الفضاء بثقلها الانساني الحقيقي المشبع بالحب والخير والجمال والحقيقة ، لان الحياة كما ارى تأخذ توازنها من التناقض ما دمنا نعيش هنا على سطح الكرة الانسانية .

قال لها يوما :

— في كل يوم اكتشف في قلبك حبا جديدا ، اليوم تحبين « الصوص الاصفر » وأمس قلت لنا : احب قطتي الرمادية الصغيرة التي لا تتعب من اللعب ، وقبل ايام اذكر كلماتك : « اشعر بان قلبي يرف لارتعاشة ورق نباتات حوض النافذة » وغيوم الشتاء الداكن تفتح ينابيع نفسك وتلهب عواطفك وتنشط ذهنك تماما كما يحس الناس في غوطة دمشق في الربيع ، ودقات حبات المطر على نافذتك في ليلة مطيرة تسرق النوم من عينيك ، وابتسامه طفل في حضن امه تركب الى جانبك في باص ، تنعكس على وجهك وتستدعي ابتسامتك ، والرجل المجهول الذي تحلمين به ، تزرع صورته « المجهولة » في عينيك وضحكك وحروفك المنغمة ، الامل الفضي ، ويمنحك قوة اللامبالاة بقلوب المحبين المعذبين بصمت ، والاصدقاء الحقيقيون لهم في قلبك زوايا مضيئة حية تشع منها حرارة الصداقة . ما هذا كله .. انا لا افهم .. اي قلب قلبك ..؟؟

ردت :

— أنا أحب الآخرين لانني ارى فيهم نفسي ، وما أتوق ان تكون عليه نفسي المقبلة .

أنا اختصر الزمن واقفز الى الكمال عن طريق الحب الموجود في نفسي قبل ان اوجد .

أنا انسانية انانية احمل السلة في يدي والملم صورتني من الناس ومن الطبيعة ومن الحوادث ومن الاشياء . انا نرجسية ، تماما كما تقول انت عني . في كل يوم انظر الى « البحرة » العربية الصغيرة في صحن بيتنا

العربي ، وابتسم ، ثم ابتعد . واحاول في اليوم التالي ان اكتشف اكثر مما  
اكتشف نرسييس في صورته ، احاول البحث عن حقائق جديدة في صورتي  
هي نفسها الحقائق الجميلة التي اختطفها كالشوححة من الآخرين  
الذين احبهم .

الآخرون هم جنتي ، وليسوا الجحيم .

الآخرون معي اينما كنت ، والاشياء في كياني مهما تحركت . انا  
كالاسفنجة البحرية ، امتص العالم واعيد اليه نفسه عندما يعتصرني .

هل تصدق بانني احس احساس نرسييس بشكل مغاير . نرسييس  
انسان ساذج احب نفسه فمات ، ثم تحول الى زهرة نرجس . اما انا  
فأحب في صورتي ميزات الآخرين التي امتصتها بشرتي مع الزمن . ولذا  
فأنا لن أنتحر لانني لا احب للآخرين ان يموتوا .

انظر الى صورتي ، عفوا ، انظر اليهم واقفز الى الماء من شدة  
عجابي ، واسبح ، شعوري هو شعور زهرة لوتس ذكية تطفو على سطح  
الماء وترفض ان تموت بغباء قبل ان تشبع من الحياة ، فتركب ظهر موجة  
جديدة تتدفق الى شاطئ النبع ، لتعيد رسم نفسها الجديدة من الارض  
وتعود لترى صورتها في النبع الاكثر تكاملا وجمالا .

لن أتنع ولن أتوقف ، وسأحب عطاء الحياة لي ، فالحب يفذي  
تكالمي .

ولكن ماذا نأكل لو التهمت الصدفة السيئة عواطفنا وامتص المستحيل  
رحيق مشاعرنا ، وابتلع الخوف من الغد المجهول آمالنا بحب أكثر نموا  
واكثر امتدادا في اسرة الانسان .

أعود فأقول : فلتأكل الدجاجة رغيفي الاسمر ، ولكنني لن اسمح  
لاحد بحرمانني من طعامي كأنسانة ، ولن أتأخر عن تقديم قلبي للانسان  
وللطبيعة وللكائنات الحية وللأشياء . لرجلي ، للجبل والنهر والسماء  
والارض والبنفسجة والياسمينة والقطة والفراشة والطفل والاصدقاء  
والصديقات ، للضيعة وللمدينة ، لن أتأخر ابدا عن تقديم قلبي على طبق من  
ذهب للناس الطيبين كلهم وللأشياء الجميلة كلها .

فليأكلوا قلبي لانه من طعام الحياة .

وقال :

— اسمعي .. اريد ان اعرف ، من انا ، وماذا اشكل في صورتك  
الحالية .

- أنت .. أنت في يد لعبة التناقض المريرة .
- ضائع تعنين .. تائه في دوامة اللعبة !؟
- بل في الجانب الذي يمنح الحياة التوازن ويمنحني اللهفة نحو  
أناي المقبلة . في الجانب الذي انظر فيه الى مرآة النبع وابتسم  
لصورتني .
- أنت نرجسية .. لا تحبين احدا .
- نعم .. أنا نرجسية ، لانني احب صورة الانسان وصورة الوجود  
في ملامحي ووجودي .
- أتحبينني ...؟
- أنت صديق ... عزيز كالصديقة ...
- وقلبك ؟
- لرجلي ..
- من هو .. أريد ان اعرفه ..! ان ارى صورته ..!
- انظر الى ملامحي .
- أرجوك .. لا تقفي معه في نقطة واحدة لحظة طويلة لانني واثق  
من أن الارض ستميل .. قوللي لرجلك .. قوللي له في يوم من الايام ،  
انه كان سببا في وقوع واحد من الناس في يد لعبة التناقض المريرة .



## مع السلامة أيها الأمير

دمعة تنحدر الى اعماقي اثر دمعة .

فجأة أحسست بأهمية وجوده بيننا .. ولاول مرة اشعر بالحسد والغبطة بالالم والرضى بالمشرق والمغرب معا .الم يعتصر قلبي وقلب المشرق لرحيله ، وفرح يطير بقلبي وقلب المغرب لقدمه .. فأنا في مطار دمشق ومطار الجزائر .. في نقطة الوداع وفي نقطة الاستقبال .

لا تأخذوه ... انه لنا ..!!

بل خذوه ... انه لكم ..!!

لهم او لنا ... لست أدري ..!!

ولكنني خلال الاحتفالات الكبيرة هنا وهناك ، ورغم لحظة تعانق العلمين العربيين الجزائري والسوري على جثمان البطل العربي العظيم .. ما زلت عاجزة عن تفسير معنى الدموع الخفية المرتجفة المتوارية خلف تاريخية الحدث .

ويظل قلبي الصغير اصغر من مستوى الحدث ، يظل انانيا وفرديا ، ولا يستطيع ان اتظاهر او انكر انني ما تأملت كثيرا لدمشق تخسر ربحا سجله التاريخ باسمها منذ ثمانين سنة . انني افكر بطريقة ساذجة في حالات الانفعال . « فأنا » نصف سورية نصف جزائرية . ابي من الشام وامي من الجزائر .. ابي من المشرق وامي من المغرب .. ارضي هنا وارضني هناك .. فالى ايهما انتمي ..! هل الحق اخوالي او اتبع اعمامي!! او اظل سؤالا يتأرجح بين نقطتين عربيتين ، سؤالا وضعته ثورة ثائر ورحلة



الفنان عزيز اسماعيل - انطاكية

Vertical line on the right side of the page.

ثائر من المغرب الى المشرق ..؟! ام ان السؤال قد استرد جوابه الآن بعد ان غدت النقطتان المشرقية والمغربية نقطة واحدة ، واصبحت كل من الجزائرية والسورية « في » عربية !!؟ ام انني كنت في الاصل « واحدة » ثم تبعثرت اكثر من واحدة ، ثم عدت الآن « واحدة » ..؟!؟

ترى هل لي ان افرح .. وهل زالت التفاصيل الصغيرة في التاريخ العربي لنصل الى مرحلة عالية من التجريد العربي ان جاز التعبير ..؟!؟

لقد منحني الحدث الكبير الجراة على التساؤل .. ونجح اللقاء العربي الجزائري السوري في وضعنا امام فكرة « العربي » المجرد مجسدا في اسم الامير الثائر عبد القادر الجزائري .

• اتى الامير من الجزائر الى الشام على متون الامواج .

• وعاد الامير من الشام الى الجزائر على متون الرياح .

اتى بجسده وعقله وقلبه ، وان ظل عقله وقلبه يهفوان الى ساحات امجاده وثوراته ، ويرنون الى السهول والجبال التي شهدت صولاته على الدخيل الفاصب وجولاته .

وعلى الاثير .. عاد الثائرون المنتصرون برفاته . ولا اشك ابدا بان كل عاصمة عربية رفعت قلبها وعقلها تتطلع الى الطائرة التي حملت رفته، لهفة وشوقا واملًا في ان تكون هي صاحبة الحظ الكبير باحتضانها .

لمن البطل ..؟!؟

لدمشق .. للجزائر .. للقاهرة .. لبغداد .. لصنعاء .. لحيفا .. لبيروت .. لعمان .. لمكة المكرمة .. لتونس .. للخرطوم .. للدار البيضاء .. لطرابلس .. للكويت .. لمن .. لمن ..؟!؟

وامسح دمة .. وتطفر دمة .. وبأخذني شعور ويعيدني عقل .

اهل الشام .. والمغاربة .. في الشام .. كالذي يبكي في « عرس » يبكي ولا يدري لماذا يبكي في مناسبة سعيدة!! والمصلون في الجامع الاموي .. يطلبون الرحمة للامير .



لقد رحل الامير .. واهتز قبر الشيخ محيي الدين بن عربي مودعا  
البطل . واهتزت قبور الاجداد من المغاربة الثوار الذين رافقوا الامير في  
رحلته الى بلاد الشام .

ويسير احفادهم الآن رافعي الرؤوس لقد ثأروا للبطل من فرنسا  
وعادت الجزائر حرة ..

وسينام ابن الجزائر الثائر الاول في الجزائر الحرة .

واسأل امي الحبيبة وتقول :

— يا بنتي .. لا اذكر .. وكل ما أعرفه عن تاريخ رحيل اسرتي والاسر  
الجزائرية الاخرى مع الامير الى الشام هو ما قالته لي امي ..

— ما الذي قالته « ستي » يا امي .. ؟

— قالت ان « ستي » ام امي قد ولدتها امها على ظهر الباخرة التي  
حملت « المغاربة » الى الشام التي اختارها الامير . واستوطن المغاربة حي  
« السويقة » وحي « الميدان » في مدينة دمشق .

— هل تتمنين يا امي العودة الى الجزائر الآن ؟

— يا ابنتي .. أنا أحب الجزائر وافرح بحريتها ويقولون انها من  
أجمل بلاد الدنيا ولكنني احب الشام كثيرا ، عشت فيها واريد ان اموت فيها  
الى جانب امي وأبي .

يا ابنتي .. في عروقي دم جزائري ولكن جذوري في ارض الشام  
امتدت ومن فرات « بردى » نهلت وارتوت ، واصبح من الصعب اقتلاعها .

— ايهما أحب اليك يا امي .. الجزائر أم الشام .. ؟

— كأنك تسألين اي اولادك أحب الى قلبك ؟ الجواب مستحيل .

— لماذا لم تخرجي لوداع الامير يا امي .. ؟

— لا أستطيع .. فأنا أبكي بصمت . لماذا سمحت سورية بنقل  
رفاته ؟ لقد تجاوزت سورية وصيته بدفنه في الشام ولم يسأله  
احد رأيه .

— يا امي الرجل رمز لقضية امته .. والامير عبد القادر الجزائري  
رمز للقضية العربية وللوحدة العربية والامور لا تناقش بمثل هذا المنطق ،  
والانسان العظيم ملك لامته ...

— لا فائدة من اقناعي يا ابنتي .. فأنا أبكي . . ولا املك الا كلمة  
واحدة اقولها له :

مع السلامة يا امير .



## زهرة الليلك

زهرة الليلك .. تملو الآن مع الموجة وتهبط ، تطفو وتغوص بين عقله وقلبه ، تحاول ان تركز الى مصر في البحر ، بحر اللاذقية او بحر نفسه لا فرق بين البحرين .

ترى هل سيكون هذا الشفاء الغني بالمفاجآت صادقا بعبائه؟! وبدأت يده تمتد شيئاً فشيئاً الى الزهرة ، ورجفة الشك في عروقه تتبعها هزة اليقين تنوس بكيانه بين نعم ولا ، بين حقيقة وهم ، بين جد ولعب ، بين زهرة طبيعية وزهرة اصطناعية ، بين زهرة ولا زهرة .

ترى هل يعقل ان تكون زهرة الليلك هذه زهرة طبيعية رغم هذا الشتاء ..!! وهل يزهر الليلك في غير الصيف ..!! ام انها زهرة اصطناعية تغريه على البعد فاذا ما اقترب نفرت منها العين وارتدت عنها النفس !!

انه لا يحب الزهور الاصطناعية ابدا ابدا ، لقد مر من سوق الحميدية اكثر من مرة ورأى بعينه العربات الخشبية الصغيرة يجرها انسان فقير وقد تكدست فوقها بلا ذوق ولا ترتيب انواع الازهار الاصطناعية كلها . قلدوا البنفسج والليلك والورد والفل والياسمين والقرنفل وورق الهوا وورق الليمون ، ولكنهم بهذه الطريقة الساذجة اكدوا وجود الاله .

لا .. لا يمكن ان تكون زهرته المفضلة زهرة اصطناعية ، انها طبيعية رغم زخات المطر الخفيفة على ساحل البحر .. ورغم الثلوج التي تغطي رأس « الاقرع » .

زهرة الليلك يكاد يشم من رائحتها رائحة حبيبته ، ومن لون ورقها



الفنان مروان شاهين - حمص

1

الليلكي النادر يكاد ينطق خفر حبيبته ، حتى شعور حبيبته هو في احساسه  
شعور ليلكي .

وراح يحلم .. والموجات العارمة في البحر تتحول الى صور انسانية  
متحركة . ليته يفرق ويختنق وحبيبته في بحر بلون الليلك ويصبح الموت  
شهيا ليلكيا .

يقولون فلانة دمها ازرق ..!! ولو علموا بان دم حبيبته بلون الليلك  
لانتحر عند شريانها كل نبيلات التاريخ .

ترك الحبيبة والعيد في دمشق وانطلق الى البحر في اللاذقية . وازدادت  
دهشته ، مرة جديدة يواجه ما كان يهرب منه ، وبدأ يرى البحر واحراش  
الفرلق وجبال كسب ووادي البسيط بلون شعور الحبيبة الغالية في دمشق .

ضحك اصدقائه :

— هل سمعت بمعنى الالوان !! يا اخينا البحر ازرق .. والغابة  
خضراء .. والارض ترابية رملية والله رملية ، والامق يمتص احمراره من  
الشمس الراحلة ..!!

وظلت زهرة الليلك تصعد وتهبط مع الموجة . وضحك الاصدقاء :

— يا اخينا .. سمكة .. والله سمكة .. وبما ان السمكة ليست  
زهرة ، وبما ان السمكة ليست ليلكية ، وبما ان الازهار لا تسبح كالاسماك  
وليس لها زعانف ، وللدلة المنطقية والاثباتات المادية المذكورة اعلاه . فانت  
مصاب بقصر النظر !!

وظلت زهرة الليلك تتأرجح ، تلوح له بحياء من بعيد .. تظهر وتختفي  
كجنية البحر ، فقرر ان يمشي اليها ولو تحولت اليابسة الى بحر يبطلع كل  
من يتحداه بقدمين مغرورتين . واقسم ان تكون زهرة الليلك في هذا الشتاء  
القاسي له وحده دون الآخرين .

هذا يراها سمكة وآخر يظنها زجاجة فارغة طافية ، وثالث لا يراها  
ابدا ، ورابع يعتقد انها وردة برية حمراء افريقية شرسة متوحشة تبتلع  
كل من يقترب منها . اما هو فعلى يقين من انها زهرة الليلك الطبيعية التي  
زرعتها يد طيبة فنانة في يوم من الايام في حوض من احواض بيت شامي عتيق ،

كثيرا ما كانت تلعب باوراقه الخضر الصغيرة قطعة حلوة لعوب هي تارة  
قطعة وتارة نمره .

وكبرت النبتة مع الايام وغدت شجرة الليلك عروس البيت تظلمه  
وتعطره بالطيب والبهجة .

أخذت شجرة الليلك من بردى عذوبته ومن الماضي عطره الدسم  
الأسر كالعنبر ، وأخذت عن القطة لين انسيابها ومن النمره فيها شرستها  
وحذرها وشوكها وسطوتها على النفس ، وأخذت من خدود الجدات  
« الشابات » الحياء الليلكي .

يذكر الآن . . . عندما كان يمر امام بيت الحبيبة وهي طفلة صغيرة . .  
وينظر دون ان يرفع رأسه الى جدار بيتها العالي ، يذكر ان ابتسامته كانت  
أقوى من وقاره وقوة ارادته ، وانه كان يتنهد فتخرج اليه رائحة زهرة شجرة  
الليلك في بيتهم ، تأبى الا ان تنام في صدره بين ذرات رثيبه وفي سويداء قلبه

قصة قديمة قديمة . . عتيقة عتيقة . . تعيش في العيون وفيما وراء  
العيون وبين الصدور ، شاء لها القدر ان تنفجر الآن وبعد عشرين سنة  
وتعلن نهاية الصمت شلالا هادرا من الحب المتكامل .

وعهد أخذه على نفسه على شاطئ البحر ، ان تكون حبيبته له في  
هذا الصيف ، ولن ينتظر رأيها فهو لم يتعود ان يطلب الاشيء ، التي يحبها ،  
انه يأخذها مرة واحدة والى الابد .

وسوف يعد لحبيبته مفاجأة عندما يزهر الليلك في الصيف القادم .

ولم يبق بين زهرة الوهم الشتوية وزهرة الحقيقة الصيفية الا  
ربيع واحد .

وسأله احد الاصدقاء بفضول بدأ يتحول الى اهتمام :

— قل . . من هي . . ما اسمها . . !؟

ولم يجب . . كانوا في طريق العودة الى دمشق . ومن وراء راديو  
السيارة اجاب عنه صوت فيروز :

لا تسألوني ما اسمه حبيبي أخشى عليكم ضوعة الطيوب

والله لو بحت بأي حرف تكدس الليلك في الدروب

اما هي .. فكانت في دمشق تنتظر عودته ، شاردة تائهة .. انتهى  
عندها الكلام وانتشر في روحها الصمت الكبير .

التمت حولها ثلاث صديقات ذكيات .. صمتها يفرض عليهن الصمت .  
توارى السؤال خلف الشفاه . واشتعل في العيون . من هو . ؟ من هو . ؟  
من هو ...؟؟؟!!

وفتحت احداهن اوراق الصديقة الغالية الصامطة لتقرأ الجواب .  
فقرأت كلمات كبيرة ترمز الى حادث كبير قد وقع في قلب صاحبة الاوراق  
الليلكية . كتبت عنه وعن نفسها وكأنها تكتب عن رجل وامرأة قصة  
حيادية :

عينان تبحطان عن المصير الانساني بعذاب دونه عذاب الضمير . هو  
في هم دائم . كان يضع امامه اهدانا صغيرة ليبرر وجوده ويقاتل في سبيلها،  
وعندما يمسخها تفقد معناها ويكتشف عجزها عن منحه الخلاص .

وتأرجح الحياة امامه من جديد تأرجح صبية لاهية بقلب حبيبا ،  
تدفع الارض بقدمها وتطلب القمة ، تنشد في عينيه تفسيراً جديداً ، تتماوج  
اصداء ضحكاتها في اعماقه تماوج الحلقات المائية في بحيرة راكدة بعد وقوع  
حصاة ملونة فيها .

ويمسك السيجارة ورجفة القلق في انامله تداعبها ، وجمر الحيرة  
يلاحقها حتى شفتيه .

الحياة تناديه .. تلح بالسؤال .. بماذا يجيب .. ؟

لا بد من انتصارات جديدة في قلوب الآخرين ونفوسهم وعقولهم لا بد .  
ولكن الانتصار الجديد يكلف ثمنا غاليا ، لانه اعترافها به ، وحدها  
دون النساء جميعا . لو رأى فقط في عينها ، الباحث عنهما باستمرار ، ما  
يتمنى ان يراه !!

هو يعتقد انها لا ترى الرجل الآخر فيه . هو في جهل مطبق لا يدرك



معها انها تفتعل اهمالها لتتأكد من اهتمامه ، تفتعل المعركة لتراه في الساحة على حقيقته . ترى ماذا يكمن وراء هاتين العينين السحيقتين .!! الغضب الهاديء هو مفتاح الرجل في رايها . تثير غضبه وتنتظر . ولا يزال بصورة لاشعورية يحارب الطواحين الهوائية ويلوح لها بسيفه في كل مناسبة ولو كان هذا السيف نكتة لاذعة .

يريد ان يرى قوته على وجهها المنهار . وتقف في كل مرة وقفة اطول من سابقتها وتلتفت اليه دون ان تدير رأسها الصغير الذي يفلسف الامور بطريقة لينة عذبة ، وتتساءل بابتسامة خفية منتصرة :

— من يحارب هذا الرجل . . ؟

ان محاولاته العديدة اللامرئية التي تنوي زرع نفسه التي يحبها ، في عيني ، تشير باصبع الاتهام الى رغبته الجامحة في اختطاف هذه « السلا » التي تفور من اعماقي كفورة بركان ثائر . في كل حركة من حركاته ارى نزوعه الي،المس تمرده على قوتي ، انه يرفض السيف في يد المرأة ويؤيده . يحبها قوية ويحبها ضعيفة ، لا اقوى منه ولا اضعف . يريد ان يصعد اليها ويهبط في ثانية واحدة . اسنيته الوحيدة ، الآن ، المبارزة مع هذا السيف الناعم الحاد بالذات ، ربما كان في هذه المعركة خلاص روحه مما فيها وسر المصير الانساني .

لقد تعلم ، كما قال لها مرة ، ان يتحدث الى المرأة من عل .  
فقال له :

— تذكر بان المرأة هي التي تمنح الرجل هذا الشعور . . وهو ايضا على درجات .

فقال لها :

— انت فتاة متعالية متمردة . . .

— سأرفع هدبي اليك عندما اقتنع بك لا عندما تلوح لي بالسوط .  
فضعفي يا صديقي هو قناعتي بعنف الحقيقة الانسانية فيك .

فقد انتهى بنظري عصر العضلات . سأحبك قويا من خلال العقل وارجو ان تحبني جميلة من خلال العقل . «

اما هي فلا تزال صامته شاردة ، هو في اللانقية وهي في دمشق .  
وتوقفت الاسئلة في افواه الصديقات ، ان الصديقة الغالية الطيبة في  
حالة حب كبير حقيقي ونهائي انها تحب رجلا قويا لاشك .  
لقد بدأت تفكر فهي اذن تحب .



## من لماذا متي أين كيف!؟

- قالت : اشعر بانني اغلي ..
- قال : لا يبدو عليك اكثر من درجة الصفر .
- قالت : الصمت لا يعني الموت .. وقطعة الجليد لا يمكن ان تكون صخرة .
- قال : ...
- قالت : اريد ان اقول واكتب واتحرر من افكار كثيرة تنطحني قرونها الصغيرة الحادة من الداخل بلا رحمة ..
- قال : قولي .. من الذي يمنعك !!
- قالت : انظر معي الى هذه اللوحة ..!! هل تصدق بان لوحة « الغابة الحديدية » لتوفيق طارق هي احد هذه القرون التي تثير في شعور الغليان ، وتدفع الى التنور في اعماقي حطبة جديدة جافة سريعة الاشتعال !!
- قال : اصدق .
- قالت : من أنت ..؟
- قال : .....
- قالت : لماذا احب رجلا لم اعرفه كله بعد .!؟ ولماذا قدر لي ان يكتسحني انسان عجوز عمره بعمر دمشق ..!؟
- قال : .....
- قالت : متى تنطفئ هذه النار المشتعلة في النور ..!؟



الفنان توفيق طارق — دمشق



- قال : ...
- قالت : أين مكاني الحقيقي في مراعيك الملاى بالقطيع ايها الراعي!؟
- قال : ...
- قالت : كيف الخلاص بعد ان وصلت الى هذه النتيجة ..!؟
- قال : اية نتيجة ..!؟
- قالت : اخيرا انت قسال .
- قال : ولماذا لا أسأل ..!؟
- قالت : سؤال آخر .. عظيم .. نصر جديد لى ..
- قال : ومتى كان السؤال نصرا للطرف المسؤول ..!؟
- قالت : عندما اكون انا انا .. وانت انت .
- قال : ....
- قالت : عندما تكون المرأة انا .. والرجل المقابل انت .
- قال : ايضا .. لم افهم .. تعرفين ان عدم الفهم من طبعي ..!
- قالت : واحدة من نكاتك التي احبها ..
- قال : لا تهربي من الموضوع .
- قالت : كنت اسأل .. أسألك .. وانت صامت صمت اوراق الخريف في لوحة توفيق طارق . قد يطير الهواء من جانبيها .. ولكنها لن تتحرك .. ولن نسمع لها حفيفا يدغدغ روحنا ويريح قلق السؤال الملح في اعصابنا ، لانها لوحة ، وفي صمت اللوحة قوة تفتقد اليها طبيعة الخريف المتحركة .. الطبيعة الطائشة الباحثة التي تطرح اكثر من سؤال وترمي خلفه اكثر من اشارة استفهام . وانت ايها الانسان الحبيب تحمل قوة اللوحة .. وانا احمل ضعف الطبيعة . أنت تحاكي نصر الالوان عند توفيق طارق كطاووس مزهو متزن .. وانا امثل خسارة الاوراق اليابسة الطائفة في خريف غابة الغرلق تطير كفراشات مذعورة ليس لها انيس يحميها من ريح عاتية قد تحملها عبر الوادي الى البحر .

قال : ...

قالت : اصبت .. فصمتك قوة تؤكد ضعفني امامك .. ولتططق  
الاخشاب في تنوري . اسكت .. ففي سكوتك عن سؤالي  
نصر يؤكد ذل السؤال بلا جواب .. وخضوع الجداول  
للسوارب .

من .. لماذا .. متى .. أين .. كيف ..؟! كلمات  
جافة .. حطبات ناشفة كأعواد الكبريت تزيد من درجة  
الاشتعال في كياني ، وتبقى الغاية في ضميرك مظلمة باردة  
صامتة كحديقة توفيق طارق الانيقة الهادئة ، لا يجرحها  
تقيق ضفدع ، ربما يحمل معه ظل سؤال اخضر في خريف  
احمر وليل اسود ..

قال : احبك .. أعيد الارض التي تمشين عليها ..

قالت : الحب يا حبيبي في قلبي غابة تحترق .. اما الحب في قلبك  
فهو ورقة خريفية حمراء واحدة ساكنة ملتصقة في لوحة  
الغابة الحديقة ، كلمة لا تنمو .. وقوة كامنة لا تتحرك .  
وعندما تطير أوراق الخريف من لوحة توفيق طارق لتخط على  
رأسي وكتفي وحضني ، فسوف اتوقف عن طرح السؤال على  
نفسي وعليك واوقن انك تحبني حتى العبادة .. وانني  
شهرزاد التي لن تسوقها الى الذبح عندما يدركك الصباح .

قال : اسأليني احبك .. مري فأطيع .. اطلبني لبن العصفور  
فاحمله ..!!

قالت : تأخرت .. ولا انهم لماذا يفهمنا الرجل متأخرا .. لقد جاء  
دوري .. لن أسالك ولن اطلب .. وان سألتني فلن اجب  
وان طلبت فلن اعطيك ، لانك عاملتني كالاخريات ولم  
تميزني . لقد تحولت العبدة الى سيدة ، كما تحول سؤالي  
الى جواب صامت ولهفتي الى احتراق ساكن . لقد خسرت  
في نفسي فرحا بك لا اظنه سيعود بسهولة ولو زرعت الارض  
تحت قدمي لؤلؤا وزمردا وياقوتا وعقيقا وماسا .  
لن يعود ولو عطرت أجواني أغنيات فيروزية ..

قال : لم عذا الغضب كله .. وماذا فعلت ..؟؟

قالت : ومتى كانت القوة الهادئة غضبا ..! انتبه جيدا للعبدة التي

بين يديك ولا تلعب .. لا تعاملها كبقية الجوارى والاماء  
والعبيد ففي عروتها دماء سيده حرة اصيلة .. وفي طبعها  
طبع فرس عربية تعرف جيدا متى يجب ان ترمي بفارسها  
ارضا ..

قال : متى ..؟؟

قالت : ....

قال : حبيبتى .. انت لي .. اليس كذلك ..؟؟

قالت : . . . . .

قال : سيدتى .....

قالت : ....





## اللوحۃ المعلقة؛

قالت ودمع العين يسبقها :

الايام .. تمر .. تمر .. وانا معلقة في مكاني . يوم يبتسم لي ابتسامة  
مهرج السيرك ويمضي ، ويوم يمسح على شعري بيده الحنون كانه طفلته  
النائمة ، ويوم يمسك خصرته من شدة الضحك ثم يضرب ساقه بيده بحركة  
ظاهرة ثم يمضي تاركا لي صدى ضحكته الفاجرة ، ورابع .. يقف عندي ،  
يصمت ، انظر اليه فيفهمني بعمق ، ترفرف رموشه المبتلة بدمعة ذكية  
القلب والعقل ، ويفمض عينيه المخضلتين على صورتني الاخيرة ، ويحمل  
امتعه الثقيلة ويرحل قبل ان يرتفع بكأؤه الصامت الى مرحلة الشهيق ،  
فالايام الغبية التي سبقته قد تركت في اللوحۃ المعلقة ، التي هي انا، خطوطا  
عميقة الاثر اخترقت البشرة الصبية الى الشعور الفتى ، خطوطا انسانية  
بكل ما في الانسانية من تناقض يفضي الى الكمال ، التجربة ، الشيخوخة ،  
خطوطا لا ينفع معها اي ترميم او طلاء .

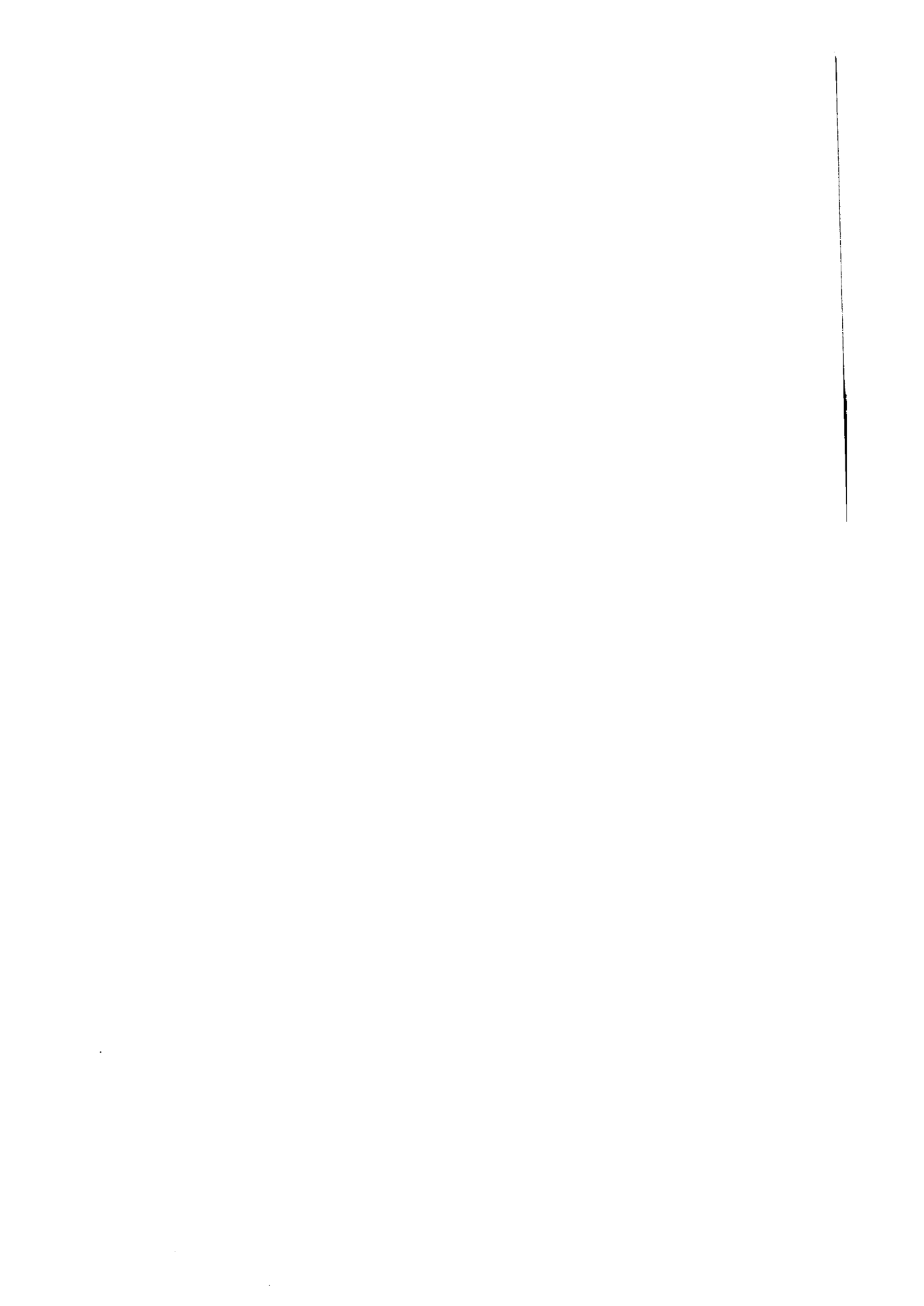
ويمر اليوم الخامس طيبا ذكيا ليلمس برفق وحب وتوق وتعاطف وجه  
اللوحۃ ، يريد ان يلتصق بها التصاقا كاملا ونهائيا ، ولكن يدا قوية تدفعه  
وتدفعه لتحتل مكانه برغبة خفية مصررة .. انها يد اليوم السادس ..

اما اليوم السابع .. فانه يمر امام اللوحۃ ، يقف عندها .. ثم .. !!؟  
الايام تمضي ، واللوحۃ معلقة ، والايام لا تكتفي بالنظر في زيارتها  
لمعرض الحياة ، ولا بد ان تتجاهل لافئة « ممنوع اللمس » .. ولا بد ان  
تلمس الصورة الاصلية بغفلة عن عين « الفنان » الواقف غير بعيد يشرح ،  
بلا كلام ، لعدد من الايام الزائرة ، لوحۃ من لوحاته الصعبة .

كل يوم يناقش ما قبله ويحاول الابداع والظهور على حسابي انا .. !!  
وانا .. انا مكبلة باطار مذهب الحواشي دق السى اطرافي بعناية حتى  
لا يسرقني لصوص القطع الفنية النادرة .



الفنان لؤي كيالي — حلب



## أصابع من رمال

عندما نحاول ان نتمسك « بانسان » اليوم، فاننا سنقع حتما في شبكة الوهم .. كأسد مخدوع في غابة الحياة المتوحشة تتسلق جذوع اشجارها نباتات القلق .. وتثبت في ارضها الموحلة طحالب المادة العارية من غلالات الروح .

ضاعت الحقيقة .. وضاع الانسان الذي نحبه في ظلمات هذه الغابة الكثيفة .. ضاع منا .. وضاع من نفسه .. ولم نعد ندري اين تقف اقدامنا .. على صخرة .. ام على كهف تغطيه قشرة مضللة ..؟!؟

عندما نتمسك بيد من نحبه نشعر شعورا صادقا باننا نتمسك بيد الوهم .. باصابع من رمال .

هل هذه اليد لنا ..؟! لا . ليست لنا .. وليست لاحد . يجب ان نعترف بشجاعة باننا فقدنا في هذا العصر حقنا في ان نملك ، حتى قلب الانسان الذي نحبه ويحبنا .

قد يحبنا اليوم ولا نملك حق الغد معه ، ونومنا العميق على مخدة الاستسلام للغد ما هو الا خدعة الحاضر وخذر اللحظة السعيدة ، وسراب « الآن » المشع بالابتسامات .

الغد في قلب من نحبه ، ملك الحياة ، حياة اللحظة ، لا بيدنا ولا بيد صاحب القلب .

وتمد اللحظة لنا لسانها عبر نافذة قطار العمر ، ولا نملك ، ادبا منا او تظاهرا بالادب ، ان نرد التحدي بمثله ، لسرعة القطار . ويكيي الغد المقهور في مآقينا . وتنحدر الدموع الى آبار الماضي المحفورة في اعماقنا ، ونحمد الله على انها تمتليء بالدموع المالحة ، لا بالبترول ، ماء الحاضر ، كي

الايام تمر .. في يد كل يوم فرشاة وسطل الوان . ومرة انا تعيسة  
تحت وطأة فرشاة « يوم » دهان ، ومرة انا محظوظة مغمورة بالوان ريشة  
« يوم » فنان ، والنتيجة كما ترين ، ليست من صنمي ، انها من صنع الايام  
على ورقة دقت الى جدار الزمن بمسامير لن تسقط الا مع نهاية الزمن المحدد  
لها على جدار الحياة . وقد يضعونني بعد الموت في تابوت او في متحف ..  
من يدري؟؟

وتظل الايام تمر من بعدي كما مرت من قبلي وكما مرت فوقي .

قلت لها :

— ولم الدمع !!؟ كلنا لوحات .. وفي كل لوحة وديان ومرتفات ،  
فلماذا لا ترسمين على شفتيك ابتسامة الجوكندا ، ابتسامة الرضى  
والسخرية !! ابتسامة تتحرك بين نقطتين .. اليأس والامل .. اليأس من  
اليوم السابع والامل فيه !؟





الفنان ادهم اسماعيل - انطاكية

1

لا تتعرض لشرارات العاطفة المتولدة بين جوانحنا ، فينفجر كل شيء وننتهي الى حفرة العدم .

نشد على اصابع من نحب بقوة .. ونشعر شعورا خفيا بتسرب الرمال الى الاسفل وبهروب طقات الدخان الى الاعلى ونضيع في دوامة من يريد ان يعرف هل هو امام انسان من لحم ودم وروح ، ام انه مع تمثال من رمال ودخان وزئبق !؟

ونتساءل : كيف السبيل لمعرفة الحقيقة الكامنة تحت بشرة هذه اليد الحبيبة !!؟ ونخرج بلا جواب .

لقد فشل العقل ، برأبي على الاقل ، في معرفة الطبيعة الانسانية ، وفي رصدها بمعادلات رياضية ثابتة، وفي تلخيصها بقوانين فيزيائية مستقرة، فماذا نفعل .. ؟

سؤال لا نزال نطرحه بخجل في عصر العلم ... !

ويقهرنا صمت الجهل وعجز الانسان عن معرفة الانسان ، ونقف بذل امام لوحة « اعرف نفسك » ويحيرنا لغز « الانسان اللحظة » كما يحيرنا لغز « الموت الابدي » .

نشعر بقوة التعادل بين قبول الانسان لنا ورفضه لوجودنا . وينتصب امامنا من الماضي الشعبي مثل حي : « عيني فيه وتفوه عليه » ونصل الى نتيجة تكاد تكون ثابتة :

— لسنا وحدنا من يعاني تجربة « اللحظة » .. « الانسان الوهم »  
... « الرجل السراب » .

لقد عانت الازمنة الثلاثة هذه التجربة بالذات فيمن جاء قبلنا ، كما نعانيها نحن ويعانيها من سيأتي بعدنا ، وان تكلم كل عصر بلغته الخاصة فكل اللغات تؤدي الى الانسان .. الى « الميدالية » — الانا — التي كتب على احد وجهيها « نعم » وعلى الآخر « لا » .

فانت لي ولست لي . وانا لك ولست لك .. حقيقة « مرة حلوة » تفسر سفر انسانيتنا الراحلة نحو « اللاغد » ، بل تؤكد ان انسانيتنا تراوح في مكانها على ارض اللحظة .

وتهنئة حارة مني ابعثها بكل احترام الى السيدة « اللحظة » ، وينتهي كل امل لي بالمستقبل وتنتصر « اللا » في وجه الآخرين وتنتصر « النعم » عندي ياسا ، ولا يقرأ احد على طرفي الميدالية — الانا — الا « لا » .



وتلعب لعبة الحظ مع القطعة الثمينة ، وننظر بلهفة الى النتيجة ،  
ونقرأ على الوجه الظاهر للميدالية المرمية على ارض اللحظة « لا » ..  
« لا غد » .

ايها الانسان .. انسان اللحظة ... اليك هذه النتيجة :

تحب ثم تموت ويكتبون على الشهادة « الفريسك » التي تصور بالوان  
الحياة الساحرة الحارة ، رمز راحة الموت ، امرأة جميلة نائمة نوما كاملا ،  
يكتبون باحجار الفريسك الذهبية الصغيرة هذه الكلمات :

احب ولم يحب ، كان محبوبا ولم يكن محبوبا ، كان انسانا يعيش في  
القرن العشرين على سطح الكرة الارضية ..

وتنحدر امام الصورة والكلمة ، دمعة من عين من يحبك .. وتثع  
معها ابتسامة ، لتستمر الحياة « حياة اللحظة » في اجسام من رمال ودخان  
وزئبق .. يخطيء كثيرا من يظن انه سيمسك بها الى الابد باصابع الحب  
القوية التي تنتمي الى عصر كان المستقبل فيه الها بين الالهة .

يجب ان نطرح فكرة « الانتظار » من حياتنا العاطفية حتى لا تفجعنا  
الايام باللاشيء .

الانتظار خطأ فاحش يقتل حاضرا ويلتهم لحظتنا التي تحمل في  
احشائها بذرة سعادة حتمية . يجب ان لا نرفض الحاضر من اجل سعادة  
الغد التي تحمل في ضميرها فكرة الاحتمال .

اشعر بان « الامل » قد غدا شبحا رومانسيا مضحكا في عصر كل ما  
فيه واقعي ويعتمد مبدأ الحتمية .

الامس .. هو الحقيقة .

واليوم .. هو الحقيقة تتشكل .

اما الغد .. فهو الاحتمال .

ماذا بقي لنا .. !!! لمن يجب ان نعطي انفسنا .. !!! وتختلط الايام  
الثلاثة ، وتتداخل احداثها بعضها ببعض كما يتداخل السكر بالماء او الملح  
بالماء .. ويصبح الفصل امرا اقرب الى المستحيل .

فالانسان هو هذه الايام الثلاثة معا . هو حقيقة الامس ودرج  
اليوم واحتمال الغد . فلا يمكنني ان اتوكأ على أحد هذه الايام ، وانفي  
اليومين الآخرين من حياتي .

انا الذكرى واللحظة الحية وتوق المستقبل معا . انا الايام الثلاثة  
معا .. انا السكر وهي الماء .. وربما انا الملح وهي الماء .. والماء المالح  
او الماء الحلو من صنعنا نحن . فبنتيجة اللقاء بين العناصر الاربعة: الانسان  
والماضي والحاضر والمستقبل .. او بين العنصرين الكبيرين : الانسان  
والزمن .. او بين العناصر الانسانية الثلاثة : الانسان الماضي والانسان  
الحاضر والانسان المستقبل ، ترتسم على الواح كبيرة خفية قصص الحياة  
الملونة .. واللوحات البشرية المختلفة ، وما انا الا لوحة من هذه اللوحات،  
او قصة من ملايين القصص الانسانية ، التي تتمرد في لحظة من اللحظات  
على واقع التخلف الانساني الذي ما زال يعجز — في داخلها — عن الثورة  
على سجن الارتباط بالغد بالامل بالمجهول .

اليوم يقدم لي نفسه قويا متفجرا بالصحة والحيوية والوضوح  
والصدق .. ومع ذلك فأنا ما زلت الاحق الغد واتمسك باذيال ملابسه  
الهلامية في غابة المستقبل الموحشة المظلمة التي ما طلعت عليها شمس  
النهار ابدا .. وعلي فقط ان اجرر ذيل الثوب الهلامي الى النور ، الى  
اليوم الذي اعيش فيه تحت الشمس علي اجد داخل الثوب املي في  
الحياة .. !!

فلا اجد بين يدي الا قطعة شفافة ملونة صغيرة زرقاء تعذبني وتغريني  
بدهاء وذكاء بما ينتظرني من الحرير والديباج والدمقس واللايلاء لو تابعت  
رحلة الانتظار بهدوء وصبر و ارادة ، فالغد هو الانضل دائما .. !!

واقع مغشيا علي في كرسي الانتظار ، رغم كل التوثب الذي يهيب بي  
ان اقف واسير لاعتاق اليوم وأطعن الغد بخنجر اللامبالاة ، ففي هذا  
الكرسي احلام الانسان الشرقي الطيب .

ومن جديد اتابع رحلة الانتظار ، وينتحر الرجل الالكتروني الذي يحاول  
ان يحل محلي .

لا فائدة .. انا انتظر الغد ..

انا انسان .. لانني احب الغد الذي لا اعرفه .



## الطائر العقيم

لها فلسفة خاصة في الحياة .

الحياة والالم عندها متلازمان كأنها والالم توأمان ، على الرغم من  
الابتسامة الحلوة العسلية في عينيها العسليتين الواسعتين .

احبوها ولم تحبهم .. واحبته واحبها ولكنه « رجل مستحيل » وهي  
« امرأة مستحيلة » ، والحب يطير بين قطبين لا لقاء بينهما بأمر من القدر ،  
كطائر عقيم .

وتقول لي :

مشيت طويلا وانا احمل قنديل ديوجين . ودخل هذا الرجل الذي  
احبه في دائرة الضوء على المسرح ولم اعد اسمع الا أغنيته ، ولم اعد ارصد  
الا خطواته ، وكسرت القنديل وتسمرت في مكاني امامه . وغاب الآخرون  
في الظلام المطبق خارج الدائرة لا ادري الى اين . وما يهمني مادامت قد  
وجدت الكل في واحد .

من احبه انسان كبير يساعدني على اجتياز الدرب . هو بعمرى ولكنه  
على الضفة الثانية التي ارنو اليها دائما . اتمنى لو كنت عنده ، ولكنني  
اخاف ان افقده عندما أصل الى عالمه واعادله فيغدو هو انا ، وتنتقي عند  
هذه النتيجة « صورة الحبيب » الشاطيء الآخر الاكثر هدوءا وأمانا  
وطمانينة .



الفنان عبد المقادر نائب - حلب - اريحا



القلق .. والالام .. والفوضى .. والصخب .. والغضب ..  
والجذب .. والخطأ على ضفتي .

وعند من أحب أجد ما أفنقده .. الطمانينة .. والفرح .. والنظام ..  
والهدوء .. والرضى .. والخصب .. والصواب .

ويرد لها الفكرة ويقول :

— لو رأيت فقط ما ارى وانا على ضفتي لاحببت نفسك اكثر مما  
أحب نرسييس نفسه . أنا اقف مقابل « الانسان » في عصر الآلة . وانا  
اشعر بالقوة لانني احب هذه « الانسانية المفكرة » الجميلة .

وتقول صاحبة العينين العسليتين والشعر الاسود والبشرة السمراء:

— اشعر وانا امسك بيده لنتابع الرحلة الهلامية ، كأننا نسير معا  
كطفلين على سكة الحياة .. نتلد القطار .. ونتحدى السقوط بجمع قوتينا  
معا . انقل قدمي واهتز قبل ان اضع القدم الاخرى امامها على شريط  
السكة الذي اقف عليه ، واعرف ان حبيبي لن يفلت يدي قبل ان استقر ،  
يسمح لي ان انقل قدمي واسير خطوة جديدة وهو اكثر اصرارا على حمايتي  
من السقوط .

— السقوط الى اين ؟

— نحن نخاف السقوط الى مرحلة « اللاحب » في عصر ذاب فيه  
الحب كالمح .

وللالم عند هذه الانسانية فلسفة خاصة تؤثر في كقطعة من الماس  
وتشطرني دائما الى اثنتين ضعيفتين .

قالت لي مرة :

— لو كانت لهمومنا اوزان .. لما استطعنا ان نحملها .

وقالت مرة :

— الالم بيني في حياتي مسكنا مريحا له .

وقالت :

— قد لا يتمكن الالم من رسم التجاعيد على وجوهنا الفتية . . فمقدرة الشباب تفوقه الى حد ما ، ولكنه ينتصر في اعماقنا ويرسم تجاعيده بعناية . ولو رأى احدهم هذه التجاعيد في اعماقنا لتساءل بدهشة كيف استطاعت صاحبة هذه الاعماق المسنة ان تقوى على المسير امام الناس .!! وقد يقترب منها وفي يده مرآة ليضعها امام وجهها وينتظر بلهفة صدى لانفاسها الحية على الصفحة اللامعة ، فالحياة في رأيه تصبح مع تجاعيد هذه النفس معجزة لا تصدق .

وقالت :

— كان « المنا » في طفولة المدرسة « كتلم » الرصاص يكتب وتمسحه الايام بسرعة ، كمحاية اللوح الاسود تمسح الطباشير ، كان « الما » يكتب ولا يعلم . اما « المنا » الحاضر فهو « كتلم » من الماس اينما وضعته يقطع الاشياء الى نصفين و « المنا » الآن « الم » فاصل وممركتنا معه معركة حاسمة ونهائية . وهو الفريق الرابع طبعا وعلينا ان نجر اذيال الخيبة .

وقالت :

— ركبت مرة مع عدد من الزملاء والزميلات في سيارة العمل عائدين الى بيوتنا الصمت يخيم علينا . نظرت اليهم واحدا واحدا . هذا غير سعيد مع زوجته ، وهذه فتاة طيبة وجميلة وذكية ومرهفة ومطلقة ، وثالثة تحب شابا لا يحبها ، ورجل يحب امرأة متزوجة ويصمت على الجرح لا يستطيع ان يتكلم او يتصرف ، وانا كنت في حالة قلق دامع على زوجي الطبيب المسافر واخفي جرح الحب البعيد المستحيل .!! ما هذا كله؟! كيف تقوى هذه السيارة على حمل هذه الاثقال دون ان تميل!!؟

وقالت مرة وفي صباح مبكر جدا بعد ان سهرت مع زوجها ليلة رأس السنة، وبعد ان اصر زوجها الا ان تطلع عليهما شمس السنة الجديدة وهما يرنوان الى دمشق والغوطة من أعلى نقطة في قاسيون ، قالت بعد ان لمحت في طريق « النزلة » الوادي الاخضر يمتد بين الجبال الجرداء من دمر حتى الشام محتضنا في سريره بردى الحبيب ، قالت بفرح طفلة في عيد عن الشام التي تحبها مثلي واكثر :

— الشام احلى بلد في العالم مع انني لم ار العالم بعد .

وقالت مرة تشرح تأثير الصدفة التي تعيد ذكرى الحب الكبير :

— شعرت عندما مررت امام بيته وخلفته ورائي بخطوات متئدة مشدودة الى الخلف ، بصدى الرنين السحيق لحبي ، تماما كأنك تنقرين بأصبعك على كأس من الكريستال ، ويظل صدى الرنين الراجي العذب المسكر يهدد روحك مسافة زمنية طويلة لا احد يسمع الصوت « الصدى » الا انت .

وقالت مرة :

كنت أجتاز الشارع وحدي ، وعندما وصلت ، التفت الى الطريق المؤدية الى بيته . اعرف انه قد سافر ، ومع ذلك اكتشفت شيئا فظيما . الضجيج في نفسي قد طغى على ضجيج الشارع ، وخفت واخذت اتلفت حولي بذعر خوفا من ان يسمع الناس ما بنفسي .. ترى هل سمعني احد ..!!؟

قالت لي مرة :

— عندما يقرأ الانسان رواية « زوربا » يشعر بذهول امام آراء هذا الرجل زوربا . ولو حاولت ان اضع تحت كل كلمة هامة خطأ بالقلم الرصاص « لتشجرت الرواية » .

وهذه الانسانة التي تعيش مع الالم في كوخ واحد ، هي سيدة مرحة جدا ولها علاقة صميمية بالفرح والضحك والكلمة الحلوة والنكتة الذكية .

تعرفني أحب زهرة البنفسج وفي « كوانين » تبدأ في البحث عنها .



جاعتني مرة ورننت الجرس . فتحت الباب فقالت لي على الفور وقبل  
كلمة « مرحبا » :

— لبن العصفور مفقود من السوق !!

وابتسمت انا ابتسامة المنتصرة :

— اما انا فلقد وجدت حزميتين من لبن العصفور !!

زهرة البنفسج الندية في كوانين وفنجان القهوة والكتاب الصديق  
وظفلها الاثمتر الجميل وزوجها الطيب وامها الحبيبة .. هذا العالم الجميل  
الذي يحاول دون ان يدري ان يفصلها عن توأما « الالم » بلا جدوى ، يظل  
هو العالم الاقوى الذي يرفع ابتسامة الامل بالحياة الى اسنانها اللؤلؤية  
وعينيها العسليتين وجفنيها الذابلين .

القطار يسير ... وما يزال يسير على شريطي السكة الحديدية ،  
ولا بد ان يهتريء الحديد من شدة وطء الحياة في دواليب الزمن وعندها  
سيتوقف القطار عن المسير في هذه الطريق وعلى هذه السكة ليبحث لنفسه  
عن شباب جديد في حب جديد .

ولكن هل سينسى القطار ذكريات رحلاته ؟ وهل سيموت « الحب »  
بعدها ! لا اظن . انها يحملانه على جسر قوي يستند الى كلا الضفتين .  
هو وهي جسر من طين الانسان وقلبه وعقله ودمه وعينه ووده وجهده  
وحرصه ..

وستظل هذه « الانسانة » المحبة المتأللة تنو الى الضفة الاخرى  
بلهفة وتوق ، يسير نهر الفكر العميق بينهما بهدوء مرعب لا يقل عن هدوء  
الفرات والنيل .

ويظل جسر الحب مرتفعا فوق الضفتين مستندا عليهما بشموخ وثقة .  
وعلى مدخل هذا الجسر وعلى حجر الاساس فيه قد كتبت عبارة هامة قيلت  
في حفلة تدشين الجسر :

– الحب بين قلبين كبيرين هو نقطة ارتكاز الانسان الدائمة .

وتسير هذه الانسانية على ضفة ويسير من تحبه على ضفة . تقنع  
بفكرة وجوده في الحياة على الاقل . وترتاح نفسه لذكرى حبها وذكر  
اسمها . . . .

وتسير هذه الانسانية على شريط السكة الحديدي . . ويسير من تحب  
على الشريط الآخر، يسيران الى المستقبل في خطين متوازيين لا يلتقيان، وتمر  
فوقهما عجلات الزمن تغني اغنية تعبق بين الحقول عنوانها : « الى شاطيء  
المستحيل » .



# ذكرى مدينة

كنت امشي بين اعمدة تدمر الى مسرح تدمر .

كنت امشي بخشوع . . بهدوء اقرب الى الصلاة . . وحدي وآخر  
واحدة في المجموعة السياحية المرحة الشابة الصاخبة .

كنت امشي بطريقة مغايرة . . وحدي . . صامتة . . والضجيج يعلو  
في اعماتي . . يعلو مستوى الاعمدة والهياكل المتعالية . . واسئلة داخلية  
أطرحها على « لا أحد » لتظل بلا اجابات حتى من شبح دليل سياحي واحد  
يبرد نفسي من لوعة الاسئلة .

كيف كانت صورة هذا الممر العريق قبل ان تسقط بعض اعمدته وتنهار  
اكثر اروقته ويتحول بلاط ارضه الحجري اللامع الى درب مكسرة معفرة  
بالرمال تطأها اقدامنا باستهتار ولا مبالاة سائح عربي ؟

هل أنا سائحة في تدمر . . أنا . . ! ولماذا أنا . . ؟ ولماذا في تدمر . . ؟  
وهل أنا غير تدمر . . ! . . ! وهل تدمر مدينة لا يمتد اليها تاريخ امي . . ! ؟

وجنت في رغبة لامعقولة .

ليتني اختفي الآن وراء احد الاعمدة الجبارة الواقفة تتحدى الالفي  
عام ، الساخرة من بقية الاعمدة التي استكانت للهزات وسقطت . . وامسد  
راسي قليلا قليلا لارى الصورة وقد ازدهرت . . ومدينة التاريخ تدمر  
تضحك تفور بالحياة والحركة . . تتوهج في قلب الصحراء ماسسة نادرة  
تخطف الابصار وتقطع الانفاس وتبعث الدهشة .

ليت احدهم يأتي من الخلف ويغمض لي عيني بمداعبة لطيفة ثم يتركني  
اخرج من الظلام الى النور . . .



القنصل توفيق طارق — دمشق



من تدمير الاثرية الى تدمير الحقيقية .. من ذكرى حضارة الى  
حضارة .

دقيقة واحدة ... ولتذهب الصورة .

ترى كيف كان سكان تدمر يعيشون ..؟! امنيتي ان اراهم .. ان  
احدق في ملامحهم .. ان اسمع اصوات رجالهم ونسائهم لامتتع بسحر  
حرفهم .. لاشاهد بنفسي اناقة ملابسهم وروعة الوانها وعظمة خطوطها ..  
يتهادون بها على هذا المر التاريخي نفسه .. ربما لحضور حفلة مسرحية  
على مدرج المسرح التدمري العظيم !! ترى هل كانت ملابس النساء بلون  
النيبذ .. أم بلون السماء .. أم بلون الصحراء .. أم بلون النخيل .. !!

ودخلت المجموعة السياحية .. مسرح تدمر . ودخلت مع افرادها ..  
بل كنت آخرهم .. جلست على اول مقعد في اول صف من مدرج المسرح  
نصف الدائري .

أما المجموعة .. فقد تكومت كخلية نحل نشيطة على درجات المدرج  
في نقطة الوسط .. يتوسطها شاب ، عربي طبعاً ، ينقر بمهارة على الدريكة  
وتعاونه الجوقة ، مجموعتنا العربية طبعاً، غناء وتصفيقا على ايقاع اغنيتنا  
الشعبية : « شلح التوب ولبس التوب » ، بينما قفز احد الشبان المرحين  
الى باحة المدرج وقد ربط خصره بايشارب أحمر وأخذ يقلد الراقصة  
ناديا جمال .

لا ادري كيف مرت مئات السنين لتضع الامور في غير مكانها .  
« جوقتنا » السياحية كانت تمارس نشاطها الفني على المدرج وفي مقاعد  
الجمهير ، « وبناء » المسرح الحجري الفخم الذي يواجه المدرج والذي  
يطل على الجمهور بخمسة ابواب لها اقواس مطرزة .. قد ظل بلا جوقة ..  
بلا ممثلين .. بلا موسيقيين .. بلا راقصين .. يهزأ من الزمن بطريقة  
واحدة : الصمت .

يفنون بفرح ينتشر في اجواء المدرج كعطر زهر الليمون .. وخشبة  
المسرح « الحجرية » حزينة تتندى بالدموع على اصحابها الحقيقيين الذين  
ذهبوا بلا عودة ، وتعقب على هؤلاء الاحفاد الذين لا يقولون كلمة واحدة  
« جدية » لاعادة كل شيء الى اصله .

وكانت المفاجأة التي هزنتي وحدي وهزت المسرح . لعب القدر  
المنصف دوره ، وبقدرة عجيبة ضاع ممثلنا الشاب الموهوب « هناني

الروماني « عن المجموعة وضل درب المدرج ، وظل يبحث بين الأتسار في المدينة الواسعة الى ان وصل . ودخل هاني الروماني علينا لا من باب الجمهور كما دخلنا . . بل من باب المسرح الكبير في الوسط . . باب الممثلين الكبار . . فجأة وجدته على خشبة المسرح وحده ينظر الينا بعفوية سائح دون ان يدري من اين دخل ولماذا . . !! ترى هل انتقم القدر ليعيد التاريخ نفسه ولماذا هاني الروماني بالذات ؟! لست ادري ولا هاني يدري !؟ روما قهرت تدمر . ولكن تدمر اليوم قهرت « هاني الروماني » وقهرتني .

ومن باب آخر للممثلين . . دخل ايضا ممثل موهوب آخر . . اسامة الروماني شقيق هاني الروماني . . !! ولماذا اسامة . . ؟ لست ادري ولا اسامة يدري . . !! ولكن المسرح ظل بلا ممثلين . . . رغم اختيال الرومانيين الموهوبين على خشبته . .

من يدري . . !! ربما كانت الصدفة المحكمة دعوة من ارواح سكان تدمر وممثلي المسرح في تدمر لشبان هذا الجيل لاعادة بناء ما اندثر ما دمنا نملك ارض الفن ومعاول البناء .

وصورت الكاميرا السينمائية « الراقصة » الشباب وليتها التقطت معي اهم صورة من صور الرحلة هاني واسامة الروماني فوق مسرح تدمر . ولكن . . ولكن . . ولكن !!

واقترب مني أحد زملاء الرحلة مقترحا بلطف ان انضم الى المجموعة متسائلا لماذا اجلس وحدي !!

كنت أفهم معنى حركته اللبقة . كان يخشى ان تؤلني الوحدة وأكدت له اني سعيدة ، سعيدة جدا ، اتمتع بمدرج المسرح . . أراقبه . . أعد أبوابه . . اتمسح حجر درجاته بيد حنون . . أتساءل عن معنى الحاجز الحجري نصف الدائري الانيق الذي يحمي ارجل جمهور الصف الاول . . ! ربما كانوا يجرون العابا لحيوانات خطيرة في باحة المدرج . . ! واغالب دمة تهدد بالسقوط من فرط تأثري بنقوش وزخرفات غاية في الدقة والجمال تتوج أعالي البناء وأفاريزه . . ولشدة حرصي على حضارة كانت لنا وبادت .

تدمر الاعمدة . . لحقت بها عند المغيب من شرفة الفندق الصغير الوحيد . . كانت اعمدة تدمر واقفة كأشباح التاريخ تودع الشمس لتستقبل الليل بكبرياء . اعمدة كثيرة تمنيت لو اضيع عن المجموعة لاعدها واحدا واحدا لاعانقها عمودا عمودا . . لا قبلها جذر عمود جذر عمود ، الجذور

باقية اذن ولو سقطت الاعمدة . . !! وتدمر باقية ولو ارتفعت « الامساير  
ستيت » . .

سألني أحدهم بشيء من السخرية :

— لماذا تحبين الآثار لهذه الدرجة ؟

— لاني احب الماضي .

— والحاضر . . الا تعتقدين انه بحاجة لنا . . وان من واجبنا ان  
نعيش حياتنا . . !!

— الحاضر أحبه . . ولكنني اشعر بارتباط خفي بالاطلال . . لانني  
أراها اكثر انسانية .

ومن أعلى نقطة في معبد « بعل » في تدمر رأيت مع بعض الذين اثبتوا  
شجاعة بصعود السلالم الداخلية الخفية . . رأيت مدينة التاريخ تدمر .

كانت يوما مدينة كبيرة جدا وسط غابة من اشجار النخيل . . تطوتها  
صحراء ملتهبة مقرامية الاطراف . . وتحيط بهذه الصحراء سلسلة جبال  
دائرية ترتفع على أحدها قلعة عربية شاهقة . وعلى احدى التلال المجاورة  
لتدمر . . يرتفع قبر ينام فيه الاموات فوق الارض بامتار تتجاوز الثلاثين .  
انه قبر فوق الارض يحاول الصعود نحو السماء ويبدو من بعيد كالبرج . .  
في داخله وعلى الجانبين دروج كدروج خزانة حديدية ، في كل درج توضع  
جثة انسان عظيم يلصق تمثاله النصفي او صورته على الجدران ، او في  
أعلى سقف القبر .

هذه الحقيقة الغريبة عرفتها من وراء القضبان .

ولما سألنا :

— اين مفتاح القبر « المقبرة » . . !!؟

— المفتاح ضائع . . انظروا من شقوق الباب الحديدي .

— اين باب المدينة الاثرية . . !!؟

— لا باب . . ولا حدود للمدينة وهي مفتوحة الاطراف لكل زائر .

— لماذا . . !!؟

— لا أحد يعرف .



- والسواح الاجانب والعرب ماذا يدفعون مقابل زيارة المدينة ..  
لا المتحف .. !!
- لا شيء .
- في مصر ... وصول السائح من الاقصر الى قبور الفراعنة في  
مدينة الاموات يكلفه اربعة جنيهات .
- ماذا تعنين ..؟!
- اعني اننا بحاجة لزيادة الدخل القومي عن طريق استغلال  
السياحة بذكاء ، كما تفعل الجمهورية العربية المتحدة ..
- . . . .
- وفنادق ومطاعم ومقاهي تدمر ومسابحها ..!!
- فندق واحد ممتاز .. ولا شيء آخر .
- ولكن لماذا .. انا لا افهم ..؟!
- منذ التاريخ .. لا احد يفهم .
- والسكان الحاليون لماذا يعيشون بهذا الاهمال ..؟
- . . . . اسألني التاريخ .. !!
- والبلدية ..؟!
- من اغنى البلديات في بلدنا ..
- اذن .. !!
- . . . .
- وقوافل السياح التي تأتي بالطائرات والباصات اين تنام ..؟!
- لا تنام .. تعود بالطائرة والباصات في اليوم نفسه .
- والطائرة .. لماذا لا تحضر يوميا .. !!
- اسألني شركة الطيران .. لا احد هنا يعلم .
- اف .. اكاد انفجر .. كل هذه العظمة التاريخية في بلادنا .. وكل

هذه الثروة القومية الجاهزة .. وكل هذا التراث الذي يدرسه السائح وحده  
وعلى الطبيعة بكتاب اجنبي « وبلا دليل سياحي » .. ونحن لا نعلم ..!!

لماذا كتب علينا ان نرفع اكتافنا بلا مسؤولية وان نلصق على جباهنا  
شعار « لا أحد يعلم » مع اننا نملك حق المطالبة بالعلم وبحمل المسؤولية  
وبرفع اصبع الاتهام نحو من يربطنا الى جذع شجرة التخلف كخروف العيد  
الغبى !!

ان تدمر تدمع العيون .. ان سكان تدمر الحاليين فقراء اثرياء بلا  
عدالة في التوزيع .

ان تدمر اكثر من بئربترول في صحرائنا فلماذا لانفجره ونكسب الذهب ..؟  
عادت الاسئلة من جديد .. معي على طريق العودة . وتنام تدمر ليلة  
جديدة بعد آلاف الليالي .. خلفناها وراعنا مدينة تنتظر ان يمسح احد عن  
وجهها الفاتن رمال الاهمال المتراكمة .

وبدأنا صراعنا المدمر مع طريق باص العودة .

واغمضت عيني .. واستسلمت لانفكاري التي تقرقع كأحجار صغيرة  
داخل رأسي الذي يهتز بعنف محاولا الاستناد بيأس الى نافذة الباص .

لا بأس .. رأيت تدمر ليوم واحد ..

كنت في زيارة « ذكرى مدينة عظيمة » كان اسمها « تدمر » .



## ضفادع نبع بردى

حلمت ليلة الامس حلما اسطوريا .

صحوت .. وراح الحلم الطويل الجميل الذي تمنيت لو كان طويلا الى ما لا نهاية . وأخذت أتذكر ...

حلمت .. انني كنت نائمة في سريري .. ويرن الهاتف في بيتنا قبل السادسة صباحا ومع زقزقة العصافير .. ويرد صوت من عالم مجهول على الالو النائمة يقول :

— صباح الخير يا حلوتي .. أنا أمير الاحلام الوردية وأدعو سنديلا الحبيبة الطيبة لرحلة الى نبع بردى .. قومي كفى نوما يا سنديلا الكسول .. سأطير بك الى شاطئ نبع الضفادع ، سنحضر معا حفلة سيمفونية تعزفها لنا الطبيعة بكل آلاتها الموسيقية .

وبثوب النوم الفيروزي طرت .. لبست خفا ذهبيا ونسيت خفا بعامل السرعة والفرح .. ولكنني لا أذكر انني لمست الارض بقدمي ، كان الفرع يطير بي ويرفع قدمي عن الارض ويجعلني خفيفة بوزن ريشة نعام .. أنا ريشة ..!! أنا ريشة ..!!

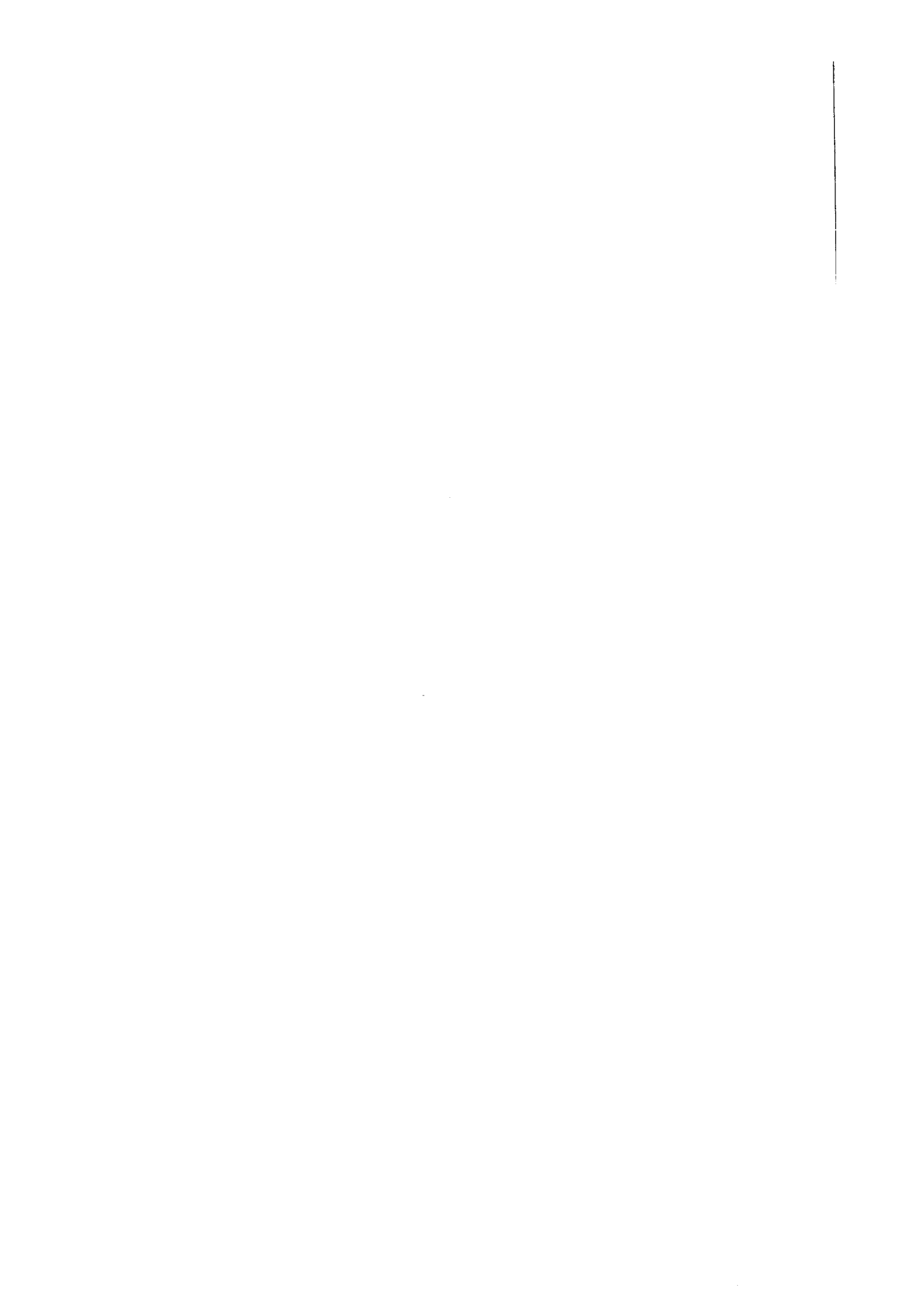
وقال الامير : لا .. انت انت .. انت الفرع .. وانت الانسان الطيب .. وانال ان اغدر بطيبتك .. وسوف أعطيك ما وعدتك به .. !! فالامير بلا كلمة لا شيء ولو صار ملكا .

وحط بساط الريح عند ضفة النبع .. وطلعت الشمس علينا .. وسكت الامير .. وتركني للضفادع .

وكان استقبال ضفادع نبع بردى لي في هذا الصباح المبكر هزة لاعماقي لا مثيل لها .. سمعت سيمفونية خارقة من عمل آلاف الضفادع . انظر ..



الفنان لؤي كيالي - حلب



انظر .. ضفدع تقفز على سطح النبع .. وتلك تنط .. الملعونة كأنها  
تلعب .. وقال الامير : بل ترقص فرحا بنا .. !!

بنا .. نحن .. ؟ .. انتهت « الانا » وبدأت « النحن » .. !!

ونظرت في عينيه .. ثم أحسست بانني ضعت .. ضيعني السحر  
والصدق في عينيه وفي الجبل وفي اللحن الغريب . لم أعد أنا .. لقد غدوت  
قطعة من الجبل والنبع والضفادع والامير . أنا لست أنا ، أنا هم وهم أنا .  
وأحسست ان انفاسي قد تقطعت ، وان الدماء في عروقي قد تجمدت ، وان  
الزمن قد توقف لرهبة الموقف .

لقد نقلتني حركة الامير الى مرحلة انعدام الوزن وانعدام التفكير  
وانعدام الحركة .. وظل القلب في صدري ينبض بالحب والفهم والحياة  
يؤكد لي انني حية وانني عند نبع السعادة .

والتفت الى وجه الامير .. وطار الامير ..

تركني وعاد الى قصره الحجري . وسار قلبي عائدا على الاحجار  
بخف واحد . ولم أعد ادري هل أسير على قلبي أم على قدمي !! قدمي  
الصفيرة الواحدة تؤكد لي منتهى الالم واليأس والصقيع ، وقدمي الثانية  
تمنحني شعور الطمأنينة والراحة والدفء في أرض هشة من الثلج الأبيض .

ونسيت موسيقى الضفادع .. نسيت رهبة الجبل .. نسيت صفاء  
النبع .. هذه المرة ضاع الامير من سنديلا ولم تضع سنديلا  
من الامير .

سرت وحدي وحدي يوما كاملا .. أبحث عنه في جبال وسهول  
الزبداني وفي وادي بردى .. أنادي .. أناديه .. يا امير .. يا امير .. يا  
أ .. !! وتصفر الريح الباردة حاملة معها أغنيات نجاة وفيروز وأسمهان  
.. « باستناك » « علموني » « يالعينيك » .. لا .. لا .. لا أريد أن  
أسمع .. وهربت من رؤوس الجبال الى الوديان .. وهبط الليل على طريق  
عودتي .. وتدحرجت كحجر صغير متهور .. الى مزرعة خضراء قيل لي  
انها مزرعة التفاح الاحمر .. ووقفت أتلفت حولي والسحر يلفني ..  
ورأيت عاشقين غريبين متعانقين قيل لي انهما آدم وحواء ..

ثم رأيتهما .. يتوهجان بالحب تحت نور قنديل يضيء أغصان شجرة  
كبيرة عالية .

كان آدم يقطف لها التفاح بكثرة .. بحب .. بفرح ..

وكانت حواء ... الى جانبه فوق قمة السعادة ... تأكل التفاح .  
كانا يتهامسان ... كان يقبلها بالكلمات ... كان يأكل التفاح من فمها .  
وخجلت .. وتواريت .. وقال لي صوت من مزرعة الحب :  
لا .. انها أبوللو وفينوس !! .. ورفعت بكتفي قائلة : ما الفرق !!  
ما أحلى هذه القطعة من الأرض ... !! انها لن تتكرر .  
وقال الصوت :

انها الجنة المفقودة .

وتذكرت نفسي ... وبكيت بصمت .. وانسحبت بهدوء من الجنة  
الى طريق الجحيم .

وعلى قبة السماء الحالكة قرأت الى جانب النجوم الفضية كلمات  
فضية تتوهج بالايمان :

لا غالب الا الله ... لا غالب الا الله .. لا غالب الا الله .

وتابعت الرحلة الشاققة وحدي ... كان يقول لن أتركك وحدك !!  
وتركني وحدي ....

وعند سهل ابيض فسيح .. رأيت لأول مرة ارضا كأرض القمر .. !!  
الليل والثلج وضوء القمر ...

وأحسست انني بحاجة اليه .. ليته يحضر الآن كي أرد له هديته  
الرائعة . لقد منحني صباحا نادرا ودلني على نبع الضفادع .. وسأمنحه  
ليلا شتويا نادرا وأسير معه فوق أرض القمر .. قدم لي لوحه وسأقدم له  
لوحه تنام بخشوع عند اقدام النبي هابيل ..

وتذكرت .. هنا .. من هذه الطريق الجبلية نصعد الى قبر النبي  
هابيل .. قابيل قتل هابيل .. أخ يقتل أخاه .. فكيف لا يقتل حبيب  
حبيبه !! لا شيء جديد .

وجاء الامر .. جاء طائرا يحمله جناح الشوق والحنين .. يرفرف  
باجنحته الفضية في الليل المهاديء الحزين .. فرحت .. رأيته في ضوء القمر  
يحمل لي شيئا بيده . ورمى لي على أرض الثلج « الخف الآخر » .. ثم  
عاد الى قصره الحجري .

وغامر الخف في الثلوج الهشة وغاصت يدي خلفه .. وضعته في

قدمي الصغيرة التي تقطر دما .. وعرفت ان عودة الخف دعوة من الامير  
لي بالعودة وحيدة الى دمشق .

وتبللت رموشي بدموع صامتة ... وصغرت الريح ... ونادى صوت  
ذهبي في السهل الواسع ... ورددت الجبال البعيدة الصدى :

يا سندريللا .. انا شيخ الليل وحكيم الزمان .. ومعى عين سحرية  
ارى فيها ما تجهلين !!..

اليك الصورة على الطرف الآخر :

لقد طار الامير .. وعاد من هنا الى قصره الحجري .. الى احضان  
بيته العربي القديم في دمشق العتيقة ..!! عاد الى نقطة البدء التي لم تلمسها  
عصا التطور بعد .. عاد طفلا صغيرا في صورة شاب فتى نبيل .. عاد  
الى الملك والملكة وحده بلا سندريللا .. وفرح اخوته واخواته من الامراء  
والاميرات النبلاء . واقامت حفلة شماتة راقصة في قاعات القصر ابتهاجا  
بعودة الامير الى احضان الاسرة المالكة دون ان تتمكن ابنة الشعب الفقيرة  
من الزواج منه .

واختاروا له اميرة نبيلة جميلة صغيرة ثرية عريقة .. وتركوه معها  
يرقص حتى الصباح .. ولكن الاميرة كانت ترقص حافية القدمين !!..

واعلن في الحفلة الملكية ان زفاف الاميرين النبيلين قريب ..

لا بد من زواجه حتى ينسى حبيبة قلبه ..

وناموا جميعا .. التيجان الذهبية على رؤوسهم .. راحة البال  
مخدة طرية تحت عقولهم .. والنصر عليها خدر لذيذ في أعصابهم .. فقد  
انتهى خطر عشق الامير لسندريللا ..

ويردد الصدى قبل ان يتكلم الشيخ :

ولم تنم سندريللا ...

ولم ينم الامير ...

الامير في عقل سندريللا ...

وسندريللا في عقل الامير ...

كل منهما في مكان .. وكل منهما عند الآخر ...



وتضيع المسافات اللثيمة في متاهة الصدق في الحب .. وتنتصر  
المؤامرات الملكية عند عتبة قصة حب لا فائدة من قتلها في قلبين عاقلين ..

وبسكت الصدى ويتكلم شيخ الليل :

انتهت الحفلة .. وعاد الامير طفلا صغيرا يبكي .. ثم تحول الى  
جنين صافي النية طيب القلب ، يحب ان يظل متوقعا في رحم امه الى  
ما لا نهاية ... ينام باطمئنان كلي .. لا شكوك رهيبة تقض مضجعه ، ولا  
عقد نفسية سوداء تؤرق سلام روحه .. وان حاولت امه الحبيبة الطيبة  
ان تلده مرة ثانية في غرفة القصر « العالوية » الملكية التي تعانق نوافذها  
اغصان واوراق شجرة الليمون ، فسوف يبكي بشدة .. ويصرخ .. لانه  
لا يريد ان يعود الى الحياة من جديد ، كي يكبر ويصبح طفلا ثم اميرا شابا  
تتحكم بمصيره عقلية اسرته المالكة .

ونام الامير تلك الليلة في رحم امه محاولا ان ينسى المشكلة .

وقلت لشيخ الليل :

— ولكنني يا حكيم الزمان ما زلت مظلومة ... !!

— ربما كنت الظالمة ... !!

— ابدا .. والله ابدا ...

— هل كذبت على الامير مرة ... !!

— ابدا .. ابدا .. الحب هو الصدق .. وحببي هو الاول في حياتي ..

— وهل صدق هذه الحقيقة .. ؟!

— الشك الذي يؤرق سلام روحه بسبب خبث من عرف من الاميرات

قبلي .. قد قضى علينا ... وقتلت حقيقتي في غرفة متواضعة ،  
فقيرة هادئة في حارة النهر .. لا يجرح صمت الحب فيها الا خطوات قطة  
مارة على سقفها الطيني .

— سيعود ما دمت صادقة ...

— ما الذي سيعيده ... ؟

— الايمان بالله الكامن في ضميره . فالاله معك ما دمت صادقة مع

نفسك ومع من احببت ..

— واسرته المالكة ... !!

— أنت أسرته المالكة .

— انا ..؟! هه ..!!

— سيعود ...

— لا اريده ان يعود .. كان عليه ان لا يرحل .. لن اجرحه بكلمة ..  
السماء سوف تعاقبه ...

— لماذا ترتدين الاسود ...؟ الاسود لون يكرهه الامير لانه باعقاده  
يخفي الزيف ...!!

— يا الهي ..!! انا لست مزيفة ... وأنا لا ارتدي الاسود الا لانه  
لون الليل ... لون الحقيقة التي جمعني بالامير بعيدا عن عين القصر  
الملكي .. هو الذي اختار لي لون الليل .

آه ليتني لم أعرفه .. ليتني مت قبل أن أصدقه ...

ليت الارض انشقت وابتلعني قبل أن أسمع هذه التهمة .. كفى  
كفى يا شيخ الزمان العادل ... لا تنقل لي من تصوراته الخاطئة عني اكثر  
مما نقلت ... دع له في قلبي بقية من الحب .

دع لي دموع الندم وارحل ... وخذ معك قبل ان ترحل عينك  
السحرية ... افضل ان اجهل بقية آرائه عني . لا احب ان اكتشف جهله  
بحقيقتي .

— انت كبيرة يا صغيرتي .. وسوف يفوت وقت طويل قبل ان يدرك  
الامير انه قد اخطأ .. لا قبل ان تموتي .

وغاب الصوت العاقل ... وصفرت الريح ... ووجدت نفسي  
ما زلت واقفة فوق ارض الثلج ...!! وابتسمت بسخرية من القدر الذي  
يعذب « الصدق » في الانسان بهذه الطريقة المرة مرار الصبر .

وقررت العودة بلا امل .

قطعت طريق الصحراء بصعوبة .. ونزلت منعطف الهامة .. أحسست  
بالعطش .. واستقبلتني رطوبة الوادي .. وقرب اشجار الحور والصفصاف  
الطالعة من ضفة بردى .. وتحت ضوء اصفر خافت وقفت لاشرب من  
« فيجة » ماء باردة . وتحولت « الفيجة » فجأة الى بحيرة هادئة . نظرت  
في مرآة البحيرة الصافية فلم أجد نفسي .. بل رأيت صورة حمار باذنسين

طويلتين .. التفت بذعر .. رأيت الحمار يجر « طنبرا » محملا بانتقال  
الذكريات الحلوة والمرّة مع الامير .. ضحكت .. ولم تعد ضحكتي ضحكة  
انسان . وتابع الحمار « والطنبز » طريقته محاذايا بردي . وعند مدخل  
دمشق .. عند الربوة .. تذكر الحمار أنه قد بدأ الرحلة الى نبع الضفادع  
بصورة طائر .. فكيف يتحول الانسان الى طائر والطائر الى حمار !!؟

وأخذ الحمار ينهق ضاحكا من هذه النتيجة وهو يقفز مسرعا على  
قدميه الخلفيتين بخفين ذهبيين عائدا الى البيت الى سرير من التبن !!

ونقرت يد امي الحبيبة على بابي ... وافقت مذعورة .. اين الحلم؟!  
طار الحلم .. والساعة تقترب من الثامنة .

لماذا يا امي لم تتركيني مع احلامي؟! اريد العودة الى النبع!! يا امي  
انا لم اعد انا .. يا امي لو تدرين ..!!!  
وردت امي :

— يا ابنتي يا كبدي .. الحلم حلم .. حاولي ان تنسي .. وقومي  
ارتدي ملابس العمل كي تواجهي نهار الواقع .  
— كان حلمي واقعا ..!!

— كان واقعا حلما . نحن في عصر الفضاء ولسنا في عصر الاساطير  
.. نحن في عصر الآلة لا في عصر سندريللا والامير .

— يا امي ... لقد أحببت الامير بصدق وسأظل . أعطيت الامير في  
الحلم كل شيء ... أعطيته كل انتظاري له قبل ان أراه .. وسوف اعطيه  
كل انتظاري رغم اني لا أراه .. ولن أراه ..!!

— الزمن يلاحقك .. الساعة تشير الى الثامنة ...

— تصوري يا امي .. انني تحولت في المنام الى طائر ثم الى حمار ..  
فهل يمكن ان يتحول الانسان الى حمار؟ وما تفسير الحمار في الحلم؟  
— الطيبة .

— وهل يمكن ان يكون الانسان الطيب حمارا؟؟

- في زمانكم يا ابنتي كل شيء ممكن . من يصدق كل شيء يقال له  
فهو حمار !! ومن يمنح قلبه الطيب يخسر كل شيء . . وتسقط « تضحيته »  
العظيمة في هوة « النكران » .
- ولكن لماذا الحمار؟؟ أريد تفسيراً « لنامي » ؟
- لا تفسير « لنامك » الا انه رغبة العصر المكبوتة تفجرت في ليل  
الحقيقة ثأراً من نهار الزيف .



# فيروز ..

فيروز ...

وتعود بي الذكرى .. واتذكر بحيرة « مسعدة » الفيروزية جنوب سورية ، واتذكر بحيرة « تل ابيض » الفيروزية ، « عين العروس » شمال سورية . واتذكر خاتم جدتي الفيروزي في يدها المعروقة ، واتذكر ثوبي الفيروزي وسواري وقلب حبيبي يحب اللون الفيروزي وصوت فيروز .

عندما تغني فيروز تطير روعي كفراشة فوق حقول بلون احجار الفيروز فوق جبال من الفيروز وتسبح في مياه بلون الفيروز .

للاغريق افروديت .

للرومان فينوس .

لقدماء السوريين عشتار .

ولنا نحن العرب ، فيروز .

فيروز على مسرح دمشق تنتصب « الهة للطرب » ويصلي الدمشقيون للصوت الالهي . تغني فيصمتون ، تنادي بردي .. تناديهم .. ويصفق الحور والصفصاف ويصفقون .

فيروز .. في لبنان ارزة ، وفي سورية وعلى ضفاف بردي صفصافة ، وفي الشام عريشة ياسمين ، وفي اللاذقية زهرة ليك ، وفي حلب شجرة فستق ، وعلى ضفاف الفرات زهرة كميزة حلوة وشجرة غرب .

فيروز .. نخلة على ضفاف دجلة في العراق ، وعلى ضفاف الاردن شجرة عناب ، وفي فلسطين بيارة برتقال ، وفي الجزيرة العربية هي حبة تمر وجدول ماء رقرق في الصحراء ، وزهرة لوتس على ضفاف النيل في مصر والسودان ، وغصن زيتون في تونس ، وبئر بترول في ليبيا والكويت والبحرين وقطر وعدن وعمان ، وجبل شاهق في اليمن ، وشجرة صنوبر في



١٤٢٨ هـ  
٦٧

الفنان وليد عزت - دمشق

Vertical line on the right side of the page.

الجزائر ، وشجرة زيتون في مراكش ، هي شلال في لواء اسكندرون و عامود  
رخامي من اعمدة الحمراء في الاندلس .

فيروز عرق اخضر ينبض في ارض الوطن العربي .

عندما تأتي فيروز الينا . . الى الشام التي تحبها ، في ايلول لتغني  
على مسرح معرض دمشق الدولي اغنية للشام فتقول في سنة من السنين :

طالت نوى وبكى من شوقه الوتر

خذني بعينيك واهرب ايها القمر

تهب دمشق مهللة للصوت والكلمة واللحن الذي يصعد الى النفوس  
فيلهبها حبا ويمنحها قوة :

وتعود فيروز لتغني الاغنية كاملة :

طالت نوى وبكى من شوقه الوتر

خذني بعينيك واهرب ايها القمر

لم يبق في الليل الا الصوت مرتعشا

الا الحمام الا الضائع الزهر

خذني بعينيك واهرب ايها القمر

\*

لي فيك يا بردى عهد أعيش به

عمري ويسرقني من حبه العمر

عهد كآخر يوم في الخريف بكى

وصاحبك عليه الريح والمطر

هنا الترابيات من طيب ومن طرب

واين في غير شام يطرب الحجر

\*

شام أهلوك احبابي وموعدنا

اواخر الصيف آن الكرم يعتصر

نعتق النغمات البيض نرشفها

يوم الاماسي لا خمر ولا سهر

\*



قد غبت عنهم ومالي بالغياب يد  
أنا الجناح الذي يزهو به السفر  
يا طيب القلب يا قلبي تحملني  
هم الأحبة ان غابوا وان حضروا

✱

شام يا ابنة ماض حاضر أبدا  
كأنك السيف مجد القول يختصر  
حملت دنيا على كفيك فالتفتت  
اليك دنيا وأغضى دونك القدر

✱

وعندما تقف فيروز على مسرح دمشق في « صدر الباز » الاخضر في  
مدينة المعرض ، غير بعيد منها ينساب بردى ، لتنادي بردى :

أنا صوتي منك يا بردى مثلما نبعك من سحبي

اشعر ان نبعا قد تفجر في صدري وان بردى اخذ يتسرب من خلايا  
قلبي ويرشح من عروقي .

يقول سعيد عقل الشاعر اللبناني الذي يحب الشام ، وتغني فيروز ،  
ويبتل الصوت في حلقي . اسمعها عطشى فأرتوي . اشرب من بردى وكأنني  
اشرب صوت فيروز . واضيع بين الحقائق والاهام بين النبع والانسان  
تضيعني فيروز . ما هذا الحب بين الطبيعة والانسان .! بردى يشرب  
من لبنان ، وفيروز تسرق صوتها من بردى ، والدنيا تشرب من صوت فيروز  
بلا ارتواء .!؟ ويتوقف السؤال بلا جواب .

ليتني اسكت وتفتحون الصفحات وتغني لكم فيروز ، لتكون هذه  
القطعة « الاغنية » في كتابي احلى قطعة .

جيلنا العربي جيل تعب يقف على جسر القلق والثورة والاهداف  
الكبيرة . . واستطاعت فيروز الكلمة واللحن والصوت ان تعدل عواطف  
هذا الجيل ، وتنطلق به جوادا عربيا أصيلا الى مستقبل عربي أخضر .

تهيب بجيلنا ان ينهض الآن لاستعادة فلسطين قائلة :

الآن الآن وليس غدا

اجراس العودة فلتقرع

فيروز تمنحني الحرية ، تزرع اقدامي في ارض ماضيها العربي العريق  
المزدهر بين الهند والاندلس ، وتطير بعقلي الملهوف الى سماء المستقبل  
المجهول ، وتهديء من روعي مما يجري في هذا الحاضر . تحملني على  
جناحين شفافين الى من أحب ، وتزرع الحقد في نفسي على عدو اسرائيلي  
لثيم داس بقدميه كنيسة القيامة وجامع المسجد الاقصى ، فتملاً سمع العرب  
والعالم في اغنياتها بعد عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ على العرب ،  
« زهرة المدائن » مبشرة بالثأر :

الغضب الساطع آت

بجياذ الرهبة آت

وسيهدم وجه القوة

القدس لنا

صوت فيروز اغنياتها الريفية ، تطير بي الى ربي بلادي ، فأشم من  
اغنياتها رائحة الريف العربي الاسمر ، واتقياً بظل صوتها الرطب من  
رمضاء الصحراء العربية، واسهر مع صوتها في ليل الصيف العربي وامسياته  
الحلوة ، وتشدني حنجرتها الفضية الى امي وابي واختي واخي وجدتي وجددي  
وعمتي وعمي وخالتي وخالتي وابنتي وابني . الى الوطن بأسره . الى الجبل  
والوادي والمدينة والقريّة والنهر والحقل والانسان والطير والخروف  
والقطعة ..

لو سألوني أي اغنيات فيروز تحبين لضعت في مسكبة من البنفسج  
والفل والزنبق والحبأ والمنتور والريحان والسوسن والورد والنجس :  
غيمة العطر ... لا تعتب علي ... سائليني يا شام ... بعدو الحبايب  
... سهار ... القدس العتيقة ... خذني بعينيك ... قرأت مجدك ...  
علموني ... يا طيرة طيري يا حمامة ... خايف اقول ... غنيت مكة ...  
مر بي .. يا را .. لا تسألوني ما اسمه حبيبي .. سكن الليل ..!! زهرة  
المدائن .. جسر العودة .. والله لست ادري .. لست ادري ..!!

افلامها ومسرحياتها ..!! احبها كلها ... جسر القمر وبياع الخواتم  
والليل والقنديل وهالة والملك وسفربرك .

ويغازل شاب في دمشق فتاته على الهاتف فيقول لها بحرارة الصدق :

— حبيبتي .. شعرك يذكرني بصوت فيروز ، خصرك يذكرني بصوت

فيروز . . . صوتك يذكرني بصوت فيروز . عندما أراك أرى صوت فيروز  
متجسدا في أجمل وأحب امرأة إلى قلبي .

حتى العاطفة في قلوبنا فقد أضفت عليها فيروز بوجودها في حياتنا  
لونا لا مثيل له بين الألوان .

الأضواء على فيروز . . والقلوب راكعة أمام الهة الطرب القادمة  
من لبنان إلى دمشق . . وأنا مع فيروز لا أنسى العملاق الذي يقف أمامها  
في الظل يقود بعصاه السحرية الفرقة الموسيقية ، لا تغفل عنه لحظة عن  
فيروز . . . عيناه مثبتتان في وجهها في فمها . . . يريداه فوق مستوى القمة ،  
انه زوجها الفنان العظيم عاصي الرحباني ، أما العملاق الثاني الذي يقف  
خلفها ، شقيقه منصور الرحباني فلا أحد يراه ، انه خلف ستائر الشعر  
والموسيقى . شاعران وموسيقيان وصوت الهي يصنعون في فننا  
المعجزات .

ومن خلف ستارة عريضة فضية ينطلق صوتها :

بردى هل الخلد الذي وعدوا به

الأك بين شوادن وشوادي

قالوا تحب الشام قلت جوانحي

مقصوفة فيها وقلت فؤادي

مطربتنا تحب بردى وتحب الشام وتحب السوريين ، ولو عرفت فيروز  
كم يحبها بردى وكم تحبها الشام وكم تحبها سورية لبكت .

من أجل معرفة هذه الحقيقة الكبيرة التي أسماها فيروز قررت ان  
التقي بفيروز .

قلت لها :

— فيروز الشام تحبك وبردى في لهفة دائمة لتوامه ولكن ما سر حبك  
لها . وهل كانت قصيدتك « شام ياذا السيف » من وحي حبك أنت يا فيروز  
للشام أم انها حب لبنان للشام تجسد في قصيدة سعيد عقل ؟

قالت فيروز بهدوء :

— أنا أحب الشام حبا لا ينتهي وفي كل موسم خريفي يجب ان اغني  
لبردى ودمشق . وقصيدتي الأخيرة عن الشام وضعت من أجل هذا

الموسم وقصة ولادتها قصة غريبة . تم نظمها ليلة الاحد وتم تلحينها الاثنين وحفظتها الثلاثاء وغنيها الاربعاء في دمشق ، وكانت كما سمعتها دمشق لأول مرة هل اعجبتم .؟! .

اعجبنا .!! قولي لقد شرقنا بدموعنا عندما سمعناها . لقد عرفنا الآن من أين يشرب بردى . . اننا نشرب مع ذراته صوتك ويشرب هو قطراته من سحب الجبل الذي اُنبتك . لقد عرفنا الآن لماذا نحبك الى ما لا نهاية .

قالت فيروز :

— أنا أحبكم أكثر . أحب جمهوركم لانه يتذوق الشعر ويتقن الاصغاء ويتجاوب مع طريقتي في الغناء .

— وهل هي طريقتك ، ام انها صوتك وكلمات والحن الاخوين رحباني .؟! .

— بل هي طريقتي ، فأنا عندما احفظ اللحن أحفظه على طريقتي الخاصة وكما يقول الاخوان رحباني عني :

« انها تميز اللحن » .

فيروز مزروعة في نفس كل عضو من اعضاء فرقها الفنية الغنائية الراقصة، ارزة قوية ممتدة الجذور والاعصان الى ارض كل فنان من فرقها وسمائه .

قالت غيتا داية واحدة من اشهر راقصات فرقها الفولكلورية :

— لا احد يعرف فيروز كما نعرفها . انها اكبر بكثير مما يعرفها الناس . نحن أسعد الناس حظا لاننا معها دائما . هي انسانة طيبة متواضعة مخلصه لرفيقاتها . رقيقة رقة سحرية ، وهي سيدة بيت ممتازة وام عظيمة . تخدم ضيوفها بنفسها ، تتصرف في بيتها بصورة طبيعية كأية زوجة عادية ، تطبخ بيديها ، « وتبولة فيروز عمري ما لقيت اطيب منها تبولة » . .

— والحب بينها وبين زوجها عاصي الرحباني .؟! .

— تحب زوجها عاصي حب العبادة ويحبها حب العبادة ، يغار عليها من نسمة الهواء وتغار عليه من رفة غصن .

وقالت سميرة بعقليني مدربة الرقص في فرقة فيروز :

## الفهرس

الصفحة	
٢	الامداء
ب	من القلب
ج	رشة مازهر
د	رسالة صباح قباني
هـ	صورة رسالة صباح قباني
٦	يامال الشام
٨	أنا رجعية
٣٢	شأم ما المجد
٣٨	سمية وهند وكلثوم
٤٤	وأتمتع بأمي
٥٨	أوها يا عريس لا تعبس
١٠٩	أكينيا يأحوة
١٢٠	أنبوبة
١٢٦	يرحم أهل أول
	صور شامية
١٥٢	قال لي أبي
١٥٤	قالت لي أمي
٢٥٦	عند الحكيم
١٦٦	من قاموس الشام
١٧٢	العمر لكم
١٧٨	كراكوز و عيواظ
١٨٠	سكر وتتن
١٨٣	دمشقي ودمشقي
١٨٤	عنتر أبو الفوارس
١٩٢	اين تسكن دمشق
٢٠٠	يا عيني على قصر العظم
٢٠٨	أبلى بحلوسة

٢١٨	- السفربرك
٢٣٠	- الحرب العامة الاولى
٢٥٠	- يوميات فتاة دمشقية
٢٦٦	- فلسفة
٢٧٠	- الشتاء
٢٧٢	- لوحة ليلية
٢٧٦	- حوار
٢٨٠	- ارجمي يالف ليلة
٢٨٤	- ملاكمة
٢٨٨	- المطر وأنا
٢٩٠	- خرقة الطنجرة
٢٩٦	- $٣ + ١٥ + ٣٠ + ٧٠ =$ لانهاية
٣٠٤	- الشيطان ذو القرنين الفضيين
٣١٠	- قشة الدوامة
٣١٤	- لعبة التناقض المريرة
٣١٨	- مع السلامة ايها الامير
٣٢٢	- زمرة الليلك
٣٢٨	- من لماذا متى اين كيف
٣٣٢	- اللوحة المعلقة
٣٣٤	- اصابع من رمال
٣٣٨	- الطائر العقيم
٣٤٤	- ذكرى مدينة
٣٥٠	- ضفادع نبع بردى
٣٥٨	- فيروز
٣٦٦	- الفهرس

- الغلاف الاول : بريشة الفنان خالد معاذ سنة ١٩٤٤ . طريق صدر الباز . شارع بيروت مع النكية السليمانية . دمشق .
- الغلاف الاخير : بكاهنرا الفنان مروان مسلماني سنة ١٩٧٥ في بستين الهامة . دمشق .
- الروتوش : زهراب حصرجيان .
- الخطوط : الفنان سهيل مبدع ، الفنان سمير مولوي .
- عدد اللوحات الملونة ٤٣ لوحة .
- عدد اللوحات العادية ٣٣ لوحة .

### حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

الطبعة الثانية ١٩٧٨

تم طبع الكتاب واللوحات الفنية الملونة والعادية في مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة . دمشق .



صورة والدتي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول في صباحها أيام السفر برلك .  
وعمرها ١٤ سنة . في بيت والدها في حارة عسقلان — باب مصلى في حي الميدان . وهي في  
قمة جبالها وأناقها قرب شجرة التين الشهيرة في بيت جدي لأمي .

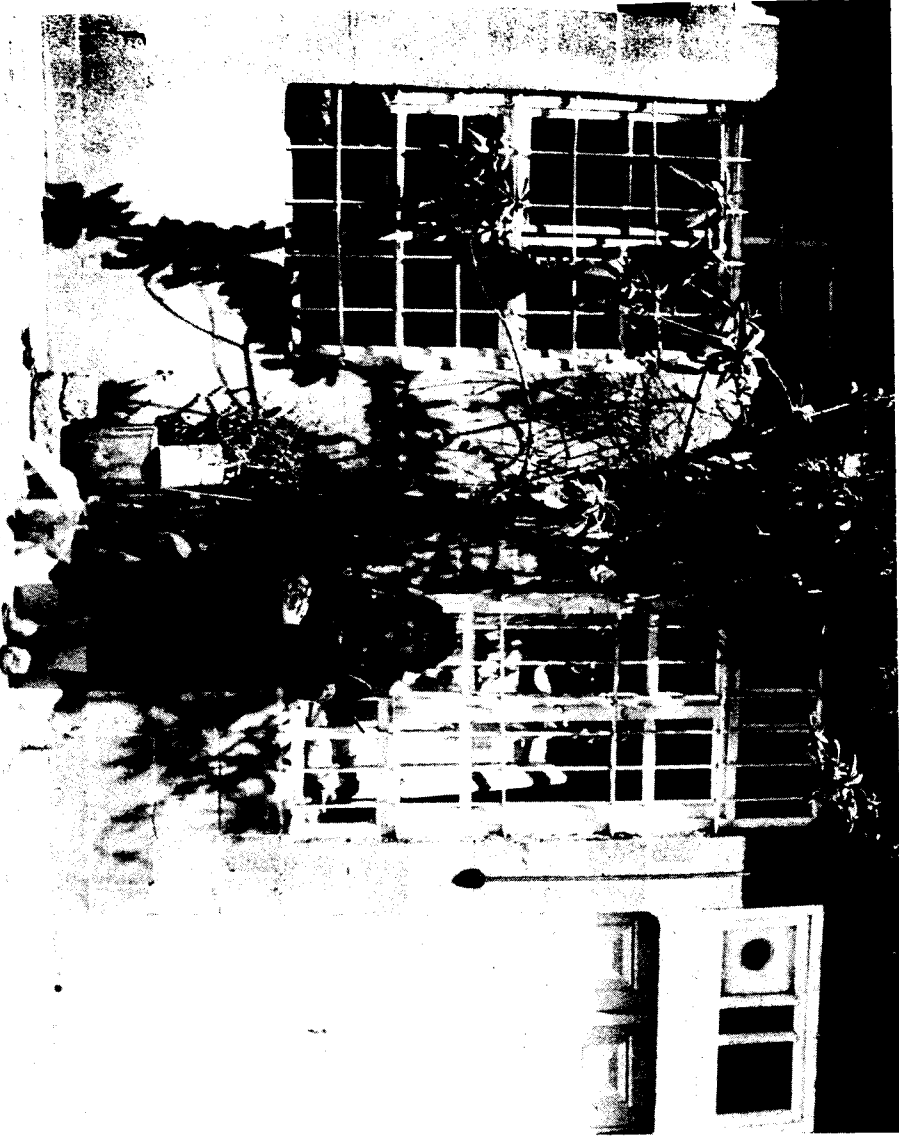




صورة والدي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان وجلتي لأمي عائشة بنت سعيد آغا  
رمضان . وأمي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري . وأختي البكر .  
١٥ مائس ١٩٢٣ . ٢ شوال ١٣٤١ هـ . دمشق .



بيتنا في حي الهجارة في دمشق .  
وأنا أقف إلى جانب باب الغرفة التي  
ولدتني أمي فيها « والدنية كانت تلج » .  
أخذت الصورة عام ١٩٦٦ .  
كاميرا الفنان مصباح السراج — حماه .



عند الشجرة التي كانت تحف  
نحيا أبي في صباها ، ووقفت في بيت  
جدي لأبي الشيخ علي قاسم البهلول  
بجزائري ، تحت شجرة جديدة ،  
أستعيد ذكريات الماضي الذي أحبه  
في مدينتي قبل أن تفصل يد القدم  
لللاعب طهرفوني في حارة عققلان  
— باب مصلى — حي الميدان .  
دمشق . ١٩٧٨ . كاهن القبان حسن  
مرشد — السريداء .



أنا أقرأ الفاتحة على روح الولي  
«عسقلان» ابن خاتمة النبي محمد  
عليه السلام ، كما قالت لي أمي .  
وعسقلان قرب موقف الترامواي عند  
باب مصلى في حي الميدان العريق ،  
حي أهل أمي . ولا تزال دكان  
الخصماني مكانها تماماً كما كانت  
عندما كنت أشتري منها «القضامة»  
مع اخوتي عندما نذهب للزيارة في  
بيت نيتي أم عزيزة بيت جدي  
لأمي ، داخل حارة عسقلان .  
الفاطحة على روح أمي وأبي وأهل أمي  
وأبي . الفاتحة على روح عسقلان .



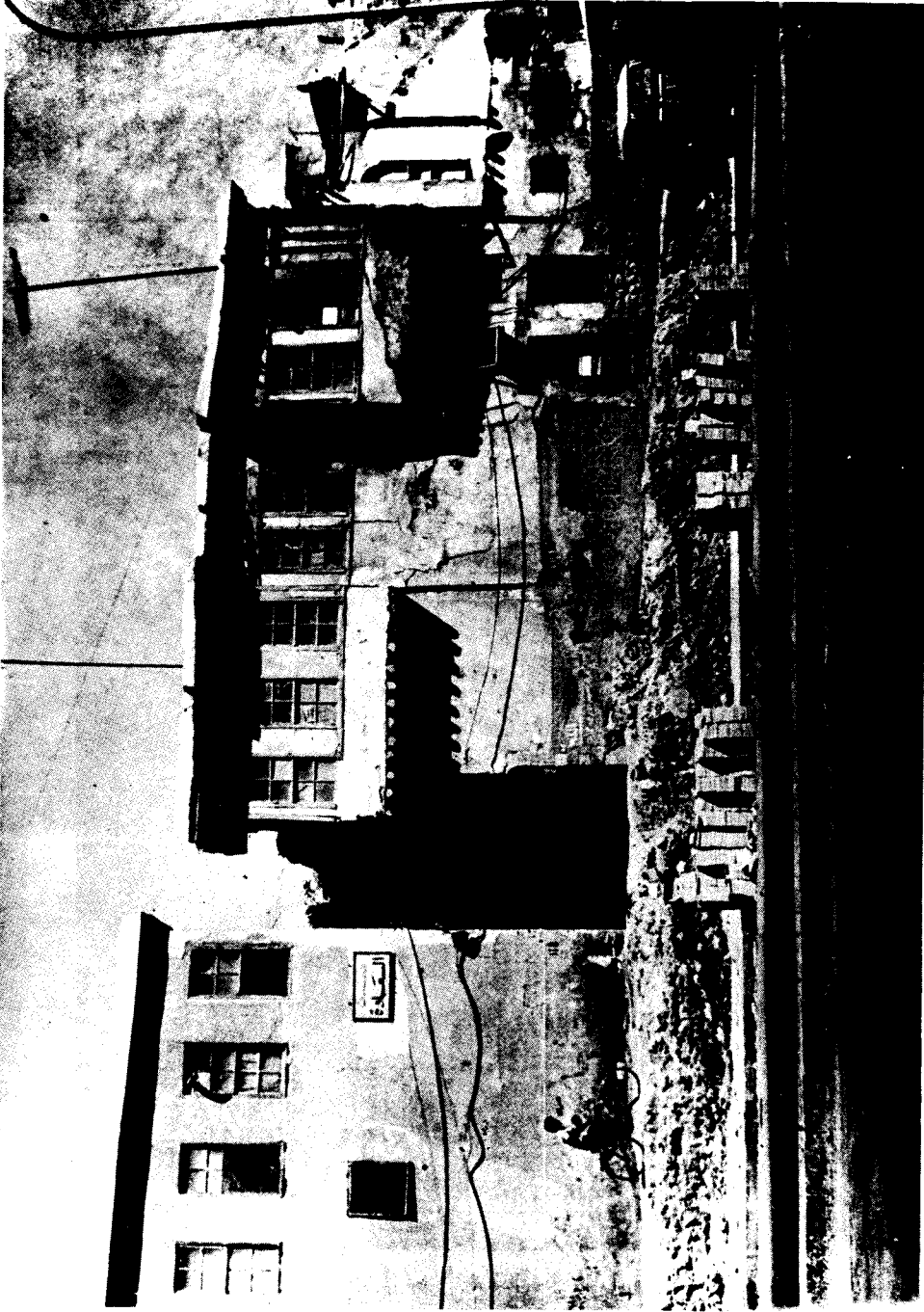
وداعاً بأسواق ساروجة..... صورة من سوق ساروجة في دمشق القديمة وقد بدت الدكاكين مغلقة يوم الجمعة . يد القدم والتنظيم ستأتي على ما تبقى فيه من رائحة الماضي المريق في حي « استيبرال الصغيرة » . كاهيرا الفنان حسن مرشد — السويداء .



« فيجة » سوق ساروجة أشرب منها ماء الفيجة بهاء . وأودعها لأنها تحمل ذكريات طفولتي . فنهنا كنت أعني « حق الماء » لبيتنا . وعليها كسر معي « حق الماء » مرة . وأخذت أبكي خوفاً من أن تقتلني أمي . وتجمع الأولاد حولي . سقى الله أيام الطفولة وأيام حارتنا . دمشق — ١٩٧٨ . كاميرا الفنان حسن مرشد — السويداء .



بيت الترجمان في حارة القره ماني من الخارج . قبل التنظيم والمهدم . في حي سوق  
ساروجة . دمشق — ١٩٦٦ . كاميرا الفنان مصباح السراج — جاه .

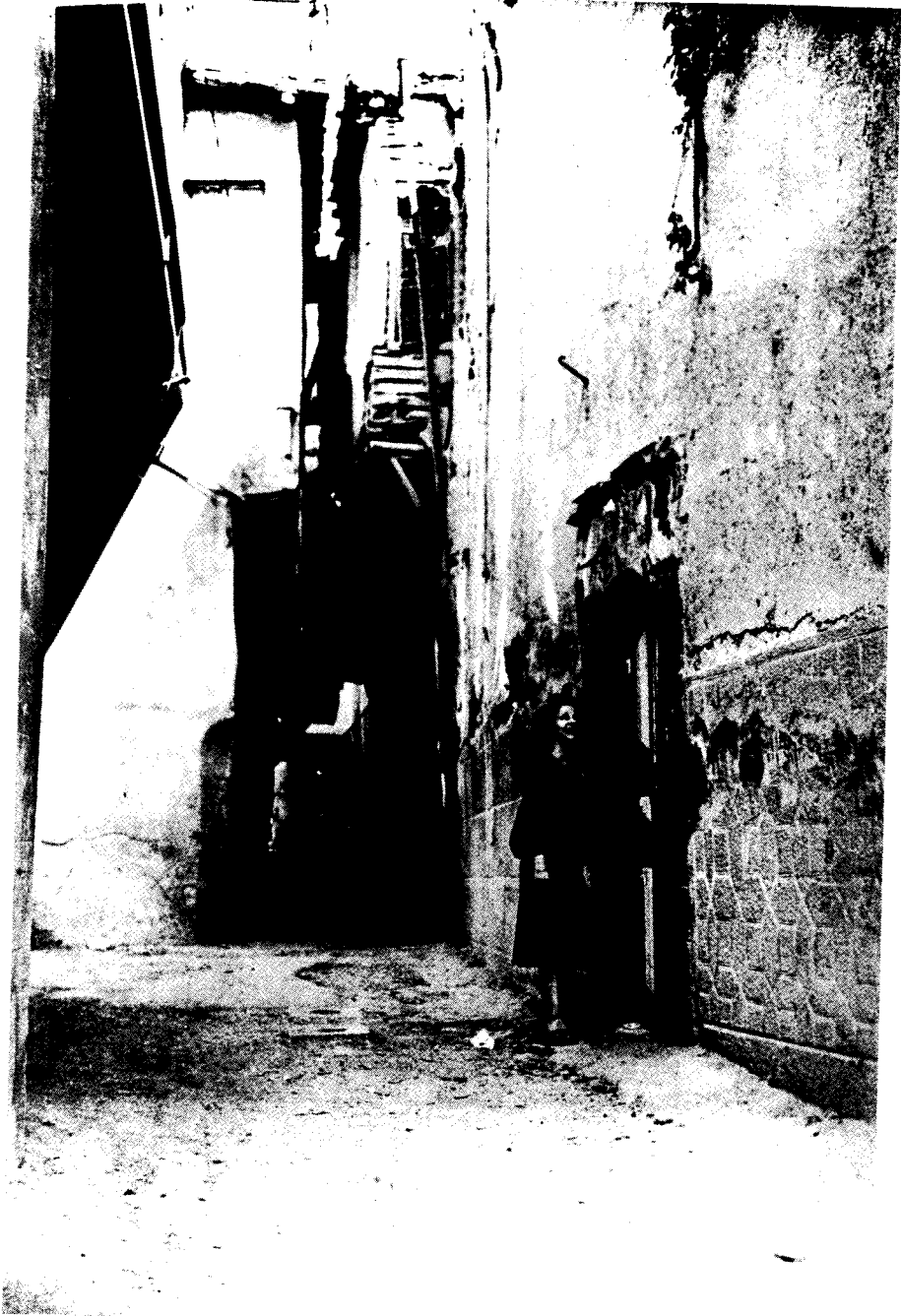


بيننا في حارة القوه ماني من الخارج ، في سوي سوق ساروجة بعد أن القرب منه القدم والتنظيم . ١٩٧٨ . كاميرا الفنان  
حسن مرشد — السويدياء .





بيتنا . بيت الترجان في حارة «القره ماني» في حي سوق ساروجة . دمشق عام ١٩٧٨ . كاميرا الفنان حسن مرشد — السويداء .



أنا أدق على باب بيتنا العتيق عام ١٩٧٨ في حارة القره ماني في سوق ساروجة . وفيه  
بيت الكيلارجي وبيت عوض وبيت الصباغ وبيت المرتضى من الخارج . كامبرا الفنان  
حسن مرشد — السويداء .



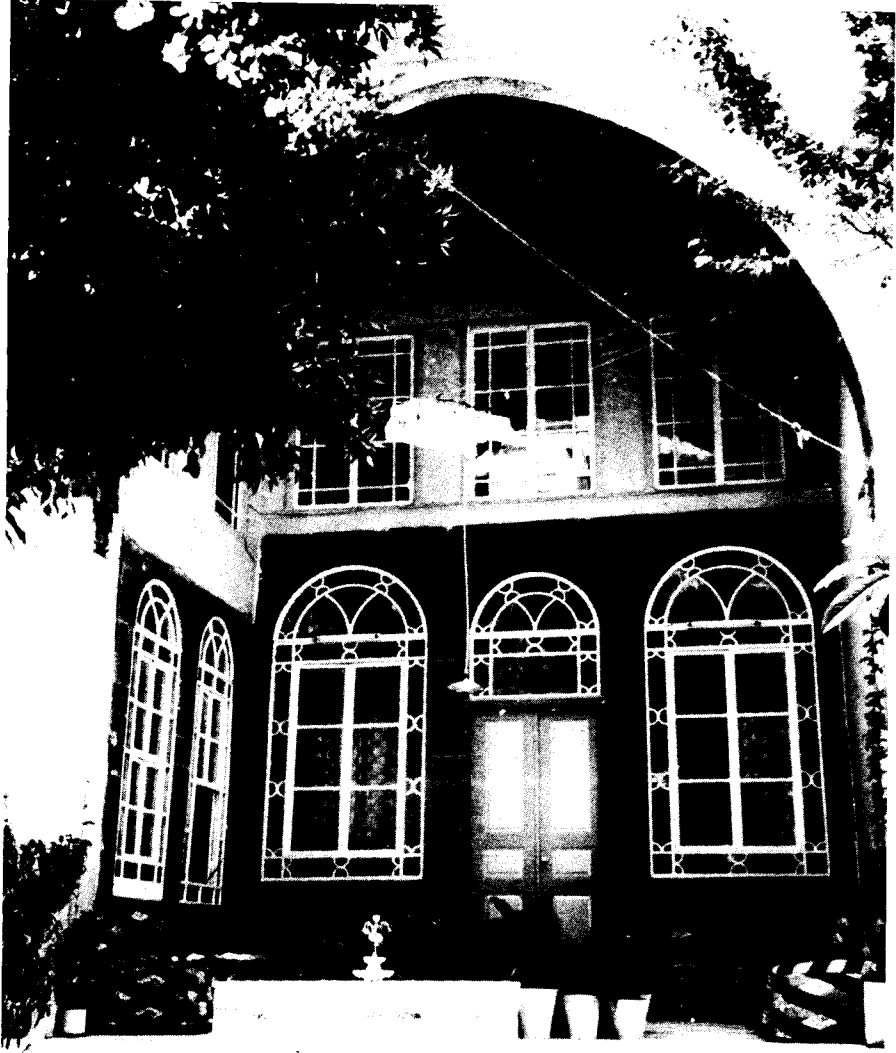
أنا في بيت الكيلارجي في حارة  
القرهمانلي في حي سوق ساروجة.  
دمشق . عام ١٩٧٨ . كاميرا الفنان  
حسن مرشد — السويداء .



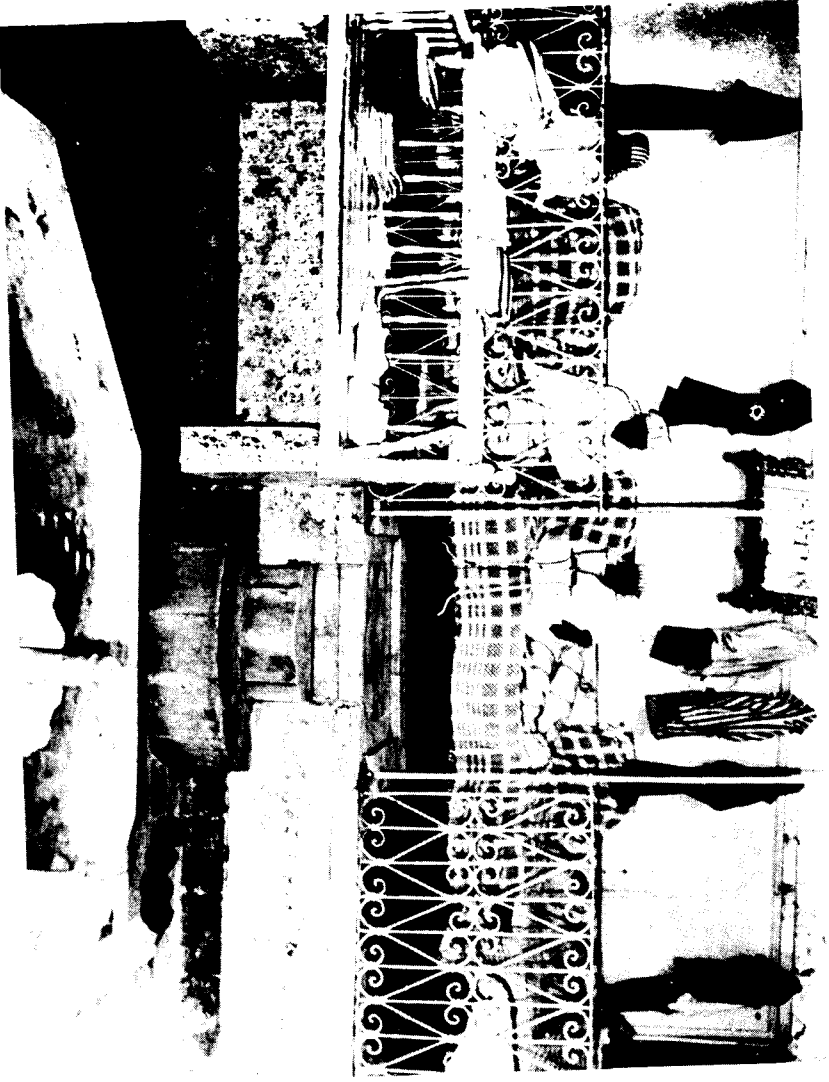
عودة إلى الذكريات والماضي الذهبي . أنا والحمام الزجاجي . في بيت جيراننا بيت  
الكيلارجي سابقاً بيت الكباريتي اليوم في حارة القره ماني حي سوق ساروجة . دمشق  
١٩٧٨ . كاميرا الفنان حسن مرشد — السويداء .



أنا في بيت جيراننا ...  
بيت الكيلارجي في حارة القره ماني في حي سوق ساروجة . دمشق . ١٩٧٨ .  
كاميرا الفنان حسن مرشد — السويداء .



بيت الخصري في حارة «قولي» في حي سوق ساروجة . دمشق . ١٩٦٦ . كاميرا  
الفنان مصباح السراج — حماه .



حمام الظنا ...  
في حمام الورد .  
في حارة الورد في حي سوق  
ساروجة المعرض اللهم بناتنا . عام  
١٩٧٨ . كامرا الفنان حسن  
مرشد — السويلاء .



ابنة عمي أم عدنان شفكي بنت صبحي الترجان في بيتها بيت زوجها ابن عمي  
عزت السادات في حارة الورد . حي سوق ساروجة . دمشق ١٩٦٦ . كاميرا الفنان مصباح  
السراج — حماه .

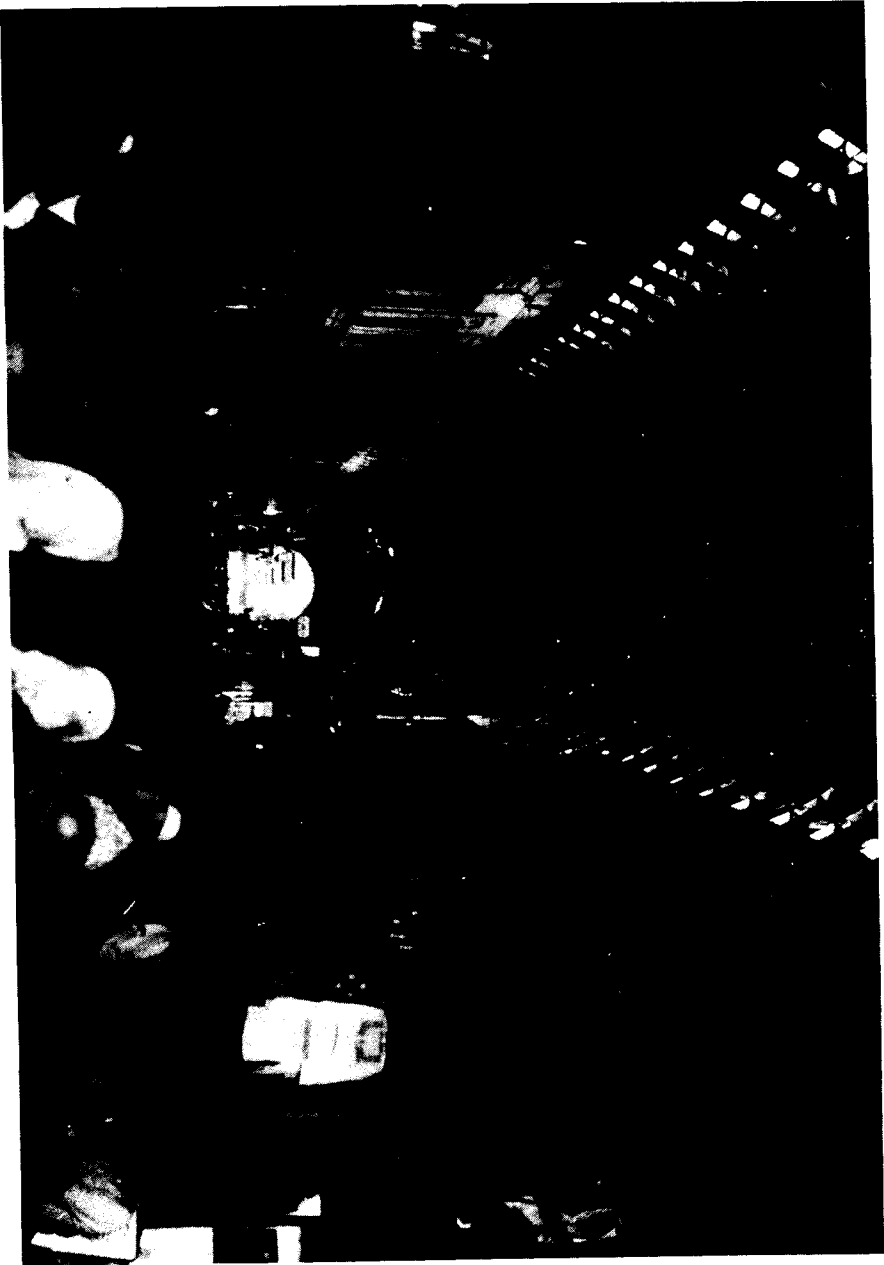




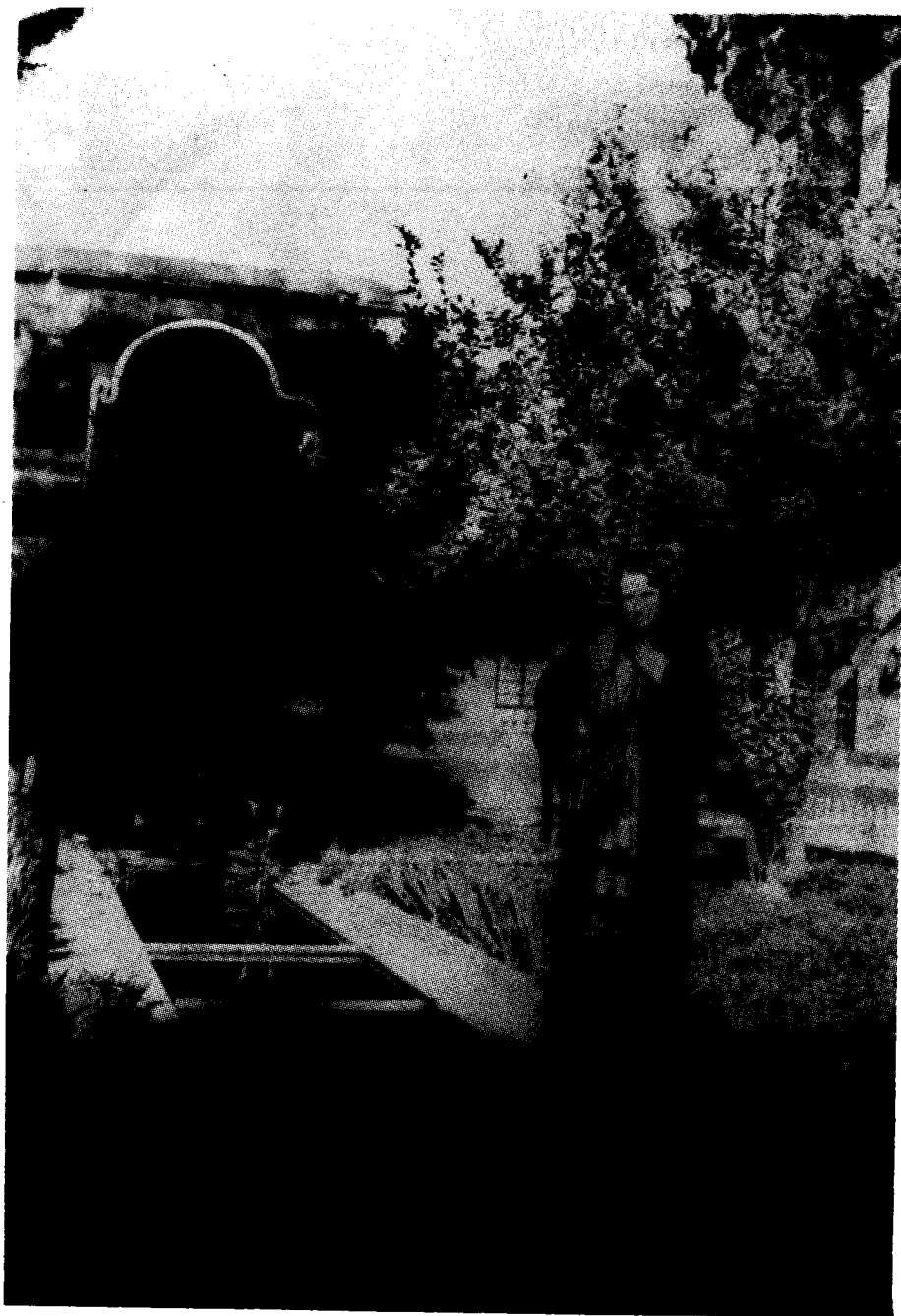
أبي فهدى وأبي عزيزة وأبي محمد علي وزوجته في جلسة عائلية سعيدة في بيتنا في حي السكي . أبو رمانة . دمشق . عام ١٩٦٤ . كاميرا الفنان عبد الكريم الأصغر — جاه .



ابي فلهمي وامي عزيزة وامي صلاح وأنا وأولاد أبنخي في جلسة عائلية سعيدة على جهاز عرس أبي وامي الصدق ، في بيتنا في حي السبيعي ، دمشق الجديدة. أبو رمانة . ١٩٦٨ . كاميرا الفنان عبد الكريم الأصفري - جاه .

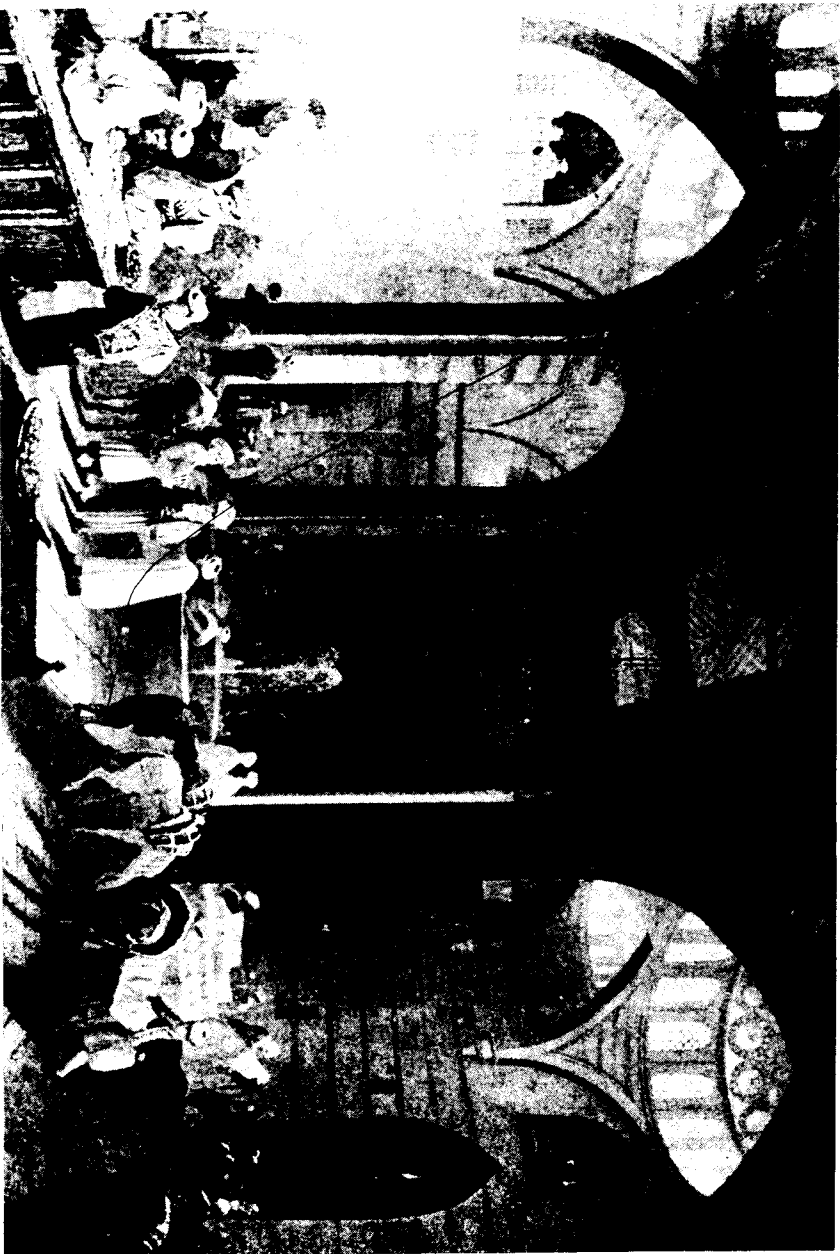


سوق الطيبية، دمشق، ١٩٦٠. كاميرا الفنان علي مازني — دمشق.

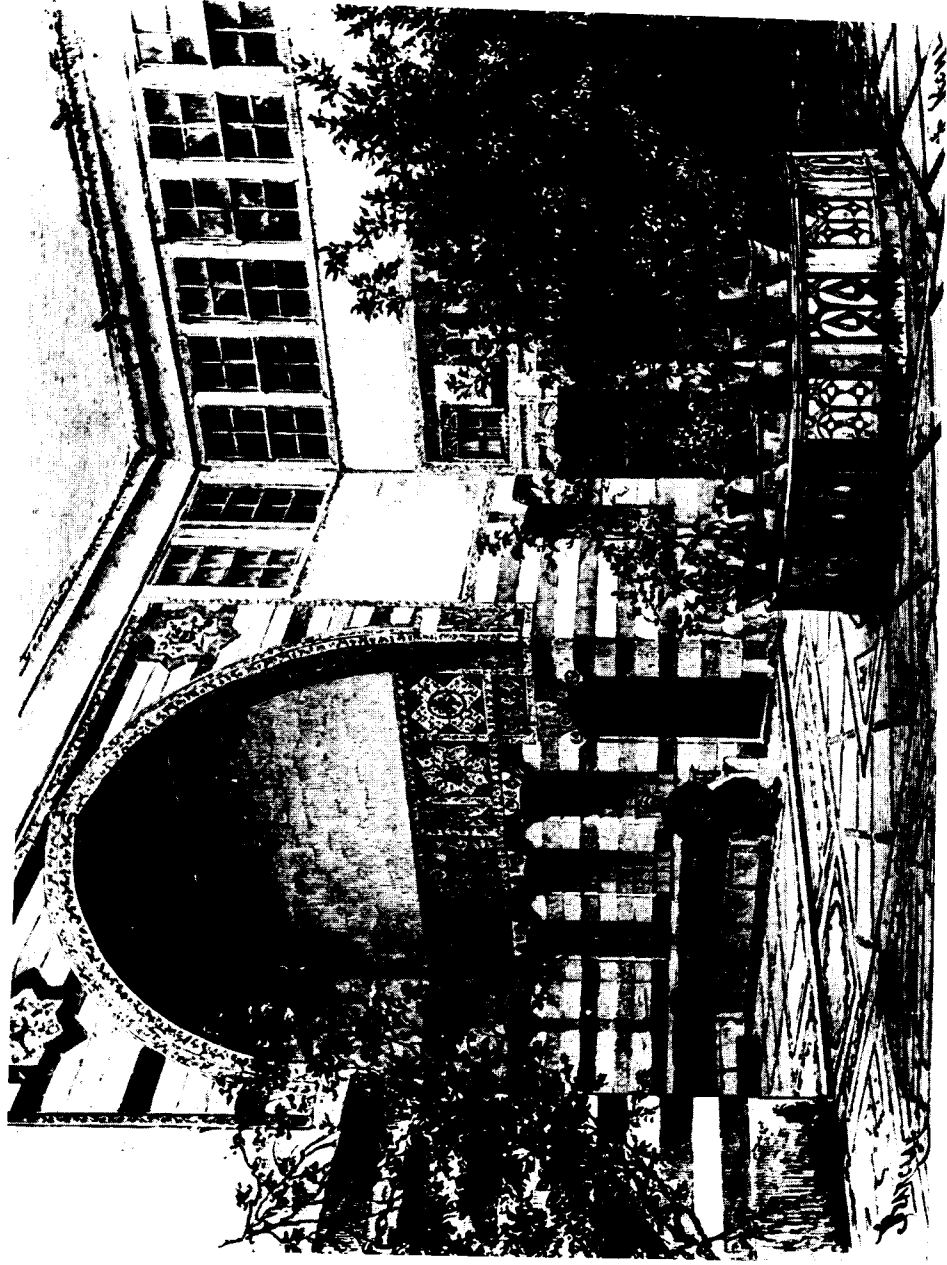


سائحة انكليزية وملابس عربية في قصر العظم . ١٩٦٦ . كاميرا الفنان مصباح

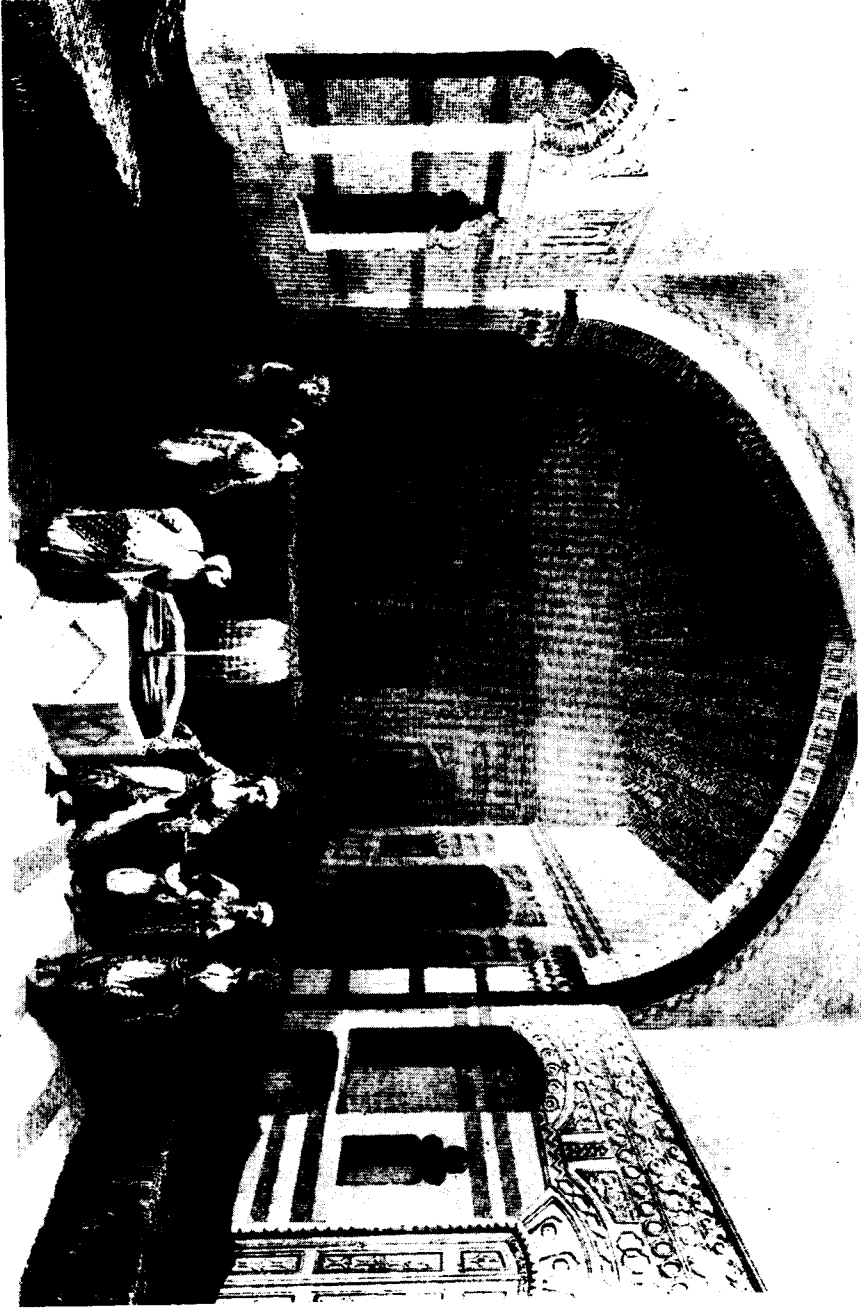
السراج — حياه .



جان في دمشق، ١٨٤٣. بريشة الفنان أوزي. من مجموعة الدكتور يوسف سارة — دمشق.



دار السباعي . بيت عربي دمشقي . بريشة فنان أوردوي . من مجموعة الفنان مروان مسلمانى — دمشق .



نساء دمشقيات في بيت عربي دمشقي . دمشق . ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة الفنان موران مسالتي — دمشق .



باب شرقي . دمشق . ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة الفنان مروان مسلمانى — دمشق .

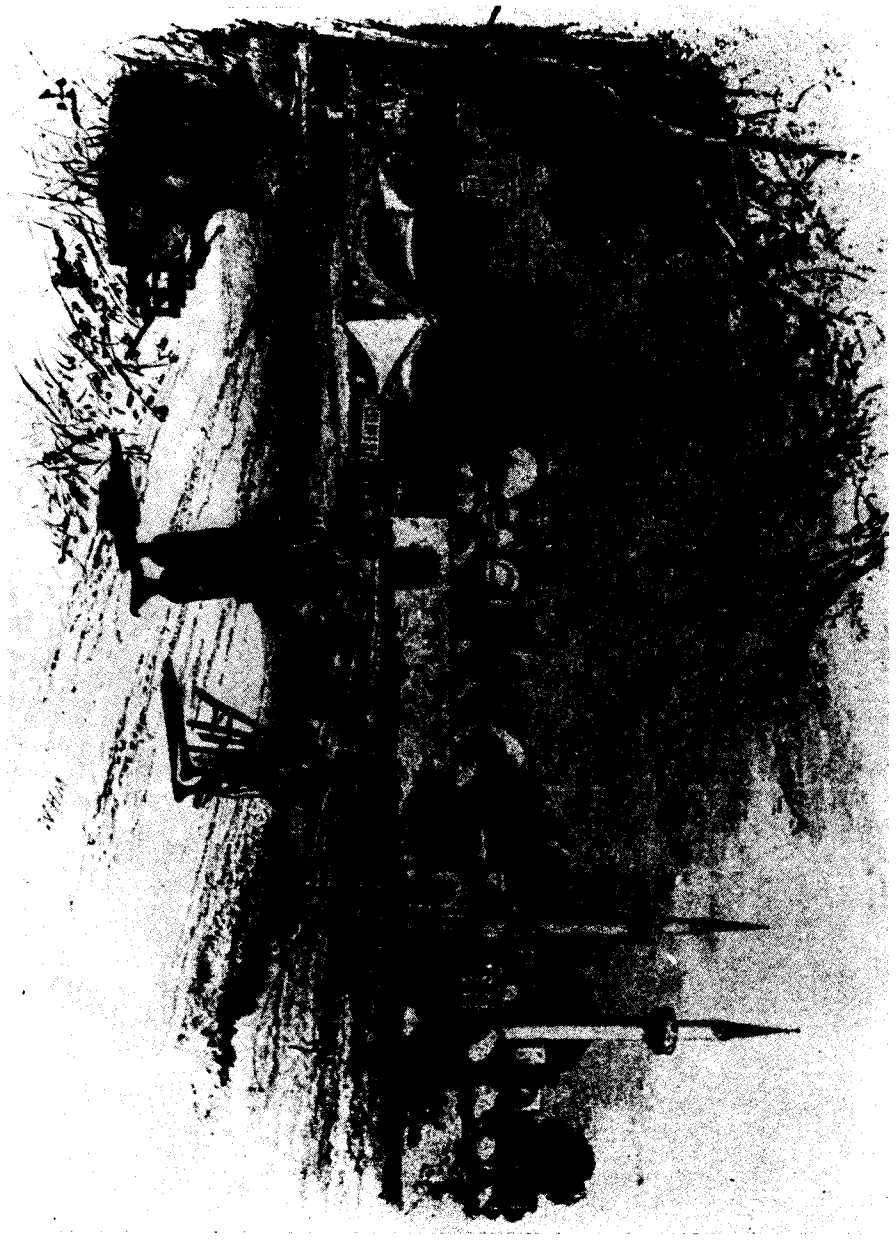




غلاف كتاب باليستينا. فلسطين باللغة الألمانية ومترجم عن الإنكليزية ١٨٨٣. إعداد جورج إيرس. وهرمان جوتة. ويضم صور بلاد الشام ١٨٤٣. بريشة فنانيين أوروبيين إنكليز وألمان صوروا سورية وفلسطين والأردن ولبنان عام ١٨٤٣، في لوحات فنية واقعية خالدة. والكتاب من مجموعة كتب الدكتور يوسف سارة النادرة في دمشق.

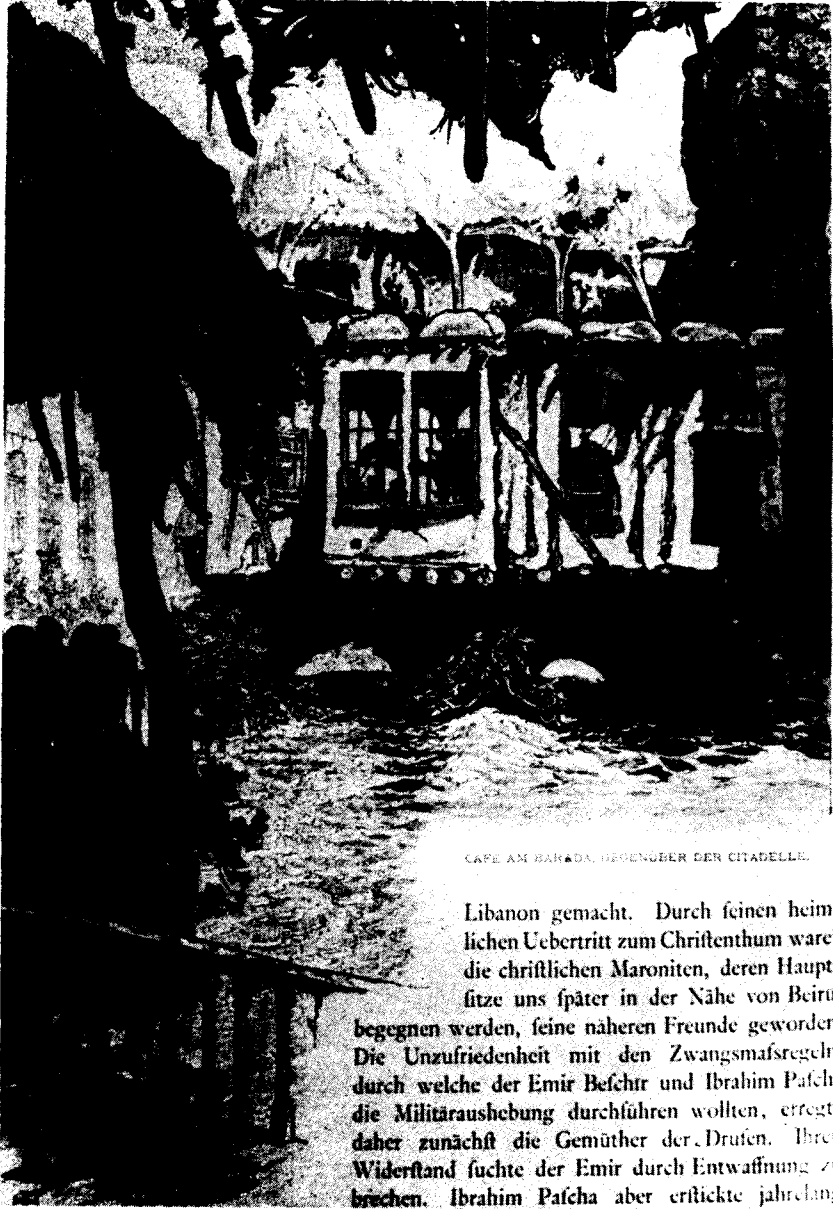


الفوتة حول دمشق من جبل قاسيون — ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة  
الدكتور يوسف سارة — دمشق .



EINFABRT IN DAMASCUS.

جامع الكعبة السامانية قرب نهر بردى . دمشق . ١٨٤٣ . بريشة فان أرووي . من مجموعة الدكتور يوسف سارة — دمشق .



CAPE AM BARADA, GEGENÜBER DER CITADELLE.

Libanon gemacht. Durch seinen heimlichen Uebertritt zum Christenthum waren die christlichen Maroniten, deren Hauptlitze uns später in der Nähe von Beirut begegnen werden, seine näheren Freunde geworden. Die Unzufriedenheit mit den Zwangsmaßregeln, durch welche der Emir Befchr und Ibrahim Pascha die Militäraushebung durchführen wollten, erregte daher zunächst die Gemüther der Druen. Ihren Widerstand suchte der Emir durch Entwaffnung zu brechen. Ibrahim Pascha aber erlickte jahrelang

مقهي قرب نهر بردی . دمشق ۱۸۴۳ . بریشه فنان  
 أوروبی . من مجموعة الدكتور يوسف سهاره — دمشق .



سوق الخيل . دمشق . ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة الدكتور  
يوسف سمارة — دمشق .



سوق الخيل الذي تحول إلى سوق العتيق وسوق للخضار والفاكهة  
واللحوم . دمشق . ١٩٦٦ . كاميرا الفنان مصباح السراج — حماه .



حارة في دمشق . عام ١٨٤٣ بريشة فنان أوروبي . وكأنها حارتنا حارة القره ماني في سوق ساروجة قبل مئة سنة ونيف . من مجموعة الدكتور يوسف سهاره — دمشق .


aufste ihm ein ansehnlicher Theil des Privatvermögens zum Opfer fallen. Eine solche Neuerung diente zur Hebung der Einkünfte des reformliebenden Wali. In der Nähe der französischen Pötitation liess er ein Gartenrestaurant nach abendländischem Muster einrichten. Aus einer anziehenden Umgebung von Kafepätzen und Blumenbeeten.



DIE GROSSE PLATANE IN DAMASKUS  
Die Umfassung beträgt 11 Meas.

erhob sich bald ein freundliches Gebäude mit Billardzimmer und geräumiger Veranda. Die Gäste saßen auf Bänken und Stühlen an einzelnen Tischen, wie die Sitte des Abendlandes es fordert, und tranken nicht nur Scherbet oder Kaffee, sondern auch Wein und andere geistige Getränke nach dem Geschmack der Franken. Die Konzerte, welche in der Kühle des Abends stattfanden, ließen keinen Zweifel darüber, daß hier wirklich die

شجرة الدلب في العسرونية وقطرها ١٢ م . دمشق ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي .  
من مجموعة الدكتور يوسف سمارة — دمشق .



مع أني كنت صبية  
لا تذكرك أنت  
البراقع  
الحبل للربوة ولشادون  
وردم والياض  
والنبت بين شجر  
الجوهر والبراقع  
على صفاء نوردي  
سقى الله  
أناج زمان  
في الربوة ووردم والياض  
سبح سبحان

السعر مع لبس أو ما يعادلها